في علم النفس
الاكلينيكي والمرضي

ديناميات السلوك غير السّوي

دراسات في سيكولوجيّة العصاب والجناح

تأليف
الدكتور
محمد أحمد غالي
دكتوراه الفلسفة في الصحة النفسيه

بسم الله الرحمن الرحيم

وبــــه نستعين

تمهيـــد لموضوع الكتـــاب

تتعدد العوامل التي ترجح ميل الفرد الكاتب الباحث في العلوم النفسية والاجتماعية لدراسة موضوع ما ، وهي عوامل مهما تعددت فانها يمكن حصرها في نوعين من العوامل :

آ ـ امـا عوامل ذاتية ب ـ أو عوامل ثقافية اجتماعية

والفرد حين يبحث موضوعا ما ، أو يحاول أن يقدم خبرة علمية في ميدان من الميادين ، قد يشعر باثر هذه العوامل الدافعة لاهتمامه بموضوعه احيانـا ، وقد يندفع في عمله بدوافع لاشعورية احيانا اخرى ، وهـذه الحالة الدافعـة للسير في هذا العمل قد تكون في كـل من الحالتين من القـوة بحيث يشغلـه الانغمـاس في عمله عن البحث في الاسباب التي دفعته لدراسة هذا الموضوع أو الاسهام في حل مشكلته .

ومقدم هذا الموضوع يجد نفسه وقـد انتهى من حصر اطراف الموضوع بقدر معقول في النواحي النظرية والعملية أو اوشك ان ينتهي ، في حاجـة لان يحدد موقفه من هذه الدراسـة ، والعوامل والاسباب التي دفعته لأن يقبل على موضوع كهـذا يجعله محلا للدراسـة والبحث ، وموضوعا لدراستـه هـو ، أو على الاقـل لا يرفض ان يسهم في حـل مشكلـة موضوع البحث بعض الاسهـام .

وهو حين يحاول أن يميز الحوافز التي اسهمت في خلق نشاطه في هـذا البحث ليتبين الذاتي منها ، والاجتماعي ، يجد نفسه في حيرة ليس بعدها حيرة .

ان عنوان الكتاب كمـا يبدو على ضخامته قد يفسر لنـا أو يصور هذه الحيرة فالعنوان : يدور حول ((نظريات وبحوث في ديناميات الاضطراب عنـد الجانحين والعصابيين)) .

وهو كما هو ظاهر يهتم بدراسة شخصية فئتين تمثلان مظهرين من مظاهر الانحراف والاضطراب السلوكي التي تشغل البال في عصرنا الحاضر .

ولكن ليس كل ما يشغل بال المجتمع في عصرنا الحالي يمكن أن يثير اهتمام كل فرد ، أو أي فرد ، اللهم الا أن يكون هذا الفرد ممن يجد في هذا الموضوع الشاغل ما يشفي لديه غله ، أو يلمس في نفسه مواطن من الاهتمام لم يكن يعيها ، أو كان يعيها ولكنه يستبعد الافصاح عنها .

هكذا يجرنا هذا التقديم الى بعض الاسباب والدوافع الذاتية لاقبال الكاتب على تقديم هذا المؤلف للمكتبة العربية .

لاشك أننا جميعا عانينا مظاهر من الحياة ، وأشكالا ومواقف من الاحباط لا تختلف كثيرا عن تلك التي تجري بهـا أقلام الكتاب في علم النفس ، ولكن النتـاج النهائي لتفاعلنا ، ونعني بـه شخصية كل فرد منا يختلف عن شخصية الآخر ، ولهذا يعجب الفرد ، والكـاتب خاصة ، كيف قيض الله له ولأمثالـه ظروفا حالت دون انحرافه ، ولا نقول انحرافا بسيطا ، بل نقول حالت دون انحرافه انحرافا يحول دون وصوله الى درجة من التوافق تتيح له أن يلعب دوره الاجتماعي بنجاح ؟! بمعنى ، لماذا ، وقد تعرض للكثير مما يقال أن كلا مـن الجـانح والعصابي يتعرض له في طفولتـه من أخطاء في التربية في أثناء عمليـة التطبيع الاجتماعي ، نقول لماذا لم ينشأ وينشأ أمثالـه جانحين أو عصابيين ؟! على الاقل بالدرجة الخطيرة من الجناح والعصاب ؟!!

ان هذا واحد من أهم الدوافع التي دفعت لمعالجة هذا الموضوع ، وهـو دافع كان واضحا أحيانا ، وغامضا في أغلب الاحيان ، الا أنه كان أحد العوامل الهامة لاختيار هذه المشكلة موضوعا للدراسة .

ان الموضوع كان باستمرار يثير في الكاتب من التوتر الانفعالي ما يدفعه للاستمرار وبذل مزيد من الجهد للاستزادة من الآراء ، ربما لانـه كان ينعكس فيه الكثير من مشكلات التربية التي تكون جزءا كبيرا من خبرة الكاتب في طفولته ومراهقته ، وربما يكون الكاتب في كل جانب مـن جوانب الدراسة قد أسقط بعض خبراته واتجاهاته وقيمه على البحث ، وجعل منه هاديا الى أقوم الطرق التربويـة التي يمكن للكاتب ـ وهو بعد في أهم مراحل تنشئة الاسرة التـي يرعاها ـ أن يجنب فلذات كبيرة من كبده المشكلات الانفعالية التي قد تنأى بهم عن النمو السليم الى النمو المضطرب ، أو الانحراف السلوكي ، ولكي تكـون هـذه الدراسة ضوءا نلقيه على بعض الاساليب الخاطئة في التربيـة بما نبرزه من آثارهـا الخطيرة .

وليس ببعيد عن الصحة أن نقول أن جيلنا ، ان لم يكن كلنا قد خبر في اسرته عن قريب أو بعيد نمطا أو آخر من هذه الانماط المضطربة من السلوك يتمثل فيها أحيانا واحد من هاتين النزعتين ـ العصابية أو الجناحية ـ بدرجة

او باخرى ، وكان يتساءل دائما : كيف تطورت هذه الشخصية في هذا الاتجاه او ذاك ؟ كيف أسهمت العلاقات بين الآباء والابناء في خلق هذا الجانح أو ذلك العصابي ؟ ما هي العوامل المتصارعة التي تحدد اتجاه الاضطراب عند هـــذا الفــرد بهــذه الصورة وعن ذلــك الفرد الآخر بتلك الصورة المخالفــة فــي مظهرهــا الخارجي ؟

انها مواقف ، وخبرات تزيد مسؤولياتنا ، وتؤدي الى نوع من التوتــر والقلق على اجيالنــا المقبلــة تجعلنا نشترك مــع المجتمع الذي نعيش فيه في الاحساس بهذه المشكلة ، وبضرورة دراسة الاختلافات في تنظيم شخصية كــل من الجانح والعصابي كما تراه النظريات والآراء المختلفة ، وكما تكشف عنــه الحقائق التي تشتق من البحوث الميدانية ، باعتبارهما مظهرين من أهم مظاهر الاضطرابات النفسية التي تشغل بال الكثيرين من علماء تخصصوا في العلــوم الانسانية ، وغير الانسانية .

فاذا انتقلنا من ذلك الى العوامل الاجتماعية والثقافية ، نجد اننا ، أبناء العصر الحاضر في القرن العشرين عامة ، وابناء العالم العربي خاصة نعيش في عصر يتمثل الديمقراطية بصورة عملية تنعكس بوضوح في كل نواحي الحيــاة ، واذا كانت الديموقراطية تقوم على مبدا هام تتفــرع عنه كل المبــادىء الاخرى وهو ((الايمــان بفردية كل فرد دون اعتبــار لجنس او دين او لغة او طبقة)) ، فان دراساتنا النفسيــة يجب ان تعكس هذا المبدا الذي اصبح قيمة اجتماعية لهــا قوتهــا .

هــذا المبدا الديموقراطي جعل الاتجاه القديم نحو بتر كل عنصر خارج عن المجتمع ، او تعذيب كل من تظهر عليه علامات الاضطراب السلوكي المجهول السبب ، تعذيبه حتى يشفى ، كما كان الحال حتى أواخر القرن التاسع عشر ، اتجاهات ترفضها المجتمعات الحديثة التي تؤمن بأن كل مجتمع يجب أن يبذل أقصى الجهد ليفيد من جهد كل فرد ، ويحسن حالة كل فرد من جميع نواحيه لصالح الفــرد ورفاهية الجماعة . ولهذا فعلى كل مجتمع ان يصلح قبــل أن يبتر ، وان يعالج قبل ان ينبذ اي فرد يبدو ان لديه من الاضطراب ما قد يعطله عن أن يلعب دوره الاجتماعي كاملا وبكفاية وكفاءة . واننا لنلمس في كل البلاد المتحضرة ، او الآخذة باسباب الحضارة اتجاهات قوية نحو العناية بهذه الفئــة من الاطفال المضطربين ، لا ليكونوا اعضاء صالحين في المجتمع فحسب ، ولكــن الدولة حين تتحمل مسؤولية تحسين حياة هؤلاء انما تضمن تفرغ ذويهم لغير مشكلاتهم من ميادين الانتاج الضرورية للمجتمعات المتحضرة .

هــذه الآمال العريضــة لكل مجتمع متحضر ، او آخذ باسباب التطــور الاجتماعي والاقتصادي لا يمكن ان تتحقق الا اذا تحددت تنظيمات الشخصية التي ترتبط بأي من هــذين الانحرافين السلوكيين بحيث تكون دراسة هــذا مفتاحا العوامل المؤدية الى هذه التنظيمات ، وبذلك تنير السبيل امام المصلحين

الاجتماعيين ، والموجهين والمربين لكي يضعوا الاسس الصحيحة لعملية التطبيع الاجتماعي التي يتعهدون بتنفيذها عن طواعية أو اجبار ، لتفادي خلق هـذا النمط من الشخصية المضطربة اللاسوية ، وبذلك يحققون الهدف الوقائي للعلم .

انـنا في كل بحث نفسي ، او اصلاح يهدف للعناية بأطفالنا لنجنبهـم مواطن الزلل ، أو لابعادهم عن مصادر الاضطراب الانفعالي ، نفترض وجـود أسباب خارجية معينة تكون مسؤولة عن مشكلة انحراف الصغار أو اضطرابهم دون أن نعنى بتنظيم الشخصية وبنائها عندهم ، ونوجه غالبا لهذه الاسبـاب البيئية أو الظروف المحيطة بالفرد كل عناية واهتمام ، دون أن نرجع الى المصدر الذي يضع أيدينا على هذه الاسباب ونعني به الطفل نفسه ، ودراسة تنظيـم شخصيته ، التي منها يمكن أن نتبين مدى أهمية الاسباب المختلفة والى أي حد هي خليقة بما نبذله في سبيل اصلاحها من جهد ومال .

ان هـذا المؤلف قصد به استعراض الآراء المختلفة التي تفسر تطـور السلوك اللاسوي بنوعيـه الجناح والعصاب ، وديناميات هذا السلوك أو ذاك من حيث علاقة وتأثير العوامل الاجتماعية والثقافية التي تسبب هذا التنظيم وتسهم فيه والتي تثير اهتمام الدول عامة والعربية خاصة بمشكلتي الجنـاح والعصاب . ولكنه حين يحاول أن يسهم بقسط متواضع من الجهود المبذولـة في هذا الشأن ، يحاول أن يستشف بعد أسباب هـذا النوع من الانحـراف أو ذاك مبتدئا من تنظيم الشخصيـة الذي هو ثمرة هذه الاسباب ، كما تبرزه النظريـات المختلفـة .

ولا شك أن الاهتمام الزائد ـ كما قلنـا ـ بمشكلة الجناح ومشكلة عصاب الاطفال في البلاد العربية قد انعكس أثره على الكاتب وجعله ـ كفرد في هـذه الجماعـة ـ يهتم بالدراسات النفسية ـ يشترك مع المجتمع في هذا الاهتمام ، ويتساءل مع من يتساءلون عـن المتغيرات التي تميز كل نوع من النوعين مـن الانحراف عن الآخر . والتي تخلق تنظيما معينا للشخصية يختلف في أحدهمـا عنه في الآخر ؟! ولذلك هو يتلمس في كل رأي أو نظرية أو بحث ميداني العوامل المحددة لمقومات الشخصية عند كل من النوعين من الاضطرابات محاولا أن يبرز وجهة نظره الخاصة في آخر كل رأي .

ان الباحث حين يحاول أن يتقدم بالدراسة هذه للمساهمة في دراسات علم النفس الاكلينيكي ، يدرك تمام الادراك خطورة موضوع الدراسة ، ويدرك كذلك أنه يطرق بابا من أبواب الدراسة واسع المجال متشعب الاطراف ، متعدد الميادين ، تتضارب فيه الآراء .

كذلك يدرك الكاتب ادراكا واضحا تعقد ميدان البحث من حيث العينـة موضوع الدراسة ، ويدرك أيضا صعوبة الوصول الى معطيات علمية من هاتين الفئتين من الافراد والعملاء الذين يعانون هذا الاضطراب أو ذاك ناهيك عـن الصعوبة التي تكتنف الحصول على العينة التي يمكن أن نطلق عليها هذا الاسم

أو ذاك ، والحدود التي يمكن ان يستند اليها أي بحث في تحديد كل من مفهوم العصاب ومفهوم الجناح ، ولهذا فهو يوجه القارىء الى كل نقد يمكن أن يوجه لكل رأي أو نظرية تفسر هذا الاضطراب ، او ذاك ، أو أي بحث يقدم نتائج محددة .

وليس بغريب على مقدم هذا الكتاب ما هو معروف من الخلط الشديد ، والتعارض بين الآراء المتصلة بتحديد أهم مفهوم تدور حوله هذه الدراسة ، ونعني به الشخصية ، بله تنظيم الشخصية . ان كلمة الشخصية التيشغلت بال العلماء والمفكرين منذ أقدم العصور لها مفهوم متطور ومعنى يتغير بتغير مناهج البحث فيها ، كما أنه يتغير ويتطور باستمرار التوسع في البحوث المعنية بها . هذا فيما يختص بمفهوم الشخصية في حالة السواء ، فما بالنا بمفهوم الشخصية في حالة اللاسواء ؟

ان الكاتب حين يتقدم بهذا البحث المتواضع يرجو أن يكون قد نجح في تذليل هذا الخضم الواسع من المشكلات والصعوبات التي تواجه كل باحث في هذا الميدان .

وهو حين يجمع الآراء المختلفة والنظريات العديدة والبحوث الميدانية ، يناقشها ويحاول أن يوفق بينها ، انما يحاول ان يقدم للقارىء تفسيرا لاسباب الانحراف في سلوك الصغار ، عله يوفر للمشتغلين بتنشئة الجيل نورا أو بصيصا من نور يهدي الى سواء السبيل في رعاية ثمرة الجيل كل جيل .

والله ولي التوفيق

المؤلف

طبع في شهر ذي الحجة سنة ١٣٩١
الموافق شهر فبراير (شباط) سنة ١٩٧٢

مقدمة

الكتاب الذي نقدمه للقارىء العربي يعالج موضوع ديناميات السلوك غير السوي ، ويقتصر في هذه الناحية على نوعين من أنواع السلوك غير السوي ، ونقصد بهما أسلوبي السلوك الجناحي والعصابي . ونظرا لما تردد من قديم الزمان عن وجود تشابه بين الجانح والعصابي في بعض ديناميات السلوك ، أو مايعرف بالدوافع الهامة المقررة والمحددة للسلوك ، فقد عنى الكاتب باستمرار في هذا المؤلف أن يبرز جوانب الشبه ونواحي الاختلاف بين كل من الجانح والعصابي في تنظيم الشخصية .

ولقد حدد الكاتب في هذا الموضوع تنظيم الشخصية بانه مجموعة القوى الدافعة ذات الطاقة المحركة بالسلوك ، والتي تكون في بعض جوانبها نظرية وفي البعض الآخر أو الجزء الاغلب منها مكتسبة .

لذلك يرى الكاتب حين يعالج هذا الموضوع أن يعرض أكبر قدر ممكن من وجهات النظر التي عرفت في الكتابات النفسية ، أو آراء الفكر النفسي عامة لتفسير ظاهرتي الجناح والعصاب ، والتي حاولت أن تبرز جوانب الاتفاق ونواحي الاختلاف بين الشخصيتين المنحرفتين .

هكذا كان لزاما علينا أن نلتزم في عرض هذا الموضوع بتحقيق ما جاء في وجهات النظر عند علماء النفس عامة ، وان نقسم موضوع الدراسة الى وحدات تهتم كل وحدة منها بابراز وجهة نظر مدرسة من مدارس علم النفس ، واستلزم الامر لذلك عرض آراء المدارس التي أسهمت بقسط واضح في دراسة السلوك غير السوي عامة ، وسلوك الجناح والعصاب خاصة ، وذلك منذ اتسع مجال الفكر النفسي، وانقسم علماء النفس كل يهتم باتجاه فكري ، واسلوب في التفسير يختلف في بعض جوانبه عما تمسك به الآخر من هذا كله .

بذلك تكون وجهة نظر الكاتب في تقسيم المؤلف الى أبواب يهتم كل منها بابراز تنظيمات معينة في شخصية الفرد ، يبرر في ضوئها اسباب السلوك غير السوي ، أمر اقتضته طبيعة الدراسة واتجاه الكاتب ، الا انه مع ذلك لم يهمل جوانب المقارنة بين المدارس المختلفة في رأيها في ديناميات السلوك الجانح والعصابي .

ولما كان القارىء في حاجة الى نظرة تمر به عبر اكبر فترة من تاريخ العناية بهذه المشكلة ، مرورا سريعا يكفي لالقاء نظرة على جوانب الموضوع واتجـــاه الفكر النفسي فيه عبر حقبة كبيرة من تاريخ العالم ، فقد وجد الكاتب أن مـــن المفيد ان يبدأ المؤلف بباب خاص يكرسه لتلخيص التطور العام في الفكر النفسي في تفسير كل من الجناح والعصاب ، ثم يتبعه بفصول عديدة يختص كل فصل منها بآراء مدرسة بعينها .

والكاتب يرجو بذلك ان يكون قد أحسن عرض موضوع الكتاب بما يفيد القارىء الكريم في هذا الموضوع الهام ، راجيا أن يكون مؤلفه هذا عند حسن الظن ، من حاجة القارىء ، وأهمية موضوع المؤلف .

وعلى الله قصـــد السبيـــل

المؤلف

البَابُ الأوّلْ

تطور الفكر النفسي في تفسير ظاهرتي الجناح والعصاب
((عرض تاريخي مجمـل))

ـ تطور تفسير ظاهرة الجناح :

- الفترة الاولى من ١٨٩٠ ـ ١٩٢٠
- الفترة الثانية من ١٩٢١ ـ ١٩٣٥
- الفترة الثالثة من ١٩٣٦ ـ الى الخمسينات

ـ تطور تفسير ظاهرة العصـــاب :

- فترة ما قبل ظهور التحليل النفسي
- العلاج بالتنويم المغناطيسي وتغيير مفهوم ديناميات العصاب
- فترة ما بعد ظهور مدرسة التحليل النفسي
- تطور النظرية السيكوديناميكية وآثرها في تفسير العصاب

تطور الفكر النفسي في تفسير ظاهرتي الجناح والعصاب

« عرض تاريخي مجمل »

مقدمة :

يعتقد الكاتب وهو يقدم هذا الباب ، ان القارىء قد يحتاج للالمام بموضوع تطور نظرة علم النفس الديناميات سلوك الجناح والعصاب منذ بدء الدراسة النظامية لظاهرة السلوك الانساني ، ان يلم بها في سرعة وعجالة لا تحمله عبر صفحات المؤلف هذا ، مما قد يطول به زمنا ، أو يزيد حاجته لاعمال الفكر والدراسة الممعنة .

لذلك راى الكاتب ان يعرض في هذا الباب المعالم الاساسية المتابعة لتطور الفكر النفسي ، والتي تعتبر زوايا تحرك حولها الفكر النفسي وغير اتجاهه من طريق الى آخر وهو يدرس اهم ظاهرتين شغلتا كل مفكر في الظاهرة النفسية منذ اقدم العصور ، ونعني بهما ظاهرتي الانحراف العصابي والجناحي .

لذلك يهتم الكاتب في هذا الباب بتخصيص فصل لكل من الظاهرتين المنحرفتين من السلوك ، يبرز فيهما المعالم الاساسية لتطور آراء المفكرين والباحثين في تفسير السلوك الانساني .

والفصل الاول من هذا الباب يتابع تطور الفكر النفسي عبر ما يقرب من قرن من الزمان ، فيما يتعلق بمشكلة الجناح ، ويقسمها الى فترات تاريخية امتازت كل فترة منها باتجاه يختلف عنه في الاخرى .

اما الفصل الثاني فقد عنى بتتبع تطور الفكر النفسي في تفسير ظاهرة العصاب ، وقد تبين الكاتب ان ظهور مدرسة التحليل النفسي يعتبر منعطفا كبيرا في خط سير علم النفس عامة ، ودراسة الاضطرابات السلوكية خاصة . لذلك يعرض في الفصل الثاني من هذا المؤلف كيف غيرت نظريات التحليليين الاتجاه العام للفكر النفسي في تفسير مشكلة العصاب خاصة .

هذا وبالرغم مما يمكن ان يلمسه القارىء من تأثير الكشوف والآراء في

ناحية من نواحي الانحراف السلوكي ، على الناحية الاخرى ، فان المؤلف قد حرص في هذين الفصلين على الفصل بقدر الامكان بين الاتجاه النفسي في الناحيتين مع عدم اغفال تأثير الدراسة في كل من شكلي الانحراف على الآخر .

فمثلا يلمس القارىء في الفصل الاول ، مدى تأثير ظهور مدرسة التحليل النفسي وآرائها على تفسير مشكلة الجناح وديناميات ، علما بأن المدرسة في جملتها قد عنيت بدراسة ظاهرة الهستيريا ، حيث تبلورت نظريات التحليليين عامة ، وفرويد خاصة بعد الكشف عن اللاشعور والعقد النفسية والحاجات والصراع وغيرها . الا ان هذه الكشوف قد اثرت في البحوث النفسية في غير ذلك من الميادين .

* * *

الفصل الأول

تطـور الفكر النفسي في تفسير الجنـاح

عـرض تـاريخي

ان محاولة بحث موضوع كهذا او اي موضوع اخر دون أن نقدم له بعرض تاريخي لأهم الابحاث والاراء والاتجاهات السابقة في دراسة الموضوع يجعل هذا البحث يبدو قاصرا ، ولا يعطي صورة واضحة عن طبيعة الاتجاه والمنهج المتبع في هـذا البحث .

لهذا يجد الباحث من الضروري ان يعرض في عجالة سريعة الامور الآتية :

اولا ـ العرض التاريخي لتطور الفكر السيكولوجي في نظرته لمشكلـة الجناح والعصاب عند الاطفال .

ثانيا ـ الآراء المختلفة لاهم المدارس في تفسير الجناح وما يمكن ان تلقيه هـذه الآراء على ما نسميه « تنظيم شخصية الجانح والعصابي » .

اولا ـ العرض التاريخي للاهتمام بالمشكلة

آ ـ **الجناح** : يمكن تقسيم العرض التاريخي للخطوط العريضة لتطور الفهم السيكولوجي لموضوع الجناح في النصف الاول من القرن الاخير ـ لتسهيل فهم المشكلة ـ الى ثلاث فترات :

١ ـ الفترة من ١٨٩٠ ـ ١٩٢٠

٢ ـ الفترة من ١٩٢١ ـ ١٩٣٥

٣ ـ الفترة من ١٩٣٦ ـ الى الخمسينات

١ ـ الفترة الاولى من ١٨٩٠ ـ ١٩٢٠ :

دراسات هيلي : يشغل هيلي « Healy » في هذه الفترة مركزا رئيسيـا

عندما كانت نظريات « كريلبين » في تنظيم وتشخيص الاضطرابات السلوكية وتحديد اسبابها تقع من البحوث العلمية في مركز الصدارة . ولقد كان اول معهد انشىء لدراسة موضوع الجناح هو معهد « هيلي » المعروف باسم « معهد الاحداث السيكوبات » سنة ١٩٠٩ الذي انشىء في شيكاغو والذي وضع اول منهج لابحاث الجناح . سبق ذلك محاولات قام بها ويتمر « Witmer » ليضيف الاختبارات النفسية الى ما كان يجرى على الاطفال المتأخرين عقليا من فحص عضوي في عيادته التي كانت تابعة لجامعة بنسلفانيا ، واستعمل « جودار » ايضا طرقا نفسية مماثلة في بحث بعض المشكلات .

كان لهيلي ابحاث حاول بها ان يطارد كل التفسيرات البيولوجية العديدة لنجاح مثل « وراثة الاجرام » وطبيعة « المجرم بالميلاد » ولكنه بعد دراسات عديدة قام بها على ما يقرب من الالف من الجانحين ، استطاع ان يدلل على وجود عوامل نفسية مسببة للجناح ، معقدة في طبيعتها متداخلة في بعضها لبعض ، تؤدي الى تطور الميول الجناحية ونموها عند الجانح الصغير .

ولقد استطاع هيلي أن يحقق نجاحا ملحوظا في دراساته لانه حاول ان يبتعد عن الدراسات النظرية ، ولجأ الى الطرق العملية المنظمة مع الاخذ بالاتجاه الفكري الذي يقوم على اساس سيكو ديناميكي (اشتق في كثير من أسسه من دراسات فرويد الاولى) وهو أساس لم يكن بعد قد لقي قبولا من المشتغلين بالعلوم النفسية أو الطب النفسي [1] .

ومما يعطي دراسات « هيلي » في هذا الميدان مغزى كبيرا ما يأتي :

١ ـ انه استعمل أدوات معينة للبحث من تلك التي استعملها علماء النفس والخدمة الاجتماعية .

٢ ـ انه نادى بضرورة التعاون بين قضاة المحاكم والمحامين والمحلفين في محاكم الاحداث من جهة وبين المراكز التربوية لدراسة وحل مشكلة الجناح من جهة اخرى .

٣ ـ انه وضع أهمية كبيرة لدراسة الحالة الفردية ، ولفردية العلاج .

٤ ـ أبرز كذلك « هيلي » طبيعة الاختلافات الكمية بين الجانح والعصابي والعادي من الاطفال .

٥ ـ اهتم هيلي باستعمال أدوات القياس الحديثة ، ونادى بضرورة العلاج المبكر لحالات جناح الاحداث ووجه الاهتمام الى ضرورة العناية بالاسباب لا الاعراض ، سواء أكانت اسبابا عقلية أو بيئية .

---

(1) Healy, W. and Bronner, E.F. :New light on Delinquency and Its Treatment. New Haven : Yale University Press . 1936 . Chs.4-7 .

لقد كان « هيلي » من أهم العلماء الذين درسوا مشكلة الجناح لانه وجه النظر الى ضرورة الاهتمام « بتاريخ الاسرة » وأثرها الذي لاحد له في حياة الطفل الانفعالية . وكانت دراسات هيلي في الغالب تهتم بتاريخ الاضطراب وتشخيصه ، والتنبوء بالجناح دون كبير اهتمام بالعلاج الذي اعتبره مسألة يمكن ان تتحقق عن طريق تعديل الظروف الاجتماعية مع بعض المقابلة بين المعالج والطفل .

وهكذا تمكن «هيلي» من هدم ما كان يدعو اليه أمثال جودار « Goddard » من أن الضعف العقلي هو السبب الرئيسي وليس العامل الاستعدادي للجناح ، ولقد كانت دراسات « جلوك » « Gluick » التي قام بها سنة ١٩١٨ في سجن « Sing - Sing » والتي أثبت فيها وجود حالات من الاضطراب النفسي بين النزلاء مما زكى الاعتراف العام بالدور الذي تلعبه العوامل النفسية في السلوك الاجرامي ، وساند آراء « هيلي » بشكل واضح عندما اتجه الى العوامل النفسية الدينامية في حالات الجناح .

دراسات هوايت : ومن الاسماء اللامعة في الطليعة الاولى للعلماء الذين اهتموا بالبحث في مشكلة الجناح العالم هوايت « White,W.A » الذي قاد أكبر حركة ثورية لاصلاح المستشفيات العقلية بأمريكا من ١٨٩٠ — ١٩٣٠ . فقد أدخل مبدأ عدم تقييد حرية المرضى العقليين ونادى بشدة بعدم اعدام المجرمين الذي يجب الا يعتبروا مسؤولين عن أفعالهم ، ولو انهم من الناحية الفنية ليسوا من المجانين . فقد نادى بضرورة الدراسة النفسية والرعاية القانونية للمجرمين، كما أعلن في سنة ١٩٢٣ ان من واجب المحاكم الحتمي أن تعترف بأن الاجرام قد يكون استجابة شرطية نفسية ، وان مشكلات المسؤولية الجنائية والعقوبة يجب أن يعاد النظر فيها في ضوء هذه الحقيقة .

ولقد كان لهذه الاصوات التي ارتفعت تنادي بأهمية العوامل النفسية في الاجرام والجناح اثر واضح في الجزء الاخير من القرن التاسع عشر ، حين انشئت لأول مرة محكمة الاحداث بشيكاغو سنة ١٨٩٩ النظر في قضايا الاحداث منفصلة عن قضايا الكبار المجرمين . اهتمت هذه المحكمة بالدراسات الفردية للحالات ، وجمعت من الادلة ، نتيجة هذه الدراسات ، ما اثبت وجود استبصار جديد بمشكلة الاحداث الجانحين ، وبدأ المهتمون بهذه الدراسة يسمعون لاول مرة عبارة لم تكن تسمع من قبل هي :

« أن الجناح مشكلة من مشكلات التوافق في شخصية الجانح » .

وفي أحد اجتماعات المحكمة أكدت « Miss Van Waters » عندما حاولت أن تعطي صورة عن الجانح « أنه شاب في حالة صراع » و « أن الطفل المذنب في حالة صراع بين القوانين السلوكية للمنزل العادي والمدرسة والجيرة والمجتمع . ونحن نسميه « غير متوافق » أو « سيء التوافق » لان سلوكه كما يبدو لنا

غير متلائم مع المعايير الخاصة بالملكية أو النظام او الامن الشخصي الذي نعرفه ونسلم به » . وفي نفس هذا الاجتماع أعلن الدكتور « هيلي » أن الجناح ينتج من التفاعل بين الفرد والوضع الذي يوجد فيه ، أو بمعنى آخر من الموقف العام الذي يعتبر هو جزء منه [1] .

وهكذا تغيرت المفاهيم القديمة عن الجناح ، وأسبابه وعوامله ، وأصبح الجانح الصغير ينظر اليه كطفل مشكل كما جاء في عرض ميزانية مكافحة الجناح سنة ١٩٢١ حيث أعلن أن الاطفال المشكلين ليس من الضروري أن يصبحوا مجرمين عندما يكبرون ، ولكن الثابت أن الجناح يرجع في جذوره الى اسباب ترتبط بمشكلات الطفولة ويتأثر بنفس العوامل التي تسبب الاضطرابات النفسية المبكرة [2] .

ولقد استمرت الدراسة النفسية لمشكلة الجناح تزدهر على يد « هوايت » الذي أخذ بالكثير من المبادىء الرئيسية للتحليل النفسي ، وأكد في كتابه الذي نشره سنة ١٩١٩ عن « الصحة النفسية للاطفال » أهمية بعض المشكلات النفسية الرئيسية التي تدخل في العلاقة الانفعالية بين الآباء والاطفال في خلق الجناح . وفي هذا الكتاب يؤكد استنتاجين رئيسيين :

الاول : ان الطفل يسيطر عليه جنسية نامية مبكرة .

والثاني : ان الضغوط والقيود في الحياة الاسرية يمكن أن يكون لها آثار تعرقل أو تساعد على سرعة تطوير خلق الطفل .

وهو في كتابه هذا يوجه النظر ، فيما يتعلق بالعلاقة بين الآباء والاطفال ، الى ضرورة الاعتراف بهذه العوامل ، والايمان بوجود نزعات لا اجتماعية ؛ لا اخلاقية أولية غير موجهة عند الطفل ، وفي أغلب كتاباته يتقبل النظريات الفرويدية التي ترى أن هذه الغرائز البدائية اذا أمكن توجيهها والتسامي بها ، تتطور الى نوع من الاحترام ، والتفهم ، والتعاطف ، كسمات ضرورية للحياة الاجتماعية السليمة . كذلك يؤكد « هوايت » أن الطفولة هي المرحلة التي يمكن أن توضع فيها اللبنات الاساسية للخلق والحياة الاجتماعية السليمة . ويعرض هوايت (سنة ١٩٢٦) خلاصة لمبادىء تكوين الخلق ويسلم بأن العصابي من نواحي كثيرة هو شخص أخلاقي بدرجة متزمتة ، بمعنى أن صراعاته صراعات اخلاقية نشأت وهو يتدرج تحت تأثير عملية التطبيع الاجتماعي ، بينما الجانح شخص قد احتفظ بغرائزه البدائية (مثله في ذلك مثل المتوحشين)

---

(1) Recless, W. and Smith, M. : Juvenile Delinquency . Mc . Graw Hill Book Company INC . 1935 . P.P. 9 - 12 -

(2) Recless, W : Ibid .

في صورة غير متطبعة اجتماعيا وبطريقة غير مهذبة . هكذا نجد أن هـوايت يمكن اعتباره من اول من ابرز دور التربية الخاطئة في خلق مشكلتي الجناح والعصاب ولو آنه ــ الى هنا ــ لم يبرز عوامل تطور الشخصية وتعلم ديناميات السلوك المنحـرف .

وفي نفس هـذه الفترة ظهرت كتابات فرويـد عن الهستيريا (١٨٩٣ ــ ١٨٩٦ ــ ١٩٠٥ ــ ١٩٠٨ ــ ١٩٠٩) وعن القلق العصابي (١٨٩٤ ــ ١٨٩٥) وعن المخاوف وعصاب الوساوس (١٨٩٥ ــ ١٩٠٧ ــ ١٩٠٨ ــ ١٩٠٩ــ١٩١٣) وفيها كلها وجه الفكر الطبي النفسي عن هذه الظروف البيئية المختلفة حين وضع نظريته عن الدور الذي يلعبه الجنس في اسباب هذه الامراض العصابية ، ونظرياته في الجنسية المثلية والانحرافات التي أصبحت منتشرة على نطـاق واسع . ولقد لاقت كتاباته عن الكبت واللاشعور وتحليل الاحلام وعصـاب الطفولة معارضات كبيرة . وفي سنة ١٩١٥ وصف فرويد ثلاثة انماط خاصة مـن الخلق سماهـا أنمـاط « الشــواذ » « The exceptions » أو « Those wrecked by success » بمعنى « المجرمون والشعور بالذنب » . وهي التي وجهت الانظار الى اهميـة طريق البحث المتعمق في موضوعـات « السيكوباتيـة » ثم « الخلق العصابي » وغيرها من الانماط المنحرفة مـن الشخصية . وفي نفس المرحلة ايضا عرض « أدلر » نظريات مختلفة لاسبـاب العصاب ، بينما ظهرت كتابات اخرى لعلماء النفس الشعوري تؤكد اهميـة الدوافع البشرية الرئيسية مثل « الحاجة » الى الرفقة والصحبـة ، والحاجة للأمان ، والحاجة للمخاطرة ، وهي التي ان تعرضت للحرمان والمنع والتهديـد يظن انها تـؤدي الى الخلـق المعـادي للمجتمـع ومـن هـؤلاء « ثوماس » « Thomas , W. I. » وستي « Suttie » .

وبنهايـة الحقبة الثانية من هذا القرن ، وخاصة بعد الكثير من الابحاث النفسية التي نشرت بعد الحرب العالمية الاولى والتي أعطت دفعة قويةللدراسات النفسية عامة ودراسات الطب النفسي خاصة ، وبعد الثورات التي قـادها كل من « هوايت » و « هيلي » في ميادين دراسة الجناح ، تمَ الاتفاق على كثير من المفاهيم الاساسية لمشكلة الجناح ، اتسع الفهم الواقعي للآثار والنتـائج الاجتماعية للامراض العقلية والنفسية ، والنقص العقلي ، ومن بين هذه المفاهيم الاعتقاد الذي ساد بأن الكثيرين من المجرمين غير مسؤولين عن أفعالهم ، ولكنهم اشبه ما يكونون بالاشخاص المرضى ، ويجب لهذا أن يعاملوا كمرضى ، أو يمنحوا تعليما مجددا ، بدلا من معاقبتهم ، وتأثر الفكر النفسي كذلك باهمية ومسؤولية المجتمع عن المذنبين من الافراد ، وبضرورة العناية بالمستشفيات التي يحتاجها هؤلاء اكثر من حاجتهم الى السجون ، وبأثر الحجز غير المقيد بدلا من اصدار الاحكام بسجنهم . ولقد آمن الكثيرون من المشتغلين بدراسة اسباب الجنـاح بعد ذلك بضرورة البحث في العوامل المعقدة المتداخلة ــ النفسية والجسميـة والاجتماعية والاقتصادية ، ووجه الاهتمام للدراسات الفردية وبالطرق الفنية

المفصلة المنقحة للحصول على تاريخ الحياة . وأصبحت المجتمعات مسؤولة عن العديد من الظروف البيئية التي يظن أنها تتبنى الجناح مثل أقران السوء ، او انعدام الوسائل الصحية لشغل الفراغ ، والمسكن الرديء ، والازدحام الخ ...

اصبح الجناح بعد ذلك سلوكا ينظر اليه على أنه مشكلة تكمن أسبابها في القوى التي تميل الى هدم وتعطيل المجتمع ، كما تكمن في الفشل في عملية التطبيع الاجتماعي العادية والتربية الموجهة للفرد . وهكذا نجد الاهتمام يوجه بدرجات مختلفة لمؤسسات اجتماعية والى اهمية دورها في خلق الجناح كالاسرة، والمدرسة ، والمجتمع ، والكنيسة ، وغيرها من المؤسسات التي تهتم بوقت الفراغ باعتبارها مسؤولة عن الوقاية من الجناح .

بهذا كان لنظريات « هيلي » ، « وهوايت » « وتوماس » أثرها في تغيير سياسة محاكم الاحداث وقوانين العقوبات الى اتجاه بناء علاجي أكثر منه عقابي ، وفي تغيير النظرة الى مشكلات كثيرة كالهروب ، والدعارة وغيرها الى نظرة مطبوعة بالاتجاه النفسي .

وهكذا ايضا ازداد الايمان بأن العوامل المحددة لجناح الاحداث ترجع في اعماقها الى الحياة الاجتماعية والانفعالية في الاسرة والمجتمع ، وانها مشكلة لا تحل بأي حل منفرد بسيط ، مادام الجناح نفسه ليس مشكلة فردية منعزلة، بل عرض لضعف عام أو صراع في داخل بناء المجتمع .

وبالجناح الذي تحقق في نهاية هذه المرحلة نفيرت ، بل وضعت تماما الكثير من الاتجاهات والمفاهيم الخاطئة ، أو كادت . واصبحت عبارات وتعاريف معينة مثل « المجرم بالميلاد » أو « البله الاخلاقي » أو « الجانح ذو الطبيعة الوحشية » أو « الجانح المقهور على أمره » كلها عبارات لاتجد تشجيعا أو تقبلا من جمهرة كبيرة من علماء الاجرام والصحة العقلية .

كذلك انتهت بهذه المرحلة مغالطة علمية كبيرة وهي المغالطة المتعلقة بالنمط البيولوجي المحدد للجناح . فقد عرفت نظرية عاشت حقبة طويلة من الزمن « نظرية لمبروزو » تدعي أن الجانح من طينة مختلفة من الناحية الجسمية أو الفسيولوجية أو العقلية تميز الجانح عن غيره من المتمسكين بأهداب الفضيلة الطبيعيين المسايرين للقانون السائد . تلك الفكرة التي ترتبط بفكرة الوراثة وراثة الاجرام ، والتي شغلت الفكر التربوي وجذبت انتباه رجل الشارع فترة طويلة ، بل لانغالي اذا قلنا انها لازالت لها انصارها حتى الآن . ولعل من أهم العلماء الذين زعزعوا اركان هذه النظرية العالم « جورنج »« Goring » حين قام بدراسة مسح قاس فيها مجتمعا كبيرا من نزلاء السجون بانجلترا قياسا اثنوجرافيا لتقاطيع كثيرة من الجسم وأكد بذلك أنه لايوجد نمط بيولوجي محدد للجناح أو الاجرام كما وصفه لمبروزو في نظريته المعروفة .

الفترة الثانية من ١٩٢١ ــ ١٩٣٥ :

بدات في هذه الفترة حركات اصلاحية كبيرة موجهة نحو التعليم المجدد[1] للجانحين على اسس نفسية . وكان من اهم الحركات الناجحة في هذا الاتجاه حركة انطون مكارنكو « Anton Makarenko »مع عصابات الجانحين في جنوب روسيا في أعقاب الثورة الروسية سنة ١٩١٧ . ولقد راجع « مكارنكو » الكثير من نظريات التربية التي كانت تدعو لتدليل الجانح ، والتسامح معه كوسيلة لعلاجه ، حين كشف من اختلاطه بالجانحين ، أنهم لايبدون كبير احترام للشخص الذي تقوم علاقته بهم على مجرد العطف والتدليل ، بقدر مايبدون احتراما للفرد الناجح ، ويهللون اكبارا لكل مبرز في عمله أيا كان هذا العمل ، او كان متفوقا في عمله ومعرفته . فهم يلتفون حول الفرد في هذه الحالة ولا ينفضون من حوله ما دام ناجحا في عمله سواء كان نجارا أو مزارعا ، حدادا او معلما ، أو قائدا لسيارة .

ولقد كانت الاسس التي حقق في ضوئها مكارنكو نجاحا في علاج الجانحين تقوم على ايمانه بفردية كل منهم ، وتكوينه علاقة تقوم على التسامح ، والصداقة المتينة ، الى جانب أنه كان ينمي في الجانح ذاتا مثالية تجعله يطالب بالاحترام من الجماعة كلها . كذلك كان يعتمد في العلاج على ضغط الجماعة وذلك لخلق وتعديل عادات مقبولة اجتماعيا لديهم ، وفي بناء معايير جماعية للسلوك ، وفيما كان يهتم به من ضرورة تكامل حياة الجانحين مع حياة الجماعة الكبرى ومسايرتها ، وقد كانت الجماعة مجالا استعملها كمجال تربوي لتعديل الاتجاهات والقيم لديهم .

كان « مكارنكو » هنا يشبه « أيكهورن » وغيره من العاملين في الميدان من الذين حققوا نجاحا في معاملتهم للجانحين وذلك بالاتجاه لغير الطرق القديمة بعد الحرب العالمية الاولى في أوروبا ، وكان دائما يسعى ، دون كبير عناية بالاوضاع القائمة ، اما لتحسين مستوى رفاهية الاطفال أو ليقنع الطفل الجانح انه يسانده ويشد أزره .

واذا حاولنا ان نفهم الاسس التي قام عليها نجاح « مكارنكو » فيجب أن نذكر هنا نقطتين هامتين :

آ ــ ان مكارنكو استغل تماما تقديم مقومات اشباع الحاجات الاساسية من الغذاء والايواء التي حرم منها الكثيرون من الاحداث المشردين والشحاذين والمجرمين من أطفاله ، وذلك كوسيلة لتخفيف حدة القلق والتوتر .

ب ــ ثانيا أنه وقد كان يعمل في اطار المثالية السائدة في السلطة الحاكمة في

---

(١) يقصد بذلك أعادة التوجيه في العلاج بتعلم قيم واساليب توافق افضل ويسمى في مجالات العلاج النفسي مرحلة (Reeducation , Re - direction) .

وقته ، استطاع ان يقدم للجانحين ما يوفر لهم سبل القيام بدور ايجابي في المجتمع الجديد ، فقد حارب حتى استطاع ان يحقق لابنائه وبناته من الجانحين اعتراف منظمات الشباب الشيوعية بهم ، وبعد ان بنى لاطفاله قيما ذاتية داخلية وخارجية ، وأخذ يشرف عليهم وهم يبنون وينمون اهدافا واقعية لحياتهم ، بينما ظل محتفظا لنفسه في نظرهم بمركز « المثل » الذي يحتذي « الشيوعي الذي يحارب ويجاهد مكرسا نفسه دون انانية ليحقق تقدم المجتمع » .

اتفاق الرأي في مشكلة الجناح في أول القرن العشرين :

في سنة ١٩٢٥ ظهرت ثلاث دراسات لها اهمية قصوى في دراسة الجناح ، بل ولها نفس الاهمية في فهم الكثير من مشكلات السلوك البشري الاخرى ، وربما كان من الغريب هنا أنها جاءت من ثلاث دول متفرقة ، بل وانها تتبع ثلاث مدارس فكرية نفسية مختلفة ، ولكن النتائج التي توصلت اليها كل منها لم تكن كبيرة التعارض او الاختلاف .

الاولى : دراسات ايكهورن الذي طبع ونشر في فينا بحثه عن « Veruahrloste Jugend » أو « Wayward Youth » أو « الشباب الجامح »[1] .

والثانية : دراسات « هيلي » و « برونر » « Bronner » في الولايات المتحدة[2] .

والثالثة : عندما ظهرت الطبعة الاولى لكتاب « The Young Delinquent » الذي وضعه « سيرل بيرت » في انجلترا .

آ ــ آراء ودراسات ايكهورن :

أما دراسات « ايكهورن » فانها قامت على أساس جمع ثروة هائلة من الدراسات التحليلية ، ولكنه وجه اهتمامه الاساسي الى ما أسماه التربية الخلقية « Character Education » وكان دائما يتمسك بأن من يعملون مع جماعة

---

(1) Aichorn, A. : Wayward Youth . (English Translation) London Putman, 1936 - P.P. 7 - 10

(١) راجع أيضا : الشباب الجامح : ترجمة الدكتور سيد محمد غنيم .

(2) Healy, W. and Bronner, A. F : Delinquents And Criminals . Their making and unmaking . Chs . 4 - 7 in

Healy, W. and Bronner, A. F. : New Lights on Delinquency and Its Treatment New Haven : Yale University Press, 1936 .

اللاإجتماعيين من الجانحين يجب ان يكونوا من رجال التربية ويمكن أن نلخص أهم اتجاهاته الفكرية فيما يأتي : (١)

- ان الطفل الحديث الولادة كائن بدائي غير اجتماعي ، وهو يتحول الى انسان متمدن عن طريق الخبرة الاجتماعية والتدريب المناسب ، الذي بدونه لا يمكن أن يتلاءم مع أوضاعنا الاجتماعية ، وربما تعرض للصراع والصدام مع المجتمع ، او ما يمكن أن نسميه الواقع الذي يعيش فيه .
- مع الطفل الجانح يبدأ عملنا كمربين معالجين عندما تحدث الكارثة التربوية ، ويقصد بذلك عندما تفشل الاجراءات التربوية المعتادة في أن تنمي في الطفل أو الشاب القدرة الاجتماعية العادية بالنسبة لمستوى سنه .
- ان عملنا في غايته لايختلف كثيرا عن التربية عامة ، مادام كل منها يحاول ان يلائم بين الطفل وبين مكانته في المجتمع .
- يهتم ايكهورن أساسا بالطرق التي تحقق هذه الغاية ، وخاصة بتطبيق مبادىء التحليل النفسي على المشكلات التربوية التي يتضمنها هذا العمل، والتي تظهر اثناء تربية الطفل والشاب .

ولقد اكد ايكهورن ان اسلوب الفعل الجناحي قد لايعطينا مفتاحا صادقا لطبيعة الاضطراب النفسي الذي يعانيه الجانح ويعبر بسلوكه عنه . ولقد تضمنت طريقته في التعليم المجدد أولا : تفهم العمليات النفسية التي تدفع الى السلوك المعادي للمجتمع ، وبعد ذلك كان يهدف الى اقامة موقف اسري في مظهره ، يمكن فيه علاج الحالة الانفعالية ، حتى تتكون علاقة أصيلة بين المعالج وبين الجانح مهما كان يبدو غير قابل للاصلاح ، ولقد كان «ايكهورن» يعتقد انه بدون هذه الرابطة الانفعالية لا يمكن أن يتحقق التعليم المجدد او أي اجراء يهدف الى تحسين السلوك الاجتماعي وكان يتبع اقامة هذه العلاقة التي تحقق التحويل المرغوب نفس العملية التي تحدث عنه تربية كل طفل ، ويعني بها تقمص شخصية الولد ، وامتصاص مثله ، بالدرجة التي تكفي لبناء نمط من القيم يحد من سلوك الجناح .

ولم يكن « ايكهورن » مثله في ذلك مثل ماكارينكو ، موفقا في التوصل الى الوسائل التي تخلق او تزيد او تكتشف مواقف انفعالية يمكن ان يستغلها لاغراض التفريغ الانفعالي ، وللتغلب على الحيل الدفاعية للطفل وذلك عن طريق معاونته على اخراج الاستجابات الأنفعالية العميقة ، وهكذا استغل التحويل ليؤدي وظيفة تختلف تماما عن تلك التي يستعمل من أجلها في علاج

---

(١) راجع أيضا : الشباب الجامح : ترجمة الدكتور سيد محمد غنيم .

(1) Aichorn, A. : Wayward Youth. (English Translation) London Putman, 1936 - P.P. 7 - 10

انعصابيين ، ذلك انه كان يهدف الى النجاح المحدد بالوصول الى تغير حقيقي في الخلق ، والتأكد على الجزء الخاص من نمو الخلق الذي تعتبر ضروريا للتوافق السليم مع المجتمع ولقد استغل أيكهورن « لحظة التعجب » التي فيها كان يتناول بصورة مفاجئة الموقف الانفعالي ، وبذلك يغير موقف الجانح تماما ويحقق بذلك فوائد جمة .

كذلك حقق أيهورن نجاحا كبيرا في علاج جماعات من الجانحين كانوا يجدون اشباعا وارتياحا في العقاب بسبب الشعور بالاثم ، استعمل طرقا تحرمهم من الاشباع او استمرار العقاب ، وبذلك حقق لهم عملية تحوير واطلاق « اللبيدو » في اتجاه ايجابي بناء .

كذلك نجح أيكهورن في علاج مجموعة من ١٢ من الجانحين حالت ميولهم التخريبية وسلوكهم الخارجي وعنفهم دون أي اصلاح سابق وذلك باستعمال الاساليب التحليلية مع التعلم المجدد .

وفي كل دراسات أيكهورن كان يؤكد ، كما أكد مكارنيكو أيضا ، أثر العوامل الاجتماعية الاقتصادية والثقافية في اعادة انتظام حياة الجانحين مرة اخرى في الاطار العام للمجتمع الذي كانوا من قبل يحملون لواء الثورة عليه .

نقد اجراءات أيكهورن العلاجية : بالرغم من النتيجة الكبرى لما توصل اليه أيكهورن من آراء ونظريات في دراسة الجناح واسبابه الا انه يؤخذ عليه في دراسته ما يأتي :

١ ـ الاهتمام في تفسيره للجناح ، بالنواحي الانفعالية في تنظيم الشخصية الفردية ، دون كبير عناية باعادة مكونات الشخصية الى ما تفرضه الظروف الثقافية التي تختلف من طبقة اجتماعية الى اخرى والتي قد تحدد بدرجة ما بعض جوانب تنظيم الشخصية وديناميات الجناح .

٢ ـ كما انه لم يعن بدراسة النظم الطبقية وأثرها في عملية التعلم والتعليم الاجتماعي وامتصاص القيم والمعايير .

٣ ـ كانت العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية موضع اعتبار في تفسير الجناح دون الاهتمام بالربط بينها وبين تعلم انماط سلوكية تختلف من طبقة لاخرى ، دون عناية بنظم الشخصية الذي قد يترتب عليها .

٤ ـ كان تركيز أيكهورن على التحليل النفسي ومبادئه مما أبعده عن عمومية الآثار الثقافية السائدة الى خصوصية الحالات الفردية .

ب ـ آراء ودراسات هيلي وبرونر :

أما دراسات « هيلي » و « برونر » (١٩٢٥) في كتاب (الجانحون

والمجرمون) فقد جاء فيها انه تبين من دراسة حالات مجموعة من الاطفال من مدينتين مختلفتين في الفترة من سنة ١٩٠٩ ــ ١٩١٤ ومتابعة تاريخ حياتهم على مدى سنين عديدة ، تبين لهم أن الوراثة على العموم ليس لها أثر يذكر في خلق الجريمة ، واكد ان الجناح صورة من صور السلوك المكتسب ، وان مشكلة تحديد سببه هي مشكلة بيئية بأوسع معانيها ، ولم يضعوا أي أهمية للعوامل الجسمية ، ووجدوا انه لايكاد يكون هناك دليل على أن سوء التغذية ، أو التكوين الجسمي، أو الانحراف عن معدلات النمو ، أو انواع القصور الجسمي يمكن أن تسهم وحدها في خلق الجناح . ويضع المؤلفان لهذا اهمية كبيرة على دور الصراعات النفسية ، وعلى الاساس الانفعالي للفرد السيء السلوك عند دراسة اسباب الجناح ، ثم يعودان فيكرران تأكيد ما توصلا اليه من قبل من أن العقاب لا يفيد في الكف عن الجناح .

جـ ــ آراء ودراسات سيرل بيرت :

أما دراسات « سيرل بيرت » « الجانح الصغير » (١٩٢٥) فانها تعتبر من أقدم الدراسات في موضوع الجناح . ولقد كانت ابحاث « سيرل بيرت » تجمع بين العديد من الاتجاهات العلمية في البحوث النفسية لمشكلة الجناح التي عرفت في ذلك الوقت في انكلترا وامريكا وكان من أهم ما يميزها أنها نظمت الكثير من الحقائق ودعمتها بالاسانيد الأحصائية ، عندما عنى بدراسة ميادين واسعة من حياة الطفل .

وتمتاز دراسات بيرت بما يأتي :

- انها ابرز في أهمية الحياة الاسرية ، والآثار الاجتماعية للاسرة في حياة الطفل النامي .
- اكدت اهمية دراسة تطور حالات الجناح المبكر وهي دراسة تفوق الدراسة التي تأتي متأخرة بدرجة يصعب معها تقديم العون للجانح ، أي انه اكد اهمية التفكير في اهميتها ببحث ديناميات الجناح .
- استعمل الكثير من الاختبارات النفسية للذكاء ، والبعد الانفعالي ، والارادة وغيرها عند الجانحين .
- ولقد اتفق برت مع هيلي في أن الاسباب التي تمسك بها الفكر النفسي قديما كانت أبسط من أن يعتمد عليها في تفسير الجناح ، وان هناك اسبابا لا حصر لها للجريمة وهي في كل حالة تختلف عنها في الحالة الاخرى .
- كذلك اكد « بيرت » أن الاحوال الانفعالية والاخلاقية للاسرة أهم بكثير من تلك النواحي العقلية والجسمية والمادية ، ذلك انه وجد أن ٢٦٪ من

الحالات جاءت من أسر « تسودها الرذيلة » وان اكثر من ٦٠٪ انحدروا من اسر كانت فيها التربيـة اما شديدة التزمت والقسوة أو شديـدة التراخي والضعف . ولقد درس « بيرت » بكثير من الدقة العلمية العوامل الاجتماعية المضطربة المحيطة بالجانحين الا انه اكد انها في ذاتها لاتكفي لخلق الجريمـة ، وان هنـاك نوعا من الضعف الموروث في الذكاء أو في التكوين المزاجي للفرد يمكن أن يكتشف في الطفل الذي يستسلم للمؤثرات الخارجية السيئة ، وينحدر الى سلوك الجانح ، وبذلك جمع بين العوامل الاستعدادية والبيئية ، كمحددات لسلوك الجناح . وذلك لانه وجد أن ما يقرب من نصف الجانحين الاحداث الذين اختبرهم كانوا يمتازون بنوع من عـدم الاستقرار الانفعالي العميق المتشعب .

د ـ آراء الاجتماعيين في تفسير الجناح :

وفي سنة ١٩٢٨ اصبحت دراسات الجناح والاجرام معترفا بها على أنها ميدان هام لاختصاص الكثيرين من نوابع علمـاء النفس ، والطب النفسي ، والاجتماع . واصبحت عملية تفهم الكثير من مشكلات هذه الظاهرة تتضح وتزداد بتعاون وبتجمع هذه النظريات العديدة حتى أن علماء الاجتماع أصبحوا يهتمون بالكثير من مشكلات الطفولة ، كما ظهر ذلك في كتابات سنة ١٩٢٨ التي استعرضت صورة شاملة للعديد من مظاهر سوء تكيف الاطفال التي عـرفت في المجتمع في ذلك الوقت وتحول الاهتمام في هذا الوقت من الفعل الجنـاحي الذي يسمى بأسماء مثل « السرقة أو المسروق أو التشرد أو غيرهـا » الى اتجاه جديد كان يأخذ في الاعتبار أن الجناح عرض من أعراض الفشل في التفاعل بـين الفرد وبين المجتمع ، وانـه دليل على وجود نوع من عـدم الانسجام في داخل المجتمع نفسه .

هـ ـ آراء التحليليين في الجناح في هذه المرحلة :

وما أن حل عام ١٩٣٠ أو كاد ، حتى تحقق للدراسات التحليلية النفسية للطفل من الاهمية ماجعلها تبدأ دراسة الجنـاح مكملة بذلك ميدان دراسـة العصاب بالابحاث التي تقوم على التحليل النفسي ؛ الا ان علماء التحليل النفسي حينما وجهوا الاهتمام لديناميات الجريمة محاولين تحديدها ، لم يكن اتجاههم هذا الا ثانويا . ونذكر من هؤلاء :

- ريـخ (١٩٢٥) الـذي فتح ميـادين جديـدة للبحث بـدراساته لموضوع « الخلق الاندفـاعي » « Impulsive character » وأشكالـه المضـادة للمجتمع .
- الكسندر ـ وستوب « Alexander & Staub » (١٩٣١) اللذان حـاولا أن

يقدما نظرية في التحليل النفسي لتفسير السلوك الاجرامي ، دون ان يدعما هذه النظرية بالمعطيات الاكلينيكية المقنعة ، واكتفيا بالاعتماد على المسلم القائل بأن نفس المبادىء العامة والحيل اللاشعورية تكمن وراء كل من السلوك الجناحي والعصابي على السواء .

الا أن هذه الحقائق ، على وضوحها وجاذبيتها ، قد قوضها الكثير من الابحاث الاكلينيكية الواسعة التي ظهرت بعد ذلك ، والتي تحقق فيها الكثير من علماء التحليل من ان الطرق القديمة في التحليل لاتناسب الجانحين ، وذلك بالنظر الى أنهم فشلوا في احداث التحويل بدرجة من القوة تسمح بمساعدة الجانحين على تحمل الواجبات النفسية العنيفة التي يجب على المريض أن يتحملها في عملية التحليل ، أو العلاج بالتحليل النفساني .

كذلك يلاحظ ان الجانح نفسه لم يكن يعاني من سلوكه القلق بقدر ماكان يعاني الآخرون من المحيطين به ، ولهذا لم يكن لديه كبير دافع لان يسعى « للعلاج » أو تغيير نمط السلوك ، وهو الذي كان يشعر ازاءه بغاية الرضى ، خصوصا وانه غالبا ينفس عن نوازع العدوان .

ولقد اصبح الكثيرون من علماء التحليل النفسي من المشتغلين بعلاج الجناح والاجرام في السنوات الاخيرة على وعي تام بضرورة تعديل طرق العلاج بالتحليل النفسي لهذه الحالات ، حتى تتلاءم مع مشكلات التوافق عند الجانحين من النوع المعروف باسم « الجانحين غير العصابيين » وقد كان من نتائج ذلك ، ونتيجة الملاحظة الدقيقة المتعمقة والدراسة التفصيلية لحالات كثيرة ، ان امكن التوصل الى مادة علمية يمكن الاستناد اليها في تطوير نظرية جديدة هي «نظرية انجناح الكامن » أو الاستعداد للجناح ، والذي يمتاز في نموه وتطوره عن تطور ونمو العصاب .

وفي منتصف الثلاثينات من هذا القرن امكن الوصول الى درجة كبيرة من الاتفاق على مفاهيم معينة في ابحاث الجناح . فقد كان هناك اختلاف واسع المدى على كثير من اسباب الجناح ولكنه حل محل هذا الاختلاف اتفاق كثير من العلماء على تعدد اسباب الجريمة ، كما اتفق اغلبهم على ضرورة تأكيد الميل الجناحي المبكر عند دراسة الحالات . كذلك ازداد الاهتمام بالدور الذي تلعبه « دور تبني الجانحين » وعمليات التعليم المجدد والاصلاح الاجتماعي التي نالت الكثير من اهتمام المشتغلين بعلم الجريمة ومشكلات جناح الاحداث [1] .

ولقد رسمت في هذه الفترة صورة واضحة للميزات الجسمية والعقلية

---

(1) a - Bwrt, C. : Ibid .& b - Healy, W . & Bronner, E.E. : Ibid .

للجانح الصغير ، وكانت هذه الصورة تتضمن ان الجانحين يميلون عامة للنقص النسبي في الذكاء ، والاستقرار الانفعالي . وقد امتازت هذه الفترة بعـــدم الاهتمام بموضوعات العوامل الاستعداديـــة ، وزاد الاهتمام بتأكيد أثر البيئـــة والشخصية ، وتربية الجانح .

وهنا بدأ لاول مرة الاعتراف بالجناح ، لاعلى انه نمط منفرد لاستجابـــة خاصة لموقف ما ، بل على انه طريقة من طرق التكيف في الحياة تسيطر علـــى سلوك الفرد كلية ، وازداد نتيجة لذلك تفهم المشتغلين بالجناح لاهمية تكـــرار الخبرات الانفعاليـــة غير السارة المبكرة (خاصة المكبوت منهـــا) في النمـــو اللاحق للطفل كنتيجة للدراسات فرويد وهيلي وستيكل والكسندر واستوب وغيرهـــم . ونستطيع ان نلمس في هذه الفترة مدى التطور التدريجي في فهم وتقبل الدور المحدد الذي تلعبه مفاهيم الشعور بالاثم ، العدوان ، الكراهية ، وانعدام الامن او تهديده ، والنبذ ، والاحباط في خلق السلوك المناهض للمجتمع. وظهر أيضا نتيجة لذلك مفهوم جديد « للجانح المزمن » الذي كان يعتبر قديما انسانا عديم الشخصية منحلا، أو شخصية انحرفتعن سواء السبيل ، واصبح له مفهوم جديد اذ اصبح يعتبر فردا متعثرا في نموه النفسي والاجتماعي اكثر منه انسانا مريضا معتل العقـــل .

ولقد عرضت في الفترة من ١٩٢٠ ـــ ١٩٣٥ العديد من الدراسات التي اهتمت بدراسة مشكلة الجناح ، ولكن النتائج التي توصلت اليها كانتمتعارضة أحيانا ، الا أن ذلك كان يرجع في الاغلب الاعم الى اخطاء في طريقة البحث ، أو الى ضعف التعريف المحدد لبعض المفاهيم . الى جانب ذلك كانت هناك الكثير من الابحاث التي اجريت على مستوى علمي عال ، والتي تحققت نتائجها بأبحاث اخرى تؤكد المفاهيم السابقة للجناح واسبابه ، وكانت بعض هذه الدراســـات تقوم على أساس دراسة سلوك مجموعات غير متجانسة من غير المتوافقـــين ، وفيها كان يمكن ان تنطبق الاسباب التي تكون مسؤولة عن العصاب علىدراسة اسباب الجناح ، ولكن لم تقم حتى هذه الفترة دراسة منظمة لمقارنة أسبـــاب كل من الاتجاهين المنحرفـــين في السلوك ، ولتحديد العوامل المحـــددة لاتجاه الاضطـــراب .

ولقد كان للتعمق الكبير في الدراسات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والانتروبولوجية اثر كبير في دراسة انواع كثيرة من المنحرفين اجتماعيـــا . وبالتدريج تبين أن دراسة مشكلات الجناح لايمكن تحقيقها اذا درسنا الجانحين جميعا على انهم يكونون فئة واحدة متشابهة من جميع النواحي خصوصا اذا علمنا أننا يمكن أن نميز فيها ثلاث فئات متباينة هي :

أ ـــ الجانحون الاغبياء « Dull delinquents » الذين اكد « بيرت » وجودهم في مجموعة الجانحين .

ب ـ الجانحون العصابيون . الذين حدد وجـودهم « ريش » « وأيكهورن » « وجوردون » « وهيلي » .

جـ ـ الجانحون السيكوباتيون الذين ميزهم « ريش » « وجلوفر » « وكاريجان» « والكسندر » وغيرهم .

واذا كـان لنا ان نلخص المميزات العامة لهذه المرحلة فاننـا يمكن أن نجملها فيما يأتي :

١ ـ الاهتمام بمرحلة الطفولة في تطور ونشوء السلوك اللاسوي .

٢ ـ الاهتمام بديناميات السلوك من الدوافع اللاشعورية .

٣ ـ التسويـة بين الجناح والعصاب من حيث التشابه بينهما في العوامـل الدينامية مع اختلاف في طريقة التكيف اللاسوية وهي تسوية ، لم تتعد الحدود النظرية ، ولم تظهر دراسات عملية تحقق هذا التشابه .

٤ ـ لم تعن بـأثر الاختلافات بين الطبقات في قيمها ودوافعها وأوضاعهـا ومعاييرها ، وحاجات افرادها وأثر ذلك في تحديد نمط التكيف اللاسوي .

الفترة الثالثة من ١٩٣٦ ـ ١٩٥٠ :

ظهرت في هذه الفترة كتابات لاتحصى تهتم بمشكلة الجناح والسلـوك اللااجتماعي ، ولقد كان الفضل في تقدم الدراسة في هذا الميدان يرجع الـى مصـادر ثلاثة هي : ١ ـ الدراسات النفسية الاجتماعية ٢ ـ دراسات الطب العقلي ٣ ـ ثم الدراسات التي قام بها علماء المدرسة السيكوديناميكية . ولو أن الكثير من أبحـاث هذه المدارس لم تتفق بعد مع بعض مفاهيم ونتـائج الدراسات السابقة ، الا أنها لم تستغن عن بعض مفاهيم معينة لجأت اليهـا لاستعمالها في دراساتها وخاصة مفاهيم مدرسة التحليل النفسي . ولا زال هناك جهد مبذول من قبل الكثير من الباحثين للوصول الى المبادىء الرئيسية التي يمكن على اساسها تفسير الجناح ، والتي يمكن ان تشترك فيها المدرستان الآخرتان من مدارس الدراسة النفسية الفرضية والسلوكية . ويبدو غريبـا فعلا أنه بالرغم من اختلاف المدارس النفسية نجد ان كلا منها قد توصل الى مفاهيم جديدة ترتبط بالسلوك المنحرف مثل السلوك الجنسي المنحرف ، واثر التربية في المؤسسات المختلفة ، والاستعداد للجناح ، وكانت خلاصة ماتوصلت اليه هذه المدارس الفكرية في موضوع الجناح تتمثل في :

آ ـ **رأي الاجتماعيين :** ويأتي في مقدمة الدراسات الاجتماعية التي ادت خدمـة لموضوع الجناح دراسات شو « Shaw » (١٩٣٨) وشو ومـاك كاي « Mc. kay. » (١٩٤٢) وكار سندرز ، ومانهايم وروذز « Rhodes » (١٩٤٢ ؛

ومـانهايـم « Mannheim » [1] (١٩٤٨ – ١٩٤٩) وكان لدراسة هؤلاء لمواطن الجانحين وبيئتهم الاجتماعية الفضل في وضع أسس ابحاث جديدة ذات اهميـة بالغة . واهم هذه الابحاث دراسات مانهايم على منطقة محدودة من منـاطق انتشار الجناح وكان لها الفضل في تقدم فهم مشكلة الجناح فهما علميا في وضعها الاجتماعي ، وهي أنها يجب ان تؤخذ على أنها مشكلة أو وجه واحد لمشكلة من مشكلات الحيـاة الاجتماعية ، متداخلة تماما مع غيرها من المشكلات ، بحيث يحتـاج الامـر لتضافـر العديـد مـن العلـوم قبل ان تتحـدد تمـامـا صورتهـا الاجتماعية .

ب ـ **رأي أصحاب المدرسة السيكودينامية :** ولقد ازداد في السنـوات الاخيرة من هذه الفترة وما بعدها الاعتراف بأهمية العوامل السيكوديناميكية ، وبالمثل الظروف الاجتماعية والاحوال الجسمية لفهم الجانح الفرد ، ولم يعـد بعد فهم العوامل الانفعالية العميقة مثل الاستجابة للنبذ أو الحماية الزائدة والرعاية أو الغيرة او الشعور بالذنب والكراهية وغيرها من مختلف درجات عدم الانسجام الاسري ، في دراسـة أسباب الجنـاح موضوعا يترك أمره للآثار اللاشعورية لهذه الظروف التي يتعرض لها الفرد ، بل اصبحت بالتـدريـج أمورا تلاحظ آثارها في مراحل نمو الطفل الاولى خاصة في اوقات الانهيـار البسيط في التوافق ، ولقد اتسع مجال الابحاث النفسية بازدياد معرفة العوامل السيكوديناميكية وبتجمع الكثير من الملاحظات التي حصل عليها هؤلاء المربون على معرفة مظاهرها ، مثل مانهايم ١٩٤٢ وجلوفر « Glover » ١٩٤٤–١٩٤٧ . ولقد ادى هذا الاتجاه العلمي الى البحث في آثار العلاقات بين الآباء والاطفال ، وبين الابوين وبعضهما في تشكيل شخصية الطفل ، كذلك الدراسات التي اهتمت بموضوعات مثل « الرعاية الاموية الزائدة ، والمنافسة بين الاشقاء وغيرهـا » . وقد أجريت الكثير من الابحاث الهامة على موضوع الانحرافات الجنسية وفيها اتفق الكثير من العلماء على أن الجانح يعاني من اضطراب عصابي وان هـذه الفئة بلا استثناء في حاجة الى رعاية طبية نفسية . ولقد دلت أغلب الدراسات على ان السلوك الجنسي المنحرف يرتبط بصورة معقدة بالشخصية عامة والنمط الجناحي للمنحرف خاصة . وان هناك الكثير من الاخطاء والذنوب وجد انهـا ترجع اصولها الى نفس السبب ، وانها ترتبط بالوسط والمجـال الاجتماعي للطفل وترتبط كذلك بالاضطرابات في نموه النفسي الجنسي [2] كذلـك دلت الابحاث التي اجريت على الانتحار بين الاطفال ، والذي يفترض انها ظاهـرة نادرة ، وكذلك على الميول الى الانتحار ووساوس الانتحار أو ايذاء الذات عنـد

(١) له كتاب هام في الموضوع نشر عام ١٩٤٨ بعنوان :

Juvenile Delinquency in an English Middletown .

(2) Bennet, I. Delinquent and Neurotic Children . A Comparative Study . Tavistock Publications . 1959 .

الاطفال ، انها تميل الى ان تبين ان هذه الميول ترجع في اصولها الى تعبيرغريزي لاشعوري ، تكون فيه الميول العدوانية موجهة نحو الذات ، كاستجابة لمواقف لم يكن من الممكن تحملها . هذه المواقف عادة تنشأ من الحرمان من الحب ، ومن النزعات الخيالية العدوانية المحملة بالشعور بالاثم والموجهة اساسا نحو هؤلاء الذين ينكرون على الطفل حاجته الى الحب [1] .

ولقد اهتمت دراسات عديدة بالفقر والتعثر الذي تتعرض له عملية نمو شخصية الطفل كعامل مهم في الانحراف ، كذلك اتجه الاهتمام في هذه الدراسات الى خبرات معينة محدودة في مرحلة الطفولة المبكرة ، كما امكن ملاحظتها ودراسة دورها في حياة الجانحين وغيرهم من الاطفال « المشكلين » ويمثل هذه الدراسات ما قام به ليفي « Levy » ١٩٣٧ « وروزنهايم» « Rosenheim » سنة ١٩٤٢ على موضوع النبذ الاموي في الطفولة ، ودراسات لاندرز سنة ١٩٤١ و « Linder » سنة ١٩٤٤ عن دور « الخبرات المؤلمة والازمات في الطفولة » ودراسات عن اثر التنشئة في مؤسسات خلق الانحراف . كذلك كان للملاحظات التي جمعت فيما يتعلق بالاثر المحدد الخاص للنمو الاجتماعي للطفل ، او انفصاله عن الام في الخمس سنوات الاولى من حياته ، والتي استفاد منها ايكهورن سنة ١٩٢٥ ولوري « Lowry » سنة ١٩٤٠ في دراسته وادخلها ضمن العوامل التي قد تكون مسؤولة عن الاضطرابات السلوكية بانواعها . كذلك افادت كثيرا في دراسات جون بولبي سنة ١٩٤٠ ، سنة ١٩٤١ ، سنة ١٩٥١ .

ولقد اهتمت دراسات اخرى بنمو الضمير ، وقد بني على الاسس التي وضعتها نظرية التحليل النفسي لنمو الضمير كما وصفه فرويد (١٩١٤ — ١٩١٧) ، ما قام به كثير من علماء التحليل النفسي من ملاحظات (سواء اكلينيكية أو ملاحظات مباشرة لنمو الطفل) ملاحظات كان لها مغزى كبير في هذه الناحية الرئيسية من تكوين الخلق . وهذا مانلحظه بوضوح في دراسات ايكهورن ، ورايش وكاربمان وغيرهم .

ولقد اثبتت هذه الدراسات ان قوة وثبات الضمير يمكن ان تتأثر الى حد كبير بمدى قوة وعدد علاقات الحب التي يمارسها ويجدها الطفل فيحياته الاولى ، أو تتوقف على درجة ضعف الروابط الانفعالية التي تنعكس في الضعف الذي يتناسب معها في قوة الانا الاعلى او الضمير . ويبدو واضحا هنا ان من الممكن ان نلمس تقسيمات فرعية في نمو وتطور ذلك التكوين النفسي الذي يسمى الأنا الاعلى (أو مجموعة وظائف الأنا الاعلى) الى مراحل متعددة ، وان

---

(1) Hilda, Lewis. : Deprived Children. The Nuffield Foundation. Oxford University Press . London . N. Y. 1955 .

نقدر نوع ودرجة حدة الاضطرابات التي قد تحدث في نمو وتطور هـذه الوظائف المتتابعة ، في مراحل مختلفة من العمر ، من حيث علاقتها بوجود أو عدم وجود حالات نفسية (داخلية وخارجية) قد تكون مسؤولة عن الاضطرابات السلوكية عامة ، والجناحية خاصة [1] .

ولقد درست بشيء كبير من التفصيل الدوافع النفسية (السيكودينامية) وأسباب عدد من الاعراض العصابية ، التي تأخذ صورة جناحية (مثل العدوان العنيف ، عدم الاستقرار ، السرقة ، المروق ، الهروب) على يد عدد كبير من الكتاب التحليليين ، ووضعت اشكالها الاكلينيكية التي يمكن ملاحظتها بسهولة. ومن اشهر من قدموا خدمة في هذا المجال (كيرك باترك سنة ١٩٣٢) وليفي « Levy » سنة ١٩٤٤ والبرت دوتش سنة ١٩٤٧ [2] . وكيت فردلاندر « Friedlander, K » وآخرون . ولقد لاحظ الكثير من المؤلفين والعلماء تواتر ظاهرة البوال بين الجانحين ، وحاولوا أن يبحثوا عن العلاقة بين الجناح وظاهرة البوال المزمن المستمر الملح مثل « الكسندر وستوب » « وجودمان ومايكل » « Michaels » سنة ١٩٣٤ ومورر « Mowrer » سنة ١٩٣٨ وغيرهم . فقد وجد مايكل مثلا أعلى نسبة من البوال بين الاطفال المنبوذين والمحرومين المهملين ، وأقل نسبة بين الاطفال الذين يعانون من الرعاية الزائدة ؛ وقد شعر بأنه ، كما أننا نجد فيما ذكرنا ، نوعا من الجانحين العصابيين ، فانه قد يوجد ايضا نوع خاص من « الجانح العصابي المزمن » « Persistent » ولقد اتفق اغلب العلماء على أن يعتبروا العصاب سلوكا تعبيريا في حالة البوال عن بعض الاضطراب الاساسي في الشخصية . وقد يكون الجناح نفسه مجرد تعبير آخر عن هذا الاضطراب ، وهو كعمل دائب ملح غريزي يعتبر نوعا من عدم الملاءمة الزمانية (التثبيت) « Anachronism » أو « الطفلية النفسية البيولوجية التناقضية » حدثت نتيجة مقاومة البيئة وحدها للنشاط الغريزي، وهي تصور اسلوبا من التربية يسود عملية التنشئة في بعض الاسر .

ولقد أكدت ابحاث كثيرة ، متأثرة بالملاحظات الاكلينيكية الاولى ، مانعرفه من أثر الحياة المنزلية ، وآثار الاسرة المباشرة ، وأثر المنزل المتهدم ، وآثار التربية والتهذيب الناقصة ، وأثر الجو الاسري التعس او غير المشبع والكثير من انواع الصراعات النفسية الداخلية ، وغيرها من الدراسات التي اكدت كلها أن دوافع الجناح ترتبط بالخبرات والمشاعر الانسانية داخل الاسرة [3]

(1) Hilda, Lewis. : Ibid .

(2) Albert Deutch . : Our Rejected Children . Little Brown and Company . 1952 . P.P. 181 - 185 . & P.P. 202 - 212 .

(3) Albert, Deutch. : Ibid .

فالعلاقات الاسرية المعتلة ، والخبرات التي يمر بها الفرد في الازمات ، والنزاعات التي تقوم بين الوالدين في امر تنشئة الطفل ، والعلاقات الزوجية التعسة ، وانعدام الدفء العاطفي للطفل او النبذ المستمر ، وعدم التوافق بين طرق تربية الطفل عند الوالدين ، كل هذه قد يكون لها آثار عميقة على حياة الطفل المقبلة. ولقد دلت الابحاث عن طبيعة خبرات الفرد الطفيلية على أن الاحداث التي تقع في بيئته الاجتماعية الاولى ذات مدلول كبير في فهم سلوكه الاجتماعي بعد ذلك . ومن أهم الدراسات التي جمعت الكثير من الحقائق المستقاة من مصادر شتى عن أثر الحرمان من الرعاية الاموية كعامل هام في النمو الاجتماعي للطفل، دراسات جون بولبي سنة ١٩٥١ [1] .

ومن المهم هنا أن ننوه الى ما أكده عدد من الكتاب من أن الجانحين لايمكن اعتبارهم مجموعة متجانسة ، ولكنها تتضمن انواعا فرعية عديدة ، وهنا يقول شميدل « Schmidl » [2] في مقاله ص ١٩٥٧ عن خبراته باختبار روشاخ في « دراسة الاحداث الجانحين » ليس هناك أساس — من حيث تنظيم الشخصية — لاعتبار الاحداث الجانحين مجموعة متجانسة ، بل على العكس من ذلك فان هناك من الادلة ما يجعلنا نعتقد أننا بازاء عدد من الانماط والاشكال المختلفة . وينكر كاريمان ايضا وجود شيء يمكن أن نسميه « النمط الجناحي للشخصية » ولكنه يؤمن بأن هناك شخصيات عديدة يمكن ان تكون جانحة وانه في كل من هذه الشخصيات يعبر الجناح عن مشكلة مختلفة ، وقد لايوجد بينها من العوامل المشتركة سوى تسمية الجناح . كذلك يرى « Stott » سنة ١٩٥٠ بأن تعبير « جانح » لايتضمن بأي حال وحدة مرضية نفسية أو تشخيصية بالمعنى الصحيح ، ولكنه يعطي وصفا لنوع معين من السلوك يوجد في كثير من انماط الشخصية المعروفة بهذا الاسم ، وهذه افكار لابد ان تكون موضع الاهتمام عند كل باحث في مشكلة الجناح حاليا .

والمعروف ان النوع العصابي من الجناح (مثل السرقة القهرية ، واشعال النار الجنوني وبعض أنواع الجرائم الجنسية وغيرها) قد حظيت بالقدر الاكبر من الاهتمام والبحث والاستقصاء . وعلى العموم فانه بعد أن بدأت حركة التحليل في سنة ١٩١٥ على يد « فرويد » لحالات تمتاز بخلق معين (مثل الشواذ المحطمون « The wrecked by Success. » والاجرام نتيجة الشعور

(1) Bowlby, J. : Child Care and the Growth of Love . A Pelikan Book - 1959 -

(2) Schmidl, F. : The Rorchach Test in Juvenile Delinquency Research . The Amer . Journ . of Orthopsychiat ., Vol . XVII . P.P. 151 - 157 .

بالاثم) ومنذ ان بدأ اصرار « هيلي » وغيره من الكتاب على وجود مظهر غريب في الكثير من سلوك الجانحين لايصبح في علاجه العقاب ، ومنذ بدأت الدراسات التحليلية لريش « Reich » سنة ١٩٢٥ للدراسة ما عرف باسم « الخلق المندفع » تلك التي فتحت آفاقا جديدة هائلة في ميدان البحوث التحليلية لدراسة السيكوباتيين او « الخلق العصابي » كما سماه جلوفر سنة ١٩٢٦ ، ومنذ ان بدأ التطور المستمر والتجمع المنظم للمعارف التي تدخل تحتموضوع « علم نفس الذات التحليلي » اصبح من الصعوبة بمكان ان نرسم خطا فاصلا بين ما يمكن اعتباره عصابي (يعني الاعراض العصابية « الواضحة » أو العصاب بالمعنى القديم المعروف) ، وبين عدد كبير من الاحوال التي تحمل ارتباطا معينا بالعصاب من حيث الاسباب المؤدية للمرض ، ونعني بها تلك الاضطرابات الخلقية المتعددة الانواع والسلوك الانفعالي الذي ينشأ من دوافع لاشعورية غامضة ومعقدة ، كتلك التي نسميها « Neuroses of fate. » ، في اولئك الذين لم يسبق ان ظهرت عليهم اي علامات لصراع عصابي يؤدي الى اعراض معينة . ويمكن أن يعتبر من بين هؤلاء الاخيرين من يمتازون بالكثير من السلوك الذي يمتاز بالقصور في التوافق الاجتماعي ، والكثير من الحالات التي عرف فيتاريخها السلوك الدائب المتميز بالعدوان والخروج على الاوضاع الاجتماعية .

ولقد حاول امثال « ليفي » في سنة ١٩٣٢ أن يميز بين أنماط عديدة من الجناح عندما اراد ان يفرق بين « جناح المجال » « Milieu Delinquency » الذي ينجم مباشرة كاستجابة لضغوط بيئية (المجال الذي يتبنى الجناح) وبين النوع الآخر الذي ينجم من طبيعة تنظيم شخصية الجانح .

هنا لاحظ ان الفعل الجناحي قد يظهر بطرق عدة ، فقد يكون مجالا لإطلاق العدوان ، وقد يكون عرضا عصابيا متخفيا رمزيا تختفي دوافعه نتيجة عملية كبت ، وقد يكون وسيلة لحل صراع انفعالي . وهكذا يظن أن الجناح العصابي ينشأ من محاولات فاشلة لمنع التعبير عن نزعات طبيعية . وفيالجناح العصابي يوجد نوع من عدم التوافق في الوضع الاجتماعي العام للاسرة ، ونقص مستمر في اشباع الدوافع الطبيعية . فبينما نجد في حالات جناح المجال تكون البيئة هي المسؤولة عن خلق الجناح في المريض ، نجد انه في حالات الجناح العصابي يخلق المريض الجناح في البيئة حتى يحل مشكلته ، ويعبر عن تنظيم معين في شخصيته .

هكذا قد مضى الوقت الذي كان يمكن فيه أن ننظر الى الجانحين على انهم من فئات متعددة ، اللهم الا ان نحاول أن نجد بين الجانحين ، كمجموعة متقاربة فروقا بين النوع الذي يعاني من اضطرابات عصابية ، وذلك الذي لا تظهر عليه اعراض عصابية . ومع ذلك فاننا نجد بين العديد من الكتابات أنواعا متعددة من الجناح يمكن سردها ، لاعلى انها تقسيمات للجناح تستند الى أسس منطقية أو نظرية ، بل على انها مجرد قائمة لانواع الجناح درست

وتبين أن بينها مظاهر وجوانب مشتركة ، وانها برغم اختلاف حاجاتها ، تشترك في كثير من المميزات النفسية وهذه الفئات هي :

١ ـ **الجانحون الاغبياء** : الذين اظهرتهم الكثير من الدراسات النفسية الاجتماعية ، والاجتماعية المحضة على انهم فئة تمثل نسبة كبيرة من حالات الجناح ، وكثيرون منهم ينحدرون من أسر فقيرة في مجتمعات من الطبقة الدنيا . تلك هي الفئة من الاطفال الذين يمتازون باستعدادات وراثية ومزاجية محدودة ونمو محدود في الذات يجعلهم يمتازون عن غيرهم من الاطفال الاسعد حظا بأنهم أقل قدرة على مواجهة الضغوط التي تاتي من الخارج « البيئة » أو من مصادر داخلية « غريزية » .

٢ ـ **الجانحون المحرومون من التدريب** : وهم يكونون مجموعة اخرى من بينهم حالات أكثر قابلية للاصلاح ، ويظهر أنهم عاديون في تكوينهم فيما عدا انهم ينقصهم التدريب الاجتماعي . هؤلاء لايبدو عليهم اضطراب انفعالي كبير ، ويستجيبون بسرعة للتغير المناسب في البيئة مما يسير جنبا الى جنب مع التدريب على القيم الاجتماعية . هؤلاء قد يظن انهم « اطفال عاديون من حيث البحث في مفهوم البيئة العادية » ولكنهم ضلوا الطريق بشكل ما في سبيل التوافق الاجتماعي .

٣ ـ **الجانحون المراهقون** : الذين لايعرف في تاريخهم أي خروج في الفترة السابقة للبلوغ ، والذين لايمكن دراسة مشكلاتهم منفصلة عن متاعبهم الخاصة بمرحلة المراهقة وحاجاتها ، والذين يمكن علاجهم أيضا بالدراسة البسيطة وتحسين البيئة أيضا .

٤ ـ **الجانح المنحدر من أسرة شريرة تسودها الرذيلة** : « Vicious home » (1) أو « المجال الذي يتبنى الجناح » حيث يجد الطفل نماذج خاطئة للسلوك الاجتماعي ويمتص القوانين والنظم الجانحة من أسرته أو جيرته (وكأنما هي أمور طبيعية لا تختلف عن تعلم لغة الكلام) .

٥ ـ **الاضطرابات السلوكية الاجتماعية الثانوية** : اي تلك التي تظهر علىالاطفال بشكل ثانوي كسلوك جانح غير خاضع للضوابط يستجيب لحالة عضوية كالصراع أو الامراض العصبية .

٦ ـ **الجانحون المحرومون** : وهذا القسم يشمل مجموعة كبيرة من الاطفال الذين يجدون أسهل الطرق ممهدة للجناح ، أو الحياة الجانحة كنتيجة لحرمان مزمن في أهم سنوات التكوين ، كما يحدث في حالات أبناء المؤسسات ، والتنشئة الغير منظمة أو حالات الاهمال الشديد . هذه

(1) Burt, C. : The Young Delinquent. University of London Press. 1944.

هي المجموعة من الاطفال الذين يعتبر سلوكهم الاجتماعي القاصر مجرد جزء واحد من الصورة العامة لشخصياتهم التي تمثل مظهرا من مظاهـر التعطل أو التوقف والتعثر في النمو الاجتماعي .

٧ ـ **الجانحون العصابيون** : وبالرغم من أن الكثير من المؤلفين اعتبروا أن هذه الفئة تكون مجموعة من الجانحين يقرر سلوكهم العادي للمجتمع دوافـع لاشعورية ، وهم لذلك ليسوا ممن يتأثرون في علاج مشكلتهم بتغييرالبيئة المعتاد فحسب ، الا أن فئة الجانحين العصابيين في ذاتها غير متجانسة . فهي فئة غامضة ولا يمكن أن توضع لها حدود واضحة . فالاعـراض الجناحية التي تقررها عوامل عصابية تظهر بشكل نادر نسبيا في صورة « نقيـة » ، بينما نجد السلوك اللااجتماعي الذي يرجع لاسباب لاشعورية ويرتبط بشكل معـين من الخلق العصابي المضطرب يوجد فقط بـين الجانحين الذين درسوا بتعمق في حالات العلاج النفسي . مثل هـذا السلوك يمكن ان نتوقع وجوده بصورة مميزة في حالات يرجع اضطرابها الى مصادر مختلفة اي حينما نجد الميول العصابية يصاحبها « ضعف في الذات » أو تنظيم ضعيف للخلق ، وهناك أنواع كثيرة من الجنـاح يمكن أن تعرف على أنها ناجمة عن ميول عصابية ، وأهم هذه الانواع التي حظيت بدراسات واهتمام كبير في الكتابات النفسية :

آ ـ الفعل الجانح المنفصل والذي يكون عادة نمطية « Stereotyped » تصاحب ظاهرة ضعف الأنا ، وهو الذي ينشأ على انه حل وسط لصراع عصابي لاشعوري قد يعرف عن أفراد وشخصيات متوافقة اجتماعيا « مثل حالات السرقة في جنون السرقة » .

ب ـ « المجرم نتيجة الشعور بالاثم » تلك المجموعة التي وضعت أول ما وضعت في دراسات « فرويد » التي شرحت طبيعة حاجاتهم اللاشعورية للعقـاب (أثرها المحدد في ضبط السلوك والسيطرة عليـه) .

جـ ـ النوع السلبي من السلوك الجانح المتميز بالانثوية [1] عند الولـد الذي يعتبر سلوكه العدواني الواضح ذا طبيعة دفاعية عنيفة ضد المغريات اللاشعورية ، وهو في نفس الوقت افصاح عن نوع العلاج الذي يرغبه بصورة لاشعورية . وهـذه هي الفئة التي درسهـا بالتفصيل أيكهورن والكسندر وميناكر سنة ١٩٣٩ .

د ـ السلوك اللااجتماعي المرتبط بواحد من العديد من أشكال الخلق العصابي اللاسوي ما وصفه أيكهورن والكسندر وغيرهم ، وأمثال

---

(1) Passive effeminate type.

اتو فينكل سنة ١٩٤٥ . وهؤلاء في نظر الكثيرين من علماء التحليل لا يختلفون عن السيكوباتيين الا في الدرجة ، وفي مدى حدةالانحلال الخلقي اكثر منه اختلاف في الطبيعة الاساسية للصراعات السيكوديناميكية التي تكمن وراء هذا السلوك .

٨ ـ **الجانحون السيكوباتيون** : وهي الفئة التيلايفهما الكثيرون كمايجب وهي أقل الفئات في قابليتها للعلاج ، ولعل أهم مايميزها أنها غير قادرة على تكوين علاقات الود والمحبة مع أي فرد ، وانها تمتاز بقصور انفعالي وانعدام أو ضعف الحساسية الاجتماعية مما لا يعرفه عنها الكثيرون ، ومع ذلك فان الكثيرين من العلماء لديهم صورة اكلينيكية واضحة عن السلوك السيكوباتي الذي يؤكد بعض العلماء من أمثال كاربمان « Karpman » انه يرجع الى فشل في نمو الحاسة الخلقية ، ولذلك يفضل استعمال عبارة المرضى الاخلاقيين « Anethopathic » لتمييز هؤلاء بدلا من استعمال عبارة السيكوباتيين ويقسمهم الى مجموعتين رئيسيتين :

آ ـ الذين يعتبر المرض الخلقي عندهم عرضا أو ثانويا « Secondary or symptomatic anethopathy » وهذهالمجموعةتتضمن ٨٥ ٪ من السيكوباتيين أو الشخصيات السيكوباتية ويدل على أن هذه الشخصية تتطور من عصاب أساسي أو ذهان كامن وهي عرض له ورد فعل لهذه الشخصية .

ب ـ المرضى الخلقيون من النوع الأول المعتوهون أخلاقيا « Primary or idiopathic anethopathy » حيث يكون السلوك بحيث لا يمكن ارجاعه لعوامل نفسية لاحد سببين : اما انها عوامل غير موجودة أو أنها عميقة الجذور لدرجة أن الطرق الحالية النفسية لا يمكنها أن تكشف عنها .

ولقد قسم « كاربمان » هذه المجموعة الى قسمين كبيرين :

١ ـ النوع العدواني الشرس الذي يعيش بالسلب « Predatory » والذي يمتاز بالنشاط والحيوية وهو غالبا ضار يلحق الاذى الاجتماعي بالغير .

٢ ـ والنوع السلبي الطفيلي الذي يكون متعلقا بالآخرين وهو دائما ضحية الغير بطريقة سلبية ، ومن امثالهم من يستغلهم رؤساء العصابات مثلا . ولكن « كاربمان » مع ذلك حين يحاول علاج هذه الفئاتجميعا لايهتمكثيرا بعلاج المرض بقدر عنايتهباصلاح الاعوجاج الذي مر فيه كل منهم في نمو شخصيته .

ان كل هذه المظاهر المختلفة للشخصية السيكوباتية لم تعد بعد

ينظر اليها غالبا على أنها موروثة أو ترجع لاسباب غيبية لايمكن تحديدها ، بل ثبت من اكثر من دراسة أن الشخصية السيكوباتية هي المحصلة النهائية لوسيلة خاطئة في التربية ، وفشل في عملية التطبيع الاجتماعي ، ساعدت على اكساب الطفل عادات اجتماعية لا تختلف في تكوينها ونموها وطريقة عملها عن العادات الاجتماعية بأي حال [1] . . . . .

٩ ـ الجانح الذهاني: « The Psychotic delinquent » وتشمل هذه المجموعة اولئك الاحداث الذين يظن أن سوء سلوكهم يرجع الى مرض ذهاني أو ما قبل الذهان ، سواء كان ذلك في صورته الظاهرة الحادة ، او في الحالات المعتدلة المتوسطة التي تتضمن تعقيدات ذهانية أو دون الذهانية .

ان المؤلف حين يعرض هذه التقسيمات للسلوك الجناحي ، لايعني بذلك تأكيد وجود اختلاف فيها ، بل انه يرجح أنها مظاهر متعددة من السلوك الجناحي يجب أن نبحث عما يكمن وراءها من اضطرابات أسرية ، أو حرمان نفسي أو اجتماعي ، أو امراض وعلل نفسية ، أو نبذ للفرد واهمال ، لا لدراسة هذه العوامل والمؤثرات في ذاتها على أنها ذات أثر ضمني في خلق الجناح ، بل على أنها تؤثر في خلق تنظيم معين في شخصية الفرد قد يدفعه الى مظهر أو آخر من مظاهر الانحراف . وكل واحد منها أو كلها مشتركة ، قد تكون عوامل مسؤولة عن هذا السلوك اللاجتماعي ويجب أن تكون موضع الدراسة والاهتمام كوسيلة لحماية مجتمعنا من اخطاء هذه الجماعة من المنحرفين ، ويجب لذلك أن يكون مدار البحث والدراسة لامجرد التقسيم والانواع ، لان لفظ « جانح » نفسه لايصح له معنى الا اذا اعتبرنا الجناح مظهرا من مظاهر الاضطراب السلوكي لايختلف عن العصاب الا في نوع واسلوب التعبير عن الاضطراب النفسي .

وليس أدل على حدة أو تشابه الشخصية الجناحية من انه قد ثبت من اكثر من دراسة أن الجانحين على اختلاف انواعهم السابقة يستجيبون لاشكال العلاج بأنواعه بدرجة واحدة على شرط أن يختار نوع العلاج الذي يناسب ما يفترض من اسباب نمو الميول الجناحية عند الطفل ، عند تشخيص الحالة .

كذلك لاحظ كثير من المشتغلين بعلاج الجناح الاهمية البالغة للدور الذي تلعبه عملية التوافق والاستمرار في تربية وتدريب الطفل الجانح وفي كل من أمور « التأديب والتهذيب » (بيرت ، هيلي وبرونر وكيت فريدلاندر) وكذلك في الامور المتعلقة بشخصية الآباء وطريقتهم في تناول مشكلة التعبير الانفعالي والغريزي عند الاطفال وعلاجها .

---

(1) Morgan , J. I. B. , and Lovell , G . : The Psychology of Abnormal People. Longman's Green & Comp. N. Y. London . 1953 . P. P. 573 - 584 .

ان مشكلة الجناح في أساسها هي مشكلة دراسة موضوع العـــدوان اللاجتماعي ، الذي لايخضع بل يتعدى سيطرة المجتمع وتحكمه ، وهو لذلك عدوان خارج عن قدرة الفرد على التحكم فيه ، وقد كانت هناك محاولاتعديدة مختلفـة لتحديد الـدور الذي يلعبه العدوان في الاسرة والحياة الفريزيـة والاجتماعية ، وكلها دراسات لم تصل الى مستوى كبير من التحديد بعد ، الا انها تفتح الباب لمناقشة اهمية دراسة موضوع العدوان لفهم الجناح ، بل في الحقيقة لفهم الحياة السوية ، اكثر منها دراسة تعنى بحل المشكلات الملحـة العملية والاكلينيكية التي تتضمن العدوان البدائي غير المهذب تهذيبا اجتماعيا.

ولا بد أن نلاحظ انه في فترة ما بين الحربين العالميتين ، وخاصـة بعد الحرب الثانية تحول الاهتمام عند علماء النفس التحليليين وغير التحليليين من التركيز على مشكلات الجنس كعوامل ديناميكية في خلق الاضطرابات السلوكية، بل تحول الاهتمام الى مركز آخر في دراسة دينامية الانحراف ، ونعني بـه العدوان ، كما ظهر ذلك في أغلب الكتابات النفسية التي كانت تؤكد ناحيـة الجنس ودوره مرة ثم العدوان مرة اخرى . وهذا التغير الجديد ، الـذي بدأ يركز على أهمية النزعات العدوانية كان ردا على اهتمام كثير من علمـاء التحليل الذين ركزوا على جانب واحد من جوانب النظرية الفرويدية القديمة - مثل انا فرويد سنة ١٩٤٨ - دون أن يتبينوا ما كان يؤكده فرويد حيث لم يتمسك بأن الظاهرات الاجتماعية العديدة يمكن تفسيرها في ضوء تفهم الجنسية التحليلية وحدها ، كما ان جميع أشكال السلوك اللاجتماعي لا يمكن تفسيرها بدراسة طبيعة النزعات العدوانية وحدها . لقد ذكر فرويد في الواقع انها لايمكن دراستها بهذه الطريقة الموحدة فحسب ، بل انه اكد ان النزعاتالعدوانية الفريزية ، والجنسية الفريزية لا يمكن ملاحظتها مباشرة في صورتها الاصلية البدائية في الحياة المتمدنة المتحضرة . ان هناك مزيجا وخلطا وانتشارا للنزعات العدوانية والجنسية يكمن ويظهر دائما في الخطوط الخلفية لحياة الجماعات . وهنا يكون مدى الفشل او النجاح في التوازن والتبادل بين هذين العـاملين هو العامل الذي يحدد طبيعة الحياة الاجتماعية المتغيرة في كل من صورتيهـا الايجابية البناءة ، والسلبية اللاجتماعية .

ولقد كان للطب النفسي خدمات كبيرة قدمها لدراسة الجانحين وتفهم مشكلة الجناح يمكن أن نلخصها فيما يأتي :

« ان الطب النفسي عندما يقوم بعملية الكشف عن الاسس الاولـى للنزعات الجناحية قد أثبت انه لا توجد اسباب رئيسية كبيرة للجناح ، ففـي الحالات الفردية يبحث عن العوامل الاستعدادية والعلاقات الاسرية ، وتكوين الضمير ، والاضرار التي خبرها الفرد والصراعات الداخلية ، واهمال استعمال القدرات الخاصة وآلاف من الاتجاهات واسس تنظيم الشخصية ، وهو في كل هـذا يحاول أن يصل الى النتيجة النهائية وهي أن الجناح بالنسبة للجانح

هو احد الطرق التي يحاول بها الجانح أن يتوافق مع دافع معين هو واقعة هو [1] .

يمكن للقارىء بعد استعراض هذا التطور التاريخي للآراء المختلفة في دراسة مشكلة الجناح ـ أسبابه ـ ودوافعه ان يلمس كيف تحول الاهتمام تدريجيا من دراسة العوامل الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الظروف التي قد تصاحب الجناح ـ كما تصاحب السواء او العصابية ، الى الاهتمام بديناميات الجناح باعتباره اسلوبا من أساليب توافق الفرد مع واقعة الذاتي . وان يلمس كذلك كيف أصبحت دراسة تنظيم الشخصية مفتاحا موصلا ، لا للتحقق من ان هناك عوامل تصاحبه بل لتأكيد انها أسهمت في التأثير في خلق تنظيم معين للشخصية ، اتخذ الجناح اسلوبا للتوافق . كذلك يلاحظ كيف تطور الفكر النفسي بحيث أصبح يؤكد الدور الذي تلعبه العلاقة الوالدية في عملية التطبيع الاجتماعي ، والعلاقات الاسرية في خلق تنظيمات وتغيرات ذات علاقة دينامية بالسلوك الجانح .

ونظرا لان هذا الكتاب يهدف لعمل دراسة مقارنة بين الطرق المنحرفة في النمو الانفعالي للجانح ثم للعصابي منذ أول حياة كل منهما ، للوصول الى أسباب اختلاف كل منهما في التنظيم المميز المحدد لشخصية كل منهما ، فان الصورة تكتمل اذا أمكن ان نستعرض بشيء من الاختصار التطور الذي مرت به دراسة مشكلة العصاب .

واذا كنا من العرض التاريخي السابق ، قد اتضح لنا كيف ان الاهتمام بدأ يتركز حول نزعات العدوان واثرها في خلق نوع من انواع الاضطراب السلوكي ، فهل يمكن أن نتلمس في عرض تاريخي آخر لمشكلة العصاب وتطورها، اهتماما مشابها بهذه النزعات يمكن ان تشترك مع غيرها في خلق الاضطرابات العصابية ؟!؟

نرجو ان نوفق الى ذلك في الفصل التالي .

---

(1) Healy, W. : Psychiatry and Delinquency : Critical Evaluation. Amer . Jour. of Orthopsychiat. Vol XIX N. 2. P. 317 - 318.

الفَصْلُ الثّانيْ

تطور الفكر النفسي في تفسير العصاب

عـــرض تــاريخي

يرتبط البحث في هذه الظاهرة من السلوك المنحرف بالتطور الذي مرت به مشكلة الامراض العقلية على العموم . ذلك أن العصاب ، كاضطراب سلوكي ، لم يكن ــ لفترة طويلة من العصور الوسطى ــ ينظر اليه على أنه عرض سلوكي مميز ، حيث لم يكن البحث في العلوم النفسية ودراسات الشواذ قد توصــل بعــد لتقسيم الاضطرابــات السلوكيــة الى نوعيهــا المعروفــين حاليــنا : العصاب والذهــان .

حقيقة اننا لازلنا حتى في بحوث القرن العشرين نجد مجموعة من العلماء تؤكد أن الاختلاف بين كل منهما اختلاف في الدرجة وليس اختلافا في النوع [1] ، الا أن هــذا التقسيم قــد أفاد كثيرا في تحديــد طرق عــلاج كــل منهمــا ودراسة أسبابهــا .

واذا كنا نستعرض في هذه العجالة تطور مفهوم الامراض العقلية دون أن نلمس ما يميز العصاب عن الذهان ، فاننا نهدف من ذلك الى تتبع الخطوات التي أدت في النهاية الى تمييز أسلوبين من أساليب التكيف اللاسوي .

ولو راجعنا الكثير من الكتابات النفسية لوجدنا أن كشوف مدرسـة التحليل النفسي ، في أواخر القرن ١٩ وأوائل القرن العشرين ، تعتبر الى حد كبير حدا فاصلا بين اتجاهين في دراسة أسباب وتلمس طرق علاج الاضطرابات السلوكية على العموم . ذلك ان كشوف فرويد وتلاميذه قد غير الكثير مـن الاتجاهات العلمية في هذا الميدان .

---

(1) Cameron, N. : Behavior Disorders . A biosocial intrerpretation Houghton & Mifflin Company, 1947.

لهذا يرى الكاتب أن يعـرض التطور في فترتين متميزتين لتطور الابحاث في مشكلـة العصاب :

ا ــ فترة ما قبل ظهور دراسات التحليل النفسي .

ب ــ فترة ما بعد ظهور دراسات التحليل النفسي .

واذا كان الكاتب يعرج بين حين وحين على أساليب العلاج فانما يلجـأ لذلك لان العلاج كان يقوم وتحدد اساليبه في ضوء مفهوم العـالم عن تطـور ديناميات العصـاب .

أولا ــ فترة ما قبل ظهور دراسات التحليل النفسي :

تمتاز هذه الفترة باتجاهات علمية واجتماعية مميزة نحو تفسير مشكلة الاضطرابات السلوكية بأنواعها . ونظرا لطول هذه الفترة فان الكاتب يستعرض منها اهم التطورات التي مرت بها هذه الاتجاهات بصورة مختصرة . فقـد اعتبر المريض العقلي أحيانا انسانا أصيب بمس من الشيطان ، واحيانا اخرى كان ينظر اليه على أنه لا يختلف عن المجرم او الجانح ويجب أن يكون منزلـه السجون أو اشباه السجون [1] .

ثم كان للنهضة الطبية الفسيولوجية اثرها في تفسير اسباب الاضطرابات النفسية وخاصة الانواع العنيفة منها ، أي تلك التي كانت تهدد حياة الجماعة تهديدا واضحا ، ونعني بها ما يعرف الآن بالامراض العقلية ، كما كان لها أثرها في طريقة علاجها . فقد كان يظن أن دم المريض مثلا هو المسؤول عن اضطراب سلوكه وخاصة بعد اكتشاف الدورة الدموية وافتراض بعض وظائف الـدم في الجسم ، ولهذا استعمل الاطباء الفصاد احيانا كوسيلة للعلاج ، ثم استعمل تغيير الدم أحيانا اخرى لاحلال دم سليم محل دم المريض بالمرض العقلي كوسيلة لاعادته الى السواء ، كذلك اتجه امثال كريزنجر وكربلن الى ارجاع اضطرابات مثل الفصام والهوس والاكتئاب لتسمم الجسم او خلل في عملية الايض .

الا أن هذا الاتجاه في تفسير وعلاج الاضطراب ، قاومه في أوائل القرن الثامن عشر احد الاطباء الالمان جورج ستاهل « Stahl, G. » استـاذ الطب بجامعـة هيـل « Halle » ثم بجامعة برلين بعد ذلك حين اكد أهمية العمل المشترك بين الروح والقوة الحيوية في الجسد ، حيث أكد انهما تعملان معـا ويكون نتيجة وظائفهما عملا يفوق المحصلة الكلية لوظائف اعضاء الجسد وحده .

هكذا قاد أول ثورة ضد الاتجاه العضوي في تفسير الاضطراب حين نادى بأن الاضطراب الانفعالي قد يعطل الصحة الجسمية أو شفاء الجسد من العلل

---

(1) White, R. : The Abnormal Personality. The Ronald Press Company. New York. 1956. Third Edition.

العضوية ، وهو بهذا يعتبر اول من درس أو وجه الاهتمام لدراسة ما يعرف الآن باسم العلاج السيكوسوماتي ، وكان لهذا أثره أيضا في أنه في أوائل القرن ١٨ اصبح لهذا المبدا ـ مبدا العلاقة بين العقل والجسم ـ واهمية الحالة النفسية في خلق اضطرابات جسمية ، احترام وقبول من كثير من المهتمين بالصحة النفسية .

الا أنه بالرغم من ذلك لم يتغير منهج العلاج لكثير من الاضطرابات العصبية والنفسية فقد تمسك أمثال (كرستيان ريل) « Christin Reil » في المانيا و (بنيامين ريش « Benjamin Reish » في أمريكا و (جون برون) « John Brown » في انكلترا بما عرف في ذلك الوقت باسم «التعذيب غير الضار» « Non injururious torture » في علاج هذه الامراض ، وكان « ريل » يستعمل في ذلك القاء المرضى في الماء البارد ، او اصوات المدافع العالية وغيرها من الصدمات العصبية في علاج بعض الاضطرابات .

ولعل أول اهتمام وجه لأثر الاضطراب في خلق الامراض النفسية كان سنة ١٧٣٣ حين أعلن (جورج شاين) « Cheyne. G. » الزميل بالجمعية الملكية وكلية الطب بجامعة أدنبرج بانكلترا أهمية دراسة تاريخ حياة وخبرات المرضى العصبيين الانفعالية ، وهي دراسة أكد اهميتها فرويد بعد ذلك بما يقرب من ٢٠٠ سنة .

بعد ذلك بدأت حركة واسعة لمقاومة تعذيب المرضى النفسيين في أوروبا ، خاصة انكلترا وفرنسا ، واهتم المشتغلون بمشكلة الامراض العقلية بضرورة العناية بهم ، بدلا من تعريضهم لكثير من اضطهاد المشرفين على أمرهم ، بعد ايداعهم في مصحات معروفة في ذلك الوقت مثل مستشفى بدهان « Bedhan » بلندن ، وغيرها من مستشفيات فرنسا خاصة بعد أن فضح الطبيب النفسي الفرنسي (اسكورول) « Esquirol » الكثير من مساوىء العمل والعلاج والمعاملة في مستشفيات فرنسا التي كانت أقرب الى السجون منها الى منازل العلاج ، أو مصحات رعاية المرضى .

وفي سنة ١٨١٤ كان للضغط الشعبي الذي ظهر في انكلترا أثره في دراسة حالة المرضى في مستشفى « يورك » وطريقة علاجهم ومعاملتهم ، خاصة بعد موت عدد كبير من النزلاء الذين حرم أهلهم من زيارتهم ، واحرقت سجلات المستشفى لاخفاء جرائم المشرفين على علاجهم وقد قام بهذه الدراسة « مستر صمويل تيوك » « Mr. Samuel Tuke » احد افراد اسرة كوارتر « Quarter » التي ساهمت بجهد كبير في انشاء أول مستشفى للعجزة بانكلترا « The Retreat Hospital » وقد فضح الكثير من مساوىء الحياة بمصحات الامراض العقلية عامة ، وكان من أثر ذلك تكوين أول لجنة سنة ١٨١٥ برئاسة جيمس برش « Birch, J. » عضو كلية الجراحين الملكية ، وهي التي اكدت

ضرورة تغيير طرق العلاج ودراسة اسباب الامراض النفسية لنزلاء هذه المستشفيات .

وفي فرنسا ظهرت حركات اصلاحية لا تقل أهمية عن حركات انكلترا تزعمها فليب بينيل « Philip Pinel » الذي كان أول من دعى في سنة ١٧٩٣ الى ضرورة العناية بالحياة النفسية والانفعالية في علاج المرضى ودراسةاسباب اضطرابهم ، ونادى بضرورة فك القيود والغاء العلاج بالاغراق في الماء او الصدمات انعصبية او الادوية ، وباختصار كان له الفضل في توجه الفكر النفسي الى ضرورة العناية بهؤلاء كأفراد يجب علاجهم بالطرق النفسية ، واستبعاد الطرق الخالية من الانسانية في علاج المرضى .

العلاج بالتنويم المغناطيسي وتغيير مفهوم ديناميات العصاب :

وفي نفس الفترة التي بدأ فيها « بينيل » دعوته ظهر في باريس عالم آخر أفاد من دعوة « بينيل » هو العالم (انطون مسمر) « Anton Mesmer » الذي بدأ حركة لعلاج الامراض النفسية والعقلية بالتنويم المغناطيسي والايحاء ، واستعمل لذلك طرقا خاصة وأجهزة معينة ، وظلت هذه الطريقة في العلاج تستعمل فترة طويلة حتى اوائل القرن التاسع عشر .

ومهما يكن من أمر صحة هذه الطريقة ، فانها تعني تغيرا كبيرا في مفهوم الاضطراب النفسي ، حيث تدل على أنه بدأ الاعتراف ولو بطريقة ضمنيةبأهمية النواحي النفسية في خلق ، وعلاج الاضطرابات السلوكية .

وفي القرن التاسع عشر اتسع نطاق العلاج بالتنويم المغناطيسي ، خاصة عندما نجح في كثير من الجراحات ، حين كان يستعمل بدلا من التخدير ، في كل من انكلترا وأمريكا وفرنسا ، لعلاج الكثير من الامراض التي عجز عن علاجها الطب البشري ، وأكد (ليوبولت) « Liebault » انه نجح في استعمال التنويم المغناطيسي لعلاج حالات من الهستيريا والمرضى العصبيين .

وفي أواخر القرن التاسع عشر كان لدراسات شاركوت في فرنسا التي اعتمد فيها على التنويم المغناطيسي أثر كبير في ابراز مفهوم جديد عن العصاب والمرضى الهستيريين ، يمكن أن نستشف منها كيف أعتبرت الهستيريا استجابة لضغوط ما ، وان اولئك الذين يتعرضون لها هم الذين يمكن علاجهم بالتنويم المغناطيسي ، كما استطاع ان يميز بين الشلل الذي يمكن احداثه في المريض بالتنويم المغناطيسي وبين الشلل الذي يرجع لاسباب عضوية ، وبهذا استطاع ان يكشف عن الفرق بين أنواع من الصرع سماه الصرع الهستيري ، وذلك الصرع الذي يرجع لاسباب نيورولوجية .

ولا يهمنا في ذلك كله الا أمر واحد . هو انه مع هذه الدراسات بدأ يضعف بين علماء الامراض النفسية الاتجاه نحو تفسيرها على أسس

بيورولوجية ، وبدات في القرن التاسع عشر مع دراسات هؤلاء العلماء اتجاهات جديدة لتفسير أهم مجموعة من الاضطرابات العصابية ونعني بها الهستيريا .

ولقد أزكى حركة شاركوت ، دراسات فرويد التي بدأها سنة ١٨٨٥ عندما زار باريس ليدرس على يده التنويم المغناطيسي ، ثم عاد الى فينا واستقبلت آراءه بمعارضة شديدة حين بدا ينادي بأن هناك حالات هستيريا بين الرجال ، ذلك ان العالم النيورلوجي (مينرت) « Meynert » تحداه أن يذكر او يعرض على الجمعية الطبية بفينا ، والتي كان هو رئيسها حالة واحدة من حالات الهستيريا عند الرجال . وقد حاول فرويد ذلك ، وفعلا عثر على عدد كبير من هذه الحالات . الا ان الاطباء المتعصبين للاتجاه النيورولوجي في تفسير الهستيريا كانوا يحولون بينه وبين الاتصال بمرضاهم . متأثرين بفكرة الربط بين الهستيريا والرحم .

وبالرغم من كل هذه المقاومة تغيرت طرق علاج الامراض العقلية والنفسية بعد ان نجح العلاج بالتنويم في حالات الهستيريا على يد شاركوت في فرنسا و « ليبولت » في انكلترا ثم بعد ذلك على يد (برنهايم) « Bernhiem » .

بعد ذلك بدات تتبلور في الاذهان مفاهيم جديدة للعصاب على انه مرض يرجع لاضطراب في العمليات العقلية ، عندما تقدمت الدراسات العلمية لوظيفة وعمل العقل في حالات السواء وحالات اللاسواء ، وجد ان ملاحظة العلاقة بين عمل العقل في كل من الحالتين يفسر اسباب الاضطرابات العصابية ، التي بدات على هذا الاساس تقبل على انها مرض مستقل ، خصوصا بعد أن أكد برنهايم أن الهستيريا في الحالات التي تظهر فيها أعراض عنيفة لاتختلف عن الميول العصابية عند عدد كبير من التعساء الذين يبدو أنهم أسوياء ، ولكنهم مرضى لايختلفون عن مرضى الهستيريا الحادة الا في الدرجة فقط .

وبالرغم من ذلك ظل الاطباء البشريون متمسكين بأن علاج هذه الامراض هو من صميم اختصاصهم ، رغم أنهم لم يحصلوا على أي اعداد علمي في هذا المضمار ، وهي دعوة وحركة دفاع قادها شاركوت وبرنهايم منادين بالآراء العديدة والكتابات المستفيضة التي تؤكد ان العلاج العضوي الجسمي او العصبي ليس هو السبيل الى تخليص الناس من اضطراباتهم النفسية .

وقبل ان نختم عرض هذه الفترة يجدر بنا أن ننوه الى جهود مجموعة كبيرة من علماء الطب مهدوا الطريق بآرائهم لكشوف فرويد وأبرزوا شيئا فشيئا المعالم الضرورية لمفهوم العصاب ومنهم :

— دكتور بوردي « Dr. Bordi » الذي أكد وجود علاقة بين الاعراض الجسمية والسلوك العصابي الهستيري اللذان يتبادلان الظهور على مرضى الهستيريا ، وانها ترجع لاصول متشابهة ، ثم أكد ان الخوف والايحاء والاستثارة اللاشعورية هي العوامل الاولية في خلق الاعراض العصابية .

- بيير جانيه « Janet, P. » الذي درس بشيء كبير من التعمق والتفصيل الكثير من حالات الهستيريا وأكد أن بعض العمليات العقلية التي تدخل في مرضهم تظل باستمرار بعيدة عن شعورهم ، وبذلك أكد أن ما قبل الشعور يعتبر جزءا هاما من المؤهلات العقلية للفرد ويؤثر في سلوكه .

الا ان جانيت ، بالرغم من انه تضمن ابحاثه مفهوم انفصال بعض الافكار من الشعور بحيث تصبح الاعراض الهستيرية هي ثمرة نشاط لاشعوري ، لكنه لم يطور فكرة العلاقة الدينامية بين هذه العملية والسلوك ، لانه كان مهتما بدراسة هذا الموضوع من وجهة النظر النيورولوجية ، كما وجه أغلب عنايته للدراسة التشريحية العصبية لحالات المرضى العقلي ، والنفسي ، ولهذا فانه عندما تكلم عن الافعال العقلية اللاشعورية كان يقصد تلك التي ترجع لنزعة لا ارادية آلية مثل الفعل المنعكس . كان هذا الراي بذلك يعني ان الاضطرابات التي ترجع لاسباب لاشعورية يصعب تغييرها ، وهو رأي عارضه فرويد بعد ذلك كثيرا حين اكد ان الكثير من جوانب الحياة العقلية اللاشعورية قابلة للتعديل بالعلاج ، وهي في ذلك اقرب منالا من أي استجابة انعكاسية في علم النيورولوجيا .

- ولقد سبق برنهايم فرويد في تقرير العلاج بالتنويم لحالات كثيرة من العصابيين ، كما كان اول من ابرز العوامل الدينامية في عملية العلاج حين اكد ان علاج الهستيريين بالتنويم لا يأتي نتيجة ايحاء يهدف الى ازالة الفرض ، بل ان الفرض من العلاج بالتنويم هو ازالة الآثار الضارة لايحاء سبق للمريض استقباله في مستوى لاشعوري . (الايحاء تقبل افكار على اسس انفعالية اكثر منها على اساس من النقد او المنطق) .
الا ان دراسة فرويد بعد ذلك قد شرحت بشيء من التفصيل الدوافع والحيل التي تساعد على تقبل هذا الايحاء .

- كذلك ننوه هنا الى ان هذه الحركات العملية كان لها فضل كبير في تعديل الاتجاه العلمي نحو تفسير العصاب والذهان ، وطرق علاجهما ، في اواخر القرن ١٩ وأول القرن العشرين ، خاصة عندما حمل لواء الدعوة للاتجاه الجديد امثال اسكويرول « Esquirol » الفرنسي ، وتيوك « Tuke » من انكلترا وهجنز « Higgins » وغيرهم ، ممن اثاروا مشكلة ضرورة الاخذ بالكشوف النفسية الجديدة في دراسة الاضطرابات النفسية .
ويجدر بنا ان نستعرض بعض جهود هؤلاء في هذه المجالات :

١ - لقد كانت جهود اسكويرول العالم الفرنسي ذات أثر بالغ في تطوير الدراسة النفسية للعصاب ، ذلك أنه لجأ الى دراسة احصائية لبعض الضغوط التي تعرض لها عدد كبير من المرضى اجتمع عليهم في اسفاره العديدة ، كما درس بعض الصدمات ذات الصبغة الانفعالية مما تعرضوا

له ، ووضع قائمة بأهم هذه الحالات التي عرفت من دراسة تاريخ حياة هؤلاء المرضى ، وانتهى بذلك الى أن اكثرها تواترا : الفشل في الحب أو الزواج — الاهتمام والقلق على المال — فقدان عزيز او سند — الى غير ذلك من العوامل التي تؤخذ حاليا على انها عوامل معجلة ظهور الاعراض. الا ان دراساته قد ابرزت اهمية دراسة العوامل النفسية والصراعات التي تمر في خبرة الفرد عند دراسة حالات الانهيار النفسي .

- كذلك كان من نتائج حركة الاصلاح التي شملت مستشفيات الامراض العقلية ان تغير الاتجاه العام العلمي نحو العصاب بحيث أصبح ينظر اليه كمرض يمكن ان نتلمس له في تاريخ حياة المريض بداية مميزة ، وله تطور معين ، وله نتائج نهائية في الشخصية هي الاعراض المرضية .

وكان هذا هو الاتجاه الذي فتح مجال البحث والدراسة ايام هنري مودزلي « Henry Maudsely » المعالج النفسي البريطاني وصاحب المعهد المعروف باسمه ، فقد اهتم بدراسة العلاقة بين النفس والعلل الجسمية في حالات السواء والاضطراب ، حين أكد ان الوظائف السلوكية السوية واللاسوية ترجع الى اصول عصبية ، وكان لمودزلي اطار نظري معين في دراسة العصاب هو الايمان بوجود ارتباط وتفاعل متبادل بين كل من الجسم والعقل [1] ، جعله يهتم بكل العوامل الجسمية والاستعدادية في خلق الاضطرابات العقلية ، وخاصة منها الوراثة وتكوينات الجسم . لكن مودزلي لم يهمل — حين اهتم بعنصر الجسم في العلاقة بين السلوك والعقل — لم يهمل الآثار المحتملة للبيئة في تكوين ما أسماه « الوظائف اللاسوية » . والحقيقة ان مودزلي قد وضع بدراسته الاسس الاولى للدراسة الجامعة للفرد ، وهي الدراسة التي لا زالت مستعملة في تفسير مشكلات العصاب وعلاجها حتى الآن ، كما كان له الفضل الاكبر في توجيه الاهتمام لضرورة دراسة تاريخ الحياة في كل محاولة اكلينيكية لعلاج المرض العصابي ، تلك الدراسة التي طورها أودولف ماير — النفساني الامريكي — في أول القرن العشرين . وفي هذه الفترة من ١٩٠٠ — ١٩٥٠ ظهرت كثير من البحوث اهتمت بالامراض النفسية والعقلية ، وكان من اهمها دراسات « أميل كربلن » « Emil Kraeplin » « وأيوجن بلوبر » « Eugen Bleuber » « وكاهبوم » « Kahbaum » والاخير منهم اهتم بتحديد معنى السيكولوثيميا او التأرجح الانفعالي بين الفرح واليأس ، الاكتئاب والابتهاج « Elasion » أو الانتشاء ، وهي المظاهر الانفعالية التي تميز عددا كبيرا من الناس . وكان من أهم هذه الدراسات دراسات

---

(١) العمليات النفسية المختلفة وأشكال السلوك الانفعالي والمعرفي والحركي .

كربلن وبلوبر . والاول عني بدراسة ماعرف باسم « لوثة المراهقة » [1] ، وكانت دراسته لهذا المرض تبنى على أساس انها ترجع الى اضطراب غددي معين يميز هذه المرحلة ، واستطاع « كاهبوم » ان يحدد مفهوم الهوس والاكتئاب بعد ان توصل الى دراسة السيكولوثيميا « Cyclothemia » واطلق عليه اسم الجنون الدوري . كما حققت هذه الفترة دراسة العديد من الامراض العقلية مثل الميلانكوليا والبارانويا وغيرها .

ومن أهم ما يلمسه الفرد في البحوث والدراسات التي سبقت بداية القرن العشرين انها اهتمت اول ما اهتمت بأنواع الاضطرابات العنيفة التي تهز النفس البشرية هزا عنيفا ، وتعنى بها الامراض العقلية الكبيرة « Major Psychoses » الا ان الاهتمام بهذه الامراض قد أفاد كثيرا من توجيه الاهتمام الى نوع آخر من الامراض العصابية ، كما ان تطور الفكر العلمي في دراسة اسباب الامراض النفسية عامة والعصابية على وجه الخصوص بدأ يتجه وجهة جديدة بعيدة عن العناية بالاسباب العصبية أو الغدية ، وجهة اهتمت كثيرا بالعلاقة بين الفرد والآخرين ، وبالاضطرابات الانفعالية ذات الصبغة العنيفة الصدمية « Traumatic » كعوامل محددة للاضطراب النفسي .

ب ـ فترة ما بعد ظهور مدرسة التحليل النفسي :

يرتبط ظهور هذه المدرسة بتاريخ يمكن اعتباره مميزا لتطور الدراسات الخاصة بالعصاب تطورا دفعها خطوات واسعة الى الامام ونعني به بدء القرن العشرين . ذلك انه تمتاز الخمسون سنة الاولى من هذا القرن بحركات علمية واسعة ، قدمت خدمة جليلة لدراسة مشكلة العصاب خاصة والظاهرة النفسية عامة ، كما اسهمت في اثراء الفكر النفسي وتوسيع ميادينه ، ولسنا في مجال حصر هذه البحوث والحركات ، الا اننا نذكر منها من المدارس ما كان له اثر كبير في دراسة ظاهرة العصاب ، والتوسع في تفسيره ودراسته للعوامل المرتبطة به .

ويأتي في مقدمة هذه المدارس مدرسة التحليل النفسي التي بدأها فرويد ومن تبعه من تلاميذه يونج وأدلر وكارن هورني وفروم وأوتورانك وفينكل وغيرهم . ومهما يكن من أمر اتباع هذه المدرسة واختلاف وجهات نظرهم ، فان نظرية التحليل النفسي قد اسهمت بقسط كبير في تطوير دراسات العصاب .

---

(1) See : Dementia Praecox :

Strange , J. R. : Abnormal Psychology. Mc . Graw Hill Book Company. 1965. P.P. 300 - 303 .

- فقد وجهت النظر الى حقائق هامة لم تكن معروفة من قبل ، أو على الاقل لم يكن لها وزن في تفسير الشخصية وخاصة في حالات الانحراف بالقدر الذي يتناسب مع أهميتها . كان فرويد اول من اكتشف حقيقة العلاقة بين تنظيم شخصية الفرد الكبير ، وبين تربيته أو طريقة معاملته في الطفولة ، وهي علاقة لم تكن معروفة قبل هذه الفترة ؟!

- كذلك كان فرويد أول من وجه الانظار الى ان الخبرات الانفعالية في الطفولة المبكرة تترك أثرا باقيا في تكوين الشخصية جعل الكثيرين يأخذون بالراي الذي يقول : ان الشخصية عامة والعصابية خاصة تتحدد معالمها في الخمس سنوات الاولى من حياة الطفل . وهذا اتجاه هام لازال موضع الاحترام من الكثيرين ممن يهتمون بدراسة الشخصية في نموها السوي أو اضطرابها ، او تعطل النمو او نكوصه .

- كذلك كشفت النظرية التحليلية عن المستوى الذي يتم فيه الصراع النفسي ، وهو اللاشعور ، الذي تبين من العرض السابق أنه لم يكن معترفا بأهميته في خلق الاضطرابات السلوكية العصابية ، ولذلك اصبحت دراسة الشخصية عملية لايمكن ان تكون قائمة على أسس سليمة اذا لم تشمل فيما تشتمل عليه على دراسة الدوافع والانفعالات المكبوتة والصراعات اللاشعورية والحيل والحلول اللاشعورية لهذه الصراعات وهي التي اصبحت تكون محورا هاما في دراسة الشخصية .

- واذا كانت فكرة تطور الطاقة الغريزية اللبيدية التي أكد فرويد أهميتها في نمو وتطور الشخصية او في خلق اشكال من الاضطرأبات العصابية قد لقيت معارضة كبيرة لجمود تطورها كما رسمه فرويد ، ولانه لايعنى كثيرا بالظروف البيئية المحبطة في راي المعارضة ، الا انها وجهت الاهتمام الى مرحلة هامة من مراحل النمو الانفعالي وهي المرحلة الاوديبية ، التي استفاد منها علماء السلوكية الجديدة وفسروها تفسيرا علميا سليما فيما بعد .

- يصدق هذا ايضا على كثير من مفاهيم نظرية التحليل وخاصة مايتعلق منها بأجهزة الشخصية، كاللاشعور والرقيب والهو والأنا والأنا الاعلى، .. الخ ، تلك التي فتحت الباب امام مدارس كثيرة فيما بعد طورت هذه المفاهيم وحددتها وصاغتها بعد ذلك مفاهيم سلوكية .

ولسنا هنا في مجال عرض كامل للنظرية ، وللنقد الذي وجه اليها بقدر ما يهمنا ان نؤكد انها أفادت الدراسات التي عنيت بدراسة العصاب حين درس فرويد بشيء من التوسع :

- اهمية العلاقة بين الطفل والوالدين في مرحلة الطفولة .

- دراسة موضوع القلق والاهتمام بالعوامل الدينامية للسلوك حين أكد

ارتباط القلق بالحالات الهستيرية . ولكنه سيرا مع أهم مكونات النظرية كان يربط بين الحالات الهستيرية والقلق الذي يرى أنه يرجع لاسباب جنسية [1] ، كبتت وتحولت الحالة الوجدانية المصاحبة لها الى قلق [2] . وقد تطورت آراء فرويد عن القلق ، وبعد ان كان يرجعه الى رغبة غريزية لبيدية لم يتمكن الفرد من اشباعها ، وفسر العصاب القهري على انه اعراض مرضية لمشاعر قلق خفية ترتبط بجنسية غير مشبعة ، بدأ في كتابه « القلق » الذي نشره في فينا سنة ١٩٢٦ يعدل آراءه حين اكد ان القلق العصابي والقلق الموضوعي رد فعل لحالة خطر ، والفرق بينهما يرجع الى ان الاول خطر غريزي داخلي ، أما الثاني فيرجع الى خطر خارجي موضوعي معروف . وقد طورت مدرسة التحليل النفسي مفهوم القلق بعد ذلك على يد فرويد وزملائه الذين ربطوا بين القلق وبين الشعور بالعجز أمام تنبيهات غريزية تثير الخوف من العقاب أو فقدان موضوع الحب ، او القلق امام الأنا الاعلى ... الخ .

ومهما يكن من آراء فرويد في موضوع القلق ، وما قام امامها من أشكال النقد ، فانها قدمت لمدارس اخرى مفتاحا عظيما لدراسة الكثير من ديناميات العصاب ، وخاصة حين اتخذ اصحاب مدرسة السلوكية الجديدة من موضوع القلق ، والربط بينه وبين اتجاهات الوالدين في عملية التنشئة الاجتماعية وما يصطنعونه من ثواب وعقاب مفتاحا لتفسير العصاب .

ولقد تطورت آراء فرويد في مركز القلق بالنسبة للاضطرابات العصابية ، فبعد ان كان يعتقد انه ينتج من عملية الكبت ، اصبح يجعل القلق مؤديا لعملية الكبت ، وبذلك اصبح فرويد يجعل للقلق دورا كبيرا في نشوء الامراض العصابية كوسائل دفاعية .

ولا يتسع هذا المقام في دراسة هذا الموضوع الهام من دراسة مفاهيم نظرية التحليل ، ولكن مايهمنا هنا أنها استعملت في مدارس اخرى بصورة معدلة وبمفهوم مختلف ، اخذت تدرس القلق على انه حالة التوتر التي ينجم عن اختزالها تعلم عادات التوافقاللاسوية في حالات العصاب ... وهكذا . وسوف نشير الى ذلك بالتفصيل في فصول لاحقة .

مع ذلك لم تنته بظهور مدرسة التحليل الاتجاهات الفسيولوجية في تفسير السلوك ، بل أن عددا كبيرا من علماء النفس الذين اهتموا بالتفسير

(1) White, R. : Ibid. P. P. 33 - 34 . « The Abnormal Personality.»

(2) Freud, S. : A General Introduction to Psychoanalysis New York . Garden City Pub. Co. 1943. P. 350.

الفسيولوجي والعصبي للسلوك عارضوا النظرية في كثير من مفاهيمها وخاصة في محاولة تفسير العصاب في ضوء ديناميات اللاشعور .

فمثلا نجد ان جودار « Goddard, H. H. » (1) يفسر لنا كثيرا من مفاهيم مدرسة التحليل مثل اللاشعور والكبت والرقيب وغيرها من المفاهيم تفسيرا عصبيا ، يبنيه على فروض متعلقة بعمل الجهاز العصبي فيقول :

« ان الكبت يعني الجهد المبذول من الفرد للتفكير في شيء آخر ، فاذا لم نفكر ابدا في خبرة ما فهي خبرة لاشعورية . ونحن حين لانكون شاعرين بخبرة ما فان معنى ذلك ان مجموعة من النيرونات التي ترتبط بهذه الخبرة ليس من السهل استثارتها . ان الشعور عند التحليليين منطقة غير موجودة ، ولهذا يمكن تفسير الظاهرة العصابية بالطريقة التي يتبنونها ، الا اننا لو اخذنا في الاعتبار المفاهيم النيورولوجية للجسم ، فان كل خبرة كانت قد أثارت في خلايا اللحاء في المخ مدة ، تسجل في نفس هذه الخلايا ، وان اي استثارة لهذه الخلايا قد تعيد هذه الخبرة كليا او جزئيا . وبالاضافة الى ذلك فان أجزاء من هذه المجموعة من النيرونات قد ترتبط ببعضها في اطار من الخلايا جديد مما يثير افكارا أو ذكريات شعورية ، تبدو وكأنما لا عهد لنا بها ، لاننا لم نصنع هذه الارتباطات من قبل بوعي منا . هذا هو ما يفسر الافكار الجديدة في الاحلام التي تظهر لاول مرة . ان هذا التفسير النيورولوجي للاشعور قد يجعل تفسير الكثير من الاضطرابات العصابية اكثر قبولا ، كذلك يفسر لنا اجزاء اخرى من اللاشعور كشبه الشعور أو ما قبل الشعور التي يكون استرجاع ما فيها اسهل من استرجاع الخبرات اللاشعورية .

ان التحليليين اذا حاولوا ان يترجموا شرحهم للعصاب في عبارات نيورولوجية ، اسبابه وتطوره عبارات تتمشى مع الحقائق المعروفة عن فسيولوجية المخ ، فان معارضة آرائهم قد تختفي ونكون بذلك في طريقنا الى علم صحيح للاشعور والتحليل النفسي » .

كذلك شهد القرن العشرون ، وخاصة في الخمسين سنته الاولى منه ، تطورات كبيرة في البحوث النفسية اتجهت وجهة تجريبية افادت كثيرا في دراسة الظاهرة النفسية دراسة علمية صحيحة ، ونعني بها تلك التطورات التي قدمت فيها مدرسة السلوكيين خدمات كبيرة للعلم ، واستفاد من دراستها مجموعة من علماء الطب النفسي في تطوير ودراسة اسباب الاضطرابات العصابية .

ولقد بدأت مدرسة السلوكية دراساتها التجريبية بعد أن درس بافلوف (١٨٤٩-١٩٣٦) ظاهرة الارتباط الشرطي (الاشراط) كما بدأ بتشريف دراسته سنة ١٨٨٦ حين درس طبيعة الاستجابات المتعلمة وارتباطاتها في اللحاء ،

---

(1) Goddard, H. H. : Problems of Personality. International Library of Psyc. London, New York. 1925. P. 155 .

تلك الدراسة التي طورها من سنة ١٩٠٦ – ١٩٠٧ ، وأجراها على الكلاب ثم الانسان بعد ذلك . وهكذا اشترك مع بافلوف في وضع اسس « علم النفس الموضوعي »[1] « Objective Psyc » التي تـوالى ظهورها بشكـل متتابع من ١٩٠٧ – ١٩١٢ .

بعد ذلك تطورت افكار المدرسة الجديدة « مدرسة المثير والاستجابة » والتي كان من اهم اهدافها الثورة ضد النظريات العقلية القديمة مثل نظريـة الملكات ونظرية السمات وقد قاد هـذه النظرية الثائرة اولا وليم جيمس ثـم ثورنديك ثم الثورة لتي قادها كل من هارتشورن وماي بتجاربهما التي اثبتت ان السمات لاوجود لها بلمفهـوم القديم ، وان استجابة الفرد لموقف ما قـد تختلف عنها في موقف آخر ، فالسلوك نوعي وليس عاما . واذا كانت مشكلة التعليم قد شغلت بال أصحاب هذه النظرية فترة طويلة مـن الوقت فـان أصحاب هذه النظرية قد قدموا لميدان الصحة النفسية خدمة جليلة حـين حاول عدد من علماء المدرسة السلوكية الجديدة تفسير الكثير من الظاهرات العصابية والحيل اللاشعورية وغيرها من مفاهيم نظرية التحليل تفسيرا يعتمد على مفاهيم نظرية عملية التعلم .

وليس من الحكمة هنا أن ندخل في تفاصيل الاصول التي نشأت عنها هذه المدرسة الجديدة في علم النفس ، ومع ذلك لابد من ان ننوه الى اسمـاء اعلام برزوا واسهموا بالقسط الاوفر في دراسة هذه المدرسة وتأسيسها ، ومن اشهرهم بافلوف وواطسن وثورنديك الذين اسسوا هذا المنهج العلمي الجديد ، ووضعوا اسس تفسير جميع المظاهر السلوكية المعقدة بالتفسير العلمي الدقيق. وقد كان لقوانين التعلم التي قدمتها هذه المدرسة اهمية استفاد منها علمـاء الصحة النفسية في دراسة وتفسير السلوك العصابي ، ونذكر منها :

عملية الاقتران الشرطي او الاشراط ، وعمليات التمييز والتعميم ، التي أوضحها بافلوف ، كما ان واطسـن كان همه الاول دفع وتطوير فكرة المنهج الموضوعي والقضاء على الذاتية والبداهة في تفسير السلوك . كذلك اصبح قانون الاثـر الذي وضعه ثورنديك حجر الزاوية في دراسة الكثير مما نتعلمه من سلوك سوي أو لاسوي .

على ان هـذا الاتجاه لم يقف عنـد هذا الحد ، بل أخذ علماء النفس الامريكيون منذ ذلك الحين يهتمون بعملية التعلم ودراستها دراسة موضوعية قائمة على الاسس السابقة الذكر ، حتى اذا تراكمت الحقائق الوصفية لديهم ، كان لا بد ان يوضع منهج شامل في تفسير السلوك الانساني بوجه عام ، والسلوك اللاسوي بوجه خاص . ولقد قام بوضع الاطار الخارجي لهذا المنهج «طولمان»

---

(1) Hilgard E. R. & Marquis, D. M. : Conditioning & Learning. Methuen and Co. L. t. d. London . 1961 .

في عام ١٩٣٢ ثم جاء « هل » في سنة ١٩٤٣ ، وملأ هذا الاطار المنهجي بنظرية شاملة لتفسير السلوك متعاونا في ذلك مع مجموعة من تلاميذه مثل « ميلار » « ودولارد » « وسيرز » « وهوفلاند » « ومورر » « وسبنس » « وهوتينج » وغيرهم .

وكان من أهم تطبيقات نظرية هل في مجال الشخصية ، هو ما قام به تلميذاه ميلر ودولارد بالاستعانة بما قام به تلاميذ آخرون من أمثال مورر وسيرز وغيرهما ، وكان لهذا أثره في خلق الاتجاه العلمي الجديد في دراسة العصاب والعلاج النفسي بعد ذلك .

ومما هو جدير بالذكر هنا ان اصحاب هذه النظرية لم يقتصروا على المبادىء الاساسية التي جاءت بها نظرية « هل » لتفسير عملية التعلم وتكوين العادة ، بل استعانوا كذلك بالحقائق التي جاءت بها نظرية التحليل النفسي ، وبالحقائق الجديدة التي اكتشفها علم الاجتماع الحضري ، فكانت هذه النظرية بذلك تجمع بين مميزات الدقة العلمية التي تتميز بها نظرية « هل » ، وبين الحيوية والثراء الذي يميز نظرية التحليل ، مع عدم اهمال كثير من حقائق علم الاجتماع الحضري الذي حدد الاطار الثقافي وأثره في تنشئة الطفل ونمو شخصيته .

وهكذا ظهرت وتطورت من المدرسة السلوكية الجديدة نظرية جديدة لتفسير السلوك والشخصية عامة ، والاضطرابات العصابية على وجه الخصوص ، وتبنى هذه النظرية أمثال مورر وشوين وغيرهم مثل ميلر ودولارد .

تطور نظرية التفسير الديناميكي للشخصية وأثرها في تفسير العصاب :[1]

أخذت هذه النظرية الكثير من مسلماتها التي بنيت عليها من مجالات علمية ثلاثة ازدهرت في النصف الاول من القرن العشرين :

آ ــ مدرسة التحليل النفسي ب ــ سيكولوجية التعليم جـ ــ ميادين الاجتماع البشري .

وقد أفادت كثيرا من الجمع بين الكثير من الحقائق المستقاة من هذه جميعا عندما ادخلت ايضا الكثير من آراء أصحاب نظرية المجال في تفسير السلوك ، وحين اكدت ان كل مايؤثر في سلوك الفرد مجال يدخل فيه خبراته السابقة ، وتنظيمات شخصيته المكتسبة .

كانت هذه النظرية ثورة على آراء السلوكيين الارثوذكس ، وآراء الفرضيين أيضا ، حين أكملت النظرية الديناميكية النقص في آراء كل منهما ،

---

(1) Mowrer, O. H. , and Clyde Kluckhorn. In J. Mc. V. Hunt : Personality and Behavior Disorders. The Ronald Press Comp. 1944. Vol. I. P.P. 29 - 128.

وحين فسرت السلوك على انه : مثير ← حركة ← أثر ، وتوسعت في مفهوم الاثر الناجم عن الاستجابة ، فلم يعد يعني الارتياح فقط بل شمل أيضا مجال سلوك الفرد وهو الاثر الـذي يلحق بالفرد نفسه ، ثم بالآخرين ، ثم بعناصر في البيئة غير البشرية .

ولقد افادت مع ذلك من جميع مبادىء التعلم التي هذبتها نظريةالسلوكية الجديدة ، وهي قوانين تكوين العادة وتعزيزها وانطفاؤها والتعميم.... الخ . كذلك قوانين التعلم الشرطي ، ثم استعملت ذلك كله في دراسة ميادين هامة لها أثرها في نمو شخصية الفرد ، وأهمها :

الطفولة والتطبيع الاجتماعي [١] ، وأثر الانماط الثقافية في طرق التطبيع ، وأثرها أيضا في خلق مشكلات التوافق اذا تعارضت دوافع الفرد وحاجاته مع الانماط الثقافية السائدة . كذلك اهتمت النظرية بما يتعلمه الطفل منذ الشهور الاولى من دوافع ثانوية يكون لها تأثير ديناميكي في سلوكه .

كذلك اهتمت هذه النظرية بطريقة واتجاه الآباء في تنشئة الاطفال [٢] في أثناء عملية التطبيع ، وأثر الظروف التي يتعرض لها الطفل في خلق العصاب ، وفي ذلك اهتمت النظرية بالثواب والعقاب باعتبارهما وسيلة الآباء في تحقيق عملية التطبيع الاجتماعي . وفي ذلك يقول مورر [٣] : « ان المحور الذي ندور حوله اهم أسباب عصاب الاطفال هو عدم مناسبة اللذة التي يحصل عليها الطفل من العادات التي يكون قد ثبت عليها ، مع ما ينتظر من متاعب أثناء أخذه بعادات جديدة لابد من تعلمها ليصل لمستوى الفرد المتطبع بالثقافة السائدة أو أهداف التنشئة الاجتماعية المرغوبة » .

واهتم الكثيرون امثال ميلر ، وشوين وغيرهم بالاتجاهات التي ينميها الاطفال نحو من يقومون بعملية تطبيعهم ، كيف تتكون ، كيف تؤثر في خلق العصاب ان كانت من نوع ما ؟ وما أثرها في اتجاهات الاطفال نحو الآخرين ؟

ولعل من أهم النواحي التي نجحت النظرية في تفسيرها في هذا الاطار العلمي مفهوم الضمير على أنه « القلق » الذي يتعلمه الفرد أثناء عملية التطبيع هذه ، والتي تقوم على نظام معين من الثواب والعقاب ، وأثر الخوف منالعقاب في امتصاص مكونات الضمير ، كذلك الخوف من فقدان الحب ... الخ .وكيف تكون هذه العوامل ديناميكية في تكوين الضمير .

ومن الدراسات التي عنيت النظرية بابرازها ، وتوضيح دورها في نمو الشخصية وخلق الاضطرابات ، دراسة موضوع العدوان وأثر عملية التطبيع

---

(1) Mowrer, O. H. : Ibid. P. 85.

(2) Mowrer, O. H. : Ibid. P. 103.

(3) Mowrer, O.H. : Ibid. P. 94

الاجتماعي في احباط هذه النزعة ، ومن هذا استطاع اصحاب هذه النظرية ان يفسروا تعلم القلق تفسيرا يختلف كثيرا عن تفسير فرويد حين اكدوا ان القلق من النزعة العدوانية وتوقع العقاب عليها ، اذا اشبعها الفرد أو عبر عنها تعبيرا يحرمه الواقع ، هو مصدر خلق حالة القلق عند الاطفال نتيجة عمليةالتطبيع الاجتماعي ، ثم استفاد اصحاب هذه النظرية من دراستهم للقلق ، كمتغير متوسط متعلم ، وفي تفسير تعلم الكثير من الحيل اللاشعورية كالكبتوالتراجع وغيرها مما فشلت نظرية التحليل في تفسيره تفسيرا علميا .

كذلك استطاع أصحاب هذه المدرسة ان يفسروا أثر النزعات الجنسية في خلق وتعلم القلق ، على اعتبار انها لا تقل عن العدوان تعرضا للناحيةالسلبية من وسيلة التطبيع الاجتماعي ، ونقصد بها العقاب .

ولقد اهتمت هذه المدرسة بدراسة طرق التطبيع الاجتماعي التي تقوم على العقاب واهتمت لذلك بالعوامل التي تثير القلق والشعور بالاثم عندالاطفال، وفسرت دورها في استدعاء هذه الاستجابة الانفعالية تفسيرا علميا على أساس الاقتران احيانا والتعزيز احيانا اخرى وهي :

١ ــ الجنس ٢ ــ التحقير ٣ ــ الاشعار بالدونية في حالة النظافة والاخراج ٤ ــ الغيرة ٥ ــ العدوان [١] .

واعتبرتها ميادين هامة لها اثرها في تحديد الاضطراب السلوكي عند الطفل حسب نوع الوسيلة التي يلجأ اليها المهتمون بعملية التنشئة الاجتماعية في تحقيق اكتساب العادات الملائمة فيها .

يمكن ان نلحظ من الخطوط العريضة لهذه النظرية أنها تمثل قمة التطور في دراسة مشكلات الشخصية والتوافق . ذلك انها لم تهمل جانبا منالجوانب التي يمكن ان يكون لها اثر في خلق اسلوب من اساليب التوافق وتعلمه ، الا واخذته في الاعتبار ، كما انها نظرية بنيت مبادئها على الكثير من الاسس العلمية التي تعتمد على التجريب والقياس .

كذلك يلاحظ أنها اهتمت بظاهرة الشخصية في سوائها وانحرافها مع الجمع بين العديد من الاتجاهات العلمية السابقة التي زاوجت بينها ، فلم تهمل واحدا منها ، ولهذا يمكن أن نقول انها بعنايتها بالناحية الديناميكية في أشكال السلوك عامة ــ ونقصد بها ناحية التوتر الانفعالي الناجم عن دفع أولية أو ثانوية ــ والقلق واحد من الاخيرة ــ قد نقلت الاهتمام من العناية بالجسم وحده في تفسير العصاب والذهان ، الى الاهتمام بالحياة الانفعالية للفرد ، نشأتها وتطورها وما يتعلمه منها ، في اطار الثقافة التي يعيش فيها الفرد وفي ضوء

---

(1) Mowrer, O. H. : Ibid. P. 121.

الطريقة التي يصطنعها المشرفون على تنشئة هذا الفرد في نقل هذه المظاهر الثقافية الى داخلية الفرد .

ولو اننا راجعنا ما أوردناه في هذا العرض التاريخي لمشكلتي الجناح والعصاب ، لوجدنا ان البحوث النفسية التي تعنى بكل منهما تسير كل منها في طريق قد يقربها من قريب أو بعيد من بعضها البعض . مع ذلك لم يعرف كثيرا ان هناك دراسة حاولت ان تفسر هاتين الظاهرتين في اطار نظري واحد . ذلك انه امر لم يشغل بال الكثيرين ممن عنوا بظاهرة الجناح او العصاب عند الاطفال ، الا بالقدر الذي تتوافر فيه ظاهرة مثل البوال بين الجانحين . واذا كانت بعض الدراسات التي عنيت بتفسير الجناح من وجهة النظر النفسية قد اهتمت ببعض العناصر التي تدخل في تنظيم شخصية الجانح ، فان أغلب هذه الدراسات لم تعين بالدراسة المقارنة بين تنظيم شخصية كل من الجانح والعصابي . ويبدو ان الراي القديم الذي كان ينادي بفكرة الجنون الاخلاقي أو البله الاخلاقي الموروث قد اثرت هذه كلها في الفكر النفسي بدرجة كفت الكثيرين من المشتغلين بمشكلة الجناح أو العصاب كل على انفراد عن اقامة دراسة مقارنة من هذا القبيل .

حقيقة ان بعض الدراسات التي عنيت أساسا بظاهرة العصاب قد نوهت بعض الشيء لاسلوب الجناح ، كما ظهر ذلك من دراسات ماير « Maier » وتجارب الاحباط التي ذكر انها أجريت على الفئران حين درست الاساليب العصابية والجناحية في الاستجابة للمواقف الاحباطية ، وكما ذكر مورر في دراسته للفروق المميزة بين العصابي والجانحي ، الا ان الدرأسة المقارنة على نطاق واسع للجانح والعصابي في تنظيم الشخصية ، لم تحظ باهتمام كبير ، ولم تقم هناك دراسة تجريبية لتحقيق مدى الفروق بين التنظيم في شخصية كل منهما .

كذلك لم تتوفر في هذه الدراسات مايلمس فيه القارىء الاهتمام بمفهوم الدراسة الذي يعنى بابراز اثر المطالب الثقافية في خلق أو تعلم عناصر تنظيم معين أو متغيرات في شخصية الفرد ، قد تكون مسؤولة عن الجناح في طبقة من طبقات المجتمع ، والعصاب في طبقة اخرى .

لكل هذا يبدو واضحا أن الغرض من هذا المؤلف وهو الوصول الى اطار نظري شامل يفسر كلا من ظاهرتي الجناح والعصاب ، لايتحقق الا اذا استعرض الباحث آراء أهم النظريات في كل من العصاب والجناح ، حتى تخرج من ذلك كله بالاطار النظري العام الذي نرى انه يحقق الوصول الى نظرية شاملة لتفسير العصاب والجناح وحتى يمكن أن نبرز الكثير من المتغيرات التي أكدت وتؤكد النظريات الحديثة في علم النفس ، انها تدخل في تنظيم الشخصية ، ويمكن ان تكون مسؤولة عن بعض الاساليب اللاسوية في التوافق ، كالعصاب أحيانا ، أو الجناح أحيانا اخرى .

لذلك يرى الكاتب أن يعرض في هذا المؤلف اتجاه الفكر النفسي في تفسير ديناميات الجناح والعصاب على مستويين :

أولا : مستوى التفكير النظري وافتراض ديناميات معينة ، وذلك في ضوء معطيات ومفاهيم نظريات معينة في تفسير السلوك البشري السوي واللاسوي.

هذه النظريات كانت غالبا تعتمد على الملاحظة دون الاخذ بأساليب البحث العلمي الحديث ، وتخرج من المشاهدة والقياس وغيرها من اساليب التأمل الفلسفي والتفكير المنطقي باطار من الفروض تفسر في ضوئه اساليب السلوك الانساني السوي واللاسوي .

وسوف يشمل هذا فصول الباب الثاني من هذا الكتاب والذي سيكون مركزا حول موضوع « تفسير السلوك الانساني المضطرب في ضوء نظريات حديثة » .

والكاتب هنا حين يشير الى نظريات حديثة ، انما يعني تلك النظريات التي شغلت الفكر النفسي عامة خلال القرن العشرين عامة ، خصوصا بعد الربع الاول منه .

وفي هذا الباب يستعرض الكاتب آراء المدارس الهامة المختلفة في تفسير كل من العصاب والجناح .

ثانيا : مستوى التفكير العلمي أو العملي ، وهو المستوى الذي يهتم بتفسير السلوك في سوائه ، أو لا سوائه ، وديناميات السلوك الانساني المضطرب في ضوء معطيات علمية من نوع ما ، توصل اليها البحث باستعمال القياس أو التجريب أو غيرها من أساليب البحث العلمي الحديث ، وسوف يكون ذلك كله موضوع الباب الثالث وما بعده ، والتي تعني فصولها المختلفة بالبحوث العلمية الحديثة والتي تقوم على جمع الحقائق واستخراج القوانين التي تحول الفروض النظرية الى قوانين محققة لتكرار صحتها في أكثر من بحث علمي .



الباب الثاني

عرض عام للآراء النظرية في تفسير ديناميات اضطراب السلوك الانساني

ـ مدرسة التحليل النفسي ، وتفسير اضطراب السلوك الانساني

- تفسير العصاب
- تفسير الجنــاح

الهروب ـ السرقة ـ الخلق وسطوة الاندفاع الغريزي

الجريمة والتقمص الخاطىء ـ تطور الأنا الاعلى وآثر اضطراب

تكوين الأنا في حالات الجناح

- أيكهورن وتفسير الجناح

مبدأ الواقع عند أيكهورن والتطبيع الاجتماعي

الأنا وتفسير الجناح

تكوين الأنا الاعلى عند الجانحين

ـ آراء التحليليين غير الفرويديين في تفسير الجناح والعصاب

- كارن هورني ورأيها في تفسير الجناح والعصاب

القلق والعصاب في نظر هورني ـ الجناح في رأي كارن هورني

نقد وتعليق على آراء هورني

- تفسير أولر للعصاب والجناح

رأيه في اللبيدو ــ تفسير ديناميات العصاب ــ التعويض في سلوك العصابي

تفسير ديناميات الجناح ــ الانحراف الثقافي ــ مناطق الجناح ــ النزعة الفردية لدى الجانح ــ

ــ النظرية الغرضية وتفسير السلوك العصابي والجناحي

- سيرل بيرت والنظرية الغرضية في تفسير الجناح والعصاب

- الانفعالية العامة والجناح عند سيرل بيرت ــ الصراع والعقد وآثرها في الجناح في رأي سيرل بيرت(عقدة الأم ــ عقدة السلطة ــ الصراعات الاخلاقية ــ عقدة النقص) وجهة نظر

عرض للآراء النظرية في تفسير ديناميات اضطراب السلوك الانساني

مقدمـــة :

اذا كان الكاتب قد استعرض في الباب الاول من هذا المؤلف ، المراحـل المختلفة لتطور الفكر النفسي ، فانه كان يهدف بما جاء في هذا الجزء الى عرض التطور التاريخي دون التدخل في تفاصيل كل مرحلة من مراحل تطور الفكر النفسي في هذا المقام .

ويرى الكاتب ان من المفيد للقارىء هنا ان يستعرض الآراء النظرية العامة، التي سبقت المرحلـة العمليـة ، لدراسة ديناميات الاضطراب في السلـوك الانساني ، يعرضها لكي يبرز الخطوط الرئيسية لكل نظرية منهـا في تفسير هــذا السلوك .

ولو استعرضنا آراء المدارس المختلفة ، لوجدنا أن بعضها كان يهتم بابراز ديناميات اضطراب السلوك الانساني معتمدا على اسلوب التفكير الفلسفي ، ومنطق الاستشهاد والمقارنة والخبرات الشخصية الصرفة تقريبا دون الاهتمام كثيرا بالمنهج التجريبي مثلا ، ويأتي على راس هذه المجموعة من المدارس مدرسة التحليل النفسي التي اهتمت بدراسة الاضطراب في السلوك الانساني علـى اساس كشوف اكلينيكية او ملاحظات شخصية دون أن تخضعها للتجريب أو لمزيد من الدراسة تسمح بالتعميم دون وقوع الفرد في أخطاء ما .

وهناك مدارس اخرى عنيت بالقياس واستعملت مناهج البحث الاحصائي كالتحليل العاملي وغيره ، ومن أهم هؤلاء اصحاب مدارس السمات واصحـاب مدرسـة التحليل العاملي وغيرهم من ركزوا دراساتهم على القياس والمعالجـة الاحصائيـة .

ويبدو أن منطق التطور في أبحاث الجناح والعصاب تفرض على الباحث أن يسير في عرض هذه النظريات حسب ترتيب أهميتها ، واهتمامها بمشكلة

العصاب والجنــاح ، كما يظهر ذلك من تتابع تاريخ ظهور المــدارس التــي نؤمــن بهــا .

والمعروف أن اصحاب مدرسة التحليل هم أول من وجه الافكار الــى أهمية العوامل النفسية في خلق الاضطرابات السلوكية ثم تبع ذلك مجموعــة من علماء التحليل العاملي عنوا بدراسة وتحديد أهم التجمعات من السمــات المرتبطة بكل من الجناح والعصاب ، وكان أحدث من فكز في دراسة اسبــاب الجنــاح والعصاب هم أصحاب المدرسة المعاصرة « السلوكية الجديدة » أو أصحاب النظرية الديناميكية للشخصية [1] .

---

(1) Mowrer, O. H. : Ibid.

الفَصْلُ الثّالِثْ

مدرسة التحليل النفسي
وتفسير اضطراب السلوك الانساني

مقدمـــة :

لاتعتبر مدرسة التحليل النفسي متمثلة فقط فيما جاء به فرويد مـن آراء لتفسير ظواهر الاضطراب السلوكي ، بل ان آراءه ، وقد تعرضت لكثير من النقد العلمي ، قد نالها الكثير من التعديل والتغيير ، على يده هو نفســه في بعض الحالات ، وعلى يد عدد من تلاميذه الذين انفصلوا عنه وكونوا لانفسهم مـدارسهم الخاصة في أغلب الحـالات ومنهم كارن هورني ، وفروم ، وأدلر ، ويونج وغـيرهم .

واذا كان للباحث ان يلم بالتطور الذي طرأ على الكثير من مفاهيم اصحاب هـذه المدرسة وتفسيرهم لمنشأة وتطور العوامل الدينامية للاضطراب السلوكي ، فانه يرى أن يعرض آراء طرفين من أطراف الفكر النفسي في هذه المـدرسة (مدرسةالتحليل النفسي) ونعني بذلك آراء فرويد فيتفسير العصاب والجناح، ثم مايمكن ان يستشف من تعديل في هذه الآراء فيما جاء في كتاباب كارنهورني أو غيره من تلاميذ فرويد .

نظرية فرويـد وتفسير كل من الجناح والعصاب

تفسير العصـــاب :

أما فرويد فان نظريته في تفسير العصاب خاصة تقوم على أساسمجموعة من المفاهيم التي تمسك بها ، واعتبرها مسؤولة عن الاضطرابات العصابية .

وفي هذا يؤكد دور الغريزة الجنسية وطاقتها في خلق الاضطرابات العصابية عامة ، وانها هي التي تتوقف عليها الصراعات التي تتولد من الرغبة في اشباعها والتعبير عنها خبرات مؤلمة تسبب حالة القلق وتؤدي الى اشكال العصاب .

ويمكن أن نعرض في عجالة سريعة أهم المفاهيم المرتبطة بالعصاب في رأي فرويد او انصار فرويد واهمها :

الصراع ـ القلق ـ الحيل الاندفاعية اللاشعورية ـ العقد خاصة عقدة أوديب وعقدة الخصاء .

اما عن الصراع في رأي مدرسة التحليل النفسي [1] القديم فانه فيحالات العصاب يؤدي الى تعطيل الافصاح الضروري عن نزعات معينة ذات طبيعة فسيولوجية جنسية ، ولهذا يخلق حالة من التوتر النفسي تسبق عاملا معجلا يظهر في حياة الفرد في شكل أزمة او صدمة « Trauma » ، كان يمكن ان تمر بسلام لولا هـذا الاستعداد النفسي الناجم عن الصراع . ويرى فرويـد أن الصراع العصابي بين نزعة تريد الظهور والتعبير عن نفسها ، وميل آخر لمنع هـذا الخروج لايتوقف فقط على قوة المثير الدافع بل يتأثر كذلك بالتكوين الكيماوي الفسيولوجيللكائن نفسه . والنزعات أو الدوافع (الفريزية الجنسية) تتعرض لنوع من الفرز او التصنيف ، يكون من وظيفة الأنا التي تسمـح أو لاتسمح بظهور هذه النزعات . ولهذا يبدو الصراع العصابي أولا صراعا بين الأنا والهو . بمعنى ان الأنا تقوم بعملية غربلة للنزعات الغريزية التي تتزاحم للتعبير عـن نفسهـا .

ان مكونات الهو الغريزية تسعى دائما للتعبير عن نفسها ، وفي نفس الوقت تكون الانا على حـذر كبير امام هذه النزعات لانها تخشى ان تطغى عليها أو تقهرها ، وهي تقف هذا الموقف حتى تـدافع عن الشخصية ، وتعمل علـى تلاؤمها مع الاوضـاع الاجتماعية المتعارف عليها باسم (الواقع) . وهكذا ينشأ من تعارض كـل منهما صراع داخلي بيّن في داخل النفس اللاشعورية بـين القوتين الدافعة ، والكافة ، ولهذا يعيش الفرد في قلق دائم .

وهناك نوع آخر من الصراع الذي يصوره فرويد في حالات العصـاب ويكون مسؤولا عن كثير من القلق العصابي ، وهو صراع بين الأنا والأنا الاعلى ، وهو صراع يظهر فيه الأنا الاعلى في صورة سلطـة اصدار الاوامر والنواهي بصورة قد تصل لدرجة مرضية تخلق نوعا من قلق الضمير لايطاق . وفيحالات العصاب يكون الصراع لهذا بين الأنا من ناحية والأنا الاعلى والهو من ناحيـة اخرى . وعندما يزيد القلق ويظهر اثره في حالات أعراض العصاب القهري ، وحالات الانهباط ، نجد الأنا تدافع عن نفسها ضد مشاعر الاثم والقلق بالحيل

---

(1) Fenichel, O. : The Psychoanalytic Theory of Neuroses. Routledge and Kegan Paul. L. T. D. 1955. P. 129 .

الدفاعية [1] . هنا نجد الأنا تنقسم قسمين : قسم يوجه طاقته ضد النزعات الفريزية ، وقسم آخر يتجه ضد مطالب الأنا الاعلى ، وبذلك يكون الأنا الاعلى متمثلا دائما في مواقف الصراع العصابي . بهذه الصورة يصور فرويد الصراع وعدم الاستقرار في عناصر النفس ومكونات الشخصية في نظر مدرسة التحليل، وينشأ عن ذلك نوع من القلق الذي يعتبر العصاب وسيلة دفاعية ضده . أو هكذا يصور فرويد ما يعرف باختلال التوازن النفسي لعدم وجود انسجام كاف بين القوى المكونة للنفس في رأي فرويد .

وللعالم الخارجي في نظر فرويد دور كبير في خلق الصراعات حين يطالب الفرد بكبت نزعاته ، وحين تدرك الذات ذلك ونقوم بعملية الكبت للنزعات التي لا يقرها العالم الخارجي الواقعي ، ولكن هذا الدور قد يضعف أثره ، فلا تدرك الذات مطالب العالم الخارجي ، وتسمح للنزعات الفريزية بالظهور في صور متخفية ومع ذلك لايقرها هذا العالم الواقعي .

ويهتم فرويد في دراسة أسباب العصاب بمرحلة الطفولة حيث تظهر هذه المواقف الصراعية بصورة تظل آثارها تحدد شخصية الفرد حتى الكبر .

ولو أردنا أن نتتبع تفسير فرويد للعصاب نجده يؤكد أن الفرد يرىنفسه مدفوعا بحاجة لاشباع نزعة غريزية تعود أشباعها ، ولكنه أثناء نموه يرى فجأة ان اشباعها قد يسبب له ضررا او خطرا ، وهنا يبدأ الصراع : هل يستسلم لإشباع نوازع الاد ، أم يؤجل هذا الاشباع ويهتم بالواقع ؟ ويسير فرويد في تفسيره لتطور العصاب فيرى أن حل هذه الصراعات بطريقة مرضية ، يتضمن كبت النزعات الفريزية التي يضحي بها الفرد ولا يضحي بالواقع . وهنا تصبح النزعات الفريزية المكبوتة عاملا يسبب الاعراض .

ويصور فرويد العصاب بعد هذا الصراع بأنه تثبيت في مرحلة من مراحل النمو ، كان يجب ان يتخلص فيها الفرد من عاداتها ، هذا التوقف في النمو ، أو ما يسمى التثبيت يرجع للالتصاق اللبيدي بفرد آخر كما في حالة عقدة أوديب ، أو بالذات نفسها في حالة النرجسية . ويؤكد فرويد انالتثبيت يستمر فترة اطول كلما كانت الازمة التي يتعرض لها الفرد عنيفة . وعندما حاول تفسير حالات التخلص من التثبيت او النكوص عند بعض الافراد ، رغمقسوتها او شدة الازمة التي يتعرض لها ، ارجع ذلك لعوامل دينامية لاشعورية لاندركها، ولكنها تعد الفرد لسرعة التأثر بالازمات التي يتعرض لها [2] .

وهكذا يكون الشخص العصابي في نظر فرويد شخصا يعاني صراعا داخليا ، أمكن حله جزئيا بكبت احد طرفيه ، وهو لذلك ونتيجة لما يعانيه من

---

(1) Fenichel, O. : Ibid. P. 132

(2) Mowrer, O. H. Ibid. P. P. 487 - 488.

قلق بسبب استمرار اصرار هذه النزعات على ان تفصح عن نفسها ، يحاول أن يخرجها في صورة اعراض ، أو رموز ، أو يحولها الى الغير ، وهي عملية اخـــراج وتظهـــير « Externalization » تظهر أحيانا في شكل صراع آخر بين الفرد والمعالج في حالة العلاج مثلا ، عندما ينقل اليه نزعاته المكبوتة مـن جنس او عدوان او غيره .

والصراع الذي يبدا داخليا ثم يتحول الى صراع خارجي ، يبدأ من ايام الطفولة من اسلوب العلاقة بين الفرد وبين المسؤولين عن تربيته ، ثم يجتر الفرد هذا الصراع او يمتصه ويحوله للداخل حتى تحين فرصة للعلاج فيحوله للخارج، أو يظهر عليه في صورة اعراض عصابية .

وعندما يحاول فرويد أن يحدد نوع النزعات الحبيسة المكبوتة ، يؤكد انه في كل حالات التحليل النفسي لمظاهر عصابية يجد انها نزعات جنسية ، ولا تكون الاعراض الا وسائل لاشباعها بطريقة مقبولة ، حيث لايجد الفرد طريقا لاشباعها بطريقة واقعية معتادة ، لانه ان فعل تعرض للصراع مع الواقع [(١)] .

وفي ضوء التصوير الطبوغرافي للشخصية ، كما رسمه يرى فرويد باختصار ، ان الفرد يصاب بالعصاب اذا خبر القلق العصابي ، وهو القلق الذي يعانيه الفرد كلما حاولت الهو التي كانت مكبوتة ان تهدد بالانفجار والخروج الى مستوى الشعور .

وهنا تبدا عملية الكبت الذي تمسك بها فرويد في كل دراساته ، والتي يرى انها تكون وظيفة الأنا في المراحل الاولى من حياة الفرد ، ثم تصبح بعد سن الطفولة من وظائف الأنا الاعلى ، التي يقوم بتحقيقها اما بمفرده ، أو تعاونه الأنا في ذلك . وهكذا تزيد حالة العصاب شدة ويصبح الأنا الاعلى مسؤولا ــ في حالة شحنه بشحنة متزمتة شديدة وقسوته وعنفه ــ مسؤولا عن استمرار وعمق حالة الاضطراب العصابي .

ويعالج فرويد تكوين الأنا الاعلى بطريقة خاصة ، وبعد ذلك يفسر العصاب بأنه يرجع لعامل هام في عملية الكبت ، وهو ان النزعات ، وحتى الانطباعات المكبوتة لاتموت مهما بقيت ، بل تظل حية قائمة في منطقة اخرى من الطبوغرافية النفسية تحاول جاهدة ان تبرز الى الوجود ، ومع ذلك لم تنجح نظرية فرويد كثيرا في شرح العوامل الاجتماعية التي تجعل الأنا الاعلى مشحونا ، أو التي تجعله في حالة شحنته الزائدة بحيث يسبب الاضطرابات العصابية ، عندما يسهم في كبت هذه النزعات . كذلك لم تنجح في ابراز وتوضيح الطريقة التي يتم بها اكتساب العادات اللاتوافقية العصابية ، ولا اثر الظروف الاجتماعية الثقافية الطبيعية في اكتساب عادة دون اخرى ، او دور الاوضاع الثقافية في اختيار العرض [(٢)] .

---

(1) Mowrer, O. H. : Ibid. P. 498.

(2) Mowrer, O. H. Ibid. P. 501.

ويصف فرويد بعد ذلك القلق الناجم عن عدم الاشباع الفريزي للطفل ، ومحاولة النزعات المكبوتة أن تظهر ، وما يتوقعه الفرد من ضرر ، أو حالة أزمة ، او خوف من ان تغمر الذات بالاستثارة ، واثر ذلك في اكتساب الفردالاستجابات الانفعالية العصابية الآلية، لكل احتمال لظهور هذه النزعات الى حيز الشعور . هذا القلق او الخوف من فقدان الحب او الخوف الناقص من الخصاء ، يؤدي الى تعطيل الذات عن الاتجاه العادي الذي يجب ان تتخذه لمواجهة هذا الخطر المتوقع ، ويخلق نوعا من عدم القدرة على الافصاح عن هذه النزعات [1] .

ويتطور القلق المرضي الذي يكمن وراء أشكال العصاب من مستويات سابقة ويسير في مراحل كالآتي :

آ ـ أزمة أو صدمة « Trauma » ، فيها يتعرض الفرد لآلام الجوع أو العدم أو الحرمان المادي .

ب ـ الخطر المحدق « Danger » وفيه يتعرض الفرد للاحساس بانه مهدم محطم ، ومحروم ، ويكون نتيجة توقع ذلك حالة من الانفعال تخدمالذات ويستعمله الفرد كاشارة للقلق .

جـ ـ الرعب « Panic » وفي هذا المستوى تفشل الذات في التحكم ويصبح الانفعال طاغيا وينكص الفرد لمشاعر تشبه مشاعره في الحالة (آ) آلام وجوع وحرمان مادي ، وتظهر عليه ثورات واعراض القلق المختلفة .

وهذا القلق المرضي يبدأ بقلق من فقدان الحب ، او القلق الناجم من فقدان الاشباع النرجسي ، ثم يتحول الى قلق من فقدان سند الأنا الاعلى ، ثم يتحول الخوف الى شعور بالاثم ، ويصبح الشعور بالاثم عاملا ديناميكيا في حالات العصاب يوازي القلق تماما ، أو هو القلق بعينه .

والخلاصة انه في حالات الصراع العصابي (بين الذات والهو) نجد نزعة غريزية تبحث عن التعبير عن نفسها ، وتقع في صراع ضد قلق معاكس معارض لها ، يرجع الى شعور بالاثم او تقزز او خجل . والدافع يظل يسعى للخارج ، بينما العوامل المضادة تسعى وتدفع الفرد للبعد عن العالم ، وعن موضوع اشباع هذه النزعة . ويرى فرويد ان من العوامل الداخلية التي تجعل الفرد الطفل يحد ويكف من نزعاته الفريزية (العدوان والجنس) ، شعوره بالعجز الذي يجعله يشعر بالعداء لهذه النزعات . عداء الذات للاد . ولكن هذا الشعور يمكن أن يمر بسلام ، ولكنه اذا بدى ملحا مصرا ثابتا فهذا يرجع الى خبرات معينة اقنعت الطفل بأن هناك خطرا ما في نزعاته الفريزية ، وهذا واضح جدا في كل حالات العصاب التي نجمت عن كبت العقد الاوديبية حيث تكون الخبرة هي المسؤول عن القلق ومشاعر الاثم التي تكون هي القوى الدافعة

---

(1) Fenichel, O. Ibid. P.P. 132 - 133 .

لكبتها . وهكذا يتحول الصراع دائما وباستمرار من صراع بين هذه النزعات وبين الذات ، الى صراع بين هذه النزعات المكبوتة وبين هذه التكوينات الجديدة كالقلق والشعور بالاثم [1] .

وفي ضوء هذا القلق الناجم عن الصراع بين الرغبات وبين الأنا في اول الامر يقسم اصحاب المدرسة التحليلية الاعراض الإكلينيكية المباشرة للصراع العصابي الى نوعين :

آ ـ تعبير مباشر عن حيلة دفاعية ضد هذا القلق بنشاط معين قد يأخذ احد الصور الآتية :

ـ قلق وشعور بالاثم يظهر في شكل خوف غامض من شيء مجهول أو توقع خطر .

ـ اسقاط المخاوف والقلق على موضوع ما لا يكون مثيرا معقولا للخوف .

ـ الكبت بشكل يؤدي الى اختلال افكار المريض ومشاعره .

ب ـ اعراض تدل على فقدان كفاية الذات وايجابيتها في حالات الانغماس بالمشاعر المؤلمة للقلق ، وتسمى الاعراض العصابية الحقيقية « Actual neurotic Symptoms » وتشبه أعراض عصاب الصدمات وهذه بدورها تشمل :

ـ الاعراض السلبية وتتمثل في صورة من الكف العام وتحاشي أي نشاط او وظيفة سابقة من وظائف الذات ، لان الطاقة هنا تكون مشغولة في الصراع والدفاع ضده .

ـ الاعراض الايجابية ، كالمشاعر المؤلمة من التوتر ، والمخارج المعروفة في حالات الصدمات والازمات كمحاولات للتخلص من التوتر ، ومنها الثورات الانفعالية والغضب وما ينجم عنها من عدم الاستقرار واضطراب حالة النوم بسبب عدم امكان الاسترخاء . وأعراض اضطراب الاحشاء وغيرها ، او اضطراب الوظائف المختلفة بعضها أو كلها .

ونظرا لان اهم اعراض العصاب هي التحاشي أو الكف العام عن أي نشاط او وظيفة سبق ان كانت معروفة عن الذات ، فان الكاتب يرى من المفيد أن يستعرض كيف تفسر مدرسة التحليل هذه الاعراض ، خاصة أن الاعراض السابقة كلها تظهر في حالات السلبية والتحاشي متداخلة بصورة او اخرى [2] .

---

(1) Fenichel, O. : Ibid. P.140

(2) Fenichel, O. : Ibid. P. P. 168 - 178

التحاشي والكف العصابي وديناميات الاضطراب [1] :

ان كل مايتحاشاه العصابي له مغزى لاشعوري (جنس أو عدوان) ، وهو الذي توجه ضده الحيلة الدفاعية . ثم ان مايتحاشاه الفرد ليس الخبرة المكبوتة ذاتها ، بل انه يتحاشى كل مايشير الى الاغراء او استثارة الدافع المستبعد ، او ما يرتبط بعقاب متوقع او اليهما معا .

وكف العدوان واحد من مظاهر التحاشي . فالعدوان نزعة غريزية وهو استجابة لاحباط النزعات الفريزية ، والعصابي يمتاز بكف العدوان دائما ، الامر الذي يرجع الى انواع القلق ومشاعر الاثم التي يعاني منها ، وبعد الكف عنه ، يكبت العدوان كلما ثار نتيجة احباط الجنس او الارتباط بين العدوان والجنس في حالات السادية او الماروخية .

ويظهر الكف عن العدوان في حياة العصابي في مواقف عديدة ، وقد يعبر عنه بحيل مختلفة :

- بالاستجابة العكسية [2] ، كاظهار الادب والطاعة واللين والطيبة الشديدة والشفقة المبالغ فيها ، نحو موضوع يرغب الفرد في العدوان عليه .
- تحاشي المنافسة أو شبه المنافسة في كل موقف ، والاستجابة بالانهيار اذا فشلت خطة ترسمها الذات .
- تحاشي الخبرات الجنسية لارتباطها وتداخلها مع الفضب أو العدوان ، وهذا ما يظهر في حالات العنه « Impotence » أ والبرود الجنسي « Frigidity » .
- الكف عن مهنة ما لانها تحتاج لمنافسة او عدوان كالهرب من القتال أو المغامرات التجارية او وظيفة المحاماة .
- السلبية الواضحة والبعد عن كل نشاط اجتماعي يتسم بما يشبه العمل الاجرامي أو القتل كالصيد مثلا .

ومحتوى المخاوف اللاشعورية ، قد يؤدي الى مظاهر كف معينة ، فالفرد الذي يتسلط عليه الخوف من فقدان الحب ، يجد نفسه مضطرا لان يتحاشى اي نشاط يعمق خطرا لايحبه الفير ، وبذلك ينمي في نفسه انواعا معينة من الكف الاجتماعي يتمشى مع ارتباطه الاجتماعي بموضوع حبه «موضوع الاشباع اللبيدي » . فالخائف من الاستثارة الجنسية يستبعد أو يتوقف عن أي نشاط يزيد هذه الاستثارة ، ويبدو سلبيا بصورة واضحة ، ويعمم هذه السلبية على كل نشاط حتى الجنسي منه ، وقلق الخصاء يؤدي الى الكف عن الانشطة

---

(1) Fenichel, O. : Ibid. P. P. 169 - 178 .

(2) Reaction formation (وتترجم احيانا تكوين رد الفعل)

التي تثير هذا القلق كالذهاب الى « صالون الحلاقة » مثلا حيث يستثار الخوف بوجود الاسلحة المعروفة .

وفي كثير من الحالات العصابية يبدو النوعان من الاعراض واضحا ، الا أن الكف والسلبية تكون غالبا الصفة الغالبة . فمثلا نجد للنيوروساثنيا أعراضا ايجابية محدودة ، ولكن اغلب اعراضها تمثل نوعا من الكف عن وظيفة الذات ، كانعدام النوم ،والابتعاد عن كل جهد ، او تحاشي كل مواقف المنافسة، والتمسك بالسلبية والعزلة ... الخ .

ويفسر أصحاب المدرسة الفرويدية الكثير من المخاوف المرضية في ضوء هذه الفكرة عن الكف والسلبية ويرجعون هذه الاعراض أخيرا للنزعة الجنسية الليبدية ، وما تثيره من قلق :[١]

- فالخوف من الاماكن المفتوحة التي تثير اغراء الجنس هي مما يوقظ القلق، اذ تؤدي بذلك لكف المريض عن أي نشاط في أماكن مفتوحة ، مما يعتبر نوعا من التحاشي او الكف .
- والوحدة تثير اغراء الاستمناء الذاتي ، ويكون الخوف من الوحدة نتيجة لذلك عاملا من عوامل كف الفرد عن البقاء وحده ، أو الخوف من الاماكن المغلقة .

وهكذا تصبح مخاوف القلق الهستيري [٢] « المخاوف القسرية » فيها ابدال المخاوف الجنسية ، أو المخاوف من العقاب :

- فالكف عن الخروج للشارع يرتبط بخوف معين من احتمال وتوقع أن يمسكنا فرد ما ويكتشف أمرنا .
- والكف عن الوحدة قد يرتبط أيضا بالاثم « البعبع ياكلنا واحنا لوحدنا علشان عملنا ذنب » ويلعب الخصاء وعقدته في هذا المقام دورا كبيرا :
- فالخوف من الاماكن العالية والابتعاد عنها يرتبط بعقدة الخصاء .
- والخوف من ان تدوسه سيارة مخاوف بسبب نزعات انثوية ورمزية للخصاء .
- والخوف من الجنون خوف من الخصاء (رأس : قضيب جنون : قطع الرأس ∴ جنون = خصاء) أو هكذا يفترض أصحاب هذه المدرسة صورة المعادلة اللاشعورية [٣] .

---

(1) Fenichel, O. : Ibid. P. P. 179 - 196.

(2) ترجمة لعبارة « Anxiety hysteria » ويفضل الكاتب ترجمتها هكذا .

(3) Fenichel, O. : Ibid. P. 197.

والقلق هو العامل الديناميكي الذي يكمن وراء عملية النقل كحيلة لاشعورية تهدف الى جعل الافكار الاصلية الآثمة تظل لاشعورية ، وتبعد عن الوصول لمنطقة الشعور ، ويظهر ذلك كثيرا في حالات المخاوف المرضية التي يميزها كف العصابي عن سلوك او نشاط معين .

- فالخوف من الحصان تعبير عن الخوف من الاب ، ذلك ان الحصان يخيف ولذلك كثيرا ما يكرهه الطفل مثلا ، وينفس بذلك عن كراهيته لابيه كراهية صراعية بتحويلها للحصان ، ذلك ان كراهية الاب تعرضه لنوع من التذبذب بين الحب والكراهية ، وفي ذلك صراع يتخلص منه الفرد بتحويل الكراهية للحصان والابقاء على الحب للأب ، وربما كان في ذلك تفسير لبعض المخاوف من الحيوانات . وفي النهاية يربط اصحاب هذه المدرسة بين كراهية الاب والنزعات الاوديبية المرتبطة بالصراعات الجنسية [1] .

واذا كان الاسقاط حيلة تدل على القلق الهستيري ، فانه يتميز بالنقل الواضح ، والقلق هو العامل الديناميكي وراء الاسقاط ، فنحن نسقط القلق على اشياء أو موضوعات يمكن أن نتحاشاها ، ونكون بذلك قد ابعدنا عن انفسنا القلق بصورة رمزية . وهو اخيرا يرجع الى نزعات جنسية مكبوتة او رغبات لم تشبع في مراحل تطور الطاقة اللبيدية .

- فالفرد حين يخاف من الدجاج يسقط عليها القلق الذي تثيره عندما تذكره بنزعاته الصراعية الانثوية أو قلق الخصاء في المرحلة الاوديبية .
- والقلق والخوف من أن شيئا « حيا كلني » يرتبط بالقلق المتصل برغبات فمية مكبوتة .
- والخوف الوسواسي من الموت يرتبط بقلق من الموت مكبوت .
- والخوف من الجراثيم أو لمس الآخرين حيلة دفاعية اسقاطية للقلق من اغراء نزعة الاشباع الجنسي عن طريق الاست ، وذلك نتيجةاستثارته.
- والخوف من الاماكن المفتوحة او الشوارع حيلة دفاعية لاسقاط القلق من النزعة للاستعراء ، أو الاشباع الجنسي الرمزي بالنظر للعراة أو ملابس النساء « Scopophilia » او « Scoptophilia » .

تفسير الجناح :

سارت نظرية التحليل في تفسير الجناح على نفس الاسس التي وضعتها لتفسير العصاب ، واستندت الى نفس المفاهيم السابق التنويه الى بعضها .

(1) Fenichel, Ibid. ; PP. 198 - 199.

وكانت الفريزة الجنسية ايضا تمثل في تفسير الجناح نفس الدور الذي تمثله في تفسير العصاب .

واذا كان بعض العلماء امثال لوسون ودوري « Lawson & Dowry » يجدون شبها كبيرا بين العصابي والجانح في ان كل منهما لا سوى يتصرف نتيجة دوافع لاشعورية ، فاننا نريد هنا ان نتبين كيف ان نظرية التحليل تفسر ما ثبت من الادلة العلميـة في البحوث المختلفة من ان الاضطراب في تنظيم الشخصية مسؤول عن الجناح وظهوره الى حد كبير ، والحقيقة أنه يغلب ان هناك صراعات معينة ومشاعر نقص وحيل عقلية لاشعورية تظهر في شخصية الجانح اكثر منها في اي شخص آخر (١) .

ولقد دلت الآراء والدراسات النفسية العديدة على ان ظاهرة العصاب واعراضه بين الجانحين اندر منها في غير الجانحين ، مما يمكن ان نقرر معه ان الجناح اسلوب من التوافق يستطيع الجانح به ان يتغلب على صراعات عصابيـة بطريقـة مختلفة ، فقد ثبت من الدراسات التحليلية ان من أهم الصراعات التي يعانيها الجانح :

١ ــ الصراعات الناجمة عن حـاجة لاشعورية لعقاب الذات ، وخوف مـن عقـاب الذات .

٢ ــ الحاجات اللاشعورية لنقل العدوان وما يترتب على ذلك من صراعات ، خاصة نقل العدوان من الاب .

٣ ــ ما يترتب على ذلك من افعال قهرية ترجع لدوافع لاشعورية وترتبط بالحاجـات السابقة .

ويلاحظ ان العدوان المكبوت يمثل في تنظيم شخصية الجانح قوة دينامية تدفعه لسلوك الجانح المعروف . هـذه النزعات العدوانية المكبوتة ، تؤدي الى استثارة مشاعر اثم ، والصراع بين الرغبات العدوانية هنا وبين الحاجةالنفسية الاجتماعية لاستمرار تبعية الفرد للجماعة ، هي التي تولد حالة من القلق تفتح أمام الجانح احد طريقين ، أما ان يفصح عنها ويتجه للعدوان الصريح ، وبذلك يتخلص من الطاقة الانفعالية الناجمة عن التوتر « Tension » أو يكبتهـا وهذا يؤدي لاستمرار القلق كلما راودته النزعة العدوانية ويخلق العصاب .

والباحث يرى ان يعرض هنا كيف تفسر نظرية التحليل النفسي حالات وانماط من الجناح ليمكن ان نستخلص الاتجاه العام لعلماء هـذه المدرسـة في تفسير هذه الظاهرة .

---

(1) Hunt. Mc. V. Ed. : Personality and Behavior Disorders . The Ronald Press Company. Vol. II P. P. 797 - 809 .

الهروب : وهو يعني في نظر اصحاب نظرية التحليل هروبا من خطر متوقع او من اغراء غريزي لبيدي ، كالاغراء على العدوان على الغير في بعض الحالات ، وفي حالات اخرى هرب في اتجاه الوصول الى هدف يحقق الامان ويشبع حاجة غريزية من نوع ما (١) .

والخطر في الحالة الاولى يتمثل في حالة انهباط او شعور باثم وتوقع اذى، وهي العوامل التي يحاول الهارب ان يتركها وراء ظهره ، ويكون الهرب حيلة دفاعية هروبية ضد هذا القلق .

والشبه كبير بين من يهرب من اسرته وبين من يهرب من الاماكن المفتوحة مثلا ، حيث ان كلا منهما يهرب من حالة داخلية في نفسه هي القلق ، والفرق بينهما اختلاف في الموضوع الذي يسقط ويحول اليه مخاوفه . ان كلا منهما يهرب من توتر ، ولكن هناك فرقا بسيطا هو ان الخائف المقهور تتمثل مشكلته في انه مهما هرب فانه يحمل نفسه بين طياته لانه لايهرب من الشيء الخارجي بل يهرب من حالة داخلية ، ونجد ان حالة عدم الاستقرار الانفعالي التي تميزه ترجع الى عدم قدرته على تحمل التوتر ، والى تراجع الى طرق سلبية في السيطرة على هذا التوتر .

اما هروب الجانح فانه يعني هروبا من مكان لايوجد فيه شخص يعينه أو يساعده الى مكان يجد فيه العون والحاجة والامن . والهرب في أغلب حالات الجناح يكون معقدا متعدد الاسباب ، فقد يكون مظهرا من مظاهر العدوان أو التعبير عن عدوان أوديبي مكبوت على الاب ، وقد يكون بسبب القلق والخوف من استثارة هذا العدوان وتوقع الخطر الغامض .

وهناك نوعان من الجانحين الذين يلجأون للسلوك الخارج ومنه الهروب . النوع الاول عانى من القسوة والعقاب ، والنوع الثاني عاش في رعاية زائدة وتدليل . والنوع الاول اكثر شيوعا ويصبح الهرب بالنسبة لهم وسيلة هروبية من العقاب (٢) .

كذلك تحاول نظرية التحليل النفسي ان تربط بين كثير من مظاهر الجناح والنزعات الجنسية ، فمثلا : يعتبر الهرب الى اماكن معينة حيلة لاشباع حاجة قيمة مكبوتة او اشباع الالتصاق بالام ذلك الالتصاق الاوديبي . وهكذا هم يشبعون تلك النزعة المكبوتة بالالتصاق بام أخرى دون قلق أو إثم (٣) .

---

(1) Fenichel, O. : Ibid . P. 369.

ايكهورن : الشباب الجامح : ترجمة دكتور سيد غنيم ص ٢٢٦ — ٢٢٨ .

(3) Fenichel, Ibid : P. 37o

ويفسر أصحاب هذه النظرية الهرب تفسيرا جنسيا آخر حين يؤكـدون انه مثير لتهييج الفرد ، وفيه استثارات تشبع الغرائز الجنسية بصـورة او اخرى ، فرؤية العالم يشبع الميل الفريزي للتلصص [١] والتجول يشبع تهيج العضلات والسفر وركوب الدراجات وطرق المواصلات السريعة تثير تهيجـا عضويا من نوع مـا .

والبعد عن المنزل يفسر أحيانا انه زواج خارجي ، زواج لايستثير قلـق التحريم او المخاوف أو الارهاب التي يسمعها الفرد في اسرته ، وهو يعنـي ان الفرد يذهب طلبا للحصول على أم . ولهذا يرى أصحاب هذه النظرية أن الهرب بهذه الصورة لا يعدو أن يكون عصابا اندفاعيا « Impulsive » مادامت هذه القوى الدينامية الجنسية تلعب دورها فيه .

السرقـــة : والسرقة تعني أن الفـرد يحاول أن يتملك من الاشيـاء مايمنحه القوة او السطوة لمواجهة اخطار يصورها له قلقه ، خاصة تلك التي تتعلق بفقدان تقدير الذات . والمريض بالسرقة يسعى لاشباع أو التعبير عـن جنسية مهددة ، كانت تفهم من مظاهر الحماية والتسامح . هنا يمثل الشـيء المسروق اللين والاعطاء والاغداق ، ولكن هناك تفسيرا أقرب للواقـع هو أن السرقة قد تمثل الحصول على قضيب في حالة عقدة الخصاء ، أو على بقايا من الفرد يؤخذ كتعويذة او كجزء من الموضوع ، او طفل ، اذا كانت السرقة ملونة بالطريقة التي تشبع النزعة الفمية في البحث عن الاشياء وسرقتها .

والاهمية النسبية لهذه المدلولات اللاشعورية ، ومغزى الاشياء المسروقة يتأثر بنقطة التثبيت السائدة عند الجانح . فالسرقة عند النساء سرقة رمزية للقضيب خصوصا اولئك اللائي يعانين من عقدة الخصاء ، ويخفين من العدوان عليهن لهذا السبب ، ويحلون سرقة الاشياء محل الانتقام من عقد الخصاء . والسرقة عند الاولاد رمزية لتحقيق حاجتهم الى قضيب اكبر مثل قضيب الاب، وهم في ذلك متأثرون بالعقدة الاوديبية .

ومن اهم التعقيدات المرتبطة بالسرقة الصراعات بين الذات والذات العليا. فالمرضى بالسرقة يقنعون انفسهم بأنهم ماداموا لم يحصلوا على الحب فمن حقهم ان يسرقوا ولكنهم عادة لا ينجحون في تحقيق ذلك ، ولكنهم مع ذلـك يعانون الشعور بالاثم ، ويحاولون التغلب على هذا الشعور بالاثم بطرق عدة ، قد يكون منها ان يصبحوا مجرمين نتيجة لذلك فيسرقون ثم يسرقون ويشعرون بمزيد من الاثم ، وهكذا تبدأ الحلقة المفرغة التي تزيد الامر تعقيدا .

والسرقة ــ مثلها مثل الهروب والتشرد ــ قد يكون لها مغزى جنسي مباشر فمثلا قد تمثل عمل شيء محروم سرا ، وبذلك تصبح بديلا للاستمناء

---

(1) Voyeurism, or Peeping or Scopophilia.

الذاتي ، وفي بعض الحالات نجد هذا المغزى الجنسي المباشر اساسا واضحا لحالات السرقة ، والسرقة القسرية خاصة من هذا النوع تصبح أقرب ماتكون الى الانحراف والجنوح .

وقد ذكر فنيكل حالة امرأة كانت تشعر بالشبق الجنسي عندما تسرق شيئا ، وانها في حالات الاستمناء كانت تشعر وكأنما هي تسرق شيئا [1] .

الخلق وسطوة الاندفاع الغريزي : [2]

تكثر الكتابة في موضوع الجناح عن طبيعة العلاقة بين النزعات الغريزية والذات العليا ، ومدى سيطرة الاندفاع الغريزي على سلوك الافراد في حالة الجناح . ويرى التحليليون ان من اهم مايعطل تكوين الأنا الاعلى التثبيت على المرحلة النرجسية والفمية التي فيها يطلق العنان للنزعات الغريزية التي ترتبط بمبدا اللذة ، وقد يدفع ذلك الطفل للقيام بأي عمل بطريقة اندفاعية .

والتحليل النفسي لايؤكد الفرض القائل بأن اصحاب الطباع الاندفاعية من النرجسية اوهم « المرضى بالنرجسية » أو انهم يجدون سعادتهم في هذا النوع من السلوك ، أو انهم ممن ليس لديهم انا أعلى ، وعلى هذا لديهم فرصة لاشباع كل مطالبهم دون اعتبار لعالم الواقع ، وعلى هذا يغلب أصحاب النظرية أن انعدام العلاقة بموضوعات الاشباع الغريزي في الطفولة الاولى ، أو التثبيت على المرحلة الفمية ، او على الخبرات المرتبطة بالازمات قد يجعل من المستحيل تكوين أنا اعلى محدد كامل له تأثير في السلوك . فمثلا قد يحدث أن صورة الاب تتغير في تتابع سريع ، بحيث لاتوجد فرصة او وقت كاف لتنمية علاقات مستمرة تحقق عملية تقمص سليمة ، ومع ذلك يتعرض مثل هؤلاء لاحباطات وينمون طريقة استجابة معينة لها . ويكون نتيجة ذلك تكون انا أعلى غير متكامل ، ولكنه لا يكون منعدم الفاعلية بل يغلب ان يأخذ صورة مرضية . وهنا تكون ردود افعال الذات للضمير المريض تتسم بنوع من التذبذب والتعارض ، وهو الشعور الذي يشعر به هؤلاء الافراد نحو موضوعات الاشباع اللبيدي الاولى [3] .

وهكذا نجد ان التحليل في حالات الجناح ــ جناح الاحداث ــ يعطينا أمثلة عديدة لهذه العلاقة المضطربة مع الأنا الاعلى . ففي حالات الجناح الاقل حدة ، وجد من التحليل النفسي انهم يعانون من عدم الاشباع المزمن مع وجود

---

(1) Fenichel, O. : Ibid . P. 372 .

(2) Instinct Ridden Character .

(3) Fenichel, O. : Ibid . P. 374 .

نزعات جنسية زائدة « Hyper » ولذلك يظهر عليهم آثار النزعات الفريزية العنيفة « Hyperinstinctive » بسبب ما تعرضوا له من حالات الانغماس في الحرمان ، وهي نزعة تخضل بسيطرة الأنا الاعلى . اما المظاهر العنيفة من الجناح فانها تسيطر عليها حالة تثبيت فمية او جلدية « Cutaneous » كذلك حالة تذبذب عنيف نحو كل موضوعات الاشباع ، ويسيطر على سلوكها كذلك حاجات جنسية ونرجسية وصراعات بين الثورة وبين الحب .

وهكذا يجد أصحاب التحليل النفسي أننا نستطيع ان نستشف مما يكتبه الجانحون أو يروره عن تاريخ حياتهم أسبابا كثيرة لانحرافهم ، منها انهم عاشوا طفولتهم في بيئة خالية من الحب او بيئة خالية من التأثير المستمر لخلق الضمير، ولهذا تضطرم في انفسهم العقد الاوديبية وتضطرب طرق حلها ، وتكون الحلول عامة ضعيفة غير ثابتة ، وهذا يرجع لان بعض الجانحين لم يتعلموا ان ينموا في انفسهم علاقات بالموضوعات بأي حال ، تساعد على تطوير ونمو الأنا الاعلى الضروري للحد من السلوك .

وفي كثير من الحالات تكون النزعات والاندفاعات الفريزية من القوة بحيث يكون نتيجة الاستسلام لها ، مع وجود وحدات مفككة من الضمير ، حالةنفسية تستلزم مصالحة هذا الضمير ، ويأخذ ذلك صورة رشوة للأنا الاعلى ، وذلك أنه بعد الحصول على تحرير الغرائز واشباعها يدفع الفرد ثمن ذلك بالعقاب او بتحقيق حاجات مثالية . فقد يسرق فرد شيئا ما ثم يدفع منه جزءا لاعانة فقير [١] ، وقد يسرق الجانح ثم يضرب نفسه كوسيلة فاشلة لارضاء الأنا بعقاب ذاته .

وهناك حيلة عامة قد تستعمل فيها رشوة الأنا الاعلى أو لاتستعمل ، وهي حيلة وضعها ريش « Reich » بأنها تميز سلوك الجانح الذي تغلب عليه السيطرة الفريزية ، وهي عملية العزل « Isolation » لكل من الأنا والأنا الاعلى . فالأنا الاعلى سلطة تسعى الذات اما لمقابلة وتحقيق مطالبها ، وأحيانا تعمل الذات على ابعادها وتعطيلها .

وفي حالات الجناح ، نجد ان خبرات الفرد مع الاشخاص الذين كان من نتيجة احتكاكه بهم خلق الأنا الاعلى وتكوينه ، تجعل من المحتمل للذات ان تشعر بوجود الضمير في مكان معين او في فترات محدودة . (غالبا بشكل مضطرب) ولكنها تكون متحررة نسبيا من التأثيرات الكافة للأنا الاعلى ، عندما تغريها النزعات المندفعة التي لاتقاوم للوصول الى الاشباع الفريزي ، او لاشباع الحاجة للامان . هنا نجد النزعة والاندفاع حالة يستسلم لها الفرد مباشرة قبل نمو او تطور اي كف من الأنا الاعلى ، وهنا يشعر الفرد بوخز الضمير « Remorse » بعد الاندفاع

ان هذا النوع من عزل الضمير خبرة يمر بها الافراد

اذا كانت الأنا قبل ذلك قد مارست كلا من اللذة الجلدية الجنسية العميقة « Erogenous » بالاضافة الى الاحباطات البيئية العنيفة ، خصوصا اذا اجتمع مع ذلك تنظيم معين للاشباع الفمي « Oral » ثبت عليه الفرد وأصبح جزءا من تقدير ذاته ، بل واصبح لايستطيع معه تحمل أي احباط لحاجته لاشباع هذه النزعة .

وعملية عزل الضمير تميز سلوك حالات كثيرة من الجناح الذي يبدو استجابة لسيطرة غريزية . ويرتبط بهذه العملية في نفس هذه الحالات نمو وتكون نوع آخر من الضمير يمتاز بأنه يقر النزعات الريزية « Instinct approving » وهو ضمير يخلع على كل عمل غريزي صفة السلوك المثالي ، وذلك بأن يبرر الفرد عناده واصراره على هذا النشاط أنه نوع من « الحرب من أجل هدف اسمى » ، أو تحت تأثير التوحيد مع شخصيات راشدين يقرون السلوك الغريزي . وهذا في الغالب هو ما يميز السوك المعادي للمجتمع ، والذي يعرف في حالات الجناح غالبا ، خاصة في بيئات يترعرع فيها الجناح [1] .

الجريمة والتقمص الخاطىء : [2]

يرتبط بموضوع العلاقة بين الضمير وبين الاندفاعية الغريزية موضوع التوحد . ذلك أن الكثير من حالات الجناح لايبدو أنها ترجع الى الاندفاع نتيجة سيطرة غريزية « Instinct ridden » بقدر ما ترجع الى حالة توحد خاطىء . فالاندفاعيون يعبرون عن صراعاتهم النفسية بهذا النمط من السلوك، ولكن الجانحين الذين يرجع جناحهم الى خطأ في عملية التوحد يفسر سلوكهم هذا على أنه راجع لمرض الضمير أو سوء تكونه في مرحلة التوحد .

ان الجريمة ليست مفهوما نفسيا بقدر ما هي مفهوم قانوني يحدده قانون معين ، ولهذا قد يكون السلوك الاجرامي من سمات بعض العاديين الذين لايعانون اضطرابات نفسية أو خلل في التكوين الطبوغرافي للشخصية ، خاصة اولئك الذين يسلكون هذا السلوك الاجرامي صدفة . وليس معنى هذا أن حالات الاجرام بالصدفة لاترتبط بهاأي صراعات لاشعورية ، فاللاشعور يتدخل في كل عمل أو فعل تقريبا ، ولكن الذي يهم الدراسات النفسية لموضوع الجناح هي تلك الحالات التي يكون فيها الجناح راجعا الى عملية تقمص خاطىء .

والتوحد ضرورة يفرضها اهتمام المجتمع ببناء الطباع والشخصية ، ولهذا يجد أصحاب التحليل النفسي أن دراسة حالات الجانحين وتاريخ الانحراف كثيرا ما تكشف عن أي خلق وتطور السمات الخلقية المرضية يمكن فهمه بارجاعه الى عملية توحد مع « موضوعات خاطئة » ، او اضطراب في سير

---

(1) Fenichel, O. : Ibid . P. 375 .

(2) Fenichel, O. : Ibid . P. 505 .

وانتظام عملية التقمص او التوحد . فموت الام أو طلاقها يعني غياب شخص محبوب ، ودخول آخر محله « زوجة الاب » وهذا يجعل عملية التوحد للبنت مستحيلة بسبب نوازع العدوان التي تعطل عملية التوحد ، ونفس الشيء يصدق على الذكور .

كذلك قد يحدد المجتمع للطفل أشخاصا ليتوحد معهم ويكونون هم أنفسهم منحرفين ، أو قد يتقمص الطفل الناحية الخاطئة من الموضوع موضوع التوحد ، وقد يتقمص الجنس الآخر من الموضوع ، خصوصا اذا كانت الام هي المتسلطة ، كما يحدث كثيراً في بعض الاسر . والتقمص الخاطيء بأنواعه مسؤول عن كثير من أشكال الجناح ، وقد لايبدو واضحا الدور الذي يلعبه التوحد مع الجنس الآخر في خلق الجناح . وهنا نشير الى ان الغالب ان الذكورة والانوثة ليست مسألة بيولوجية بقدر ما هي مسألة ثقافية . فالفروق البيولوجية بين الجنسين يجب أن يقررها ويقويها ويزكي آثارها النفسية الاتجاهات الثقافية . فاذا تعارضت المطالب البيولوجية للجنس مع المطالب الثقافية للذكورة او الانوثة ، نجم عن ذلك قلق نفسي شديد ، يظهر أثره في صراعات عديدة بين الاتجاهين ويغلب أن يسهم في ميول جناحية من نوع او آخر [1] .

ولقد أكدت ابحاث « كيت فريد لاندر » و « أيكهورن » اهمية الاضطراب في نمو وتطور الطاقة اللبيدية في تأخير تكوين الأنا الاعلى ، وما يحدث من أخطاء في عملية التقمص . درست لاندر الكثير من حالات الجناح بالطرق التحليلية وتبين لها أن الكثيرين تثور لديهم النزعات الاوديبية بعد ملاحظة علاقة جنسية بين الوالدين تبدو في نظرهم ميولا سادية ماروخية ، فتضطرب علاقة الطفل بالاب ، ويصبح هناك عامل كراهية يكف عملية التقمص ويجعل تكوين أو بذر بذور الانا الاعلى أمراً مستحيلا أو على الاقل يعطله او يجعل نموه مضطربا . ويزيد هذه الحالة عنفا اضطرار الابن لمصاحبة الام وحدها بعد انفصال أو شبه انفصال عن الوالد من نفس الجنس .

كذلك اكدت لاندر ـــ من دراسة حالات كثيرة ـــ ان النكوص لمراحل تطور اللبيدو السابقة أو مخاوف الخصاء ترتبط بتأخر نمو الضمير ، وان مرحلة استقلال الأنا الاعلى هنا لاتحدث بالسرعة أو في الوقت الملائمين .

كذلك يرى ايكهورن أن اي تأخر أو نقص في استقلال الانا الاعلى عن الكبار الواقعين في بيئة الطفل ، يعتبر اضطرابا مميزا في تكوين الخلق في مجموعة العدوانيين من الجانحين الذين تمكن من دراستهم ، وكيف أنه تحت علاج خاص نظم لهم أمكن ملاحظة الادلة الاولى على بدء امتصاص مقومات الانا الاعلى « Internalization » فيما بدا من شعورهم بالاثم بسبب سلوكهم مع الكبار في المؤسسة .

---

(1) Fenichel, O. : Ibid . P. 505 .

يحدث في فترة الكمون ، مرحلة تكوين الأنا الاعلى ، نــوع من التقمص لشخصية بعض أفراد من ممثلي السلطة كالمدرسين والمشرفين وغيرهم ، وهذا يزيد غنى وثراء الأنا الاعلى ، ويجعله اكثر استقلالا عن شخصية الاب ، ولكــن هذه الحالة السوية لا تتحقق لكثير من الجانحين ، لانهم ينقلون الى المعلمــين وغيرهم علاقاتهم السادية الماروخية على أنهم آباء بديلون أو صور لهم ،ويشبعون بذلك نزعات عدوانية ، ولكنه اشباع يعطل نمو شخصيتهم وتطور ضميرهم ، او تطور الأنا الاعلى لديهم [1] .

وفترة كمون النزعة الغريزية الجنسية هي افضل فترات التقمص السليم المحقق لتكوين الضمير الضروري للحد من السلوك ، ومساعدة الفرد في حربه التي يشنها على نزعاته الغريزية . فاذا صادفت هذه الفترة اضطرابا في عملية التقمص بسبب أو آخر من الاسبــاب السابقة ، كــان لذلك أثره في اضطراب تكويــن الضمير .

هذا ويلاحظ ان العقاب لايساعد على تكوين الضمير المنشود لانه يعني بالنسبة للطفل اشباعا غريزيا لما يمثله من استثارة ، أو انه احباط يثير المزيد من العدوان والكراهية لموضوع التقمص الذي يستعمله والذي هو ايضا موضوع العقد الاوديبية في الغالب .

تطور الأنا الاعلى وأثر اضطراب تكوين الأنا في حالات الجناح :

يرى علماء التحليل النفسي ان التكوين الناقص او المضطرب للأنا الاعلى يرتبط بالاضطراب في نمو الأنا أو فشلها في الوصول الى مبدأ الواقــع . ولا يمكن أن يتحسن الأنا الاعلى الا بتعويد الطفل على تأجيل اشباعه لرغباتــه الغريزية . هنا يقل القلق الناجم عن ثورة هذه النزعات ، ويحل محله عمليــة تقمص سليمة للشخص المرغوب . والتوحد مع شخصية اب من نفس الجنس تعني القدرة على تأجيل الاشباع الغريزي تحت ضغط الخوف من فقــدان الموضوع ، ولكن اذا كان ولا بد من اتخــاذ هذه الخطوة فان الأنا يجب أن تكون قادرة على ان تقاوم التوتر الناجم عن الحاح النزعات الغريزية ، وبذلك تساير مبدأ الواقع . وترى كيت فريد لاندر أن النقص في تكون الأنا الاعلى يرجــع الى عدم القدرة على الاقلاع عن الاشباع الغريزي ، حتى ولو كان تحت ضغط الخوف من الخصاء ، وبوجود هذه الاندفاعية الغريزية تصبح عملية ادخــال

(1) Kate Fredlander : The Psychoanalytic Study of The Child. Vol. I. P. P. 195 - 198 1945 . Ch 4 The Formation of Emotional Character .

سورة الاب الى ذات الفرد امرا مستحيلا ، او على الاقل بعيد المنال [1] .

هكذا يصبح من الامور التي تزداد وضوحا ان مميزات تكون الخلق الرئيسية هي عوامل لا يمكن على اساسها أن نحدد ما اذا كانت الضغوط البيئية مضافة الى الصراعات اللاشعورية تحدد اتجاه الانحراف : فاما الى أعراض عصابية ، او سلوك مضاد للمجتمع . ومن طبيعة التنظيم الاخلاقي أو بناء الخلق « Character Structure » في حالات الجناح انه يغلب عليه ان تكون الأنا ما زالت واقعة تحت سيطرة مبدأ اللذة ، مع وجود آنا اعلى لم يتم تطوره بعد ، وهذا هو الخلق اللااجتماعي الذي يشبه من نواح كثيرة ماعرفه ريش « Reich » بأنه الخلق الاندفاعي « Impulsive » الذي شرح أيكهورن الكثير من مظاهره .

وتكون الخلق اللااجتماعي ليس معناه استبعاد تطور الصراعات العصابية كلية ، ذلك ان الانا يمكن أن تكون قد نمت في اتجاه مبدأ الواقع فيما يختص ببعض الدوافع الغريزية دون البعض الآخر ، وهنا نجد ان النمو الجزئي للأنا الاعلى ، او نمو أنا أعلى من النوع المهلهل الملتوي « Archaic » هو النتيجة الطبيعية لهذا الاختلال في النمو . وفي هذه الحالة تنشأ حالات امراض عصابية من جهة ، واستجابات لااجتماعية من جهة اخرى .

هكذا نجد ان اصحاب هذه النظرية يحاولون تفسير كل من العصاب والجناح في اطار نظري واحد ، ويجعلون كلا من الاسلوبين من التوافق استجابة لضغوط وديناميات نفسية واحدة ، بل ان الكثيرين منهم لايجدون فروقا بين الجانح والعصابي في ضوء الاطار العام للنظرية ، اللهم الا في طريقة تكيف الفرد للاحباطات والصراعات .

ويمكن ان يلحظ الكاتب ذلك من كثير من كتابات لاندر في هذا الموضوع. فالمتفق عليه أنه لايوجد أي صراعات لاشعورية في حالات الجريمة يمكن ان تكون قاصرة على السلوك الاجرامي دون سواه ، والفرق هو فرق في الضغوط الاجتماعية والنفسية ، فقد اثبتت دراسات فرويد انه حين تكون حالات السرقة موضوع البحث يمكن أن يلمس المحلل النفسي فيها استجابة لحقد القضيب ، او انها نتيجة حرمان الطفل من اعطاء الام راضية . وحين تكون المشاعر اللاشعورية بالاثم نتيجة الصراع الاوديبي فانه قد يكون من نتائجها السلوك الاجرامي . ويلاحظ أن هذه كلها ديناميات يشترك فيها الجانح والعصابي وغيرهما ، ولهذا وجه علماء التحليل النفسي همهم أولا لتأكيد التشابه بين استجابة الجانح والعصابي لهذه الديناميات ، وكان السبب في ذلك مايظهر من ان هناك تشابها بين النزعات اللاشعورية التي تخضع للكف عند العصابي ، وبين الاستجابة والفعل الصريح عند الجانحين ، ثم بسبب التشابه في التنظيم في بعض الاعراض العصابية والاعراض في بعض حالات الجناح .

---

(1) Kate Fredlander, : Ibid. P. P. 199 - 200 -

وبعد ان استبعدت من أغلب الدراسات النفسية التحليلية افكار وراثة الجريمة ، خاصة بعد ان كشف علماء التحليل النفسي عن كثير من الاعـراض انعصابية في كثير من حالات الجناح الى جانب الميول الجناحية ، كان لابد من ابحث عن موضوع الفروق في السلوك بين العصابي والجانح ، الامر الـذي لم يحظ بالدراسة اللازمة .

والسؤال الآن : لماذا ينحرف شخص ويصبح عصابيا ، بينما يصبح الآخر جانحا ؟ وهل يرجع السبب الى التكوين النفسي أم الى البيئة النفسية كأحد ميادين علم النفس ؟

يميل الكسندر في كتابه « جذور الجريمة » الى القول بوجود اختـلاف في بيئة الجانح يميزها عن بيئة العصابي .

وهنا يقول « اذا كان عدم الاشباع الانفعالي في موقف حياة الطفل الاسرية يجتمع معه نوع من عدم الرضا الاجتماعي « Social discontent » فـان اسلوك اللااجتماعي الاندفاعي يكون اكثر احتمالا في حدوثه نتيجة ذلك مـن تطور الاعراض العصابية » [١] . وقد بنى هذا الاستنتاج على اساس انه وجد أن الصراعات اللاشعورية عند الجانحين والمجرمين لم تكن مختلفة عن تلـك التي وجدها لدى العصابيين ، الا في شيء واحد هو اجتماع ضغوط عـدم الاشباع الانفعالي مع ضغوط عدم القناعة بالمستوى الاجتماعي .

اما ايكهورن فانه لم يحاول أن يفرق بين العصابيين والجانحين ، الا أنه حاول أن يبرز ميزة واحدة تميز جميع الجانحين ، ولا توجد في غيرهم وهـو وجود « الجناح الكامن » وهو استعداد نفسي للاستجابات المضادة للمجتمع ولكنه لم يحدد طبيعة هذا الاستعداد أو الجناح الكامن [٢] الذي حاول علمـاء آخرون في كثير من الاتجاهات الاجتماعية ارجاع تكوينه الى عوامل بيئية تؤدي الى تكوين استجابات غير اجتماعية فقط اذا وجد نوع من القابلية لدى الفـرد نتطور الاستعداد « Susciptibility » ، وهنا يميز الجانح أنه بالنسبة له يعتبر اشباع الرغبات الغريزية امرا يفوق في اهميته الاشباع الذي قد يصل اليه من تحقيق علاقة ما بالغير . فنزعاته تحتاج دائما لاشباع وارضاء مباشر سريع [٣] ، ويصبح التأجيل فيها امرا مستحيلا ، كما ان نظرتهم للصـواب والخطأ تعتبر كلية نظرة مرتبطة بالاشباع الغريزي ، ومن هنا يكون عدم امكان

---

(1) Alexander, F. & Healy, W. : The Roots of Crime. Psychoanalytic Studies. Alfred A. Knopf. Inc. 1935 .

(2) Latent delinquency .

(٣) أطلق أمثال روزنزفيغ على هذا الاتجاه اسم الحاح الحاجة وترجم من كلمـة Need Persistance .

الاعتماد عليهم ، حيث يلجأون بسهولة الى الكذب ، كما نلاحظ نقصا واضحا في مفاييرهم وقوانينهم الاخلاقية . هذه السمات الاخلاقية المشتركة بين جميع الجانحين ، والتي تميز طريقتهم سواء ازدادت مشكلات تنظيم شخصياتهم تعقيدا أو لم تزدد بسبب الصراعات العصابية الطابع ، تعتبر من أهم ما يميزهم عن العصابيين ، ولهذا فهي تحتاج لدراسة أكثر منها خصوصا وانها هي المسؤولة عن تأخير علاجهم .

ويؤكد علماء التحليل النفسي لما في اهمية العلاقات الوالدية ودور الدفء العاطفي في الخمس سنوات الاولى ، واثر الاضطرابات والتهدم في العلاقات الاسرية في تعميق جذور الاضطرابات والصراعات اللاشعورية التي تكمن وراء حالات الاجرام والجناح [1] .

ويمكن القول هنا ، ان هذه الضغوط ذات الطبيعة المميزة في حياة الجانحين ، يمكن ان تكون هي العوامل المقررة لتوجيه الاضطراب وجهة جناحية، بالاضافة الى اضطراب عمليات التقمص وتكوين الأنا الاعلى . هذا وربما يزيد هذا التفاعل قوة اجتماع اكثر من عامل من تلك العوامل .

ويرى الكاتب ان نظرية ايكهورن في تفسير الجناح ، قد تفيد القارىء كثيرا في تفسير الجناح في ضوء تفاعل الديناميات السابقة مع بعضها البعض ، لانه يبرز دائما في دراسته للحالات الدور الهام الذي تلعبه كل منها في خلق وتطور الجناح ، وهي :

- الضغوط الخاصة بانعدام الرضى أو عدم القناعة الاجتماعية .
- اضطراب تطور الأنا الاعلى ، وذلك بعد اضطراب نمو الأنا .
- اضطراب العلاقات واضطرام النزعات في المرحلة الاوديبية .
- التقمص الخاطىء أثناء وبعد المرحلة الأوديبية .

أيكهورن وتفسير الجناح :

يرى الكاتب في هذا المقام أن يعرض بصورة ملخصة أهم الاسس التي قام عليها تفسير ايكهورن ، كواحد من أهم انصار مدرسة التحليل ، لظاهرة الجناح . ويهدف الباحث من ذلك الى أن يوضح نواحي هامة قد تكون حلقة الارتباط بين نظرية التحليل والنظرية التي يتخذها الكاتب اطارا نظريا لتفسير ديناميات الجناح . كذلك يلاحظ الباحث ان دراسات أيكهورن لحالات من الجناح قد أبرزت نواحي معينة تفسر الجناح في ضوء الاطار العام لنظرية التحليل ، وهي جوانب سوف تتضح من هذا العرض السريع للاطار العام لنظريته في تفسير الجناح .

---

(1) Bowlby, J. : Ibid .

يؤكد ايكهورن في اغلب التفسيرات التي قدمها لحالاته على أن السلوك غير الاجتماعي او المعادي للمجتمع يدل على أن العمليات النفسية المحددة للسلوك لاتعمل بانسجام ظاهر فيما بينها . فالجنوح مظهر ديناميكي يرجع للتفاعل بين القوى النفسية التي أوجدت هذا الاضطراب الذي نسميه الجناح.

كما يميز أيكهورن بين اتجاه الجناح أو الميل الجناحي وبين أعراض الجناح الصريحة ، فالاخيرة هي الشغل الشاغل للمجتمع حين يصاب من هذا السلوك بضرر واضح ، بينما الميل للجناح هو الذي يجب ان يكون له كل اعتبار دراسي لهذه المشكلة . فالاعراض التي يمكن ازالتها وقتيا في بعض الحالات بطريق العقاب لاتعني أن الاضطراب المسبب للجناح قد زال بل أن قواه الديناميكية قد تتحول لصورة اخرى من صور الاضطراب قد تأخذ شكل العصاب أحيانا ، أو شكل جناح بأسلوب مختلف أحيانا اخرى .

ويحدثنا أيكهورن عن نوعين من الجناح : الجناح الكامن ، والجناح الظاهر ، ويرى ان كل طفل لديه في داخله شيء معين تعمل العوامل البيئية على اظهاره ، ومع ذلك فان الاستعداد للجناح ليس وراثيا بقدر ماتحدده العلاقات الانفعالية بين الطفل والبيئة في السنوات الاولى . وحين يتحدث عن الجنوح الكامن والجنوح الظاهر يعني بالنوع الاول ان الميول الجناحية عند الفرد تكون موجودة دون التعبير الصريح عنها لان ضغوط البيئة وظروفها لم تفتح الطريق لذلك او تمهد له سبل التعبير عنها . ولهذا فان الباحث في العوامل البيئية للجناح لايدرسها على أنها عوامل محددة للجناح « Determinents » بل على انها عوامل تفاعلت مع تنظيم معين في الفرد هو الجناح الكامن ، فاظهرته في شكل سلوك جناحي صريح . لهذا يؤكد ايكهورن ان عدم تغيير الجناح لسلوكه استجابة للعقاب ، يجعلنا ننظر للجنوح في ضوء مبدأ هام من مبادىء نظرية التحليل وهو اجبار التكرار ، ونفسره على أنه نوع من العصاب حيث نجد أن للجانح دافعا خاصا يستجيب له ويشبعه بسلوكه هذا ، كما هو الحال في حالات العصاب تماما ، وهذا يجعلنا نحاول تفسير الجناح في ضوء الاطار العام لنظرية التحليل .

وفي ضوء هذا التفسير نجد ايكهورن يفسر بعض حالات الجناح كالتشرد ورفض العمل على انه استجابة نمطية لصدمة او خبرة صدمة انفعالية ، تشبه في طبيعتها تلك التي يستجيب لها آخرون استجابات عصابية [1] فالصدمات الانفعالية مثل وفاة الام ، او فقدان السند قد تدفع لسلوك عصابي أو جانح ، الا ان الصدمة وحدها لاتفسر سبب الانحراف لاتجاه دون آخر . ذلك أن الصدمة كما في حالة العصاب تكون الحلقة الاخيرة في سلسلة من الصدمات

---

(1) Fenichel, O. : « Traumatic Neuroses » . In . Ibid . P, P. 117 - 127 .

والخبرات السيئة التي مرت بالطفل . فهروب الاطفال في مثل هذه الحالات قد يكون هروبا من الاكتئاب الميلانكولي ، الا ان اغلب الحالات في مثل مواقف فقدان الام ترتبط بالالتصاق الكبير بالام في المرحلة الاوديبية ، او بعد ان يتقمص شخصية ابيه بعد موته ، وينشىء بذلك علاقة بأمه قد لاتصل الى مرتبة العلاقة المحرمة ، لكنها تجعل فقدان آلام تعني شيئا اكبر يستجيب الطفل له بالتشرد وبالهروب من القلق الناجم عنه . ولقد عرض أيكهورن اكثر من حالة أكد فيها أن الصدمة النفسية تلعب دورا كبيرا في خلق الجناح أو بلفته هو في استثارة الجنوح الكامن . أن الخبرات المؤلمة القاسية قد يترتب عليها ازمات نفسية وبالتالي جنوح بصورة ما [١] .

ولعل من أهم ما يميز دراسات أيكهورن انه يؤكد ان لكل حالة من حالات الجناح ظروفها الفردية التي يجب ان تدرس منفصلة ، لان التعميم واستخراج الاسباب العامة في حالات الجناح مسألة محفوفة بالكثير من الخطأ ، ومع ذلك فانه استطاع من دراسته حالات كثيرة ان يصوغ مبدأ عاما لتفسير الجناح هو ان « الجنوح انحراف واضطراب في العمليات النفسية السوية ، ولهذا يتوقف فهم دينامياته على ادراك المحتوى النفسي للجانح » ثم انه منذ ان شاع التفكير بالاسلوب التحليلي أصبحنا نرى السلوك المضاد للمجتمع على انه نتيجة العمليات النفسية المضطربة ، وتراكم آثارها تراكما غير طبيعي . بعد ذلك يتحدد الاتجاه الذي يسير فيه نمو الفرد سواء أصبح سويا أم تعرض للاصابة بالجناح او العصاب حسب الطريقة التي تستخدم بها الطاقة النفسية عنده ، في اظهار نفسها او التعبير عنها .

وكثيرا ما يلجأ ايكهورن عند تفسير بعض حالات الجناح الى عوامل دينامية ترتبط بالعلاقة بين الاشقاء ونعني بها الغيرة ، تلك الحالة الانفعالية التي كشفت الكثير من الدراسات النفسية عن أنها تلعب دورا كبيرا في حالات العصاب ، كما ايدت ذلك دراسات التحليليين عامة . وعلى أساسها يفسرحالات كثيرة من الجنوح . الا انه يعود فيكشف عن ديناميات وحيل اخرى تكمن وراء هذه الغيرة . ففي حالة من حالاته كشف عن كراهية شديدة بين الجانح وبين اخته ، وانتهى الى ان هذه الغيرة وهذا الحسد هما دوافع جناحه وهربه ،ولكنه لم يلبث أن كشف عن سابق وجود علاقة ما كانت تعني اشباعا وتلذذا جنسيا وارتباطا شبقيا حين كان يشعر كل من الولد والبنت بانفعال عميق عن اشتراكهما في لعبة الام والاب . ففي هذا اللعب الجنسي قد تتطور العلاقة خصوصا اذا اجتمع فيها خبرات بالجنس عند الاطفال نتيجة « المنظر الاول » للوصال الذي قد يخبره الطفل من حياة أبويه [٢] . هذا اللعب الجنسي يثير الى جانبه

---

(١) ايكهورن : الشباب الجامح : مرجع سابق : ص ٦٥ ــ ٨٣ .

(٢) تثير مشاهد الوصال لدى الاطفال تأججا وجدانيا لان رؤية الوصال تزيد الصراعات الاوديبية المكبوتة تأججا .

انفعال الشهوة شعورا غامضا بالاثم . وهنا يبدا صراع مابين الخوف والتلذذ شبه الشبقي ، وينتج عن ذلك غالبا كبت هذه اللذة المحرمة . وفي حالةايكهورن نبين أن الجـانح كـان يكـره أختـه ويعتـدي عليهـا ، كتكوين رد فعـل « Reaction formation. » للقلق الـذي ينجم عن ثورات النزعات اللبيدية السابقة وارتباط ذلك كله بأخته . ولقد تحقق ايكهورن من هذا الاستنتـاج عندما تبين أن الحالة لم تنجح في تكوين علاقات جنسية غيرية [1] بسببمظاهر التثبيت الطفلية على شقيقته في الاسرة .

كذلك ابرز ايكهورن في هذه الحالة الدور الذي تلعبه الصراعات الناجمـة عن التقمص الخاطىء في خلق الجناح ، فقد كان الفتى موضوع الحالة يبدو في سلوكه الكثير من الميول الانثوية ، الامر الذي يرجع غالبا الى تقمص خاطىء في نموه . ولقد فرضت عليه ظروف موت أبيه أن يلعب دوره في الاسرة بمحاولة السيطرة على شقيقاته جميعهن ، الا ان ميوله الانثوية كانت تثير من أخواته ما يحبط نزعته للسيطرة وتثير فيه ذلك صراعا قويا يحاول أن يتغلب عليـه بالاسراف في الشراسة والعنف والعدوان عليهن . وبذلك يكون الفشل فيتقمص شخصية الاب ناتجا عن انه تقمص شخصية الام ، ويكون هذا الفشل بالتالي مما ادى الى وقوعه في صراعات عنيفة تخلص منها بالعدوان الصريح .

وهكذا يربط ايكهورن بين الاضطرابات في التقمص بعد المرحلة الاوديبية وبين الجنوح . ولكنه ايضا لايهمل مرحلة الاوديب ذاتها ، وما تمتاز به مـن صراعات حين يحاول ان يفسر بعض اشكال الجنوح . ففي حالة سرقة من الاب كان الجانح يبول في زجاجة الكحول بعد سرقة « السبرتو » من دكانة الاب ، ولقد فسر أيكهورن ذلك كما فسر حالة عصاب مشابهة على انها انتقام أوديبي من الاب يستعمل فيه الحالة نفس العضو الذي يحس أن أباه اساء اليه به في التهديد بالخصاء . ولقد تحققت الفروض التي ذهب اليها أيكهورن في تفسير الحالة عندما تبين أن الوالد قد تزوج غير أم الحالة ، وكانت فتاة كون الجانح معها علاقات حولها من حبه لامه ، واصبح الوالد في علاقته بزوجته الجديدة يمثل الوالد الذي كان يحرمه من التصاقه بامه الحقيقية في المرحلـة الاوديبية وبالتـالي يثير فيه نزعات انتقاميـة مكبوتة . هذا ولم تكن العلاقة الآثمة بين الجانح وزوجة أبيه سوى صورة من صور هذا الانتقام ، نتيجة الكراهية والرغبة في العدوان عليه حين يفرضها عليه كأم .

وفي حالة اخرى مماثلة يتحدث أيكهورن عن الهرب من المنزل كوسيلـة للهرب من صراعات نفسية معينة بين الرغبة في العلاقة بزوجة الاب وبين الرغبة في تقمص شخصية الاب نفسه . وقد حاول هذا الفتى أن يكبت ميولهالجنسية المحرمة نحو زوجة ابيه ، ونجح في ذلك لانه حول اليها مشاعره نحو أمـه

---

(1) Heterosexual .

(الحقيقية) سابقا ، ولكنه عندما بدأت مرحلة البلوغ وتدفق سيل الطاقة اللبيدية ، أتاحت هذه الحالة الفرصة لتدفق النزعات العدوانية على الاب خصوصا بعد احباط رغبته في تقمص شخصيته ، واخذ هذا العدوان صورة محاولة الالتجاء والتحاشي بالهروب من المنزل كنوع من الانتحار – وهو انتحار رمزي – حال دون تحقيقه فعلا ميوله النرجسية وحبه لذاته ، وبالتالي نوازعه نحو أبيه وزوجته .

ويهتم ايكهورن في أكثر من موقف من دراسنه لموضوع الجناح بعملية التربية التي تكون مسؤولة عن حالات « تحويل » عند الاطفال الجانحين الذين يرجع جنوحهم الى ما أصاب حياتهم الوجدانية من اضطراب في مرحلة الطفولة المبكرة ، نتيجة لفقدان الحب او الافراط فيه ، ويؤكد أن الاختلاف في هذا يخلق لدى الطفل اتجاها نحو الوالدين يؤثر في اتجاهه نحو الآخرين خارج محيط الاسرة . ولهذا يعتبر الوالدان وخاصة الاب مسؤولين عن التوجيه الاجتماعي للطفل ، توجيها قد ينأى به عن الانحراف نحو الجناح .

وفي مجال التنشئة الاجتماعية يرى أيكهورن أنه اذا اصيب الطفل بمكروه نتيجة حرمان شديد او حنان مسرف في حياته العاطفية المبكرة ، فان استجاباته تكون ضعيفة منقوصة واهية ، لاتقوى على تحمل أعباء الحياة ومتاعبها واحباطاتها ، ويكون الى هذا عاجزا عن تكوين علاقات محبة او تواد يعتبرها المجتمع امرا طبيعيا . ذلك ان عدم تأهب الطفل لمواجهة الحياة وعجزه عن تنظيم دوافعه الشبقية الشهوانية الشعورية واللاشعورية – أو حصر رغباته الشهوانية داخل الحدود الطبيعية – كل ذلك يخلق فيه احساسا بعدم الاطمئنان الى علاقته بغيره من الناس طالما تتهدده نوازعه الجنسية العدوانية ، وهذا عامل من العوامل الرئيسية في أحداث الجنوح .

ولا يمكن للدراس مشكلة الجنوح في اطار النظرية التحليلية ان يربط بين أشكال الجنوح وبين طبيعة المعاملة الوالدية في مرحلة الطفولة ، ولكن أيكهورن يلمس من دراسته نوعين من الجناح قد يكونا مرتبطين بطريقة التربية التي عاش فيها الجانحون من كل نوع :

آ – الحالات التي تقع على الخطوط الفاصلة بين الجنوح والعصاب النفسي ، أي التي تكون مصابة بالعصاب مع بعض الاعراض الجناحية .

ب – حالات الجنوح الواضح في خروجه وعدوانه على المجتمع ومع ذلك لايبدو على « ذات » الحالة اي دلالة من أدلة العصاب يكون قد لحق بالأنا الذي يدفع الى هذا السلوك المنحرف .

وفي النوع الاول يبرز واضحا في حياة الجانح صراع داخلي مع نفسه نتيجة علاقاته العاطفية ، حين يقف جزء من شخصيته حائلا دون اغراقه في رغباته ونزعاته الشهوانية الشبقية الممنوعة المحرمة ، ويكون نتيجة هذا الصراع تطور ونمو تكوين من السلوك المضاد للمجتمع .

وفي النوع الثاني يكون الفرد في حالة صراع مع البيئة التي يعيش فيها هو ، لان هذا العالم الخارجي قد قمع رغباته الشهوانية الصبيانية . وفي ضوء طريقة التربية التي يمر بها الطفل يتحدد اتجاهه في الجناح وطبيعة العوامل المسببة له .

ولقد استطاع أيكهورن من دراسته لحالات من الجانحين امتازوا بالعنف والشدة في عدوانهم أن يتلمس في تفسير الجناح اثر الشعور بالذنب ، بل والميل الى تاثيم الذات في خلق الجناح . كانت هذه المجموعة تشمل عددا من الاطفال تعرضوا في أغلب مناسبات التربية السابقة للضرب والقسوة البدنية الشديدة . ولهذا كانوا يتوقعون دائما نفس النوع من العقاب على كل اساءة . لقد كانوا ممن لم يعرفوا الشفقة ولم يتذوقوا لها طعما ، مما يمكن ان يرجع اليه اتجاههم العدواني . ولذلك كان التوتر الذي يعقب السلوك الجناحي لا يختزل الا اذا مر الجانح بنوع من العقاب او التعذيب . الا ان العامل المهم في ذلك هو « الاحساس اللاشعوري بالذنب والحاجة الى العقاب » . فقد كان يمكن تفسير هذا السلوك الجناحي على انه انتقام من المجتمع الذيحرمهم من كل شفقة ، ورد على ما شعر به الفرد من حرمان بأن يعمل كل منهم على ايلام الآخرين ، وبذلك تستريح نفسه ولا يشعر باللذة . غير ان هذا السلوك العدواني لايمكن تفسيره على هذه الصورة خصوصا وان هذه الحالات كانت توضع في مؤسسات يصبح معها الانتقام غير ذي موضوع . ولهذا فان تفسير العدوان في هذه الحالات يتم غالبا على أنه شعور بالاثم لاشعوري نتج عن استمرار تاثيم سلوك الطفل وعقابه البدني على كل سلوك ولهذا يستمر في سلوك العدوان نمطا سائدا حتى يحصل على نفس الطريقة من المعاملة التي نشىء في الطفولة عليها ، لانه لايثق في اي طريقة من طرق اللين قد يلجأ اليها المشرفون على تنشئته بعد ان غرست فيها مشاعر الاثم وتجريم الذات .

مبدأ الواقع عند أيكهورن والتطبيع الاجتماعي :

لعل فيما ابرزه ايكهورن من مميزات اساليب التنشئة والتطبيعالاجتماعي ما قد يوضح كيف أن العلاقة بين الطفل والوالدين في مرحلة التطبيع هذه ، قد تكون مسؤولة عن تطور ديناميات السلوك المضطرب الجناحي او العصابي .

ويربط ايكهورن بين طريقة التربية والجناح حين يناقش مبدأ الواقع ووظيفة التربية في نقل الطفل اليه بعد الانغماس في اللذة . وهذه العملية ـ عملية التنشئة الاجتماعية ـ قد ثبت من اغلب الدراسات في حالات العصاب انها مسؤولة عن خلق الميول العصابية عند الاطفال . فهو يرى أن التنشئة الاجتماعية تصطنع احدى طريقتين في تحقيق ذلك : إما الثواب او العقاب . وكلاهما نافع مفيد ، وكلا منهما قد تفشل وقد تنجح . ويهتم أيكهورن باخطاء

التربية التي قد تؤدي الى الجنوح . وفي ذلك يؤكد أيكهورن أن من الممكن ان تزداد فرص نجاح التربية بازدياد الحب الذي يلقاه الطفل من الوالدين والمربين وهذا صحيح اذا اعطى بقدر معين . اما اذا جاوز الحد ، فان الثواب والعقاب لايفقدان اثرهما فحسب ، بل يؤديان الى نتائج عكسية .

فالافراط في منح الحب قد لايساعد على أن يقلع الطفل أو ينبذ كل رغبات اللذة والمتعة العابرة ، بل يجعله يستزيد منها مادام واثقا من حب والديه . وبذلك تفقد اي طريقة من طرق التربية قيمتها كباعث للالتجاء والتأثر بالواقع دون التمسك باللذة . ولعل هذا يكون واضحا في حالات الطفل الوحيد.

اما في حالة العقاب كوسيلة لمنع الطفل من الاغراق في الاشباع الغريزي غير المرغوب ، فان الطفل اذا عانى الكثير من ألوان العقاب والقسوة ولم يعوض عن ذلك بحب الوالدين له ، اندفع الى العصيان والمعارضة ولم يعد لديه بعد مايدفعه الى الخضوع لمطالبهم ، وبالتالي مايدفعه لاخضاع نفسه لمبدأ الواقع ، وصار هدفه الاول مقاومة السلطة ، وأصبحت ثورته وعصيانه لأبويه ومعلميه والمجتمع ـ وهي ثورة تهدف لتوكيد ذاته ضد هؤلاء جميعا ـ مصدر لذة قوية كتلك التي يسعد بها عند اشباعه لغرائزه . وهكذا يقع كل من النوعين بعد ذلك في صراع انكى واشد ، حين يشبع لذاته ، وهو صراعه مع المجتمع ، خاصة وقد وجد في أغلب دراساته أن السعي وراء اللذة والمتعة من خصائص الجانحين ، وهذا استمرار للرغبات الطفلية لم تنجح طرق التربية في كفه عنها او تأجيلها او حسمها بعد .

واذا كان العصاب هو نوع من النكوص أو التثبيت على مرحلة من مراحل النمو ، كما يرى علماء هذه المدرسة فان أيكهورن يرى في الجانح شبها كبيرا بالطفل حين يبين عجزه عن ترك لذة عاجلة من اجل متعة آجلة ، وهو يقول ويفعل من الامور مايبدو عاديا بالنسبة لمرحلة سابقة من مراحل النمو ، ولكنها تجعل منه طفلا شاذا أو ناشزا لانها توقعه في صراع مع المجتمع ، وهذا مانلاحظه في أغلب المؤسسات المعنية بتربيتهم . وبذلك لايختلف الجانح كثيرا عن العصابي .

الأنا وتفسير الجناح :

كذلك يؤكد ايهورن أن اضطراب نمو الذات عامل مهم من عوامل الجناح . فأغلب الجانحين يبدو عليهم أن جانبا واحدا من « الذات » عندهم هو الذي أفلح في الانتقال من مبدأ اللذة الى مبدأ الواقع ، أما الجزء الآخر فلا زال غارقا في مبدأ اللذة . ولكن لماذا يحدث ذلك ؟ يفسر أيكهورن هذه الظاهرة بما هو معروف في سيكولوجية النمو تحت عنوان « التخلف النمائي »

« Developmental lag » [1] وفيه تنمو ناحية من نواحي الذات نموا يناسب مرحلة النمو ، بينما تتخلف جوانباخرى عن مسايرة هذه الناحية الاولى . وقد اطلق على هذه الظاهرة ايضا كف النمو . ولكن تفسيره لهذا التخلف النمائي كان متمشيا مع الاطار العام لنظرية التحليل ، فهو نوع من النكوص لمستوى سابق من مستويات النمو .

والجناح في نظر أيكهورن « اما ان يكون نتيجة لكف النمو او النكوص الذي يلحق أي ناحية على طول طريق النمو من التكيف البدائي مع الواقع حتى التكيف الاجتماعي . والجانح يتكيف تكيفا بدائيا مع الواقع ، ولكنه يفشل في مواجهة المشكلات التي تقابله في طريق تكيفه الاجتماعي ، وهذا يعجزه عن السيطرة بطريقة مقبولة ويوقعه في صراع مع المجتمع » .

وبهذه الطريقة يفسر أيكهورن نوعين من الجنوح ، هما أهم أنواعه :

آ ــ الجنوح الذي يرجع للافراط الشديد في المحبة .

ب ــ الجنوح الذي يكون نتيجة الافراط في القسوة والحرمان .

ويشرح ايكهورن كيف ان كلا من الاسلوبين في التربية ، يجعل الطفل مسرفا في الاغراق في اللذة ، حتى في حالات القسوة عندما ينعم بالمعاملة المتناقضة بين الام والاب ، ولا ينتقل الى الواقع في كل من الحالتين بصورة سوية . وفي حالات القسوة الشديدة يكون الجنوح نوعا من النكوص ، بعد نجاح ظاهر نتيجة استعمال القسوة في التربية . وبالنكوص يعود لمبدأ اللذة القديم .

ولما حاول تفسير سبب عدم تأثير العقاب في تغير السلوك الجانح ، ارجع ذلك الى ان النكوص لمرحلة من مراحل الاغراق في اللذة يعني أن من الصعب عودة الطفل الى طريق النمو السليم ، وهكذا لا ينفع في تعديل سلوكه العقاب ، ومن ثم يصير الطفل اقل استسلاما او استجابة للشدة والحزم ، بل قد يثير فيه ذلك عدوانا كامنا يظهر في صورة عنف أو تمرد او عصيان في أواخر الطفولة وأول المراهقة .

تكوين الأنا الاعلى عند الجانحين :

يرى أيكهورن ان الفرق بين الجانح وغير الجانح انما يوجد في الأنا الاعلى والأنا والعلاقة القائمة بينهما . ففي الاسوياء يرتبط الأنا الاعلى بالأنا حين يكون للأول مطالب معقولة متناسقة ومتمشية معها « أنا » منظمة تعمل على تحقيق مطالبها . والذات العليا في كثير من حالات الجنوح تفتقر الى الكثير من الصفات التي يتطلبها المجتمع تتمسك بالمطالب الاجتماعية بصورة منحرفة أولا تأخذ بها على الاطلاق . ويتضح ذلك في حالات تقمص الحدث لاشخاص من بيئة اسرية مجرمة أو منحرفة ، فيتخذ لنفسه ذاتا عليا لايقرها المجتمع . هنا

---

(1) Hurlock, E. : Developmental Psychology. Mc. Graw Hill Book Company INc. 1959 .

تكون العلاقة بين الأنا والأنا الاعلى علاقة عادية ، اما موقفها من العالم الخارجي فهو موقف منحرف عن الاوضاع المقبولة . هؤلاء هم الاطفال الذين تتوجه شحنة الموضوع لديهم « Object cathexes » والتقمص والقوة الدافعة للصفات التي يكتسبها الطفل نحو القيام بما كان يقوم به أبوه أو موضوع تقمصه في الاسرة .

واذا كانت الذات العليا تقوم على نواة الحب الاولى وهي توجيه الشحنة نحو موضوع الاب أو الام ، وكانا احدهما أو كلاهما ، فعلا سيئا في طريقةتكيفه، في الغالب أن تنتهي عملية التقمص بذات عليا عليلة او مضطربة ، خصوصا اذا كان لايستقر على موضوع بسبب استمرار نقله أو تغيير موضوعاته .

اننا حين نستعرض تفسير أيكهورن لظاهرة الجناح نجد أنه أبرز أمورا معينة ، اهمها :

- انه كغيره من التحليليين جعل تطور الطاقة اللبيدية ترتبط بمشكلات الجناح .
- اكد وجود حالات من القلق نتيجة الصراعات الناجمة عن تطور هذه الطاقة ، وفسر الجناح على انه وسيلة دفاعية ضد هذا القلق .
- اهتم بمراكز معينة من النمو النفسي الذي تكمن وراءه هذه الطاقة مثل المرحلة الاوديبية ، ومرحلة التقمص ، وكذلك ماسبقهما من مراحل كالمرحلة الفمية وربط بين الاحباط فيها وبين اغراض الجناح .
- اكد دور الخبرات الطفلية ، والعلاقة بالوالدين ، وأثر الصدفة والازمة في خلق الجناح أو الاسهام في استثارة ما اسماه الجناح الكامن . كما ابرز دور العلاقة بالاخوة في بعض الحالات .
- وفيما يختص بطبوغرافية الشخصية في رأي أصحاب هذه المدرسة اهتم ايكهورن بالدور الذي يلعبه الأنا الاعلى المزق المهلهل او الضعيف أو السيء التكوين في اتاحة الفرصة للميول الجناحية أن تظهر صريحة .
- لم يهمل التنويه الى التربية الخاطئة وآثارها في خلق الجناح .

والمهم في كل هذا انه كان يجد شبها كبيرا بين ظروف خلق الجناح وتمهيد السبيل اليه ، وبين هذه العوامل المصاحبة لحالات العصاب ، بل انه اكد في اكثر من حالة من حالاته الشبه بين الصراعات عند كل منهما .

ولكنه لم يبرز بصورة واضحة الاختلاف بينهما في البناء العام للشخصية الا فيما اكده من ان الجانح يمتاز عن غيره ــ عصابيا كان أم سويا ــ بوجود ماسماه الجناح الكامن ، الذي بتفاعله مع ظروف بيئة معينة يتحول الى ذلك النوع الصريح من الجناح .

كذلك لم يهتم بابراز أثر المطالب الثقافية التي تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية في توجيه السلوك المتمدن نحو الجناح او العصاب ، ولم يهتم كذلك بالفروق الطبقية في خلق ديناميات السلوك الجانح والعصابي ودوافعه .

الفصل الرابع

آراء التحليليين من غير الفرويديين في تفسير الجناح والعصاب

تمهيـــد :

يعرض الكاتب في هذا الفصل آراء مجموعة من انصار مدرسة التحليل النفسي ، رأوا ان يخرجوا عن نطاق الفكر التحليلي الارثوذكسي الفرويدي في كثير من محاور النظرية القديمة ، ولقد كان لهؤلاء جميعا وجهات نظر خاصة في نمو النفس وتطور السلوك ، كما كان لهم ، أو لكل منهم على حدة بلغة أصح ، وجهة نظر خاصة ، تختلف في كثير أو قليل ، عن وجهة نظر فرويد نفسه في تفسير السلوك اللاسوي وديناميياته .

حقيقة لقد كانوا من تلاميذ « فرويد » نفسه ، ولكنهم أمام النقد الذي وجه لنظرية التحليل النفسي عامة في ثوبها القديم ، أو كما نادى بها فرويد ومن تمسك باتجاهاته الفكرية ، رأوا ان يعدلوا من اطار نظرية التحليل تعديلا يبدو متغيرا خاصة في تنظيم الشخصية ودينامياتها عما جاء على لسان فرويد .
واذا كان الكاتب يقتصر في هـذا الفصل على آراء واحد أو اثنين من تلاميذ فرويد ، فانما يضرب بذلك مثلا فقط للتحول الكبير في آراء التحليليين في تفسير السلوك الانساني وتطوره ، في سوائه اولا سوائه ، ولا يعتبر ذلك حصرا شاملا لها .

ولقد كان الاغلب في نقد نظرية فرويد انها لم تهتم بالنواحي الثقافية ودورها في تطور ونمو جوانب النفس الانسانية ، ورغم ان الكاتب يعتقد أن اهتمام نظرية فرويد بما أسماه علاقة الفرد بالواقع ، وأثر الواقع في نمو الطاقة اللبيدية وتطورها ، ثم في حدوث المركبات النفسية ... الخ ، انما يقوم دليلا

على أن هذا النقد يغلب ان يكون مجافيا للصواب ، فانه يعتقد ان من المفيد هنا للقارىء ان يعرض آراء من خالفوه .

هذا ولم تختلف أساليب تلاميذ فرويد عن أساليب أستاذهم في طريقة البحث العلمي كثيرا مما يدخل هذه الآراء في هذا الباب من الكتاب ، وهو الباب الخاص بالنظريات العامة والآراء النظرية في تفسير الجناح والعصاب .

كارن هورني ورأيها في تفسير الجناح والعصاب

تعتبر كارن هورني من العلماء التحليليين الذين حاولوا أن يبلوروا الكثير من مفاهيم فرويد بطريقة امتازت بالاهتمام بالناحية الثقافية من حياة الفرد ، كما اهتمت بأثر العلاقة بين الفرد والآخرين في خلق العصاب .

١ ـ تفسير العصاب :

لقد كانت واحدة من مجموعة من العلماء الذين استبعدوا وعارضوا نظرية فرويد في الفرائز ، فقد رات ان محور العصاب يكمن في العلاقات الانسانية . وعلى العموم نجدها تشير الى ان العصاب يظهر في ظروف ثقافية خاصة عن طريق عوامل بيئية تعوق النمو النفسي السليم للطفل . فبدلا من أن ينمي الفرد نوعا من الثقة الاساسية في نفسه وفي الآخرين ، نجد الطفل ينمي «قلقا أساسيا» . وقد عرفت هذا القلق بأنه (الشعور بالعزلة والعجز في عالم مليء بالعداء والعدوان اصلا) ، ولكي يحتفظ الطفل بهذا القلق الاساسي في أقل درجة ممكنة ، نجد ان الفرد يتجه بطريقة تلقائية نحو الناس او ضد الناس او بعيدا عن الآخرين . وفي كل حالة من هذه الحالات نجد ان الفرد تكون لديه هذه الاتجاهات ، ويكون احد هذه الانماط السلوكية هو القالب في حياته وعلى سلوكه ويسيطر عليه سيطرة قهرية . هذه الاتجاهات المتعارضة في العلاقة بين الفرد والآخرين ، تكون في حالة تعارض وتنافس ، ومن هنا تتولد الصراعات ، وهي الصراعات التي سمتها كارن هورني « الصراعات الاساسية » « Basic conflicts » والتي تكون نتيجة حاجات متصارعة ، واتجاهات متعارضة فيما يتعلق بالآخرين . والفرد حين يحاول أن يحل هذه الصراعات انما يأتي بمحاولات هائلة للتوافق والتكامل ، وذلك عن طريق الاستسلام للسيطرة التامة لبعض هذه الحاجات والاتجاهات وكبت ما عداها .

ولقد ابرزت كارن هورني في دراستها للعصاب الكثير من الحاجات التي تميز العصابي ، والطريقة العصابية التي يشبع بها هذه الحاجات ، كما أبرزت من دراستها التحليلية الكثير مما أسمته « الميول العصابية » « Neurotic trends »[١] .

---

(1) Horney . K. : Our Inner Conflicts . Broadway House, L. London. 1946 .

حاولت هورني بذلك أن تفسر معنى الصراع تفسيرا يختلف عما ذهب اليه فرويد من أن الصراع ينشأ من محاولة نزعات غريزية فسيولوجية ان تظهر - ولكن الأنا تقوم معها في صراع خوفا من تهديدها ، وهذا هو الصراع الاساسى عند فرويد ، أما الصراع عند كارن هورني فهو الصراع بين اتجاهات متعارضة في تعامل الفرد مع العالم (ثقافة مليئة بالعداء والعدوان) .

وتذكر هورني أنه لفهم طبيعة الحاجات والاتجاهات المتعارضة عند الفرد العصابي نحو الغير ، لابد ان ترجع الى المصدر الذي قد بدأ منه القلق الاساسي، وهو الذي قد يتولد لدى الطفل نتيجة انعدام الدفء العاطفي في الاسرة ، وأنواع التربية الخاطئة والتناقض والتعقيد الموجود في البيئة والثقافة ، مما يشعره بضعفه وعجزه تجاه من يعاشرهم ، وبذلك يتلمس طرائق للاستمرار في نموه وتطوره ، ويحاول ان يجد طرائق مقبولة للتعامل مع هذا العالم العنيف ،وبذلك تنمو لديه اتجاهات معينة تصبح جزءا من شخصيته وقد أسمتها الميول العصابية « Neurotic trends » [1] .

وتؤكد كارن هورني أن العمليات النفسية الداخلية « Intrapsychic » تكون دائما متداخلة مع تلك العمليات المرتبطة بالعلاقات بالغير ولذلك تجدها حين تدرس طبيعة الحاجات العصابية تهمل ناحية العلاقات بالغير .

فحاجة العصابي الى الحب لايمكن أن تدرس دون دراسة التكوينات او الصراعات النفسية الداخلية المرتبطة بها ، ومن بين الميول العصابية التي ذكرتها كارن هورني ذكرت ان الكثير منها له مغزى نفسي داخلي مثل الحاجة القهرية للضبط « Control » بواسطة قوة الارادة او التعقل أو الحاجة القهرية للكمال ، وفي كل ذلك لاتهمل كارن هورني الفكرة الاساسية وهي أن اعصاب في جوهره اضطراب في العلاقات الانسانية .

وفي تفسيرها للذات العليا او الذات المثالية « Ideal self » اختلفت كثيرا عن فرويد . فقد اعتبرت ان الذات العليا التي يكونها الفرد عن نفسه ، تصبح قوة معطلة للنمو الطبيعي للفرد حيث تكون عاملا معطلا لدوافع النمو عند الفرد أو لادراكه لقواه وامكانياته ، لانها دائما تدفعه لان يحقق هذه الذات المثالية وان يجعلها واقعية ، وفي ذلك تكون هذه الذات المثالية التي تكون مشتقة من احتكاك الفرد بالآخرين ، مصدرا من مصادر كراهية الفرد لذاته ، بنفس الطريقة العنيفة الغير منطقية التي تكونت بها ذاته المثالية . وهكذا ينشأ صراع بين الذات الواقعية والذات المثالية ويصبح تعريف العصاب في نظرها :

« انه اضطراب في علاقة الفرد بنفسه وفي علاقته بالآخرين » .

---

(1) Horney, K. : The Neurotic Personality of Our Time . Kegan Paul, Trench, Trubner and Co . L. T. D. 1953 .

وهكذا ينشأ نوع من عدم الرضى عن الذات ، ويتطور ذلك بصورة أعنف حين يبدأ الصراع بين الاتجاه نحو الغرور الذي يكون مصدره مفهوم الفرد عن ذاته المثالية ، وبين ادراك الذات الواقعية . هذا ماتسميه كارن هورني الصراع المركزي الداخلي « Central Inner Conflict. » ، وهو صراع يوسع دائرة مفهوم العصاب ، ويجعل العصاب يتضمن صراعا بين دوافع متعارضة [(١)] .

وقد تطورت آراء كارن هورني عن الصراعات المركزية وأصبحت تفهم في حالة العصاب على أنها صراعات بين القوى البناءة في الذات الحقيقية ، والقوى المتعارضة للتنظيم الاكبر الذي يتضمن الغرور ، بين النمو السليم وبين الدافع لاثبات واقعية الذات المثالية ، ولعل هذا يفسر الكثير من ان العصاب يرتبط في حالات كثيرة بالبون الشاسع بين مستوى الطموح وبين الامكانيات الواقعية للفرد .

ولقد تحقق « لكارن هورني » ، من دراساتها الاكلينيكية ، أن الكثير من اشكال العصاب ترجع الى هذا الصراع المركزي ، وان الاختلافات التي قد تظهر في شخصية العصابي لاتعدو ان تكون اختلافات في الوسائل الخيالية لحل الصراعات بين عناصر النفس الداخلية ، كما انها ترجع الى اختلاف في مدى ادراك أو قرب ناحية من هذه العمليات من متناول وعي الفرد .

حاولت كارن هورني ان تصور الصراعات داخل عناصر النفس عندما درست وأبرزت الكثير من الحاجات والدوافع العصابية التي فشل فرويد من قبل في ادراك اثرها في خلق العصاب ، وهذه الحاجات هي الحاجة للحب ، والحاجة للانتصار والتفاخر « Glory » والمركز والاهمية ، والحاجةللامتلاك ، التي تلعب دورا هاما في خلق القلق المسبب للعصاب حين تصطدم بالشعور بالعجز عند العصابي ، ولقد أهمل فرويد أهمية الدور الذي تلعبه هذه الحاجات وأثر احباطها في خلق العصاب ، لانه كان يعتقد ان الحاجة للانتصار والتفاخر ميل فطري عام ، كذلك لانه اهتم بدور الغريزة الجنسية بأشكالها وتطورات الطاقة اللبيدية التي فسر على أساسها أشكال الطموح وحاجة الفرد للحصول على اعجاب الغير وغير ذلك ، كما انه اهتم في اغلب دراساته بالعلاقات والخبرات الطفلية دون عناية بما قد يطرأ على شخصية الفرد من تغير نتيجة تفاعله مع الغير او صلاته بالقيم السائدة [(٢)] .

ولكي نتابع أنواع الصراع التي تخلق القلق عند الفرد في رأي هورني نجد أن محورها هو الشعور بالعجز امام العالم المعادي المليء بالبغضاء كما يراه

---

(1) Horney, K. : Our Inner Conflicts. Ibid .

(2) Horney, K. : The Neurotic Personality of Our Time. Ibid . P. P. 185 ...

العصابي ، وهو ماينـدفع اليـه الفرد كما ذكرنا بأحد اتجاهات ثلاثة ـ ضد الغير، مع الغير ، الانسحاب بعيدا عن الغير . وفي كل حالة من هذه الحالات نجد عنصرا من عناصر القلق كما عرفته « كارن هورني » فالاتجاه الاول يتضمن الشعور بالعداء ، والاتجاه الثاني يتضمن الشعور بالعجز والاتجاه الثالث يتضمن الشعور بالعزلة ، وهي العناصر الثلاثة التي تدخل في القلق كما عرفته .

والواقع ان هناك صراعات معينة تنشأ عند الطفل كلما وجد نفسه مدفوعا لواحد من هذه الاتجاهات . فالعدواني مثلا تكون لديه الرغبة في المحبة والحاجة للانعزال ، ولكنه يتحرك في الاتجاه الاقوى ، وتتصارع في داخلية نفسه الاتجاهات الاخرى مع هـذا الاتجاه تصارعا قد يثير فيـه درجة أو اخـرى مـن القلق .

والصراع في نظر « هورني » كما بينا لايبقى محصورا في جهة واحـدة او جزء واحد من الشخصية بل ان الصراع الناجم عن طبيعة علاقتنا بالآخرين ينتقل كما بينا الى صراع بين مكونات النفس حين تتحدد السمات التي تميز الفرد واهدافه من علاقاته بالغير . وهكذا تكون الاتجاهات المتعارضة مما يضع الاسس الاولى للصراعات النفسية .

هكذا تبرز كارن هورني مجالات جديدة للصراع هي :

- الصراع بين الاتجاهات التي يتخذها الفرد في علاقته بالغير .
- الصراع بين الحاجات والدوافع النفسية عند العصابيين .
- الصراع بين الذات الواقعية والذات المثالية التي يكتسبها الفرد من الثقافة التي يعيش فيهـا .

هذه كلها تسهم بقسط كبير في صراعات العصابي التي تكمن بدورهـا وراء مايشعر به من قلق . والعصاب بهذه الصورة هو تعبير عن اضطـراب في العلاقات الانسانية ، ولا توجد حالة صراع الا اذا وجدت ظروف بيئية يشعـر فيها الفرد بالحرمان والشعور بالعجز ، والصراع ينتج عن القلق الاسـاسي عنـد الفـرد .

القلق والعصاب في نظر هورني :

يعتبر القلق في رأي هورني « المحور » الديناميكي للعصاب : فهو القوة الدافعة لكل مظهر أو عرض من أعراض الامراض النفسية . وتهتم هورني في هذا المقام ، كما يهتم فرويد ، بخبرات الطفولة واثرها في خلق القلق ، ولكنها تعارض في ان الخبرات الطفلية غير قابلة للتعديل . فخبرات الطفولة شـرط لازم للعصـاب ولكنها وحدها لاتكفي ، بل ان الظروف البيئية قد تلطف مـن آثار هذه الخبرات ، وقد تزيدها عمقا ، الامر الذي يتوقف على درجة عنف الاحباطات والقسوة التي مر بها في طفولته الاولى .

والشخص العصابي الذي يتعرض لخبرات طفلية تزيد شعوره بالعجز ، قد يتعرض لخبرات جديدة بعد ذلك تزيد تعميق وتقوية الاتجاه السائد عنده والذي يأخذ صورة الانسحاب من العلاقات بالغير غالبا ، وفي هذا يظل جامدا ليس لديه مرونة ، لايعبأ بمطالب الظروف الراهنة التي يعيش فيها ، لانه مدفوع مقهور قهرا على ان يسير في هذا الاتجاه اللاسوي . والعصابي يعكس قلقه على العالم الذي يعيش فيه وينظر اليه على انه اكثر عدوانا واعظم خطرا ، مما يزيد شعوره بالعجز والضعف وتتطور لديه انماط السلوك التي تميل للانسحاب والانعزالية والحدة والتحاشي .

هذا القلق يعبر عنه الطفل في انماط سلوكية تأخذ احيانا صورة الحذر والحيطة ، او الخوف من مظاهر طبيعية كالزلازل والبراكين [1] ، او الجراثيم او القدر والمستقبل والموت الخ ، من مظاهر القلق التي تعطل الكثير من وظائف الذات الاصلية ، وتعطل بالتالي عملية النمو السليم والتوافق السليم في العلاقات مع الغير .

وتطور العادات العصابية بهذه الصورة عملية معاكسة للتطور والنمو الطبيعي للفرد ، او هي مظهر شاذ لهذا النمو ومضاد للنمو الطبيعي من عدة نواحي ، فالقلق الاساسي الذي يبدأ نموه في داخلية الفرد ، يؤثر في نمو حاجات قهرية ، ويفرض عليه طريقة لاشباع هذه الحاجات تزيد اضطراب العلاقة بينه وبين الآخرين ثم بينه وبين نفسه ، وتجعله في صراع دائم داخلي ، وخاصة عندما تتطور الى حاجات خيالية بعيدة عن المعقول لاتتحقق في عالم الواقع .

واذا استعرضنا ماجاء في الفصلين السادس والسابع من كتابها «الشخصية العصابية في عصرنا الحاضر » نجد أنها تبرز أثر هذه الحاجات والطريقة التي يلجأ اليها الطفل العصابي في اشباعها ، واثر ذلك كله في تعمق حدة القلق ، وتعزيز العصاب [2] .

فالعصابي يطالب الآخرين باشباع حاجاته العديدة دون ان يلعب دورا ايجابيا في مقابل ذلك او ليصل الى ذلك الاشباع بل يعتقد أن عدم اشباعها ، رغم ذلك ، يعني مزيدا من النبذ والعداء والكراهية . واذا لم يجد من الآخرين استجابة لهذا ، تحطمت آماله وازداد قلقه ، وحقده على العالم الخارجي ثم

---

(١) عرضت على الكاتب حالة طفل اعرض عن الذهاب للمدرسة خوفا من زلزال يدمر البيت وفيه أبوه وأمه ، وكان في الواقع يسقط على هذه الظاهرة قلق فقدان الاب المريض بالقلب المسن الذي انجبه ليعيش بين اخوة غير اشقاء عانى من عداوتهم كثيرا .

(2) Horney, K. : The Neurotic Personality of our Time. Ibid. P. P. 41 - 88 and Chs. 6 - 7 .

يعود الى كراهية نفسه ، وكراهيته لذاته الحقيقية ، وهنا ترجع هذه الاتجاهات لاحساسه بضعفه وعجزها ، ويكره ذاته العصابية لانها تهدده وتسبب له دمارا في علاقاته وهذا هو محور ماسمته هورني « الصراع المركزي الداخلي » صراع بين الذات المثالية والذات العصابية ، وهو صراع يختلف عن الصراع الاساسي الذي يمر به الطفل والذي يخلق الاتجاهات العصابية الاولى ، وقد يتطور هذا الصراع المركزي الى مزيد من كراهية الذات وتأثيمها وتجريحها « Self recrimination » في الوقت الذي يسعى فيه جاهدا لاشباع حاجته للحب والسيطرة والامتلاك الخ . وهكذا يتعقد الصراع ويزداد عمقا [1] .

وفي ذلك تقول « هورني » ان كراهية العصابي لنفسه وابتعاده عن طبيعته الاصلية وتلقائيته المعهودة ، يجعل سلوكه مدفوعا بقلقه ولا يرجع الى خصائصه وسماته ، وهو يسلك هذا السلوك ليستعيد مركزه وشعوره بالامن .

وتؤكد كارن هورني أن كل اشكال السلوك العصابي ، تهدف الى تحقيق حاجات عصابية حددتها كما بينا ، الا أن الطريقة التي يلجأ اليها العصابي في اشباع هذه الدوافع تبدو غريبة بحيث تسهم هي ذاتها في تعميق حدة القلق ، وهي لهذا ترسم هذه الدورة في صورة حلقة مفرغة حين تبدي اهتماما بالغا بالحاجة للحب عند العصابيين .

فالعصابيون جميعا يسعون لتحقيق حاجة ملحة للحب بكافة الوسائل ، وتكون هذه الحاجة مبالغا فيها بحيث تتضمن المطالبة بحب خالص مركز له وحده دون شروط ، ولكن الواقع لايشبعها كما يهوى العصابي ، فيشعر بأنه منبوذ ، ويستجيب للنبذ بشعور شديد العداء والكراهية ، الا انه سرعان ما يجد نفسه في حاجة لكبت هذا العداء لشعوره بالعجز من جهة وخوفا من فقدان مصدر الحب من جهة اخرى ، وهكذا ينشأ لديه توتر بسبب الغضب المنتشر « Diffused »يؤدي الى زيادة القلق ، ويعود فتزداد حاجته لتأكيد ذاته بطريقة عصابية وهكذا دواليك [2] .

وهي حلقة مفرغة يسير فيها كل من يعاني اضطرابات عصابية تزيد حالة العصاب تعقيدا خاصة حين يلجأ العصابي الى الطرق الاستجدائية الاستعطافية لاشباع حاجته للحب كاستعمال الرشوة او الالتجاء لاستثارة الشفقة ، أو الالتجاء للطرق التي تثير الغير بوسائل بدائية كالتهديد او المطالبة بالمعاملة العادلة .

---

(1) Horney, K. : The Neurotic Personality of our Time. Ibid. P.P. 41 - 88 and Chs. 6 - 7.

(2) Horney, K. : Ibid. P. 233 .

(3) Ibid : P. P. 128 - 139 .

ان « كارن هورني » حين تهتم بتفسير العصاب تعنى عناية فائقة بتنظيم الشخصية وخاصة العوامل الديناميكية التي تفسر العصاب تفسيرا وظيفيا على أنه محصلة مجموعة من الصراعات والعوامل الديناميكية ومنها القلق ، فهي لا تكتفي بدراسة الخطوات التي يسير فيها العصاب والمراحل التي يمر بها كما يفعل فرويد ، بل تحاول ابراز العوامل اللاشعورية الموجودة في نفسية العصابي ، وتداخلها وآثارها على طريقة سلوكه الحاضرة ، وهي حين تدرس العصاب لاتهتم فقط بالخبرات الطفلية وحدها ، بل تهتم أيضا بالصراعات التي تنشأ نتيجة الثقافة التي يعيش فيها الفرد ، فالسلوك العصابي الذي يرى فرويد انه تكرار للماضي لايمكن تفسيره على هذا الاساس ، بل لابد أن نأخذ في الاعتبار اثر الثقافة في تقوية هذا الاتجاه او اضعافه ، فليس الراشد او المراهق هو الطفل الاول في صورة اخرى (١) .

ولهذا نجد « كارن هورني » لاتهتم بالناحية البيولوجية في تفسير العصاب بقدر ماتؤكد اهمية المشكلات التي يمر بها الفرد في المجتمع كالعداء والحب والشهوة والانعزال والتنافس وغيرها من العوامل الاجتماعية ذات الاثر الكبير في خلق العصاب أو تقويته وتعميقه .

وتعرض لنا « هورني » في تفسير العصاب الكثير من العوامل الثقافية التي تسببه واهمها :

١ ـ التنافس والفردية :

ويرتبط ذلك بخلق الحاجة العصابية للشهرة عند الافراد وحاجتهم للحب ، وغيرها مما يظهر آثاره اذا احبطت هذه الحاجات في صورة حقد وحسد وغيره الخ .

٢ ـ عدم المساواة :

في نواحي عديدة في الثقافة كالملكية والتعليم وغيرها وهي ظاهرة تهدم العلاقات الانسانية بما تبذره من بذور الحقد والحسد والضغينة .

٣ ـ الاستقلال :

حين يشعر الفرد انه من العجز بحيث يستغله الآخرون دون أن يمتلك مقومات القوة اللازمة لمحاربة هذا ، وذلك لانه يشعر بالقلق والخوف وفقدان مصدر الحب .

هذا وترجع كارن هورني تعمق شعور العصابي بالعجز الى ما قد يتعرض له من فشل في اشباع حاجة من حاجاته ، مما يخلق فيه عدم الثقة وشعور

---

(1) Horney, K. : The Neurotic Personality of our time. Ibid

متزايد بالعجز وهو امر يمكن ان تخلو منه ثقافة ما[1] .

وحين حاولت « هورني » أن تفسر « كيف يصاب فرد ما بالعصاب في ثقافة ولا يصاب فرد آخر مع تعرضهما معها لهذه المظاهر الثقافية العامة ». فسرت ذلك بأن هذا يتأثر بخبرات الطفولة الاولى التي ترجع الى علاقة الطفل بوالديه ودرجة تقبلهم له وحدبهم عليه ، وعلاقة الاخوة بعضهم ببعض ، وعلاقة الطفل بالاقران والاقارب ، وتبرز « كارن هورني » في ذلك المقام أثر طريقة التنشئة التي يلجأ اليها الآباء في خلق العصاب حين تقارن بين الطريقة التي تقوم على النبذ والعقاب والحرمان والتي تتضمن العطف والحب والحنان .

الجناح في رأي كارن هورني :

ويبدو واضحا من هذا أن « كارن هورني » قد ركزت جل اهتمامها على الشخصية العصابية ، ولم تفرد بحوثا خاصة لدراسة الجناح ، ويمكن ان يكون ذلك راجعا لانها تعتبر الجناح مظهرا من مظاهر العصاب يعتبر استجابة للقلق والشعور بالعجز .

ويمكن ان نلمس ذلك في كثير من كتاباتها :

فهي حين تتحدث عن اشكال الشخصية وصورها الثلاثة ، النمط المساير « Compliant » والنمط العدواني « Aggressive type » أو النمط الانسحابي « Detatched type » ترى فيها انها لاتعدو ان تكون انماطا من الشخصية لكل منها أساليب خاصة لتحقيق الوصول الى الشعور بالامن وهي أساليب تكون غالبا استجابة للقلق الذي يعانيه الفرد ، ويهمنا من هذه الاشكال الثلاثة النمط العدواني خصوصا اذا اعتبرنا ان الجناح يتضمن العدوان بصورة او بأخرى .

والشخصية من هذا الطراز يتجه فيها سلوك الفرد ضد الآخرين ، حين يعتقد ان جميع الافراد يكنّون له الحقد والعداء ، وتبرز في علاقته بالغير رغبته في السيطرة والقوة ، ونظرته للحب والتعاطف والصداقة وغيرها من العلاقات على أنها اشكال من الذل والضعف والاستعطاف . ولذلك يحارب كل هذه المشاعر ويكبتها .

هذا النوع من الافراد ينشد القوة والعظمة على انها الطريقة المثلى التي يواجه بها العالم ويناضل من اجل استقلاله ، ويكره مشاركة الغير ، وينفر من كل ضغط او اكراه ، ويثبت آراءه ويميزه رغبته البدائية في السيطرة بأي وسيلة بالفوز على الغير ، او تحقيرهم ، او حبك المكائد لهم وغيرها من

---

(1) Horney, K. : New Ways in Psychoanalysis . W. W. Norton New York. 1939 . P. P. 178 - 179 .

وسائل اشباع عدائه للآخرين ، ومما يميزه ايضا رغبته في الكسب والامتلاك بكافة الوسائل ، حتى ولو سخر من اجل ذلك غيره مـن الناس ، فهو يسعى لتأكيد ذاته بكافة السبل سواء بشحذ وتنمية قدراته وتنمية كفاياته ، أو بطرق غير معترف بها في ثقافته ليشبع حاجته للتفوق ، ولكنه لايشعر بالسعادة لانه يعاني مزيدا مـن القلق بسبب عدم ملاءمة الطرق التي يلجأ اليها للاوضاع الاجتماعية السائدة [1] .

يبدو واضحا في هذا كله أن كارن هورني تحدد مفهوم الجناح تحديدا اجرائيا يبدو بارزا فيه أنماط السلوك التي يتبعها اي جانح لكي يشبع حاجاته، وما قد يتعرض له الجانح بعد ذلك من مشكلات القلق من الفعل الجناحي نفسه ، شانه في ذلك شأن العصابي حين يعاني من نتائج العرض وما يترتب عليه مما يؤرقه قلقا يجعله يعيش في نفس الحلقة المفرغة من القلق ثم الفعل الذي يخفض القلق مؤقتا ثم قلق الشعور بالنبذ ثم تكرار الفعل وهكذا .

ان هذا النوع من الناس يلجأ الى هذا السلوك كوسيلة لتحقيق الامن . كذلك تربط كارن هورني بين الكثير من اشكال الانحراف الجناحي وبين الحاجات العصابية كالحاجة للتملك والحاجة والحاجة للحب ، تلك الحاجات التي ترجع الى انعدام الشعور بالامان ، وتشبع حاجة الفرد وتقلل القلق [2] .

فكثيرا ماتكون السرقة ترجع الى حاجة عصابية للتفوق على الغير او الحاق الضرر بالغير ، او حرمان الغير ، وهي دوافع لاشعورية تكمن وراء هذه الاشكال من السلوك . وفي ذلك تعود كارن هورني لتؤكد ان الاوضاع الثقافية مسؤولة عن خلق القلق الذي يكمن وراء هذه الاشكال السلوكية ، وان طرق التربية كثيرا ماتساهم في ذلك ، والفرق بين الجانح والعصابي في هذه الحاجات هو ان الاول يشبعها بالعدوان ، اما الثاني فانه يشبعها بأساليب الاستعطاف والاسترحام والالحاح على الغير لاشباعها .

اما عن طرق التربية فمثلا نجد الاشعار الدائم بالفقر ، او الاشعار بالضعف ، أو مقارنة الفرد لذاته بالآخرين ، او مقارنته بالآخرين عن طريق المشرفين على تنشئته ، كل ذلك قد يخلق فيه الاتجاه العدواني كاستجابة للقلق الناجم عن فقدان الشعور بالامان .

كذلك يمكن ان تفسر الكثير من اشكال الجنوح في ضوء ماكشفت عنه

---

(1) Munroe, Ruth, L. : Schools of Psychoanalytic Thought. The Dryden Press . N. Y. Third Printing . P. P. 448 - 449 .

(2) Horney, K. : Ibid. P. P. 179 - 182 .

دراسات « كارن هورني » . فالهروب والمروق مثلا قد يكون كل منهما راجعا الى قلق ناجم عن شعور الفرد بتهديد أمانه حين يلمس في العالم الذي يعيش فيه انه مستغل استغلالا خطيرا يزيد قلقه ، او حين ينظر للناس جميعا نظرة عداء ، وتثار لديه علامات الغضب كثيرا ، ولكنه يكبتها فتزيد قلقه ولا يجد مفرا من اتخاذ سلوك يبدو انسحابيا في ظاهره ولكنه عدواني في مضمونه ودوافعه ، كالهرب او المروق مثلا .

وهكذا يمكننا ان نتلمس من الدوافع العصابية ، ومن القلق الاساسي في نظر « كارن هورني » كيف ان العقوبة البدنية المستمرة ، والمعروفة في ثقافة اسر الجانحين ، انها اكثر تواترا ، تزيد شعور الطفل بالعجز والعداء للغير ، وتهدد حاجته للحب ، مما يجعله يتلمس اشباع هذه الحاجات بطريق جناحي كالهروب الى اقران السوء مثلا ، او الانضمام لعصابات المارقين او الخارجين على القانون [1] .

يبدو ان كارن هورني حين ترسم صورة الشخصية العدوانية تحدد لنا الاطار العام والديناميات الكائنة وراء السلوك العصابي الجانح ، فهي بذلك لاتجد الا ان الجانح صورة من صور العصاب لايختلف عنه في غير الخبرات الطفلية ، الا انها لم تحدد طبيعة هذه الخبرات الطفلية ، وأثرها في خلق عمليات نفسية معينة يمكن ان تكون عوامل محددة في خلق اتجاه الفرد ضد الآخرين .

نقد وتعليق على آراء هورني :

لقد اجادت « كارن هورني » كثيرا توجيه الفكر النفسي الى امور أغفلتها غيرها من المدارس في علم النفس عند التحليليين وذلك حين أبرزت دور الانحراف في اساليب التنشئة في خلق حالات العصاب والجناح معا .

كذلك أوضحت كثيرا كيف ان العالم المحيط بالفرد يلعب دورا كبيرا في خلق حالة القلق التي يعانيها والتي تكون ذات دور فعال في الانحراف نحو العصاب او الجناح او كليهما .

واذا كانت « كارن هورني » لم تتعصب كثيرا للنزعة الجنسية وكبتها وصراعاتها ودور ذلك في خلق حالات العصاب والعدوان ، فانها لم تهمل حاجات الانسان للحب ، ولكنها كانت تميل لاعتبار الحب نوعا من الحاجة للتعاطف من الغير اكثر منه حاجة ذات طبيعة بيولوجية جسمية تسعى للتعبير بكافة الوسائل وتتطور في موضع الاشباع من الجسد ، ثم في الموضوع الذي يتخذ منه الفرد وسيلة لاشباعها .

---

(1) Norney, K. Ibid : P. P. 185 - 186.

ولقد ابرزت كارن هورني نقطتين هامتين في تطور الاضطراب السلوكي تعتبر فيهما فريدة وتختلف في ذلك عن استاذها :

الاولى انها جمعت الى الحاجات الجنسية والدوافع للعدوان حاجات اخرى ذات طبيعة اجتماعية أكدت انها تلعب دورا كبيرا في خلق الاضطرابات السلوكية كدافع السيطرة والشهرة والحب والتملك وغيرها ، وربما كانت في ذلك متأثرة بآراء اصحاب المدرسة الفرضية .

والثانية انها لم تقتصر في الصراعات ذات الفعالية في خلق الاضطرابات السلوكية على مايعانيه الفرد ويخبره ايام الطفولة فحسب ، بل اعتبرت ان استمرار تفاعل الفرد مع عالم مليء بالعداء والعدوان قد يلعب دورا هاما في خلق صراعات تتراكم مع صراعاته الطفلية ، وتتفاعل مع اسلوب التربية الذي خبره من قبل ، وتخلق حالة تهيؤ للاضطراب العصابي او الجناحي .

تفسير أدلر للعصاب والجناح

يرى الكاتب هنا انه من المفيد للقارىء أن نلخص له بعض ديناميات السلوك العصابي والجناحي كما أشار اليها أدلر في نظريته ، باعتبار ان الفريد ادلر يعتبر احد الذين ثاروا علميا وفكريا على الكثير مما جاء في نظرية فرويد لتفسير الجناح والعصاب خاصة ، والاضطراب السلوكي عامة ، بل الشخصية وتنظيمها بوجه أخص .

ونظرا لصعوبة الالمام بكل المدارس التي عارضت آراء فرويد في هذا المؤلف فان الكاتب يرى أن الاوفق الاكتفاء بآراء كل من كارن هورني كما سبق ايرادها ، ثم آراء الفريد ادلر في تفسير الجناح والعصاب وديناميات السلوك فيهما .

وقبل ان تبدا الدراسة في موضوع الكتاب يرى الكاتب انه من المفيد للقارىء أن نبرز له اوجه الاختلاف بين المدرستين : مدرسة فرويد ومدرسة ادلر ، ومجالات هذا الاختلاف بينهما في صلب النظرية التحليلية .

لقد اختلف ادلر وعارض فرويد في الجوانب الآتية من نظريته :

١ ــ رأيه في ((**اللبيدو**)) : لقد عارض أدلر رأي فرويد في اعتباره الينبوع الاول والعلة ذات الفاعلية الرئيسية في توجيه السلوك كله ، وان انحرافه وحده هو علة الامراض النفسية بصفة خاصة والاضطرابات السلوكية بصفة عامة .

لذلك اتجه ادلر الى ان دينامية السلوك العصابي عامة هي تمجيد الشعور بالشخصية ، كما يظهر واضحا في سعي الفرد لابراز رجولته واعتزازه بكل ما يتصل بها من سمات ومميزات . فالمريض النفسي يسيطر

عليه وهم انه بعيد عن الرجولة ، ولذلك فهو يسعى جاهدا لاستكمال مظاهرها ، وما اللبيدو والميول الجنسية سوى اسلوب لتحقيق هذه الغاية ، وهي التوصل لدرجة من الرجولة .

ويشبه أدلر في ذلك « نيتشه » الذي دعا الى فلسفة « ارادة القوة » أو « ارادة الظهور » ويربط لذلك في فلسفته بين اللذة والاحساس بالرجولة ، وبين الالم واحساس الفرد بالانوثة او الشعور بالضعف ، ومن هنا يفسر أدلر جانبا من مبدأ اللذة والالم عند الفرويديين .

٢ ــ **التعليل الجنسي للاضطرابات العصابية :** ويعتبر هذا هو المجال الثاني الذي عارض فيه أدلر فلسفة فرويد فهو يرى أن « فرويد » و « جانيه » قد أخفقا في فهم الافكار الجنسية التي لمسوها في استجابات بعض المرضى . كما يخطىء القارىء غير المتعمق فهم عبارات الهيام والعشق والوله على لسان المتصوفة . وقال أدلر ان المحتوى الجنسي للظواهر ينبع في اساسه من المقابلة المجردة بين « الرجل والمراة » ، وهو شكل معدل للاسترجال ، ذلك ان الميل الجنسي لدى العصابي يتخذ لنفسه غاية نهائية هي الرجولة ، حتى لتصبح هذه الغاية فكرة وسواسية ملحة ، قد تكون مسؤولة عن الاضطرا بالعصابي اذا لم يصل المريض الى تحقيق هذه الغاية بسبب او آخر .

٣ ــ **راي فرويد في الاحلام وأنها تعبر عن ضغط الرغبات الطفلية خاصة المحرمة :** وقد عارض أدلر ذلك كثيرا ، اذ قد رجح أدلر ان مايظهر على العصابيين خاصة من رغبات طفلية لاتعدو ان تكون اساليب يتوصلون بها الى تعظيم الشخصية وتنظيم شعورهم بها واقرار احساسهم بالرجولة وتأكيدها .

والخلاصة أن أدلر قد عارض راي فرويد في ان اللبيدو يطلق طاقات قد تتعارض مع الاوضاع ، ويؤدي بذلك للصراعات النفسية ، بل اعتبر ان الطاقات الدافعة في حياة الانسان هي النزوع للقوة والسيطرة والرجولة .

لذلك بنى أدلر لنفسه نظاما فكريا سيكولوجيا جديدا يقوم على أركان اربعة :

١ ــ القصور الذي يشعره الفرد ويبدأ بالقصور العضوي ، ويكون طاقة دافعة للسلوك السوي وغير السوي .

٢ ــ ما يتبع هذا القصور من ارادة التعويض او سلوك ونزعة التعويض .

٣ ــ أما الركن الثالث فكان ما ابرزه أدلر من غائية السلوك غائية تتحكم فيه وتوجهه ، كما تتحكم في مجرى وغائية التعويض .

٤ ــ واخيرا اهتم بالجماعة على أنها مجال تتوق نفس الفرد للاندماج فيه

والعيش معه ، وبالتالي يكون لها آثر في خلق هذه الاركان الثلاثة السابقة وتوجيهها ، مثل تعميق الشعور بالنقص ، وتوجيه الفرد لاسلوب التعويض وتحديد غاية السلوك كلها في الاطار العام لحياة الجماعة . وبذلك ربط أدلر بين علاقة الفرد والمجتمع من جهة وبين اسلوب التعويض الذي يتخذه في حياته من جهة اخرى .

يرى الكاتب انه من الممكن في نطاق هذا الاطار المتكامل لنظرية ادلر أن نتلمس له تفسيرات محددة نوعا لسلوك العصاب ثم لسلوك الجناح باعتبارها انماطا سلوكية قد افادت كثيرا من نظرية ادلر في تفسير دينامياتها ، ذلك أن الواضح ان سلوك العصابي قد يرتبط كثيرا بقلق عقدة النقص ، كما يرتبط بها احيانا سلوك الجناح ، أي أن الاخير قد يكون نوعا من السلوك التعويضي القائم على التقدير الزائد للفرد لنفسه تعويضا عن هذه العقدة .

أولا : تفسير ديناميات العصاب :

يبدأ ادلر مذهبه بتقرير مبدأ « فطرية القصور العضوي » ويرى أن وجود هذا القصور يؤثر على حياة الفرد النفسية لانه يحقره في نظر نفسه ، ويزيد شعوره بعدم الامن . والصغير ذو الاستعداد للامراض النفسية يفترف كثيرا من شعوره بالنقص العضوي مايدفعه الى سلوك ما يعوض به هذا القصور . وحين يفسر الامراض النفسية فانه يرجعها دائما الى علاقة ما بالقصور العضوي ، ويرى ان الانحراف الذي يظهر في الامراض النفسية العصابية ليس الا نتيجة لالحاح الغاية النهائية من التعويض مع عدم القدرة على تحقيقه ، وانه ليست الميول الجنسية والوان الانحرافات التي تتصل بها سوى تعويض اصيل عن قصور في الجهاز التناسلي .

ولذلك يرى أن المريض النفسي فرد في حالة سعي وجهاد ملح لتعويض عن قصور في ناحية ما ، يحقق به توازنه النفسي المختل بسبب الشعور بالقصور .

كذلك يرى أن العصابي يعيش في جو ينقصه فيه الكثير من الامن النفسي لانه فرد قاسى خلال طفولته ضغط القصور في التكوين البدني ، كما يمكن أن نلمسه في أجسام اغلب الحالات ، أو انه يتصرف كما لو كان يشعر بنقص من نوع ما وهو شعور نسبي ينتج عن عدم شعوره بالتوافق مع الوسط الذي يعيش فيه ، أو من عجزه عن بلوغ الغاية التي رسمها لنفسه ، وذلك شعور ينمو ويتطور نتيجة استمرار المقارنة التي يعقدها بين نفسه وبين الآخرين كالوالد القوي العملاق في الاسرة ، أو الام صاحبة السلطة او الاخوة الاثيرين أو غير ذلك مما يشعره بالضعف والعجز والنقص في الجماعة الاولى في حياته .

وهكذا بدأ ادلر يعمم مفهوم القصور والنقص على النقص المعنوي والاجتماعي ، امتدادا من القصور العضوي . ويفسر أدلر مفهوم التقمص على انه نزعة الى القوة يولع فيها الطفل بالعظمة والقوة تقليدا للوالد .

ولذلك يقوم ان للارادة دورا مختلفا عما ذهب اليه فرويد حيث يرى « ان الارادةلاتعدو أن تكون سعيا ملحا للتعويض الذي يحاول الفرد به أن يخفض (يكبت) الشعور بالنقص » .

ولذلك يعتبر ادلر أن عناد الاطفال ، ومقاومتهم لاساليب التطبيع والتهذيب لاتعدو ان تكون جهادا وجهدا مبذولا لمقاومة عالم العداء والتسلط ، الذي يزيد ويعمق شعوره بالنقص . وكثيرا ما يلجأ بعض الاطفال لسلوك الاستكانة أو الاعراض العصابية يستدر بها العطف ويضمن من الرعاية ممن يحيطون به ما يبعث فيه الشعور بالسيطرة والقوة والسمو بشخصيته ، وهذه هي نقطة الابتداء في الاتجاه نحو العصاب .

ويكبت الاطفال عادة جوانب الضعف والقصور في أنفسهم ، وما يترتب على الحرمان والالم والاوجاع من المرض او العقاب ، او قصور التكوين ، ولذلك كثيرا ما يلجأون للوحدة ويجترون الآلام وتبدأ بذور المرض النفسي تأخذ طريقها الى شخصيتهم .

والمصاب بالمرض النفسي انسان في رأي ادلر يبعده أمله في التعويض المسرف عن حياة الواقع ، وينقله الى عالم الخيال ، ولذلك يعاني كثيرا من الضيق الناجم عن عدم اتساق واقعه بخياله فيزداد اضطرابا نتيجة نزوعه لتعويض مسرف عن نقصه ينأى به بعيدا عن الواقع .

ويفسر « ادلر » الانحرافات العصابية الجنسية من جنسية مبكرة أو استمناء أو سادية على أنها اشكال من السلوك يدفع اليها الشعور بالقصور والخوف من الزواج والرغبة في التعويض المسرف عن طريق هذه الاساليب اللاسوية في التعبير الجنسي ، وهي صفات تميز العصابيين اكثر مما تميز العاديين ، وتبرز دافعا في سلوكهم اكثر مما تظهر في حياة الاسوياء .

ولقد انتهى « ادلر » من نظريته عن القصور الى ان كل طفل يولد ولديه شعور بالنقص طبيعي ، لانه ينظر الى نفسه كمخلوق صغير الجسم ضئيل الحجم عاجز عن الاستقلال . ويعمق هذا الشعور بالنقص اسلوب التربية الخاطىء الذي يأخذ صورة التدليل او القسوة الزائدة او اعتباره دمية يحافظون عليها بالرعاية الزائدة مما يؤثر في نفسه لشعوره انه كائن مخلوق ضعيف لاحول له ولا قوة ، وقد يعمق هذا الشعور بالنقص ، ويزيد دينامية التعويض الاوضاع الاجتماعية المحيطة بالفرد في ثقافته التي يعيش فيها في الاسرة أو المجتمع الاكبر .

كانت الغائية عند « أدلر » اسلوبا طبيا وركنا واضحا فسر به الامراض العصابية عامة ، فقد عارض التعميم الفضفاض الذي نادى به « فرويد » والذي قال فيه بأن الامراض النفسية تنشأ من الميول المنحرفة ، ومن فشل المرء في كبت هذه الميول في لاشعوره ، كما عارض اعتبار فرويد أن عاملي الميول

المنحرفة وكبتها هما المحرك الاول « Primum movens. » للنشاط النفسي المرضي ، وفي معارضته لذلك يقول : « ان الانحراف كما يظهر في كل الامراض النفسية والعقلية لا ينتج عن الميول الفطرية بل من غاية نهائية موهومة ، كما ان الكبت ليس سوى نتيجة ثانوية تظهر تحت ضغط الشعور بالشخصية حين يتجه المريض النفسي لكبت معاني الشعور بالقصور » .

وسلوك العصابي لهذا يتجه اتجاها مضبوطا ودقيقا نحو الهدف الذي يرسمه لنفسه ، وهو الهدف التعويضي الذي يستشف منه القوة .

التعويض في سلوك العصابي :

يرى ادلر ان التعويض سلوك طبيعي لكل انسان سويا كان أولا سويا ، وانه يهدف بذلك لتحقيق القوة . ويرى أن الميول الجنسية التي يفسر بها « فرويد » النشاط الانساني عامة والامراض النفسية خاصة ليس الا وسيلة للسيطرة اعتبرت غاية في نفسها . ومن هنا تعتبر عقدة أوديب سلوكا خاليا من الجنس لايعدو ان يكون تمثلا بالاب لاشباع السيطرة التعويضية بعد استمرار الاشعار بالنقص . وفي دراسة للتعويض يميز بين :

- التعويض المباشر كابداع الموسيقى الاصم ، او بصيرة الاعمى .
- والتعويض غير المباشر الهادف الى السيطرة لتعويض عام عن احساسات القصور المختلفة والذي يصبح مزيجا من عناصر عدة وطرائق مختلفة لتحقيق الميل الى السيطرة وهو في الحالتين يتجه دواما نحو تحقيق مظاهر الرجولة باعتبارها الوهم المقيم المسيطر الذي يرمز الى القوة ، والذي يتطلع الى بلوغ قمته الرجال والنساء على السواء . والاخير قد يكون طاقة تدفع الانسان الى الانحراف للعصاب .

ولعل من أبرز ماينادى به ادلر من ديناميات العصاب ان العصابي يلجأ الى اصطناع الحيل والاوهام للوصول الى ما يتوق اليه من غايات جذابة قوية ، وان احدى الحيل التي يلجأ اليها هي نقل الغاية التي يسعى اليها الى نطاق اللاشعور ، حتى تنسى كليا او جزئيا ، فيختفي الهدف الموهوم ، ويظل في اللاشعور مادام الفرد غير قادر على ان يسير في السلوك العصابي الذي اتخذه لنفسه نتيجة اختياره هدفا موهوما يصعب تحقيقه في مجال حياته . الا أن اختفاء الغاية في اللاشعور لايعني زوالها ، بل انها تظل تصور في حياة الفرد طاقة دينامية محركة في اتجاه التعويض الذي قد يأخذ صورة الاسراف المرضي العصابي .

والخلاصة أن دينامية العصاب كما يتضح في راي أدلر تكمن فيما يأتي :

- الشعور بالنقص الطبيعي يعمقه شعور بالنقص يزداد باحتكاك الفرد بالواقع الذي يعيش فيه ، ويحوله من شعور بالنقص من مصادر عضوية

جسمية الى شعور بالنقص في الجوانب الاجتماعية .

- مايدفعه هذا الشعور من تعويض ، قد يجره الى تعويض مسرف في اتجاه الرجولة .
- الفشل في الوصول الى هذه الغاية أو الهدف لبعده عن الواقع مما يسبب له حالة من التوتر تجعله يكبت كلا من :

شعوره بالنقص .
وما يتصوره لنفسه من رجولة .

- لذلك قد يلجأ لاعراض مرضية تحل مشكلة النقص وتمده بعناصر القوة حين يخضع الآخرين لمطالبه ، او يجذب انتباههم او يحمي نفسه منهم .

وهنا نرى أن الاعراض العصابية تلعب دورا كبيرا في تحقيق هذه الغاية لمريض النفسي ، خصوصا اذا ازداد شعوره بالنقص ، وازداد مع ذلك كبته لنزعات الرجولة مع شعوره بالنقص .

ثانيا : تفسير ديناميات الجناح :

يرتبط تفسير الجناح في نظرية أدلر بأمور أهمها :

- تفسيره للاخلاق حين يؤكد ان الانسان بطبعه لايعرف الخير من الشر ، وانه مهما يبدو الانسان طيبا فان فيه روح شر . ولذلك يفسر الاخلاق وفعل الخير على انها وسائل يصطنعها الفرد ليحوز على درجة من القوة تخفف من شعوره بعدم الامن ، فاذا لم يتحقق له ذلك برزت في انماط سلوكه نوازع الشر .
- ويرى ان لدى كل فرد ميول للشر واضحة والفرق بين السوي والشاذ من الناس ، من وجهة النظر الاجتماعية والاخلاقية هي فرق في الدرجة وليس في النوع . فالجانح اذا انسان تعرض للنقص وعقده وقاسى منه جسميا واجتماعيا بدرجة الجأته لابراز قدر اكبر من نوازع الشر تعويضا عن النقص . ولهذا يرى اننا حين نرى انسانا قد انحرف الى سلوك لا اجتماعي فاننا لايمكن ان نفسر هذا السلوك او نقومه الا في ضوء معلوماتنا عن ظروف عيشه وشكل بيئته والبواعث التي تدفعه لانتهاج السبيل التي يسير فيها .
- وربما امكن ان نتلمس في فلسفة ادلر كيف انه يعتبر الجناح نوعا من السلوك التعويضي المسرف يهدف الى الوصول الى درجة عالية من الرجولة ، تلمس الطفل فيها طريقا غير التعويض المباشر واستعمل العدوان او شبه العدوان وسيلة لتعويض شعوره بالقصور .
- وتقوم فلسفة أدلر على ان اسلوب التربية مسؤول عن ابراز الجانب

الخير او الشرير من الانسان ، وعن سيطرة أي منهما في توجيه طـاقة التعويض ، كما ان الجماعة الانسانية التي يعيش فيها الفرد والتي تبدأ من الاسرة تلعب دوراً كبيراً في جعل واحد من الاتجاهين : اتجاه الشر أو الخير ، يغلب على الآخر كطابع سائد مميز لسلوكه واسلوب حياتـه ، خصوصا اذا ازداد احساسه بمكانته بين الجماعة التي يعيش فيها .

وفي ذلك تشير فلسفة اصحاب أدلر الى اساليب التنشئة الخاطئـة ودورها في تحديد اتجاه سلوك التعويض . من ذلك مثلا ما يشير اليه اصحاب أدلر واتباعه من المفكرين الى اسلوب العقاب ودوره ، حين يتلمس فيه الآبـاء والمربون وسيلة وحيدة فاضلة لاتفضلها وسيلة في عملية التنشئة ، ويرون أن هؤلاء انما يعوضون بسلوكهم هذا ما عانوه في طفولتهم من قسوة الآباء ويبررون سلوكهم ذلك بأنه لصالح الابنـاء .

والواقع ان العدوان على الصغار ، والعقاب البدني خاصة من الامـور التي تعمق الشعور بالنقص ، وتزيد دينامية التعويض اندفاعـا في الاتجـاه اللاسوي ، الذي يتمثل في الخروج على الاوضاع بأشكال الجناح المختلفـة . انهم لايبعثون في الابناء حب العمل والايمان بالنظام وعمل الخير بعثا تلقائيا بل يفرضونه عليهم فرضا ينفرهم منه ويستثير فيهم الحفيظة والثورة عليه ، ثورة قد تأخذ شكل الخروج عليه ، مما يشعر الفرد بالقوة والرجولة المنشودة لانه ليس هو ذلك الضعيف المغلوب على أمره ، او بالعدوان على مصدر التهذيب نفسه مباشرة او بصورة غير مباشرة ، وتكون الصورة غير المباشرة هذه بالعدوان او تخريب مايملك ، او بالعدوان على أمثاله من ممثلي السلطة في حياة الصغير .

هذا ويرى كثيرون ممن يأخذون بآراء أدلر وفلسفته في الشعور بالنقص والتعويض كتفسير للسلوك الجـانح ان هـذا النمط مـن الانحراف السلوكي قد تلعب فيه عوامل منها :

آ ــ الانحراف الثقافي : « Cultural Deviance »

وذلك حين يبدو السلوك المنحرف في المجال الذي يعيش فيه الجانح رمزا للقوة ومصدرا لاشتقاق عناصر الشعور بالرجولة ، خاصة عندما نجـد الجانح يشعر ان البيئة ، خاصة تعفيه من ان يحصل على مايريد بالطريقـة القانونية والاسلوب المعترف به ، او تحول دون ذلك ، فاذا أمكنه ان يحقق ذلك بالعدوان واسلوب الرجولة تعويضا عن نقص لـم يتردد . ويكـون النقص الاقتصادي وما يترتب عليه من عقد نفسيـة من الديناميات الهامة في هذا المجال خصوصا اذا وجد الاطفال من الاحداث الجانحين ان ذلك السلوك المنحـرف يجلب لهم من الاعجاب ما يحقق غاية الرجولة . ولهذا يسمى ميرل « Merrill » الجانحين من المجتمعات التي تبارك السلوك المنحرف وتعجب به « المنحرفين

الثقافيين « Cultural deviants » [1] .

ب ـ مناطق الجناح :

ويقصد بها أن هناك مناطق معينة من المدن تكون فيها نسبة الجناح أعلى من غيرها . وقد حددها شو « C. R. Shaw » بأنها تلك المناطق من المدينة المعروفة بالفقر والفاقة ، والتي تبذر الشعور بالنقص وتعمقه في نفس الفرد ، والتي يسكنها في الغالب فئة من اصحاب الدخل دون المتوسط بقليل ، ممن يعتبر استمرار مقارنة حياتهم بحياة الآخرين عاملا يعمق عند الافراد الشعور بالنقص ، ومما يدفع الطفل الفرد لاسلوب عدواني او خروج عن الاوضاع والقيم المقبولة ، اثباتا لوجوده ، وتعويضا عن نقصه . ويزداد الشعور بالنقص بين سكان الاحياء الفقيرة عندما لايجدون في الجيرة قرابة أو شبها اثنوجرافيا أو قويا ، وعندما يشعرون بنقص الاقلية في مجتمع خليط من شعوب شتى أو من مستويات شتى لايستقر به مقام [2] ، في تلك الاحياء الفقيرة .

ويعتبر من يأخذون بفلسفة « أدلر » في هذا المقام ان المجتمعات المضطربة تلعب دورا كبيرا في تأخير نمو مفهوم الفرد عن نفسه المثالية او تطور تحقيق الغاية الرئيسية وهي السيطرة والرجولة بأساليب تقرها الجماعة وذلك لانعدام الرقابة من البيئة حين يشعر الفرد والاسرة معا بأنهما غير معروفين لدى الجيرة ، وليس لديهم لذلك مصادر للقوة او السيطرة ، فيسعون الى ذلك بأساليب الخروج على الاوضاع دون كبير اعتبار لنقد الجيرة او غيرها .

جـ ـ النزعة الفردية لدى الجانح :

ولقد كان لابد لانصاره او المؤمنين بفلسفة « أدلر » من ان يتلمسوا في شخصية الجانح بعض ديناميات السلوك الجانح . فلقد سار اغلبهم على النهج الذي سار عليه « وليام هيلي » مما أشرنا اليه في أول هذا الكتاب من ان الجانح قد ينجح ليشبع نزعات السيطرة والرجولة غير المشبعة في اسرته .

فالهروب والمروق قد يثير في الجانح متعة المخاطرة مما يشعره بالقوة ، واذا كان يسلك سلوكا جانحا مع الجماعة ، فانه يشعر بالقوة ويعوض النقص كلما حقق نجاحا اعترفت به الجماعة ، ثم ان الجانح حين يلعب دور المجرم

---

(1) Merrill, M. A. : Problems of Child Delinquency . Boston . Houghton Mifflin Co. 1947 . P. P. 284 - 289 .

(2) Shaw, C. R. & Mc. Kay, H. D. : Report on the Causes of Crime . In Hunt, J. Mc. V. (ed) Personality & Behavior Disorders . Ibid. Vol. II P. P. 741 - 746 .

انما يختار طريقا سهلا نوعا ليثبت شجاعته ، ويؤكد رجولته ، وانه « ولد تمام » ويرى هيلي ان الشعور بالنقص يلعب دورا كبيرا في اغراق الفتيات في الجناح في صورة انحراف جنسي ، وفيه ينكرن او يقاومن الشعور بالنقص ، او النبذ ، باخضاعهن الجنس الآخر واذلاله احيانا .

وقد يأخذ الجناح معنى الانتقام من الوالدين حين يشعر الطفل الجانح انه يسبب للوالدين شعورا بالحقارة والتحقير ، وانه يسبب لهما متاعب في حياته. هنا يكون السلوك التعويضي واضحا في العدوان المباشر وغير المباشر على مصدر التحقير والاشعار بالنقص (١) .

وهكذا يمكن ان نلخص آراء أدلر ومن شايعه في تفسير ديناميات العصاب والجناح في انه اتخذ من دراسات فرويد وآراءه ـ خاصة فيما يتعلق بتفسير ديناميات العصاب او الجناح ـ الموقف الواضح المغاير في النواحي الآتية :

ـ استمع الى جلسات التداعي الحر ولكنه اكتشف فيها اكثر من مجرد خيالات طفلية ذات طبيعة جنسية ، أو ما يرتبط بها : اكتشف محاولات جاهدة من المرضى للتوصل الى السيطرة والانتصار ، والحط من شأن الغير ، وهكذا اكتشف ان من أهم الدوافع الفعالة في حالة العصاب يجب ان تكون التصارع من اجل السيطرة (٢) .

ـ ولذلك خرج بفلسفة في تفسير العصاب : وهي تقوم على أن الاعراض ليست الا طرائق منحرفة للوصول الى التسلط واثبات الذات . ومن الواضح ان العصابي كما يظهر ليس اكثر من غيره تسلطا او اثباتا لذاته ، بل انه العكس وهذا هو الاقرب للحقيقة . والحقيقة انه يسعى لتأكيد ذاته بطرق غير مباشرة أو واضحة . فمثلا نجد العصابي حين يفشل في اشباع رغبته أو تحقيق غاية ، فانه يلجأ للعرض كمهرب أولا من مسؤولية مزيد من الجهد ، وكوسيلة يستطيع بها عن طريق ما يبدو عليه من مرض او يتسلط على البيئة المنزلية المباشرة .

ولذلك فالعصابي ـ عن طريق الاعراض ـ يستطيع أن يؤمن لنفسه مجموعة من الامتيازات يمارسها قبل الآخرين بصورة او اخرى ، وبذلك يجبر الآخرين على خدمته ، كما يفعل من يعاني من الخوف من الاماكن المغلقة حين يطلب عون غيره ، او من يخاف من الشارع حين يجبر فردا

---

(1) Healy, W. : The Individual Delinquent. Boston. Litlle Brown Comp. 1945 .

(2) Healy, W. and Bronner, A. F. : New light on Delinquency and its Treatment . New Haven : Yale University Press. 1936 . Chs. 4 - 7 & P. P. 133 - 134 .

على استصحابه ، او حين يتسلط من يعاني من الصداع النصفي على أفراد الاسرة جميعا ، او مايفعله المصاب بالشلل الهستيري حين يجمع الاهل والاحباب حوله لرعايته يتسلط عليهم ويأمر فيطاع ، وكان من قبل يخبر معهم ومنهم الاحباط العنيف .

- من هنا تأكد « لأدلر » ان العصابي — في اعمال نفسه يشعر بالنقص ، والضعف وعدم الملاءمة : وبهذا تكون اتجاهاته في تفسير دينامية العصاب او العصابيين (يشعرون بالنقص ويعانون منه في أعماق نفوسهم ، وان مرضهم النفسي ليس الا محاولة للتعويض عن هذه المشاعر العميقة بالدونية) .

- وفي بحثه عن مصادر مشاعر النقص ، نجد ان « أدلر » لم يختلف كثيرا عن فرويد حين اتجه كل منهما الى مراحل الطفولة . الا انهما اختلفا فيما توصلا اليه .

فلقد وجد « أدلر » في مجموعة مرضاه تاريخا طويلا من الجهاد من اجل السيطرة في الطفولة ، بينما وجد فرويد من دراساته الكثير من مظاهر الجنسية الطفلية . فمثلا وجد أدلر ان الطفل حين كان يعاني الاشعار بالنقص بسبب مظهره مثلا ، او قدراته او مستوى نجاحه ، فانه كان يحاول ان يعوض ذلك النقص كله بأن يصبح مثلا رياضيا مبرزا ، وذلك كتعويض عن النقص .

- ويرى أدلر ان الكائن حين يعاني كثيرا من الشعور بالنقص ، بسبب التفاعل بينه وبين البيئة فانه قد يسعى للتعويض بأحد طريقين :

آ — اما ان يواجه موضوع النقص مباشرة ويحاول ان يعوض فيه نقصه.

ب — او ان يتجه الى موضوع آخر غير موضوع النقص ويعوض نقصه فيه.

وفي كل الحالات كثيرا مايتعرض الفرد للفشل وذلك لامور منها أن الفرد الذي يعاني من الشعور بالنقص يكون في حالة من التوتر لايشبع معها بالحلول الوسط او التفوق الجزئي ، ولان التجاء الفرد لموضوع غير موضوع الشعور بالنقص الاساسي ، الذي يمكن ان نسميه المصدر الاساسي للشعور بالنقص « Basic sourse of inferiority » لايعفيه من استمرار المعاناة من الشعور بالنقص في الموقف الاساسي كمصدر للشعور بالنقص . أما السبب الثالث فان الانسان في حالة التعويض عن النقص ، قد يلجأ للتعويض المسرف « Over Compensation » وقد لاينجح وهنا يبذل من الجهد مايجعله دائما متعبا مجهدا حتى ولو كان يبذل قصارى جهده . وقد يمل الموقف واستمرار التوتر ، وهنا يكون الحل الاوحد هو العصاب :

هنا يستسلم للمرض ، وتتطور لديه الاعراض ، ويبقى في منزله ، يتسلط

على والديه أو عشيرته ، ويصبح مركز الاهتمام . وهكذا يفسر ادلر العصاب حيث يقول : « اننا نستطيع أن نفسر كل عصاب على أنه محاولة جاهدة من المريض يبذلها ليحرر نفسه من الشعور بالنقص ، وذلك بما يحققه من الشعور بالتفوق . ان طريق العصاب لايؤدي الى سواء السبيل في فاعلية الفرد في وطنه الاجتماعي ، ولا هو طريق يهدف الى حل مشكلات الفرد التي تواجهه في حياته ، ولكنه وسيلة يتلمس بها المريض مخرجا لتوتره في دائرة الاسرة الضيقة ، وهو بذلك يحقق عزلة المريض النفسي ، ذلك ان الاستثناءات والامتيازات التي تتحقق له نتيجة مرضية ومعاناته انما تعطي المريض بديلا طيبا آمنا عن هدفه للسيطرة بأسلوب سوي يرى فيه هو أنه محفوف بالمخاطر » (1) .

وهكذا يتبلور الاختلاف واضحا في آراء كل من « فرويد » « وأدلر » في تفسير السلوك العصابي بحيث يصبح واضحا مفهوما للجميع . فالأول ـ فرويد ـ يهتم في تفسير ديناميات العصاب بالرجوع الى الطفولة ومراجعتها من ابعد اعماقها للتوصل الى طبيعة النزعات الجنسية الطفلية وكيف لعبت دورها ، باعتبارها دوافع لاشعورية ملحة دائبة ، الامر الذي لايمكن التوصل اليه الا بدراسة التاريخ الكامل للفرد من ابكر ايام طفولته الى حاضره ، بينما يهتم ادلر بدراسة وتفهم العصاب ، وهو الامر الذي يرى انه يمكن تحقيقه ، اذا استطاع الدارس ان يمسك بعناصر الشعور بالنقص واساليب التعويض في كل مايقوم به المريض من عمل حاليا ، وان نفترض وجود نزعة ملحة فعالة لاشعورية او على الاقل لايمكن ان يلحظها الانسان العادي ، نزعة جاهدة نحو التسلط والتفوق .

واستمرارا من هذا المفهوم لديناميات العصاب نجد أن « أدلر » يفسر السلوك الجناحي على الوجه الآخر حيث يرجح ان يكون سلوك الجنوح نوعا من سلوك السعي والتصارع من أجل السيطرة او سلوك التعويض ، ولكنه سلوك يمتاز بالجهد التعويضي للسيطرة على مصدر الاشعار بالنقص نفسه ، او على غيره من النواحي في حياته ، وهو في ذلك يشبه العصابي تماما ، والفرق ان العصابي يوجه طاقة التعويض ملتوية تتضمن ذاته ، اما الجانح فانه غالبا ما يبعد ذاته عن ان تكون متضمنة في موضوع وسلوك التعويض .

كذلك يهتم « ادلر » بأن يوضح ان الديناميـة الرئيسية في سلوك العدوانيين عامة تبدأ من الشعور بالنقص ، تنميه وتطوره وتعمقه الاوضاع الاجتماعية ، والمعاملة الوالدية او طبيعة العلاقة بالسلطة ، علاقة تقوم على التحقير او الاشعار بالدونية ، وتخلق هذه الاوضاع بذلك طاقة ديناميـة

(1) Adler, A. : The Practice and Theory of Individual Psychology. New York. Horcourt,Brace & World . Inc. 1929. P. 23.

للتعويض المسرف الذي لايجد له سبيلاً .

ولقد ثبت من دراسات العديد من الحالات التي توفر للكاتب دراستها ان الكثير من نزعات الجناح كانت ترتبط بصورة او اخرى بالنقص ، يبدأ بالشعور بالنقص الجسمي ويتطور الى الشعور بالنقص من مصادر ذات طبيعة اجتماعية او مثلها . كما ان الطفل ذا الطبيعة الكارهة المعادية كان من مظاهر الطفولة الجانحة وكان العدوان يتمثل في التخريب أو السلوك الاندفاعي نحو العدوان بالسب او غيره مما يمكن ان يكون دليلا على ضعف التحكم في الذات في أي موقف قد يشعر بشكل مباشر او غير مباشر بالنقص ، ذلك أن اي احباط كان يعني ضرورة الاستجابة بالعدوان الصريح غالبا ، كسلوك تعويضي عما يتضمنه الاحباط من شعور بالنقص .

وهكذا نرى ان نضيف هنا ان مجرد دينامية الشعور بالنقص ، والنزوع نحو التعويض ، لايكفي وحده لتفسير الجناح ، بل لابد ان يجتمع الى ذلك أمر هام جدا وهو ان الجانح يكون : بطبيعة نشأته ، وبعده عن الوصول الى مستويات امتصاص القيم والمعايير السليمة يجد ان العدوان هو الوسيلة المثلى لاشباع الشعور بالنقص بالتعويض .

وربما حدث احيانا ان استمر الشعور بالنقص من خبرات تتراكم وتتراكم حتى لم يقو الفرد على مغالبة هذه الطاقة ، فتنهار ديناميات الكف لديه وتضطرب اساليب التكامل والضبط السلوكي في شخصيته ، وهنا تجد نزعات التصارع من اجل القوة سبيلا سهلا للتعويض باستعمال العدوان .

وهكذا يختلف أدلر عن فرويد في مفهوم العدوان ، الذي يعتبره الثاني نزعة فطرية غريزية ، ترتبط كثيرا بالجنس ، ويميل لاعتبار العدوان مخرجا ومتنفسا ــ في حالات الجناح خاصة ــ لسلوك التعويض لتخفيف توتر الشعور بالنقص .

في تفسير مدرسة التحليل النفسي :

يرى الكاتب ــ وقد قدم لهذه الدراسة ــ بآراء فرويد واثنين من اتباعه أن يشير الى ان ذلك لايعني ان هؤلاء هم فقط من يمثلون مدرسة التحليل النفسي في عهدها الارثوذكسي القديم ، او عهدها الحديث او من خرجوا عن آراء مدرسة فرويد ، فلا زالت هناك مدارس كثيرة لها آراء عديدة في تفسير كل من العصاب والجناح .

الا ان الكاتب يكتفي هنا بابراز آراء هؤلاء على اعتبار انهم قد عنوا اكثر ماعنوا بابراز ديناميات السلوك في سوائه واضطرابه . ويمكن للقارىء أن يتبين الكثير من آراء غير هؤلاء من التحليليين في هذا المقام ، وغالبا لايختلفون في تفسير الجناح والعصاب من حيث الديناميات الا في التسمية ، او العوامل الاجتماعية التي تسهم في ديناميات السلوك اللاسوي .

الفصل الخامس

النظرية الغرضية وتفسير السلوك العصابي والجناحي

يعتبر راي اصحاب مدرسة الفرائز في تفسير العصاب والجناح مفتاحا طبيعيا لفهم بعض ديناميات هذا السلوك . واذا كانت نظرية الفرائز قد تعرضت لنقد من كثيرين ، فاننا لانجد بأسا من ان نستعرض آراءها هذه ربما وجدنا فيها ما يشفي الغلة في تفسير السلوك غير السوي ، ولقد تعرضت هذه النظرية للنقد من أصحاب الرأي القائل بالدوافع والحاجات تعرضا يأخذ عليها بعدها عن التجريب والتعميم غير الواقعي ، وان أغلب ماجاء في النظرية من غرائز قد لايعد فطريا تماما لانه لايولد بعضه مع الانسان ولا يعرف بعضه لدى الحيوان ، او لايشيع في كثير من الثقافات . ولقد غير مكدوجال نفسه ، زعيم هذه المدرسة تسميته للفرائز وأسماها الاستعدادات الفطرية « Propensities » ولكنه ايضا ظل واقعا تحت نير النقد لانها في نظر النقاد ليست فطرية تماما .

ولأصحاب هذه النظرية آراء طيبة في تفسير الاضطراب السلوكي تجعلنا لو اهملنا فطرية او عدم فطرية تلك الاستعدادات واعتبرناها طاقات دافعة عامة دون الدخول في خضم تحديد مدى فطريتها ، فانها قد تفيد كثيرا في تفسير الاضطرابات السلوكية عامة ، والجناح والعصاب خاصة هذا وان نقتصر في كل مانعرضه هنا في هذا الفصل على آراء مكدوجال ، بل اننا نجد ان الكثيرين قد فسروا الكثير من سلوك العصاب والجناح في ضوء ديناميات الفرائز ومن امثالهم سيرل بيرت . واذا كان فرويد قد اهتم في نظريته التحليلية بفريزتين فقط هما غريزتا الجنس والعدوان ، فان غيره من انصار المدرسة الفرضية قد ابرز أهمية غيرها من الاستعدادات الفطرية الفريزية العديدة ودورها في الدفع لسلوك الجناح أو العصاب .

اهتم أصحاب هذه النظرية بدراسة الشخصية عامة وبتفسير العصاب والجناح كمظهر من مظاهر الاضطراب في تنظيم الشخصية آيضا . ويمثل هذه المجموعة من الآراء مكدوجال ، أول من تزعم آراء مدرسة الفرائز ودافع عنها كدوافع للسلوك . وعلى أساس فكرته عن الفرائز عرف الشخصية في ضوء

ما سماه « التنظيم الهرمي الشخصية » من مجموعة من العواطف يتوجه « عاطفة اعتبار الذات » ، وهذا التنظيم هو في نظره لب الشخصية وقد اطلق عليه اسم الخلق « Character » حيث يقول :

« ان الاستعدادات الاولية الفطرية هي المادة الخام التي تتشكل وتتنظم ليكون منها الخلق ، والتشكل والانتظام يتم على مرحلتين :

المرحلة الاولى هي مرحلة تكون العواطف ، والمرحلة الثانية يتكون فيها من العواطف نظام متماسك يسوده الانسجام ، وهذا النظام هو الخلق ، وقوة الخلق انما تتوقف على مدى الانسجام والتكامل اللذين يسودان هذا الجهاز من العواطف ، كما تتوقف على مدى التماسك الذي بحوزة هذا الجهاز من العواطف بفضل التدريب والمران » [1] .

ولهذا وفي ضوء هذا التعريف ، حدد العصاب بأنه يرجع في جوهره الى انعدام الانسجام في التكامل الصحيح لهذه الاستعدادات الغريزية ، بدرجة تخل بالانسجام بين الجهاز النفسي كله وعاطفة اعتبار الذات واحدة منها ، ومن أهم الغرائز المسؤولة عن الاخلال بهذا التماسك الغريزة الجنسية ، التي قد يكون من تعارضها مع بعض الغرائز الاخرى او العواطف آثار تؤدي الى العصاب . كذلك يؤكد أصحاب هذه النظرية ان انعدام التوافق ، او وجود صراع بين غريزة الخنوع وغريزة اثبات الذات والسيطرة مثلا أمر له أثر عظيم في تقرير السلوك العصابي [2] .

كذلك يرى مكدوجال أن الشخص العصابي يكون في حالة من الصراع والتعارض بين العناصر المكونة لشخصيته بدرجة تخل بالتماسك القائم بينهما والذي تبدو فيه ككل منظم ، تتحكم فيه عاطفة اعتبار الذات . فالفرد حين تفشل التربية في تدريبه على اخضاع نزعاته الغريزية لهذا التنظيم المتماسك ، باضعاف عاطفة اعتباره لذاته عرضة لكثير من الاضطرابات العصابية حين يطغى ميل فطري على غيره من الميول او ميل فطري على العواطف المنظمة لها ، اذ تطغى عاطفة على اخرى أو تفوق في قوتها النزعات الفطرية .

كذلك يهتم أصحاب نظرية الغرائز في دراسة العصاب بأثر التعارض بين انماط النزوع التي قد تترتب على حالة وجدانية تتمثل فيها أنواع متعارضة من الانفعال ، وينجم عن ذلك انماط من النشاط العقلي المتعارض أو النزوع لنشاط معين متعارض مع بعضه البعض ، وما ينجم عن ذلك من توتر نفسي عند الفرد

---

(١) د. محمد عماد الدين اسماعيل : الشخصية والعلاج النفسي ص ٩ .

(2) Gordon, R.G. : The Neurotic Personality : London. Kegan Paul, Trench, Trubner & Co . 1937 P. P. 21 - 40 .

يكون مسؤولا وله أهمية كبيرة في حالات العصاب ، خصوصا تلك الانماط من السلوك الذي يبدو غير واضح أو جانبيا لدرجة أننا قد لانلاحظها ، ومع ذلك لايمكن ان ننكر وجودها . هذه الانماط السلوكية أو النزوعية الحركية كانت موضع اهتمام ودراسة أصحاب علم النفس الترابطي .

تفسير سيرل بيرت الجناح والعصاب في ضوء النظرية الفرضية :

أما سيرل بيرت فقد فسر الكثير من الاضطرابات السلوكية الجناحية في ضوء هذه النظرية ، فارجع كل مظهر من مظاهر الجناح الى انه وسيلة غير اجتماعية لاشباع غريزة ما ، وسيرل بيرت يعتبر الجناح والعصاب وجهان متقابلان للانحرافات السلوكية حيث يقول بيرت :

« Neuroses and delinquency are the obverse aspects of perversion. »

وهكذا يعتبر سيرل بيرت الجناح والعصاب طرفان للاضطراب السلوكي ويحاول ان يفسرهما في ضوء دراسته للميول الفطرية او الغرائز [١] .

والنبذ برايه في الجناح :

فالجرائم المختلفة للاحداث في نظره وسيلة للتعبير عن الغرائز او الاستجابة للانفعالات بصورة مهذبة او بدائية « Raw » ذلك ان الغرائز يمكن أن تتعدل في طرق التعبير عنها والانفعال المرتبط بها عن طريق الارتباط الشرطي الذي يفسر عملية التعديل بواسطة التربية والخبرة . وبينما يمكن تعديل طريقة التعبير الحركي عن الغريزة ، نجد الناحية الانفعالية المرتبطة بها ـ اصيلة كانت أم مكتسبة ، لها أعراض حشوية أو غددية او حالة دورية او تنفسية لايمكن التحكم فيها اراديا وتكون هي دافع الجريمة وفي هذا يقول :

« ان اشكال الجنوح الشائعة التي يقترفها الاحداث وتشيع بينهم ، يبدو انها اما ان تكون تعبيرا مباشرا عن بعض النزعات التي يبدو أننا توارثناها كجزء من تاهيلنا واستعدادنا الفريزي ، أو انها استجابات معدلة متطورة ، ولكنها مع ذلك نابعة كلية من هذه الاستجابات الانفعالية الغفل « Crude » [٢] .

وهكذا نجد أن الانفعال النوعي الذي يرثه الفرد انما يرث معه درجة قوة هذه الاستجابة الانفعالية ، الامر الذي يوجه ويحدد نوع الجريمة ، فالذي يرث سرعة الغضب يكون أغلب جناحه في صورة العدوان بالضرب أو السب على الغير ، ومن يرث الشبق الجنسي القوي تكون أغلب جرائمه متعلقةبالعدوان

---

(1) Burt, C. : The Young Delinquent. University of London Press 1944 . P. P. 581 - 582 .

(2) Burt, C. : Ibid. P. P. 421 - 422 .

الجنسي . وقد يرث الفرد ميولا تشردية « Gipsy » وهذا يلجأ للتشرد في سلوكه العدواني .

ولسيرل بيرت رأيه في الانفعالية العامة ، التي درس مدى ارتباطها بالاضطرابات الجناحية فقد وجد أن :

١ – في ٦٠٪ من الجانحين الذين درسهم من الناحية الانفعالية يوجد انفعال او آخر يبدو انه نمى بطريقة ناقصة او مبالغ فيها ، والاسلوب الثاني اكثر تواترا .

٢ – في ١٢ ٪ من غير الجانحين وجد ظروفا مشابهة ، والفرق بين النسبتين ذو دولالة ولقد وجد في ١٢ ٪ من الجانحين دافعا أو ميلا فطريا او انفعاليا غريزيا مبالغ فيه بصورة يمكن اعتباره المسؤول الوحيد عن الجناح [١] .

ويتحدث سيرل بيرت عن الميول الفطرية « الغرائز » ويدرس مدى تأثيرها في خلق الجناح ومنها :

١ – **الجوع** : الجوع كحاجة بيولوجية ليس مسؤولا كثيرا عن الجريمة بقدر ماتكون الحاجات المرتبطة به – مثل شرب الخمر ، وأكل الحلوى ، وهي المسؤولة عن السرقة في حالات الجناح .

٢ – **الجنس** : هناك فروق فردية بين الافراد والاجناس في قوة هذه الغريزة ، والافراد يتوارثون قوة هذا الميل ولذلك وجد الجناح الجنسي يرجع في ١٦ ٪ من حالاته لقوة الغريزة .

ويرى انها تدفع للجناح لانها قوية ولانها تشبع غرائز اخرى تكون غير مشبعة ، كذلك تكون الجنسية الطفلية مسؤولة عن كثير من انواع الجناح عند الاطفال مثل الاستعراء وغيرها .

٣ – **الغضب** : او غريزة المقاتلة ويرى أن هناك فروقا فردية وجنسية في قوة الغريزة . والغريب انه يربط بين سرعة وعنف الغضب والبيئة التي تؤثر في خلق طريقة الغضب والتعبير عنه ، وربما كان ذلك مما يرتبط بمفهومه عن الانفعالية العامة الفطرية وأثر البيئة في تقويتها .

وقد يعبر الجانحون عن الغضب بطريقة اخرى قد لايكون الغضب واضحا فيها كالسرقة او التشرد او التأخر خارج المنزل ، والمروق والخروج عن طاقة الآباء وترك المنزل وعدم الطاعة وكلها تعبيرات عن الغضب ، يفرغ فيها الجانح طاقة غضبه بعيدا عن المصدر المثير للغضب.

---

(1) Burt, C. Ibid. P. 427 .

ويرجع الجناح المرتبط بالغضب الى درجة شدة هذه النزعة الغريزية ، التي تتأثر أيضا بالعوامل المثيرة لها وأهمهــا وجود مايعوق أو يعترض نزعة اخرى سبق استثارتها ، ولهذا يقويها ويعززها نوع النزعة التي سبق استثارتها . ومن أهم مايثير غضب الاطفال الشعور بالنقص الجسمي او الاجتماعي أو اعتراض الغير لرغبات الطفل .

ويلاحظ ان الكثير من مظاهر الغضب وما يرتبط به من عدوان يظهر في الطفولة المبكرة بصور مختلفة ، وتستعمل فيه وسائل بدائية ، ولكــن لاينظر اليه في صورة جناح . ولكن في السن المتأخر وخاصة في البنين من ١٠ ــ ١٣ ، نجد الحقد الاجرامي كما سماه يتوجه غالبا نحو الممتلكــات ويقل نحو الاشخاص ، واذا استعمــل ضد الاشخاص ، نجد الغضب يستعمل وسيلة دفاعية في صورة عصيان ، او تحد ، ويقل الميل نحــو العدوان البدائي المباشر .

وقد وجد ان الغضب الحاد مسؤول عن ٣٪ من حالات الجناح أغلبها بين البنين ولكنه يرجعه غالبا للوارثة ، حيث وجد ان الغضب الحاد سمة تميز الكثيرين من أفراد أسر الجانحين من هذا النوع (١) .

٤ ــ **غريزة التملــك** : يبدأ حب التملك عند الفرد مع اول استجابة انعكاسية وهي المسك ، الذي يرتبط بالجوع غالبا ، ولهذا ترتبط السرقة في هــذا النوع بالجوع غالبا ، ويرتبط بالتمليك الجمع والتكديس المعروف عند الاطفال ، ورغم انها اقل الغرائز وضوحا في انفعالها ، الا أنها لاتبدو مسؤولة عن كثير من جناح الاحــداث في ذاتها ، فقد وجد أن ٨٠٪ من عــدوان الاولاد الجانحين يأخذ صورة سرقة ، ولكنه بالتعمق في دراسة اسبــاب الجريمــة ، وجد ان دافع التملك هنا بالسرقة يهدف لاشباع طاقة اخرى تدفع للجريمة وتبدو حافزا اعمق ، فقد يسرق الطفل لاشباع الجــوع لا لمجرد الملكية او لاشباع حاجته للسيطرة والزهو بسرقة أدوات الزينة مثلا ، او ليشبع كراهيته لفرد ما فيسرق منه ما يملك ، ناهيك عن الرغبة في مشاهدة السينما ، او امتلاك الجواهر المغرية الخ .

وعندما حاول ان يفسر السرقة مع عــدم وجود الحاجة للموضوع المسروق في حالات الشعور بالاهمال والنبذ عند الاطفال مثلا ، مع توفر المال اللازم للشراء الشريف ، فسر ذلك في ضوء نظرية الغرائز فقال :

« ان أي انفعال اذا استثير ولم يجد له موضوعا أو فقد موضوعه ، تحول الى موضوع آخر . ويحاول أن يجد له نقطة ينطبق عليهــا ، أو مخرجا ينطلق للتعبير عنه فيه ، وهنا نجد الامتلاك مثله مثل الغضب ،

---

(1) Burt, C. : Ibid . P. P. 436 - 446 .

غريزة تعمل للوصول الى هدفها والتغلب على كل العقبات ، حيث أنهـا الاستعداد الفطري الذي زودتنا به الطبيعة لنستحوز على ما نريد ممـا لانملك . وهي كالغضب يكون على استعداد للظهور في مركز ثانوي بالنسبة لنزعة اخرى ، اذا اعترض سبيلها معترض ظهرت غريزة التملك لخفض توتر النزعة الاولى ، فنجد ان اعتراض الحاجة او الرغبة في تملك الام أو حبها يظهر التملك بصورة قوية مصحوبا بالغضب ، ولهذا تتحول الرغبة في التملك من جذورها واصولها الحقيقية ، وتهيم تريد ان تحقق نفسها ، وتلتصق بصورة طفلية بملكيته اي شيء يكون بديلا للملكية غير المشبعة ، مهما كان غير مرتبط بها ، ومهما كان غير قانوني » (١) .

وغريزة حب التملك تختلف عن الغضب والمقاتلة والجنس ، في أنهـا لاتشبع ولا تنطفىء ولذلك لها قيمتها الاجتماعية ، ولها أيضا أهميتهـا في جرائم ٨٠٪ من الاحداث ، ولربما من هنا جاءت الحكمة القائلـة ، « اثنـان لايشبعان ، طالب علم وطالب مـال » وفي كل منهما تملـك لمصـادر القوة .

٥ ــ **غريزة القنص** : « Hunting » كثيرا ماتكون الاستثارة الانفعالية لمجرد الصيد دافعا لجناح الاحداث ، وقد يشترك معها الملكية ، كذلك تدفـع هذه الغريـزة احيانا للمروق عند الجانحين او الخروج عن السلطـة الوالدية حين يخرجون للمزارع والبرك للنزهة وغالبا للصيد ، ضاربين بتوجيهـات او برغبات الآباء أو المعلمين عرض الحائط ، غير مكترثين الا باشباع نزعة الصيد .

والتجـوال ، الذي قد يترتب على اشبـاع هذه الغريزة ، هو اول خطوات الانزلاق في جرائم الاحداث ، حيث يدفعهم ذلك الى التخـريب احيانا او السرقة عند الجوع ، او التعب وكلها تبدو في نظر الآخريـن خروجا على القانون ، ولو انها من جهة السلوك نزوع لاشباع غريزي .

وقد حاول « سيرل بيرت » أن يرجع بعض اشكال الجناح في حالـة المروق الى نزعة عمياء للتجول الذي اعتبره ميلا فطريا معروفا عنـد بعض الحيوانات والقبائل البدائية من الفجر ، وقد وجـد من دراسته لمجموعة من الاحداث ان هذه النزعة الفطرية مسؤولة عن جناح الهـرب في ٣ر٣ ٪ من البنين الهاربين ، كما وجد ان من بين معتادي الهـرب ٦ر١٧ ٪ منهم كانت تتواتر في اسرهم الميول للهجرة والتجوال ، ولم يجد في حـالات من لايلجـأون للهروب حـالة واحدة عـرف التجوال فـي حيـاة اجدادهـا .

---

(1) Burt, C. : Ibid . P. 451 .

ويفرق سيرل بيرت بين نوعين من الهروب والتجوال « التشرد » :

- هروب يرجع لحالة من عدم الارتياح النفسي « Uneasiness of mind » التي ترتبط بجفاف الحيـاة المنزلية الانفعالية ، او انعدام الميول في المدرسة ، او طرق التأديب الخاطئة .

- وهروب يرجعه لنزعة غريزيـة للتجـوال والتشرد « Instinctive fugue & Truancy » ولكنه يعود ويؤكد اننا حين ندرس هذه الظاهرة بين الجانحين يجب ان نتابع نمو العادة منذ الطفولة ، لان هذه العادة تقوى باغـراء البعد عن توتر الحيـاة الانفعالية في المنزل . ولكنـه يؤكد ان الميل الفريزي الموروث يستثار بواسطـة الظروف البيئية التي تزكي العادة [1] .

٦ ـ **غريزة حب الاستطلاع :** وقد وجد انها مسؤولة عن كثـير من أشكـال الجناح ، لانه ميل قوي عند الاطفال ، وربما كانت هذه الغريزة هي التي تكمن وراء حالات التدخين أو شرب الخمر او الجناح الجنسي أحيانـا ، كذلك قد يندفع الاطفال الجانحون للمروق مثلا او الهرب لاستطـلاع الغريب في السينما او الملاهي او غيرها .

٧ ـ **غريزة حب الاجتماع :** وهي نزعة موروثة ، لالغرض الوقاية او الحماية فقط ، بل يكمن وراءها انفعال الم الوحدة ، وهي غريزة اجتماعية فكيف تكون مسؤولة عن جناح الاحداث ؟

يرى أن اجتماع الاطفال وخاصة بعد سن ١٠ سنوات الى ١٤ سنـة يكون في شكل جماعات لها قيمها ودستورها الذي يشبه دستور الغاب ، حيث تضعف فاعلية النزعة البدائية للسيطرة ويكون الاطفال تحت تأثير المشاركة الوجدانية والايحـاء والرغبة في المسايرة بصورة تفصح عـن النزعات المكبوتة ، والغرائز غير المشبعة ، ويأخذ الجناح صورا منهـا الهـروب والسرقة ، او اللعب الـذي يمثل حيـاة اللصوص وقطـاع الطـرق وغيرهـا .

ولقد درس بيرت ١٢٣ حدثا من البنين وجد أن ٤ر١١ ٪ منهم يتبعون عصابات من ثلاث اعضاء او اكثر ، ولم يجد بين البنات هذه العصابات في ٧٤ حالة .

٨ ـ **غريزة اثبات الذات :** وجد أنها تكمن وراء أشكال كثيرة من الجنـاح في الجنسين . فالطفل حين يجد نفسه مندفعا الى عالم كله تأثير وجاذبية ، وعندما يكون واعيا بضعفه النسبي في هذا العالم ، نراه يحاول ان يحقق

---

(1) Burt, C. : Ibid. P. 458 .

تأثيرا في محيطه وعالمه بتأكيد ذاته بكافة الطرق التي تقويه وتكون واضحة وفي متناول يده ، ويبدو ذلك واضحا تماما في حالة العناد الـذي يظهر على أفراد لايتأثرون الا بالايحـاء العكسي « Contra suggestion. » والعنـاد السطحي مـن هذا النوع يعتبر نوعا من التعويض الـذاتي « Selfcompensation » لانه يوازن ويتعادل مع « Counterbalance » نوع من القلق يرتبط بشعور بالنقص ، وهو اكثر الميكانيزمات شيوعـا في الحياة النفسية للجانحين . ان ما ينقص الطفل من الشجاعة الاصيلة الحقة ، والقوة الحقيقية في الخلق ، أمر يحاول ان يعوضه بصورة سريعة وبقفزة واحدة حين يبدو عاصيا متشردا ، او غاضبا مخربا ، بصـورة خطيرة ، ولكنه في داخلية نفسه ، وفي صميم تفكيره يشعر بنقص شديد .

ويفسر بيرت القسوة عند الاطفال بأنها وسيلة لاشباع غريزة اثبات الذات ، وتأكيد قوة الفرد ، ويغلب ان يكون هذا النوع مـن الاطفـال كالبلطجية المفترون « Bullies » والمعاندون ، ومن يعاكسون أو يشاكسون الآخرين بطرق عدوانية ممن يشعرون بأنهم — في غير اوقات العـدوان والاستمتـاع بالسطوة على فريستهم — جبناء ، ضعفاء ، ويكون هـذا العدوان وسيلة تعويضية .

٩ — **غريزة الخنوع** : « Self submission » فقد وجد انها بارزة جدا عند كثير من الجانحين وخاصة اولئك الذين يتصلون برؤساء العصابات ، الـذين يعرفون فيهم قابليتهم للاستهواء . وكثيرا ماتظهر هذه الغريزة واضحة حين يؤكد الجانحون انهم اجبروا على هذا السلوك الجناحي او ذاك لانهم كانوا واقعين تحت تأثير شخص يشعرون أمامه بالخنوع ، وقد وجـد بيرت انه تتضح في حالـة الاولاد بنسبة ٦ر٤٪ استجابـة الجناح بدافع هـذه الغريزة .

١٠ — **الخـوف** : اثر الخوف عكسي على الجناح لانه يدفعه للخنوع ولا يكون عاملا من عوامل الكف . ونزوع الخوف والهرب والاختفاء ، ولهذا يكمن وراء كثير من حالات التشرد . والهرب والتشرد « Vagrancy » حـين يخاف الجانح من كشف امره في سرقة أو نحوها ، أو يخاف عقابا أو يهرب من منزله المضطرب « من يهرب من منزله يهرب من نفسه أيضا » ، انما يفسر الكثير من حالات التشرد عند الجانحين .

والكذب احيانا سلوك معروف عند الجانحين وخاصة اللصوص ثـم يليهم المعتدون على الاملاك ثم المعتدون على الاشخاص . وهـو مرتبط بالخوف ويعرف بالكذب الوقائي او الدفاعي .

وكثيرا مايكون نقص الخوف الفطري سببا في الجريمة حين لايـدرك الطفل الآثار المترتبة على سلوكه وهو نوع من البله .

١١ـ **التقزز :** « Disgust » وترتبط هذه الفريزة بالحاسة الخلقية وهي لاتعدو أن تكون حاسة جمالية ، ونقص التقزز لهذا مسؤول عن كثير من جرائم الاحداث ، حين يكون الجانح غير مدرك للحقائق الخلقية أو ماينبعث من سلوكه من « عفن اجتماعي » وليس معنى هذا ان التقزز غير موجود عند الجانحين ، بل انه لم يصل بعد الى درجة العتبة الفارقة التي تجعله عاملا للكف عن السلوك الجانح ، او يكون عاملا من عوامل كف النزوع لسلوك العدوان . وربما رجع ذلك لعدم التدريب والتعليم ، لربط السلوك غير المرغوب بانفعال التقزز .

١٢ـ **غريزة الحب :** « Affection » وهيموجودة بصورة فطرية عند الانسان والحيوان ـ طبعا كما يرى أصحاب هذه النظرية ، وانعدام هذه الفريزة أو ضعفها واضح عند الجانحين . فالمعروف انهم انانيون جاحدون ، يعانون برودا في الميول الايجابية نحو الفير ، لذلك يوصفون بالفقر في الحب « Distitute of affection » ، وهكذا لاتكون هذه الفريزة من القوة بحيث تكف سلوك العدوان على الفير . وقد تكون دافعا في حالات شاذة من الجناح للسرقة لاعطاء من يحبه الجانح مايسرق ، كالمعلم او الصديقة . وكثيرا ماتكون حاجة الجانح للحب هي الفريزة الواضحة التي تفسر سلوكه كما يحدث في حالات السرقة القهرية او الجنوح الجنسي ، حيث يظهر سلوك الجانح في تكرار اشباع رغبته في تحقيق الشبق الجنسي مع من يحب بطريقة سوية او منحرفة .

١٣ـ **الحزن :** « Grief » وهو ما أنكر وجوده مكدوجال كفريزة ، ولكن الكثيرين من اصحاب هذه المدرسة يعتبرونه احد المشاعر الانسانية الدافعة مثل شاند « Shand » وغيره ، حيث يعتبرها غريزة تكمن وراء انواع من السلوك مثل البكاء والنحيب والصراغ طلبا للعون وغيرها .

وهو مسؤول عن كثير من حالات الجناح خاصة الانتحار او العدوان على الذات . ويلاحظ ان الحزن قد لايكثر او يظهر بصورة اكتئاب بين الجانحين فلديهم ميل لايشبع للضحك والمرح ، وقلما يشعرون بتأنيب الضمير بعد الفعل الجناحي ، ولا يشعرون بمشاعر الفير أو آلامهم أو نتائج سلوكهم المؤلمة ، ولذلك فهم لايحزنون على سلوكهم الجناحي ، والاغلب انهم يحزنون على فقدان السند او الملكية .

كذلك يميلون الى اللعب بصوره المختلفة ، وهي ميول فطرية اعتبرها « سبنسر » وغيره من اصحاب هذه المدرسة مخرجا لطاقة عصبية زائدة ووسيلة للاعداد للحياة ، وكثيرا مايكون سلوك الجناح وسيلة للتنفيس عن الميل الفطري للعب .

هكذا يعرض لنا بيرت الكثير من الفرائز او الميول الفطرية التي تفسر الاتجاهات الجناحية النوعية ، ويربط بين كل ميل غريزي وبين صورة من

صور الجناح بطريقة او اخرى . الا انه حاول ان يتدارك مافي ذلك من نقص حين وجد ان هذه الميول الفطرية ، في رأي اصحاب هذه الغرائز ـ يشترك فيها الجانحون مع غيرهم ، فما هو العامل المحدد للميول الجناحية ؟ أي مادامت هذه الغرائز ميولا فطرية يشترك فيها الجانحون مع الاسوياء ، فلماذا تكون عند الجانحين طاقة دافعة للسلوك الجناحي ؟

بدأ سيرل بيرت بعد ذلك يدرس مدى قوة هذه الغرائز والعلاقة بينها ، في نظريته عن الانفعالية العامة ، يتلمس فيها ما يميز الجانح عن غيره من الافراد ، باعتبار أنها تصور الطاقة الانفعالية التي تختلف في درجة قوتها من فرد لآخر ، وبالتالي تحدد درجة قوة النزعة الفريزية وبالتالي درجة الاندفاعية الفريزية [(١)] .

الانفعالية العامة والجناح عند سيرل بيرت

كشف سيرل بيرت عن علاقة ايجابية بين قوة الانفعالات تكون اكثر وضوحا عند الاطفال والجانحين منها عند العاديين أو الراشدين . وفي ضوء ذلك أمكنه ان يفسر الكثير من مظاهر الجناح في الفرد الواحد . وقد لاحظ سيرل بيرت ان اغلب الجانحين يمتازون بعدم الاستقرار الانفعالي والنقص المزاجي . ولقد حاول ان يعتبر هذه السمة العامة عاملا محددا للميل للسلوك الجناحي .

تعريف غير المستقر انفعاليا أو ذي النقص المزاجي [(٢)]

درس سيرل بيرت هذه الظاهرة من تقارير الجانحين ، ومن ملاحظة سلوكهم ، وامكنه أن يستخلص من ذلك حقيقة هامة هي ان الجانحين يمتازون بأنهم يرثون قوة في الانفعالات مع تعارضها احيانا ، وهم قلب في نزعاتهم وانفعالاتهم . ونحن نعلم ان الاطفال جميعا ينقصهم هذا التوازن والاستقرار الانفعالي الا ان هذا يظهر بدرجة أوضح في حالة الجانحين . وقد ميز من هذه الفئة ذوي الاضطراب المزاجي الذين يعرف عنهم من ميلادهم أو من سن مبكرة نوع من العنف والشدة وعدم الاستقرار في انفعالاتهم ، أو الاندفاعية ، وعدم التعقل ، او ما يمكن ان نسميه الفجاجة الانفعالية .

---

(1) Burt, C. : Ibid . P. P. 506 - 512 .

See also

— Cattell, R. B. : The description and Measurement of Personality. London George Y. Harrop & Co. L. T. D. 1946 .

— Cattell, R. B. : Personality, Mc. Graw Hill BooK Company . Inc. First Ed. 1950 .

(2) Burt, C. : Ibid. 512 .

يرى سيرل بيرت أن الانفعالية العامة العالية الواضحة في الاطفال الجانحين هي العامل المسؤول عن تكرار الجرائم ، وانها حتى اذا تعرض الجانح لما يمنع تعبيره اللاسوي بجريمة ما ، فانها قد تدفعه لان يلجأ الى جريمة اخرى ، فاذا حيل بينه وبين السرقة يهرب ، واذا منع من الهرب لجأ للعدوان الجنسي ، أي انه دائب على ان يتلمس الوسائل للتنفيس عن انفعاليته العامة القوية .

وهكذا ينتهي سيرل بيرت الى ان الجناح بأنواعه ليس الا عرضا للاضطراب الانفعالي والنزعة الانفعالية العامة العنيفة ، ولكنه عرض موزع متعدد الاشكال ، فهو لهذا يبدأ بالتفاصيل المتعلقة بالغرائز يربط بين كل منها وبين عرض جناحي كل على حدة . ولكنه ينتهي الى محور يعتبره مدار التنظيم في شخصية الجانح ، ويقصد به محور الانفعالية العامة العالية .

ولم يقف الامر ببيرت عند هذا الحد ولكنه عاد يؤكد اهمية البيئة في اتاحة فرصة اشباع الغرائز بهذه الصورة المنحرفة حين اكد امكان تعديل الغرائز في طريقة اشباعها عن طريق العادات المكتسبة ، في ضوء القوانين المعروفة لتعلم العادة .

وفي ضوء ذلك يفسر بيرت السلوك الغريزي النمطي « Stereotyped » [1] وكيف يحدث نتيجة عملية تثبيت معينة ، بمعنى ان بيرت يقول بأن بعض الافراد يستمرون على الجمود على مستوى السلوك الغريزي الفطري النمطي، دون تعديل أو تهذيب وآخرون ينال سلوكهم الغريزي الفطري تعديل من نوع ما، كما يحدث عند تهذيب مثيرات الغرائز أو طرق اشباعها ومواءمتها للاوضاع السائدة فهو اذن يرى أن السلوك الغريزي يمكن تعديله بالقوانين المعروفة في نظريات التعلم ومنها قانون الاثر والارتباط الشرطي ، وهنا يتحدث عن قانون الاستعمال والاهمال « Law of use and disuse » وأثره في انطفاء او عدم ظهور سلوك غريزي بشكل من الاشكال ، وتوجيه هذا السلوك بشكل آخر لاشباع هذه الطاقة الغريزية [2] .

كذلك يشرح بيرت كيف أن بعض الغرائز لاتستثار كدافع الا اذا تكررت مواقف معينة تثيرها وبالتالي تدفع للجناح كالسرقة المتكررة من شخص واحد ، او مكان ما ، ارتبط بالاشباع الغريزي ارتباطا يرجع الى سابق وجود اقتران شرطي سابق « old association » ، ومثلها تكرار السرقة من أموال الاب وهو فعل يشبع غريزة الامتلاك من شخص اقترنت السرقة منه بلذة العدوان اقترانا شرطيا او سرقة بعض اللعب التي اقترنت شرطيا بخبرات الغيرة أو الحرمان في مراحل سابقة ومن أمثلتها السرقة التعويذية الرمزية .

---

(1) See also : Guilford, J. P. : Personality. Mc. Graw Hill Book Company I. N. C. 1959 .

(2) Burt, C. : Ibid. P. 526 .

فقد عرف مثلاً ان ولدا ضبطت لديه اكثر من عشرين زوجا من «النظارات» لانـه كان يعاني نقصا علميا ، ويجـد ان « النظارة » الطبية تقترن بالتفوق الدراسي ، سواء كان ذلك التفكير واقعيا ام خياليا [1] .

وبعد ان يتحدث بيرت عن الكثير من قوانين التعلم المعروفة وأثرهـا في تعديـل الميول الغريزية ، نجـده يرجع الكثير من اشكال السلوك الجنـاحي الى أنه عادات مرت من قبل بكل مراحـل تكوين العادة عند أصحاب نظريات التعلم . فالسرقة عادة عززت بالنجاح المتكرر في اشباع نزعة غريزية معينـة عن طريقهـا . والمعروف ان السارق لايكشف أمره الا في المرة العاشرة بعـد ان ينجح في تسع مرات سابقة في الوصول عن طريق هذا السلوك لاشبـاع حاجات معينة تعزز وتقوى عادة السرقة ، وتنمي في الفرد روح المغامرة .

وكثيرا ما يكون الارتباط الشرطي من العوامل المساهمة في تعلم جرائـم معينـة ، كسرقة الكتب لارتباطها بالعلم الذي يعاني الجاهل السارق من نقصه فيه . فالكتب مثير مرتبط بالعلم والمعرفة ، وهي مشبعة لغريزة حب السيطرة واثبـات الـذات .

وعندما يتحدث « سيرل بيرت » عن عادة السرقة يربط بين تعزيزها وبين الاوضاع الثقافية في بيئـة الجانح ، تلك الاوضـاع التي قـد تشجع هـذا السلوك ، وتعزز العادة لانها تشبع ، الى جانب النزعات الغريزية الاخرى الميل لاثبات الذات الغريزي .

وسيرا في الاطار العام لنظرية الغرائز ، يحاول سيرل بيرت ان يفسر أثـر العواطف عامة والسلبية منها خاصة في خلق الجريمة . فهو يجد ان العواطف تكوينات معينة في الشخصية قد تلعب دورا هاما في الكف عن السلوك الجانح ، اذا كانت ايجابية كالحب ، وهي مـن أهم وسائـل العلاج في المؤسسات ، أو هكذا يجب ان تكون .

ولكنه لايلبث ان ينحاز الى مانادى به اصحاب نظريـة التحليل من اثـر التأرجح او التناقض بين انفعالات عواطف الحب والكراهية . ويرى ان هـذا التأرجح الوجداني في العواطف المرتبطـة بموضوعات يحبها الفرد ، مسؤول عن كثير من اشكال الجناح ، خصوصا اذا حدث نتيجة التفاعل بين الفرد والآخرين مما يثير فجاة ، وبصورة غير متوقعة النواحي السلبية من الانفعالات والعواطف. فالصراع النفسي في هذه الحالة مسؤول عن كثير من اشكال الانحراف . ولقد كان مفهوم الصراع هنا يختلف في مضمونه عن مفهوم الصراع عند التحليليـين القدامى حيث كان يعني في نظرية التحليل الفرويدية صراعات بين نزعات الجنس

---

(1) Burt, C. : Ibid : P. 532 .

ومطالب الواقع او الأنا والأنا الاعلى [١] .

الصراع والعقد وأثرها في الجناح في رأي بيرت :

لقد بدأ سيرل بيرت في آخر دراساته يتجه اتجاها تحليليا عند دراسة ظاهرة الجناح ، واخذ يتحدث عن التوتر النفسي الناجم عن الصراعات المختلفة بين العواطف المتعارضة واثر ذلك في خلق الجناح ، والكاتب حين يستعرض بعض آرائه في هذا المقام انما يهدف الى تبيان كيف ان مذهب التحليليين قد طغى على الكثير من اصحاب المدارس الاخرى ، وكيف ان سيرل بيرت لم يتمسك بنظرية الغرائز وحدها في تفسير الظاهرة ، بل انه نجح في الاخذ بكل ما يفسر الظاهرة ولكن في الاطار العام لنظرية الغرائز والعواطف .

- فقد فسر الجناح على انه اشباع لبعض الغرائز .
- ثم وحد قوة هذه الميول الفطرية والانفعالات مستفيدا من مدرسة التحليل العاملي لدراسة الارتباط بين النزعات الفطرية والانفعالات ، وتحديد مفهوم الانفعالية العامة .
- ثم افاد من نظريات التعلم في تفسير الجناح كعادة تشبع ميلا فطريا .
- وعاد اخيرا يتلمس في آراء التحليليين « مدرسة التحليل النفسي » ما يمكنه من ان يكشف عن الطاقة الانفعالية التي تكمن وراء تعلم هذا السلوك [٢] .

ومن اهم آرائه في هذا دراساته للنواحي الآتية :

آ ـ **عقدة الام** « أو عقدة زوجة الاب » ويفسر هذه العقدة على أساس أن الفرد تنمو لديه عاطفة حب لامه ثم يكرهها عندما تؤدي دورها في تربية الطفل ، ويزيد هذه الكراهية حب الاب عند البنت . وغالبا ما تكون الكراهية لنفس الجنس من الآباء ، ثم تزيد هذه الكراهية بميلادالشقيق احيانا حين تثير العناية به الحقد والغيرة ، مع عجز الطفل عن تبرير هذه المعاملة الخاصة للطفل ، وهنا تبدأ مشاعر سلبية حين يخيل للطفل ان هذه ليست امه بل هي « زوجة أبيه » وتزيد هذه النار اضطراما ، حين يثير الآباء قلق الاطفال باخفاء مصدر وجودهم ، مما يبعث فيهم الخوف وعدم الثقة في الكبار ، وهذه تظهر مشاعر تتعارض مع عواطف الحب السابقة ، ولكنها لا تلبث ان تنفجر في وقت ما . وهنا يكون الهرب حيلة للوصول الى الام الحقيقية ، أو بحثا عنها ، او عن أم بديلة ،

---

(1) Burt, C. : Ibid. P.P. 539 - 547 .

(2) Burt, C. : Ibid : P. 548 .

حتى يقنع الطفل على شبيه بالاب أو الأم يمنحه من الحب والعطف والمال ماحرم منه عند أبويه .

ب ـ **عقدة السلطة والكراهية** : ان وظيفة الاب التأديب على الاخطاء أثناء عملية التطبيع الاجتماعي ، والام غالبا ماتربت على كتف الطفل وتدلله ، ولهذا ينمي الطفل عواطف كراهية ونزاع ورغبة في العدوان على مصدر السلطة ، وكل من يذكره به من المدرسين والبوليس وغيرهم ، وهكذا يعيش الطفل في تذبذب بين كراهية مكبوتة وحب يفصح عنه . هذا التذبذب هو نفس ما يعانيه العصابي من الاطفال ، والفرق بينهما هو فرق في أحد طرفي التذبذب ، فعواطف الكراهية أغلب عند الجانحين في حالات التذبذب وعواطف الحب اوضح عند العصابيين .

لهذا نجد العصابي يفصح عن العواطف الايجابية من الحب والعطف ، ويطالب بمثلها بشكل طفلي ، ويكبت نوازع الكراهية والعدوان ، اما الجانح فانه لاقبل له بضبط نوازع العدوان وذلك لانفعاليته العامة العالية ، فلا يلبث ان يعبر عن قدر منها ينطلق فيحرق كل نوازع الحب والعواطف الايجابية [١] .

ويربط بيرت بين كراهيــة الجانحين للآباء والامهات ، ورغبتهم في العدوان عليهم وبين عمليات التربيــة المتعلقة بالاخراج والنظافة ، اذا استعمل فيها من الوسائل ما ينمي في الطفل العناد ، ويجعل الطفل يتعلم ان السلوك الذي يثير الآباء وسيلة من وسائل التحدي الاجتماعي عندما يكبر ويكون قادرا على الجناح ، يتحدى به اولئك الذين كانوا دائما يقفون حجر عثرة في سبيل اشباعه لذاته ، خصوصا اذا كان الطفل لم ينعم في طفولته ان يخجل أو يتأثر احساسه بسبب جرح مشاعر من الحب ، او التقزز من الاخراج ، وبهذه الطريقة يربط بين هذه العقدة وبين غرائز معينة كالتقزز وغيرها .

الصراعـات الاخلاقيـة :

في كثير من الدراسات التي قام بها بيرت على الجانحين ، كان يبرز أثر الصراع بين انفعالين متعارضين ، وكيف أن التوتر الناجم عن ذلك يكون السبب الأول في كثير من حالات الجناح ، ولكنه يعود مرة اخرى فيرى انه في حالات كثيرة يكون التوتر ناجما عن صراع بين رغبة غريزية كالاكل مثلا وبين مستوى اخلاقي معين كالامانة . وهنا تكون الغلبة للنزعة الاقوى ، فان كانت النزعة الغريزية هي الاقوى ، تظهر على الجانح مشاعر معينة تبدو في صورة الاحساس بالذنب بعد الفعل ، وقد يتغلب دافع المعيار الاخلاقي ، وهنا يظهر التوتر في صورة عدوان غاضب آخر ، قد يأخذ صورة بديلة كالعدوان على من يملكون ما اضطر الى حرمان نفسه منه ، او ضرب شقيقه او غير ذلك مما

(1) Burt, C. : Ibid : P. 551 .

أسماه بيرت الجناح الاستبدالي أو البديل « Substitutional delinquency » وهو الحيلة التي يلجأ اليها الجانح امـام سطوة القيم الاخلاقية التي تتصارع مع ميوله الفريزيـة .

ويتحدث بعد ذلك عن اثر الكبت في خلق الجناح ، ويؤكد ان العوامـل الخارجية المختلفة التي تجعل الطفل يكبت الكثير من غرائزه وميوله الفطرية ، تدفع احيانا الى نوع من الانفجار الجانبي يأخذ صورة الجناح او الاجـرام ، عندما يتعرض الطفل بعد ذلك لما يغريه بالتعبير عن ميوله الفطرية الفريزية حين تضعف قـوة العواطف التي تقـوم بعمليـة الكبت لهـذه الغرائـز ، أمـام سطوتهـا وقوتها .

لكنه يعود فيقول : « ان الاطفال الذين يستسلمون للاغراء هم الاندفاعيون، غير المتحكمين في نزعاتهم الفريزية ، أما اولئك الذين يكبتون الاغراء الفـريزي دون مواجهته صراحـة ، فهم اولئك المتحكمون ، الحذرون ، الذين يلوذون بالصمت امام كل اغراء ، وهم شديدو الحساسية او الذين تسيطر عليهـم انفعالات كافة كالخوف او الكراهية وأمثالها ، مما يجعل غيرها من الانفعالات أقل تأثيرا . هؤلاء في الغالب اكثر ذكاء من الجانحين الذين يمتازون بالخشونة ، ويعيشون ساعاتهم ، ولا يقدرون العواقب ولا يتحملون الصراعات الاخلاقية الداخليـة ، وسرعـان مايستسلمون للنزعـات الفريزية ، ويجرون وراءهـا تسرع خطاهم نحو السلوك الجانح قوة دفع الطاقة الانفعالية العامة » [١] .

عقـدة النقص واثبات الذات :

يرجع « بيرت » هـذه العقدة لقصور طـرق التربية وقوانين المـدارس والمؤسسات التي تحد من سلوك الطفل وتحول دون تعبيره عن ذاته بصورة تجعل كل مايحيط به يشعره بالنقص ، والطفل يعوض ذلك كله بالجناح حـين يفشل في اثبات ذاته بالطرق المشروعة ، ويكون ذلك مما يزيد القلق لديه حين يصبح مفهومه عند ذاته او عاطفة اعتباره لذاته تتضمن في محتواها انه هـو البريء المضطهد ، او هو الفريسة الضعيفة ، ويكون الجناح غالبا الوسيلـة الوحيدة للتغلب على هذه العقدة بالتعويض في سن البلوغ غالبا .

ولقد استعرض سيرل بيرت عددا من العقد النفسية تبين دراسة لحالات جنـاح عديدة انها تشكل عاملا رئيسيا في سلوك الجناح وكان من أهمها [٢] :

عقدة الآباء والسلطة : وتشكل عاملا رئيسيا في ٤٣٪ من حالات الجناح .

يليهـا عقدة النقص واثبات الذات : وتشكل عاملا رئيسيا في ٣٦٪ مـن حـالات الجناح .

---

(1) Burt, C. : Ibid. P. 555 .

(2) Burt, C. : Ibid. P. P. 562 - 567 .

وعندما حاول ان يقارن بين الجانحين والعصابيين في هذا المقام رأى أن الجانحين يظهرون عددا كبيرا نسبيا او على الاقل قوة غير مناسبة في بعض العقد الاولية خاصة عقد الاستمناء الذاتي ، والعقد الابوية ، وعقدة النقص ، مما يبرر هنا مايذهب اليه من ان الجانحين يغلب انهم عانوا اضطرابا شديدا في نموهم الانفعالي ، او نوعا من التثبيت في هذه المراحل من النمو في حياتهم . وكان اظهر العقد كما هو واضح العقد الابوية (كراهية الاب عند البنين والام عند البنات) ، اما عقدة النقص فكانت أظهر في حالات جناح البنين منها في حالات البنات [(١)] .

وحين حاول تفسير هذه الظاهرة أرجعها لعوامل ثقافية أهمها :

١ ـ العلاقات الاسرية المضطربة التي قد تظهر العقد الوالدية او تعمقها كالشجار وعدوان الآباء على الام او على الطفل وغيرها .

٢ ـ التربية الشديدة القسوة ، او الشديدة التراخي ، وخاصة حالات التأرجح بين النوعين من المعاملة ، مما يزيد حدة هذه العقد .

٣ ـ الانفعالية العامة للجانح نفسه ، او قوة النشاط الغريزي الزائد نسبيا لغريزة مثل الغريزة الجنسية مثلا .

٤ ـ الاحداث التي يمر بها الجانح ويكون لها أثر واضح في أحداث هزات انفعالية في حياته : مثل الابعاد من المنزل ، او الطرد بما يشعره بانه غير مرغوب فيه أو الشجار المستمر في الاسرة والمنزل اللااخلاقي الخ .

وحين حاول بيرت أن يقارن بين العصابيين والجانحين في هذا وجد ان الظروف قد تتشابه في حياة كل منهما ، الا ان الجانح حين يشعر بعدم السعادة في هذه الظروف الاسرية يحاول الدفاع عن نفسه من الانهيار العصبي امامها بالانفجار في الجناح ، اما العصابي فانه طفل غير سعيد يبتعد عن الاعمال غير المقبولة على حساب انهياره العصبي . وهكذا يكون الجناح والعصاب مشتركين في امور كثيرة ، كما نجد ان السبب الواحد قد يكون له نتائج مزدوجة في شكلها ، مختلفة في أعراضها .

ولهذا السبب كثيرا ماتنتشر بين الاطفال الجانحين اعراض عصابية في نفس الوقت ، فمثلا نجد ان النيورساثينيا من الاضطرابات العصابية التي تمهد للجناح خاصة عندما يبلغ الشعور بالانهاك درجة تتيح الفرصة للاغراء بالفعل الجانح ، الذي قد يعطيهم لذة مؤقتة ضد القلق الذي يعانونه ، كذلك بشيع بين الجانحين القلق سواء القلق الهستيري ، او القلق العصابي العام وتكون اغلب الجرائم هنا هي المروق والهروب .

---

(1) Burt, C. : Ibid. Table P. 564 .

الى غير ذلك من العديد من الاضطرابات العصابية كالوساوس والافعال القهرية التي تكمن وراء انواع معينة من الجناح كالسرقة واشعال الحرائق أو القتـل او غيرهـا .

ويتضح من هذا العرض العام لآراء بيرت انه :

- يتمسك بالاطار العام لنظرية الغرائز ولكنه يهتم كذلك بالمجال الـذي يثير النزعات الغريزية .
- يميل في كل حالة وبصورة ضمنية او صريحة لابراز اهمية القلق كعامل متوسط بين عدم اشباع الميل الغريزي وبين الفعل الجانح .
- يعود فيأخذ بآراء المدرسة السلوكية في ان الجناح عادة متعلمة تمر بكل مراحل تعلم العادة من تكرار وتعزيز وانطفاء واسترجاع وغيرها .
- بالرغم من انه يرى ان الجناح يعتبر وجهـا من الاضطرابات يقابلـه العصاب ، وبالرغم من انه يبرز اهمية الظروف العائلية وطرق التربية في خلق كل منهما ، الا انه لم يوضح بشكل صريح كيف يكون نمطـا من انماط التربية للطفل مسؤولا عن خلق وتطور سلوك الجناح ويكون الآخر مسؤولا عن خلق وتطور اعراض العصاب .
- يؤمن سيرل بيرت بأثر الصراع بين الحاجات في خلق تنظيم معين فـي الشخصية ، قد يكون هو الدينامية التي تعمل وراء كل سلوك جناحي . الا انه لم يحدد الفروق المميزة بين هذا المتغير عند الجانح وعندالعصابي، كما انه لم يبرز دور القلق كدينامية في تعلم سلوك لاسوي دون آخر ، اي انه لم يذكر بالضبط العوامل التي يمكن ان تقرر اتجاه سلوك ما نحو الجناح وآخر نحو العصاب .

حقيقة انه اهتم بالمجـال الذي يعيش فيه الجانح ، وابـرز دوره في توجيه الفرد نحو السلوك الخارج على الاوضاع المرعية ، ولكنه أغفل ابراز هذه الناحية ، ومقارنتها بنفس الظروف في حياة العصابي .

وجهـــة نظـر :

قد يقابل هذا العرض الذي قدمناه لآراء سيرل بيرت في تفسير الجناح والعصاب بنقد أو مثله ، لانه لايعتبر من الذين انحازوا كلية للمدرسة الفرضية في تفسير ديناميات السلوك .

حقيقة ان سيرل بيرت قد حاول ان يفيد كثيرا من مفهوم التنظيم الانفعالي العام الفطري على انه يتمثل في الطاقات الانفعالية للغرائز ، كما أفاد من غيرها من الاتجاهات والآراء العلمية في تفسير ظواهر الاضطراب السلوكي ، الا ان القارىء لكتابه « الجانح الصغير » ليلمس تمامـا انه يهتم كثيرا بابـراز دور

الطاقات الغريزية في تفسير السلوك الجانح ، بل أنه لينحاز بعض الشيء ألى وجهة نظر اصحاب المدرسة الفرضية على العموم في تفسير هذا السلوك .

هذا ، واذا كان سيرل بيرت قد كان صاحب اهتمامات متعددة الجوانب بالآراء المختلفة ، فاننا نحب أن نبرز هنا وجهة نظر الفكر النفسي الذي يدور في فلك واطار مفهوم ديناميات السلوك على انها ترجع للطاقات الغريزية دون أن يعني الكاتب كثيرا مقدار تحيز صاحب هـذا الرأي لمدرسة دون اخرى .

ان غاية الكاتب وهدفه ان يلقي اضواءا على سلوك الابناء . واذا كـان بعض المتعصبين لمدرسة دون اخرى قد رموا المدرسة الفرضية بما شاء الله لهم من نقـد صادق الغاية احيانا ، او غير ذلك أحيانا اخرى ، فان الكاتب يعتقد اننا لازلنا نجد في الكثير مما ذهبت اليه المدرسة الفرضية مجالا طيبا لتفسير الاشكال العديدة من السلوك اللاسوي .



البَابُ الثّالِثْ

القياس النفسي والإحصاء وديناميات الجناح والعصاب

- مقدمـــة
- آراء أصحاب مدرسة التحليل العاملي في تحديد دينميات الجناح والعصاب

● الشخصية العصابية في نظر التحليل العاملي

النيورساثينيا ـ العصاب القهري ـ الهستيريا التحولية

● بعض الابعاد الضيقة المدى في الشخصية العصابية

القلق العصـــابي ـ عدم الملاءمة العصابية ـ الانفعالية العصابيـــة الكراهية والعداء العصابي ـ الصراعات الجنسية ـ الاضطرابـــات السيكوسوماتية

● آراء كاتـــل : والعامل العصابي العام

● شخصية الجانح من نظرية أصحاب التحليل العاملي

● رأي العامليين في الطفولـــة والعلاقات الاسريـــة وأثرهـــا في خلق الاضطرابات السلوكية

بعض ديناميات التبول اللاارادي كما درسها علماء التحليل العاملي

● آراء أيزنـــك :

العامل العام ـ العامل الثنائي القطب ، الانطواء ضد الانبساط ـ مميزات العصابي العاملية عند أيزنك ـ دراسات أيزنك التفســـير تطور أعراض العصاب

● آراء أيزنك في الجناح

القيـاس النفسي والاحصاء وديناميات الجنـاح والعصـاب

مقدمـــة :

عاش الفكر النفسي حقبة من الزمن يهتم بابراز سمات معينة لشخصيـة الفرد ، اي فرد وكل فرد . ولقد حاولت آراء نظريات عديدة ان تبـرز لكل فـرد مجموعة سمـات مميزة . والسمـة بوجه عـام ، هي اي صفة يمكن أن تميز على أساسها بين فرد وآخر .

واهم من قـالوا بنظريـة السمـات جوردون البورت « Allport, G. » وقد عرف السمة بأنها « نظام نفسي عصبي مركزي عام » (خاص بالفـرد نفسه) يعمل على جعل المتغيرات المتعددة متساوية وظيفيا ، كما يعمل على اصدار وتوجيه اشكال متساوية من السلوك التكيفي والتعبيري .

والسمة بهـذا المعنى استعداد عام او نزعة عامة تطبع سلوك الفـرد بطابع خاص وتشكله وتلونه وتعين نوعه وكيفيته .

ورغم أن « البورت » وغيره من العلماء قد اهتموا بتنظيم السمات تنظيما يرتبها في مدرج هرمي تسوده اما سمة واحدة كبرى أو رئيسية « Cardinal » أو عدة سمات مركزيـة « Central » يليها مجموعة من السمات الثانويـة ، الا ان نظرية السمات في تفسير السلوك وتحديد الشخصية قد شكلت بالنسبة لدارس الشخصية صعوبات كبيرة لاسباب منها :

- ان السمات التي يمكن أن نصف بها سلوك فرد ما تتراوح بين ٣٠٠٠ ، ٥٠٠٠ سمة لكل منها اسم ، مما يجعل من يريد ان يحدد سلوك الفرد يضيع في خضم هذه الكلمات المتشابهة التي يصعب التمييز بين البعض والآخر في المفهوم السلوكي او في الدرجة احيانا .
- ورغم انه بذلت جهود كبيرة من علماء كثيرين لقياس العديد من هـذه السمات وتحديد مكان الفرد من السمة ، مقارنا بأمثاله فيها ، الا ان الكثير

منهـا قد لايفيد كثيرا في تفسير الديناميات الخاصة التي تبرز هـذا السلوك المتمثل في هذه السمة .

- ثم ان معرفة السمات أو ما يسميـه انصار هـذه النظرية « ابعـاد الشخصيـة » وقياسها قياسا وثيقا قد لايفيد كثيرا في ابراز طبيعة التفاعل بين هذه السمات .

- كما ان السمات أحيانا قد تؤخذ على انها مكونات في داخل الفرد ، وهي لاتعدو ان تكون تحديدا وصفيا لاسلوب الفرد في التوافق في موقف أو اكثر ، او هي وصف لسلوكه . لذلك فالسمات لاتعطينا فكرة عن أمرين هـامين في دراسـة الشخصيـة عامـة والشخصيـة اللاسوية علـى وجـه الخصوص :

الأول : انها لاتدل على ديناميات السلوك الذي تحدده السمة فالكثير التحاشي مثلا ، لايمكن لمجرد تحديد سمته بأنه عزوف عن الهجوم على الاشياء ، ان نعرف ديناميـة سلوك التحاشي او الاندفاعيـة او غيرها .

والثـاني : ان منهج السمات في دراسة الشخصية لايشرح للدارس كيف تتطور السمة وتنمو ، ولا ماهية المواقف والخبرات التي تسهم في تطور السمة كأسلوب او نمط سلوكي سائد نوعا ما .

وامام هذه الاعتراضات واشكال النقد المختلفة لنظرية السمات قـامت مدارس جديدة استعملت طرق الاحصاء المختلفة لتطوير نظرية السمـات ، وكانت اهم هذه المدارس مدارس الفكر النفسي التي اعتمدت على التحليـل العاملي لنتائج القياس المختلفة في تحديد الكثير من مفاهيم السلوك ودينامياته.

وتهدف مدارس التحليل العاملي الى تجميع اكبر عدد ممكن من هـذه السمات في مجموعات من الصفات تبين انها ترتبط ببعضها البعض ، وتسمى هذه بالعوامل ، وهي بهذا المعنى اسس او مبادىء كمية للتصنيف تعبر عـن الانواع التي تندرج تحتها من السمات المختلفة ، ويمكن عن طريقها التوصـل الى ما اسماه اصحاب هذه المدارس مايمكن ان يكون « تكوينات » أو «وحدات» أو « قوى كامنة » تعتبر المصادر الاولية لهذه المجموعات من السمات السطحية. ولهـذا يسمي « كاتـل » هذه العوامل بالسمات الاولية « Primary traits » أو السمات الاساسية المنبعيـة « Source traits » ويعتبر انها مسؤولة عـن جميع تصرفاتنا ، سواء في النواحي العقلية ام في النواحي المزاجية، او الاجتماعية من ابعـاد الشخصية [1] .

---

(١) راجع : د. محمد عماد الدين اسماعيل وآخرون : الشخصية وقياسها . مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الاولى ١٩٥٩ .

- راجـع كـذلك . Guilford, J. P. : Ibid

هذه السمات الاولية يمكن ان يفيد منها دارس السلوك الانساني في اتجاهين :

ا ــ تفيده في دراسة « البناء او التركيب الاساسي للشخصية » .

ب ــ ثم هي ايضا قد تكشف النقاب عن بعض ديناميات السلوك وخاصة في حالات السلوك غير السوي .

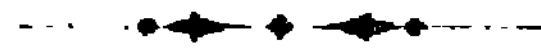
ولقد وجد الكاتب أنه يمكن الافادة كثيرا من دراسات اصحاب مدارس التحليل العاملي في الكشف عن أهم ديناميات العصاب والجناح ، ولقد كان يشجعه على الاخذ بآراء اصحاب هذا الاتجاه أمور عديدة :

١ ــ ان اغلب اصحاب هذه المدرسة قد حققوا تحديدا وتعريفا دقيقا لكثير من السمات قلل كثيرا من احتمال الخلط بينها .

٢ ــ انها جميعا تستعمل القياس الدقيق وتعالج النتائج معالجة احصائية ، لان القياس بطبعه يحقق غاية طيبة هو الحصول على المعطيات في صورة رقمية كمية .

٣ ــ ان اغلبها قد توصل الى ديناميات هامة في السلوك غير السوي ــالعصابي والجناحي ــ وكان ماتوصلت اليه اغلب المدارس في هذا المقام من الدقة بحيث امكن توضيح علاقتها الدينامية ــ كعوامل في بناء الشخصية ــ علاقتها الدينامية بعضها ببعض ، ثم علاقتها الدينامية بالسلوك الظاهري .

هذا واذا كانت الفصول التالية سوف تخصص لدراسة آراء ثلاثة فقط من أصحاب هذه المدرسة فانما قصدنا بذلك ان نبين كيف ان القياس والاحصاء يمكن ان يلعب دورا كبيرا في الكشف عن ديناميات السلوك ، خاصة في حالات اللاسواء .



الفصل السادس

آراء أصحاب مدرسة التحليل العاملي في تحديد ديناميات الجناح والعصاب

لقد ظهرت هذه المدرسة بعد الكثير من النقد الذي وجه الى منهج السمات عامة في دراسة الشخصية وكان الفرض طبعا هو محاولة اعادة تنظيم السمات العديدة التي يمكن ان توصف بها الشخصيات في تجمعات « Clusters » من السمات يمكن على أساسها ان نحدد بشيء من الدقة ، ونتنبأ بسلوك الشخصيات المختلفة ، خصوصا اذا كانت السمة باعتبارها تسمية لنوع السلوك الذي يميز الفرد في محاولته الوصول الى هدف ، تعتبر – في رأي اصحاب التحليل العاملي – ذات صلة بسمة اخرى لها قوة دينامية – فهذا يساعد على تحديد الاطار العام او الابعاد الرئيسية في الشخصية (١) .

ولقد لمس علماء التحليل العاملي الثراء في تحديد الكثير من المفاهيم المرضية للشخصية ، كذلك لاحظ الكثيرون التعارض والخلط والتداخل بين العديد من الاعراض التي تميز اتجاها مرضيا في الشخصية عن آخر . ثم ان هناك نقطة هامة كان لابد من العناية بها ، ولم يكن من الممكن الوصول الى حل فيها . ذلك ان المعروف ان فئات الاضطراب النفسي تشترك في الكثير من السمات ، كما يبدو ذلك واضحا في تحديد الاعراض في الاضطرابات النفسية المختلفة ، كما ابرزها كاتل ، الا ان درجة اهمية هذا العرض او ذلك المظهر ، لاتتضح من مجرد التحديد الاكلينيكي للاعراض المرتبطة بكل مظهر مرضي على حدة ، بقدر ما تبرزها الدراسات العاملية . ولهذا نجد اصحاب التحليل العاملي يحققون ذلك بصورة ناجحة ، فنجد ان وتنبرن« Wettenborn » حين درس الارتباط بين ٥٠ عرضا ذكرت عن عدد كبير من المرضى ، توصل الى مجموعة من العوامل تختلف عن تلك العوامل الشائعة في دراسة الاضطراب النفسي عامة ، كما انه ايضا استطاع ان يحدد الاعراض التي تضع الفرد في

---

(1) Cattell, R. B. : Ibid P. 62 .

فئة او اخرى من المرضى وذلك عن طريق اعطاء الوزن « Weight » المناسب لكل عرض على حده [1] .

وفي الدراسة العاملية للامراض النفسية نجد ان المتغيرات الملاحظة والتي يدرس الباحث شكل الارتباط بينها هي الاعراض ، وهي اما ان تذكر على انها موجودة او غير موجودة ، او تدرس من حيث درجة ظهورها على المريض ، أو درجة افصاحها عن نفسها . وهناك متغيرات اخرى توضع موضع القياس وتدرس طبيعة الارتباط بينها ، وهي اشكال السلوك الصريح كالبكاء والشجار والتجهم « Pouting » .وما يمكن ان تستدل به من سلوك الفرد على وجود أعراض مثل السرحان والنسيان « Absent mindedness » وغيرها مثل احلام اليقظة او الهلوسات . ولم تستعمل الاختبارات كثيرا في هذا المقام اللهم الا مجموعة الاختبارات السلوكية التي استعملها « ايزنك » ، وسوف يأتي ذكر لبعض دراساته فيما بعد .

وفي ميدان الامراض النفسية ، يجب ان تعتبر كل العوامل التي نحصل عليها بالتحليل العاملي من نوع زملة الاعراض « Syndromes » فهي ابعاد يكون موقعها في بناء الشخصية اعلى بكثير من السمات الاولية « Primary traits. » ولقد استطاع الكثيرون من علماء التحليل العاملي ان يصلوا الى نتائج طيبة في تقسيم العوامل تقسيما يرتبط كثيرا بالاعراض المرضية ، ولهذا نجد ان برات « Pratt » في سنة ١٩٥٢ قد نجح في هذا كثيرا . فقد اجرى استفتائين الشخصية على مجموعة من المرضى قسموا تشخيصيا الى عشر فئات متميزة من المرضى العصابيين ، وقد نجح التحليل العاملي في تحديد مستوى الدرجات العالية والمنخفضة التي تميز كل فئة في سمة من السمات .

بعد هذه المقدمة لاهمية التحليل العاملي في دراسة الشخصية اللاسوية ، يرى الكاتب ان من المفيد ان نعرض هنا أهم الكشوف التي توصلت اليها بحوث هذه المدرسة في دراسة العصاب والجناح . وفي هذا يكتفي الباحث بآراء ثلاثة من اشهر علماء هذا المنهج ، وهم جلفورد ، وكاتل ، وأيزنك .

الشخصية العصابية في نظر التحليل العاملي

يرى « جلفورد » انه في مجال العصاب نجد ان اصحاب التحليل العاملي يرون الاخذ بفكرة التقسيم التقليدي لهذه الشخصيات الى الانواع الثلاثة : النيورسائينيا ، والعصاب القهري ، والهستيريا التحولية ، ولكنه يضيف الى ذلك اضطرابات نوعية اكثر تخصصا واهمها : عدم الملاءمة العصابية والانفعالية العصابية والقلق العصابي ، والكراهية والعداء العصابي والصراعات الجنسية ، هذا بالاضافة الى نوعين من الاضطرابات السيكوسوماتية .

(1) Guilford, J. P. : Ibid. P. P. 476 - 477 .

وهكذا نجد ان جلفورد يهتم بالعوامل التي ترتبط بأشكال معينة من العصاب أو بأشكال من الشخصية العصابية لانه لم يكن يرى أن هناك عاملا عاما يمكن الكشف عنه يسمى عامل العصابية العامة . لهذا نجده حين يدرس هذه الاشكال من الاضطرابات العصابية يحددها في ضوء عوامل ثنائية القطب « Bipolar » .

ونجد ان « جلفورد » يجمع نتائج الابحاث التحليلية العاملية التي كشفت عن درجات كل فئة من فئات العصابيين في كل سمة ، وقد وجد انها مشبعة بعامل من العوامل الثنائية ، او يجمع درجاتهم في مجموعة سمات العامل الواحد . ولهذا يجد الكاتب من المفيد ان يعرض في عجالة بعض العوامل الواضحة في هذه المجموعة من الاضطرابات العصابية :

النيور ساثينيا : الاعراض تعب مبالغ فيه ، مستوى الطاقة منخفض ، مقاومة النشاط وتحاشيه بكافة الصور .

وبالاضافة الى الصفات التي يتضمنها تعريف النيور ساثينيا ، تبين من ابحاث ديجان « Degan » واوكونر « O' Conner » وروبنستين « Robenstien » أن هناك عوامل ثلاثة مشابهة وهي : انخفاض في الدافع لتحقيق نجاح ، ضعف الثقة بالنفس ، وكراهية المجتمعات والازدحام . وانخفاض مستوى الدافع هنا يوحي بوجود انخفاض في مستوى البعد المتعلق بالحاجات والمهتمات كواحد من الابعاد العامة في الشخصية ، ويتضمن هذا الانخفاض في مستوى الدافع للنشاط البدني . ويؤكد جلفورد ان انخفاض مستوى الدافع هو من أهم الادلة على الحالة المرضية هنا ، أما الاعراض الاخرى فانها كلها تأتي بالصدفة مثل الاعتماد على الغير ، وانعدام الثقة ، وكراهية الازدحام ، وايضا السلبية الظاهرة . وربما كان هذا — في رأي الكاتب وجه كبير للاختلاف بين الجانح والعصابي ، فالاول تبدو حاجاته ملحة «Needs are persistent.» بينما ينخفض مستوى الحاح الحاجة لدى الثاني .

العصاب القهري : « Compulsion neuroses »

وهو الذي يأخذ صورة مخاوف ، او وساوس او افعال قهرية ، والاعراض الثلاثة للعصاب القهري يتفق عليها اتفاقا عاما نتائج اربعة من علماء التحليل العاملي . وهناك اعراض كثيرة تصاحب هذه الاقسام للعصاب القهري ، واغلبها تظهر في الدراسات التحليلية بدرجات تختلف من تحليل لآخر . وأهم اصحاب هذه النتائج أوكونر ، لور « Lorr » وروبنستاين ، ولور وآخرون ، ثم وتنبرن وهولزبرج « .Wittenborn and Holzberg » وأهم الاعراض والسمات المرتبطة به تتضمن القلق الحزين ، الشعور بالاثم ، الاحساس بالنفس ، الانحراف الواضح عن الواقع ، افكار الاشارة ، المشغولية الزائدة بالنفس ، تهيجات الجلد ، واعراضا تتعلق بعملية التنفس . وليس من المحتمل كثيرا ان تكون هذه كلها مكونات ضرورية للعصاب القهري ، بل انها توجد بدرجات .

الهستيريا التحولية : « Conversion hysteria »

وتعني استعمال الوسائل الاستعطافية للحصول على مميزات نفسية ، وذلك بظهور اعراض لتوقف وظيفة او عضو او ظهور وظيفة او حركة دون ان يكون لها سبب عضوي ، او ترجع لخلل عصبي او تلف في الخلايا .

وهنا تتفق نتائج اثنين من الدراسات العاملية على أعراض اربعة لهـا هي : عدم وجود اساس عضوي للشكوى ، استعمال الاعراض العضوية ، عدم الاهتمام بالعجز ، والاضطراب العضوي يرجع لاسباب انفعالية .

(التحليلان هما تحليلا وتنبرن ثم وتنبرن وهولزبرج) .

ويلاحظ ان هذا هو التحديد التقليدي للهستيريا التحولية ، عند من يجدون في الاعراض العضوية وسيلة لتخليصهم مـن مشكلة او حيلة تحقق لهـم مكاسب معينة لاهداف شخصية . هؤلاء لايهمهم كثيرا العجز العضوي مادامو يرون أن الشفاء اسوا نتيجة من الاستمرار في المرض ، ولكن ليس معنى ذلك أنهم يتحكمون في هذا تحكما اراديا بل ان جهازهم العصبي هو الذي يـرسم هذا النمط من الاصابة بعيدا عن تحكمهم الارادي .

بعض الابعـاد الضيقة المدى في الشخصية العصابية (١)

آ ــ **القلق العصـــابي** : ويعني الخوف الحاد او التوقع والتوجس . فمنـذ بدأ فرويد بحوثه كان يبدو عجيبا ان يخرج اي تحليل عاملي دون أن يبرز مبدأ اساسيا في الشخصية المرضية هو القلق المرضي كعرض هام . ولقد ظهرت من دراستين تحليليتين صورة واضحة لواحد من المظاهـر يكون فيها القلق هو العرض البؤري « دراسة لور وربنستين » ثم اوكونر « O' Conner » اما الاعراض الوصفية الاخرى فهي التوتر ، الرعشات ، الضعف ، صعوبات التنفس او النوم ، الانهباط المحتمل ، ثم التهيج .

ومن الضروري هنا ان نميز بين القلق العصابي كنمط من الاعـراض او زملـة « Syndrome type » والقلق كعرض « Symptom » فهناك عدد من الابعاد الاخرى للامراض يذكر فيها القلق على أنه ناحية ثابتة نوعا ما . ولم يجد « جلفورد » في الدراسات العاملية ما يمكن أن يسميه سمة اولية هي القلق ، اللهم الا ان يكون عامل العصبية ضد ضبط النفس « Nervousness Vs. Composure. » يمكن اعتباره هو السمة الاساسية للقلق . والقلق كخوف دون وجود موضوع يثيره في رأي جلفورد يصعب ان نجده منفصلا دون اشتراك بينه وبين أعراض اخرى في خلق صورة مميزة مرضية عصابية من نوع ما .

---

(1) Guilford, J. P. : Ibid. P. 479 .

ب ـ **عدم الملاءمة العصابية** [١] : ويقصد بها المبالغة في فقدان الثقة بالنفس . ولقد وجد من دراسة واحدة في التحليل العاملي ان هذا العرض يتمركز حول مشاعر النقص . فالشخص يستسلم للآخرين بسهولة ، يسعى جاهدا ليحصل على الاقرار من الغير لكل مايقوم به ، ويخفي عدوانه دائما ، خوفا من ان يقع في عداء لايتواءم مع شعوره بالنقص .

جـ ـ **الانفعالية العصابية** : « Neurotic emotionality » يستجيب العصابي انفعاليا بدرجة عنيفة ، ولقد أمكن فصل هذه التشكيلة من الاعراض [٢] او الزملة في دراسات لور وروبنستاين على أنها تتمثل في : الاستجابة الانفعالية الزائدة ، المشاعر التي لايمكن التحكم فيها ، التعبير الصريح عن الكراهية والعداء ، تكرار حالات التغير المزاجي ، والمهتمات القوية النشيطة ... الخ ، وهذه هي الصورة العامة لعدم النضج الانفعالي العنيف في البعد الخاص بالنضج ضد عدم النضج المختلط بدرجة منخفضة من الضبط او الطرف المنخفض في البعد الخاص بالاستقرار ضد الدورية « Cycloid » في الاستعداد الانفعالي .

د ـ **الكراهية والعداء العصابي** : « Hostility » اتجاه عدائي شديد ، وهو ايضا يمثل تشكيلة خاصة من الاعراض العصابية المحدودة المدى التي أمكن التوصل اليها من دراسات لور وروبنستين سنة ١٩٥٦ . بالاضافة الى ذكر عرض العداء للشخص من هذه الفئة ، يؤكد الملاحظون لسلوكه انه يكره السلطة ، متشكك ، يقاوم النظم كثير الدفاع ، يرى العالم كله معاديا ، ويلقي اللوم على الآخرين في كل مايعانيه من مشكلات . هذا النوع من العداء يقطع في الدرجات السفلى من البعد المعروف بالمقياس الخاص بالصداقة ضد العداء ، وهذا يبدو مرتبطا بدرجة عالية بالحاجة للتحرر ، وبدرجة منخفضة في التسامح ضد النقد الشديد .

هـ ـ **الصراعات الجنسية** : الانشغال دائما بالاثم والمخاوف المرتبطة بالجنس ورغباته . واكثر الاعراض شيوعا تتضمن (في حالة المرضى من الذكور) الاهتمام او الشعور بالاثم في موضوعات الاستمناء ، او الميول الى الجنسية المثلية . ويشترك مع هذه الاعراض احتمال ظهور أعراض المخاوف المرضية ، الافعال القهرية ، والاعراض الحشوية مع ميل للطباع الانثوية .

---

(1) Neurotic inadequacy .

(٢) يقصد بها زملة الاعراض ، او ما يعرف في علم النفس الباثولوجي باسم «Syndromes» راجع : دكتور احمد عزت راجح : الامراض النفسية والعقلية : دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ص ٥٢٨

الاضطرابات السيكوسوماتيـة : وهي الامراض الجسمية التي لا تتأثر كثيرا بالعلاج العضوي ، وتتمثل في أعراض معينة من الخلل العضوي في بعض الاجهزة ، مما يرجع لاسباب نفسية .

والشخص الذي يعاني من هذا الاضطراب السيكوسوماتي يشكو من كل من الامراض الخاصة بالتنفس ، ويشكو كذلك من الاعراض القلبية والدوريـة الحشوية « Cardiovascular. » بصورة حادة غالبا . هنا يشكو المريض من فقدان الطاقة ويستعمل الاعراض العضوية لتحقيق فائدة ما ، الا أنه في نفس الوقت يبدو مهتما بها اهتماما يفوق اهتمام من يعانون من الهستيريا التحولية ، ذلك أن هذا النوع يهتم كثيرا بالوظائف الجسمية عامة ، كما يحدث في حالات اضطـراب الجهاز الهضمي المرضي النفسي ، حـين نذكر الشكـوى حـول المعدة والامعاء والاحشاء كالكبد وغيرها . وهنا يصاحب هذه الاعراض صداع او آلام عظام احيانا .

ويلاحظ هنـا ان جلفورد لم يعن كثيراً بوضع اطار عام للشخصيـة العصابية ، بل انه بدأ من نقطة التقسيم القديم لزملة الاعراض العصـابيـة « Syndromes » ، وحاول ان يبين من الدراسات العاملية اهم السمات التي تدخل تحت كل عامل يبدو واضحا في قياس هذه السمات عند هؤلاء المرضى .

كذلك يلاحظ ان ابحاث جلفورد ، لم تبرز أثر العلاقة الديناميكية لتنظيمات معينة في الشخصية ، في خلق الصورة العامة للعصاب . حقيقة انه اهتم كثيرا باهم الابعاد المهمة في العصاب وهو البعد الانفعالي غالبا ، الا انه لم يرسم طبيعة العلاقـة بين هذه العوامل المتعددة التي كشفها من دراسة وقياس السمات على يد مجموعة علماء التحليل العاملي .

أمـا كاتـل : « Cattell » فقـد كان أكثر اهتمـاما بتحديد ابعـاد الشخصية العصابية بوجه عام . حقيقة انه اعتمد ايضا على التحليل العاملي ، وحقيقة انه حدد السمات الهامة لكل زملة من اعراض العصاب كالهستيريـا التحولية والقلق الهستيري والنيورساثينيا ، والوساوس والافعال القهرية ، حددها في مجموعة اشكال من السمات ، الا انـه يؤكد ان تحليل الكثير مـن نتائج الاستخبارات ساعد على الكشف عما يمكن ان نسميه الشخصيـة العصابيـة [١] .

وحين يـدرس كاتـل الفروق بـين كـل من الشخصية العصابيـة « Neurotic Personality » والشخصيـة المريضـة بمـرض عصبـي « Neuropathic » والشخصيـة التي تعـاني من عدم النضج الانفعـالي « Immaturity » يجد انها كلها لاتعدو ان تكون مدلولات لمظهر سلوكي واحد.

---

(1) Cattell, R. B. : The Description and Measurement of Personality. Yonkers. N.Y. : World. 1946 . P. P. 46 - 47 .

ذلك لان الاعراض كلها واحدة . ويمكن ان نستعرض اربعة تعريفات واعـراض للعصاب كان يميزها كاتل عن بعضها على انها مستويات للعصاب وابعاد له وهي.

آ ــ الاستعداد للعصاب المرضي « Neuropathic constitution. » وهي حالة نفسية لها سمات مميزة منها مص الاصابع في الطفولة المتأخرة ، قضـم الاظافر ، اضطرابات الكلام ، اضطراب النـوم ، نوبات البكاء ، توهـم المرض ، العـادات العصبيـة ، اللزمات ، الخوف الغامض والقهـري ، البوال أحيانا [1] .

أما « اشتيرن » فانـه يرى أن الاستعداد للمرض العصـابي سمـة خلقية يبدو فيها واضحا التمركز حول الذات ، الكبرياء ، الحساسيـة الزائدة ، جمود الشخصية ، مشاعر نقص عميقة ، ميول ماروخيـة ، قلق ، خوف من كل تطور نمائي ، انسحاب من الارتباطات الانفعاليـة ، عدم القدرة على استعمال الانفعال في موضع الواقع ، ويؤكد أن مفهوم فرويد في هذا الاستعداد انه يدور حول التثبيت في مراحل جنسيـة طفليـة تظهر آثارهـا في عدم القـدرة على التوفيق بين مبدأ اللـذة ومبـدا الواقع .

ب ــ أما النضج وعدم النضج الانفعالي ، فانها زملة من الاعراض ايضا تميز العصابي وتظهر في الاندفاعية الشديدة الانفعالية ، والتمركز حول الذات، وعدم الاستقلال ، والقابلية للايحاء ، والشعور بالاثم دائما ، وانعـدام الموضوعية في دراسة نزعات الفرد ، وعدم القدرة او الرغبة في تحمـل المسؤولية ، وانعدام الاحساس بالواقع فيما يتعلق بقوئ وامكانيات الفرد في المواقف الواقعية .

جـ ــ أما عن عصاب التثبيت « Fixation » فهو يظهر نتيجة التثبيت عنـد منطقـة من مناطق الاشبـاع الجنسي ويظهر ذلك على ثلاثة اشكـال مـن الافـراد :

١ ــ أصحاب الطباع غير الناضجة بسبب التثبيت على المرحلة الفمية .

٢ ــ أصحاب الطبـاع غير الناضجـة بسبب التثبيت على المرحلـة الفمية العدوانيـة السادية .

٣ ــ اصحاب الطباع غير الناضجة بسبب التثبيت على المرحلة الشرجية [2] .

ولعـل كاتل هنا قد تأثر بكشوف التحليليين ، حين بدأ يربط بعض الاعراض او السمات بكل مرحلة من مراحل التثبيت ، وفي كل مرحلة يذكر

---

(1) Cattell, R. B. : Ibid. P. P. 54 - 55 .

(2) Ibid : P. 56

العديد من السمات . فمثلاً نجده يربط مجموعة من السمات مثل التشاؤم ، عدم الصبر كثرة الشكوى والاستعطاف ، التعلق بالغير ، النقص في الاتجاهات الاجتماعية ، التعجل والتسرع ، يتوقع صعوبة في كل ما يتعرضه من مشكلات مهما كانت تافهة بالتثبيت في المرحلة الفمية ، وهكذا يسير في كل مرحلة من المراحل .

الا ان الاغراض العامة للتحليل العاملي وهي تجميع السمات السطحية البسيطة ، واعطاء تفسير سببي للسلوك بعد الكشف عن السمات الحقيقية ، وتحقيق أساس منطقي للوصف المنظم للسمات وتبويبها ، لاتتحقق بربط السمات المختلفة بكل مرحلة بالصورة السابقة ، اي ربطها بمراحل تطور الطاقة اللبيدية الجنسية ، لان ذلك يؤدي لتداخل السمات في كل مرحلة .

لهذا يرى كاتل ان الضرورة قد تفرض على المهتمين بدراسة العصاب الاهتمام بقياس ما وراء حزمة أو زملة الاعراض« Syndromes » لتفسير العصاب ، دراسة عددية رقمية قياسية لكثير من المظاهر التي كانت لاتعدو الوصف الاكلينيكي لهذه الظاهرات ، وملاحظة الصراع والكبت والحيل اللاشعورية في سلوك الافراد [1] . ويؤكد كاتل ان الكثير من الدراسات العاملية قد اثبتت ان مظاهر العصاب المختلفة تشترك فيما بينها في عامل عام يظهر في اشكال سلوكية عديدة وهو :

العامل (د) ـ وهذا العامل يسمى أحيانا الانهباط « Depression »
أو عدم التوافق العصابي العام « General Neurotic Maladjustment. »
ويظهر هذا العامل في موضوعات الاستفتاء التي تجري على العصابيين لدراسة الاشكال الآتية من الميول العصابية .

١ ـ الشعور بالوحدة حتى مع الآخرين .
٢ ـ الشعور بالاهتمام والقلق والتوتر لاسباب تافهة .
٣ ـ الشعور بالبؤس والحزن دون سبب ظاهر .
٤ ـ الشعور بعدم التوافق الجيد في الحياة .
٥ ـ التعرض لحالات الارق المرهقة المضنية [2] .

هذا وقد وجد ارتباطا لابأس به بين هذا العامل وبين عامل « C » في قطبه السالب ، وهو عامل يكشف عن سمة منبعثة تشمل عددا من السمات السطحية « Surface traits » ، هذا العامل هو عامل الاستقرار الانفعالي في قطبه الموجب « + C » ضد الانفعالية العامة العصابية في قطبه السالب « — C » . ويشمل هذا القطب سمات مثل :

---

(1) Cattell, R. B. : Ibid. : P. 274 .

(2) Ibid. P. 486 .

ـ غير راض او مشبع « Dissatisfied » ـ كثير التحاش « Evasive. »
ـ متغير قلب ـ غير مستقر « Restless » ـ كثير التهيج ، غير صبور
ـ ذاتي « Subjective » ـ كثير الشكوى الاستعطافية [١] .

ويبدو ان هذه السمات ترتبط كثيرا بالعصاب ، وخاصة مجموعة العصابيين الذين يميز شخصيتهم عدم القدرة على الاحتفاظ بالتحكم في الانفعالات ، وسرعة التهيج ، وسهولة الاستثارة .

ولقد استفاد « كاتل » من دراسات ايزنك للعصابيين ، فاستعمل المادة التي حصل عليها الاخير من دراسته على ٧٠٠ حالة من العصابيين ، ودرس بالتحليل العاملي لمصفوفة معاملات ارتباط معينة أهم العوامل التي تحدد الابعاد الرئيسية لشخصية العصابي .

ومن هذه الدراسة تمكن من عزل عامل معين في نتائج قياس مجموعة سمات في العصابيين ، تبين منه ان المقاييس الآتية مشبعة بهذا العامل كالآتي [٢] :

ـ شخصية سيئة التنظيم غير قادرة على التوافق غير مشبعة درجة تشبعها بالعامل ٧٥ر .
ـ أعراض اضطرابات عصبية منذ الطفولة درجة تشبعها بالعامل ٦٦ر .
ـ انقباض وهوس بسيط درجة تشبعها بالعامل ٦٢ر .
ـ انعزالية درجة تشبعها بالعامل ٥٨ر .
ـ ضغوط وازمات حروب او انفصال غير محتملة درجة تشبعها بالعامل ٥٥ر .
ـ ميل الى الاعتماد على الغير والشعور بالضعف درجة تشبعها بالعامل ٥٤ر .
ـ حركات عضلية ضعيفة غير متوافقة وجلسة غير معتدلة درجة تشبعها بالعامل ٥٣ر .

وقد أضاف أيزنك لهذه السمات : ضعف ونقص الميول والمهتمات ، عسر الهضم ، طاقة قليلة وجهد محدود توهم المرض .

كذلك استفاد كاتل من دراسات أجراها بعض علماء التحليل العاملي على الاضطرابات العصابية التي تنجم عن أزمات مثل ازمات الحروب والتي سماها عصاب صدمات الحروب « Traumatic War events neuroses » وهي أعراض تختلف عن تلك التي تنشأ من أزمات الطفولة وفيها تظهر بوضوح :

---

(1) Cattell, R. B. Description and measurement of Personality. Ibid. P. 60 .

(2) Cattell, R. B. : Ibid. P. 487 .

ـ مشاعر اثم صريحة عنيفة ـ تعرض لاحلام مزعجة وكوابيس

ـ استجابات الفزع المبالغ فيهـا « Excessive startles. » .

ـ رعشات هستيرية « Tremors » .

ـ اضطرابات في الهضم ـ وانفعال عنيف لذكر الحادث المؤلم أيا كان .

كذلك استفاد كاتل من دراسات اكرسون « Akerson » الذي حدد أهم سمات الاطفال العصابيين كالآتي :

١ ـ العصبية ٢ ـ عدم الاستقرار ٣ ـ استعداد وقابلية للاستثارة « Irritability » ٤ ـ التغير في المزاج ٥ ـ عدم الاستقـرار في النـوم ٦ ـ السلوك الغـريب الـلامنطقي ٧ ـ المشغوليـة والقلـق « Worrisomness. » ٨ـ عدم القدرة على التركيز « Distractability. » ٩ ـ سرعة الغضب « Temper » ١٠ ـ احلام اليقظة « Day dreams »

هكـذا امس كاتل هـذا التعـدد في السمات المختلفة التي يتصف بهـا العصابيون ، ووجد ان الضرورة العلمية تستلزم الوصول بطريقة علمية سليمة الى طبيعة تجمع هذه السمات في شكل عوامل تجمع السمات المميزة للعصابي ، وخلص من ذلك كله الى ان عامل(C —)الذي كشف عنه والذي اطلق عليـه الانفعالية العامة الواهنة« Demoralized general emotionality »هو العامل العام في كل اشكال العصاب ، ويمكن ان يقاس في كل التقديرات والاستخبارات والاختبارات الموضوعية والملاحظات الاكلينيكية المتجمعة ، لانه يمثل الناحيـة الجوهرية في العصابية العامة ، الذي يقرب كثيرا من السمات المشبعة بهـذا العامل . وتتمركز هذه السمات حول نقص واضطراب في التصرفات الاداريـة وعدم ثبات الناحية المزاجية « Mood » ، وضعف في الذاكرة ، ويظهر كذلك ردود الافعال العنيفة للجهاز اللاارادي « Overreactive autonomic system » مع شعور عام بالتعب ونقص فيما يمكن ان يبذله المريض من جهد [1] .

وهكذا يتضح ان دراسات كاتل العاملية كانت تهتم أساسا بتجميع أهم السمات التي ترتبط بالعصاب ، ولم يعن كثيرا بدراسة دينامية تكون هـذه العادات السلوكية التي يتوافق بها الفرد مع صراعاته ، او دينامية وطريقـة تكوين مثل هذه العادات . حقيقة انه حاول ان يفسر كيف تتطور الاضطرابات العصابية ، وان يحدد بعض الاسباب ولكنه في ذلـك لم يتابع دينامية هـذا التطور بأكثر من عرض العوامل الاسرية والثقافية المصاحبـة للاضطرابـات العصابيـة .

وسوف نناقش ذلك بالتفصيل بعد عرض أهم التفسيرات التي اصطنعها

(1) Cattell, R. B. : Ibid. P. 513 .

اصحاب هذا المنهج ـ منهج التحليل العاملي ـ لدراسة الجناح .

والخلاصة أن كاتل يرى أن عامل (C —) يمكن ان يكون هو عامل العصابية العامة ، لما ثبت من ان السمات المشبعة بهذا العامل قد تكرر ظهور سمات مشابهة لها في دراسات عاملية اخرى .

شخصية الجانح في نظر أصحاب التحليل العاملي

يرى كاتل ان هناك مميزات نفسية مشتركة في كل حالات الجناح ، أو الخروج على القانون سواء كان هذا القانون وضعيا معقولا أو غير معقول ، او كان قانونا سماويا . هذه الميزة النفسية تتمثل اكثر ماتتمثل في المعاناة من ضعف القدرة على تحمل ضبط النفس« Brook restraint »وهو مايظهر امام النزعات القوية أو الانانية والتمركز حول الذات ، او انعدام الايثار « Altruism » هذا بالاضافة الى الغباء الظاهر الذي يحول دون ادراك الفرد لافعاله على أنها عدوان خارجي « Transaggression » على الغير [1] .

ولقد قام علماء كثيرون غير كاتل بدراسة هذا النوع من الشخصية ومنهم أكرسون برج « Ackerson Berg » وهرفت وجنكس « Hervitt & Jenkis » ولمفورد « Lamford. » وغيرهم ممن حاولوا حصر وتحديد سمات خاصة للشخصية تشترك في كل حالات الاجرام ، الا انه لم يتحقق بعد تحديد الميزات الشخصية لكل جريمة على حده ، ولهذا كانت سمات الجانحين اقل وضوحا وشمولا من السمات التي تحدد لزملة العصاب واشكاله .

وهكذا يرى كاتل أن افضل طريقة لتحديد أبعاد شخصية الجانح هي الدراسة العاملية .

قياس الشخصية والجناح :

حاول كاتل في ضوء هذا ان يحدد اهم العوامل التي تبين من القياس انها تتشبع بها سمات معينة لشخصية الجانح . وقد تبين له ان الجانحين يحصلون على درجات عالية في القطب السلبي من العاملC (C —)أو ماأسماه « سوء التوافق العام » . كذلك يحصلون على درجات عالية في العامل(E +) وهوعامل السيطرةضدالخنوع .Dominance,ascendance Vs.Submissiveness. وكذلك في عامل الاكتفاء الذاتي « Self sufficiency. » وهذه العوامل امكن استخلاصها من استفتاءات العصاب . وفي الاستفتاء العام يحصل الجانحون على درجات عالية في القلق والانقباض او العامل(F —). ويمتاز الجانح أيضا بتعدد المهتمات ، وارتفاع مستوى الانفعالية العامة . كما يمتاز بضعف القدرة على تمييز اشكال السلوك الخاطىء في اختبار « المعلومات الاخلاقية » ويحصل

---

(1) Cattell, R. B. : Ibid. P. 457 .

الجانح على درجات عالية عادة في سمة الكسل ، وعدم الطاعة ، ورفض النظم والقوانين وعدم الانتباه أو القدرة على التركيز والميل للشجار والكذب والسب ، وعدم ثبات الحالة الانفعالية « والفتونة » والتشرد « Bullying » والجانحون غالبا انبساطيون تنتشر بينهم حالات التبول اللاارادي . ولعل هذه السمات جميعا هي التي تكمن وراء اعجابهم بالمظاهر الظاهرة كالثراء والملبس والشكل والمظهر أكثر من اعجابهم بالسمات الاجتماعية كالتعاون والتضحية .

وعندما قارن كاتل بين سمات الجانح وسمات العصابي ذكر ان بعض الدوافع اللاشعورية التي ثبت وجودها عند الجانحين لاتختلف كثيرا عن مثيلاتها عند العصابيين ، وهي تأخذ اشكالا منها « الحاجة للعقاب » « والاحلال في العدوان » « Displaced aggression » يبدأ عادة من صورة الاب وكذلك احلال النزعات الاخرى اللاشعورية كالجنس وغيرها [1] .

وقد اثبتت الدراسات التي قامت على أساس التحليل العاملي ، ان الجانحين عامة يحصلون على درجات منخفضة في عامل (— C) ودرجات عالية في العامل (+ E) ، وكذلك يقعون في القطب السالب من العامل F (— F) وكذلك في العامل A (— A) أو عامل الفصامية ، « Schizoid » وتبرز هذه العوامل في شخصية الجانحين العدوانية او الانانيين اكثر من غيرهم . أما العامل (G) وهو عامل « الشخصية المتكاملة » ، فانهم يحصلون على درجات عالية في العامل (— G) « أما الجانحون الذين يشتركون في عصابات فانهم يحصلون على درجات عالية في العامل (+ F) والعامل (+ H) أو الدورية المرضية « Cyclothymia » [2] .

وهكذا نجد « كاتل » يحاول جاهدا ان يربط بعض العوامل التي تحدد بعض ابعاد الشخصية في راي مدرسة التحليل العاملي ، بنوع الجناح ، ولكنه يعود فيلحظ تداخلا شديدا بين أشكال اللاسواء في بعض العوامل يجعله يقارن بين العصابي والجانح مقارنة عامة في بعض السمات بالصور الآتية ، وبشكل ضمني عام :

الجانح اكثر سيطرة أو ميلا للسيطرة من العصابي .

الجانح اكثر مرحا وابتهاجا من العصابي .

الجانح اكثر احساسا بالنبذ من المنزل من العصابي .

الجانح اقل ذكاء وفطنة من العصابي .

---

(1) Cattell, R. B. : Ibid. P. 463 .

(2) Cattell, R. B. : Personality. Mc. Graw Hill Book Company. INC, First Ed. 1950 . P. 463 .

.. الجانح اقل من حيث ماضيه المرضي النفسي من العصابي .

.. الجانح اقل من حيث ماضي الاتكال والاعتماد على الغير من العصابي .

الجانح اقل من حيث التمسك بالمستويات الاجتماعية والاخلاقية في المنزل من العصابي .

الا ان كليهما يشتركان في الانخفاض في درجة الاستقرار الانفعالي، ويعاني كل منهما من سمة او مجموعة سمات واعراض سوء التوافق العصابي العام سواء كان ذلك راجعا الى عوامل استعدادية او بسبب تربية وتنشئة مبكرة خاطئة أو مليئة بالازمات غير المناسبة بسبب عدم التوافق الاسري ، وعلى أية حال فالثابت ان الظروف الاسرية التي تمتاز بالازمات الناجمة عن حالات عدم التوافق هذه تكون اكثر خطورة في تأثيرها على شخصية كل من العصابي والجانح ، منها في تأثيرها على غيرهما من الشخصيات [1] .

وواضح ان المقارنة بين الجانح والعصابي تتضح بصورة اكبر اذا اخذنا في الاعتبار الكثير من مفاهيم مدرسة التحليل النفسي لنربط بينها وبين ماتوصل اليه علماء التحليل العاملي من نتائج .

فالجانح والعصابي يعانيان من عدم الاستقرار الانفعالي « Emotional instability. » ولكنهما يختلفان عن بعضهما في ناحيةاخرىوهي قدرة كل منهما على الكبت ، فالاول اقل قدرة من الثاني .

فكل منهما يتعرض لحالات صراع في أول الامر مع المجتمع الذي يعيش فيه ، وقد يكون ذلك من ناحية بسبب عدم الاستقرار الانفعالي هذا ، ولكن هناك نواح اخرى من ابعاد الشخصية التي كشف عنها التحليل العاملي ، مثل الانطلاق والمرح ، او حب السيطرة او انحطاط الذكاء ، وهي كلها ابعاد من الشخصية تعطل محاولة الجانح ان يكبت نزعاته ، وبذلك يستمر في تصارعه مع المجتمع دون أي كبت ، ودون محاولة كف نزعاته .

اما العصابي فانه يستعمل المعايير العليا للأنا الاعلى في السيطرة على ظاهرة عدم الاستقرار الانفعالي . وبمعنى آخر نجد انهذه الابعاد فيالشخصية، التي تبرز في العوامل المذكورة والتي تميز الجانح لاتساعده على الكبت ، بينما يستطيع العصابي ان يستفيد من المستويات الاخلاقية المكونة للأنا الاعلى في كبت هذه النزعات .

هكذا نجد « كاتل » يلجأ الى تفسيرات اصحاب مدرسة التحليل ليبرر كيف يمكن ان تكون هذه الابعاد التي كشف عنها التحليل العاملي عوامل محددة الجناح . وفي هذا يرى ان النقص في تكوين الانا الاعلى عند الجانحين ، ذلك

---

(1) Ibid : P. P. 464 - 468 .

الذي استطاع علماء التحليل العاملي اثباته باستعمال القياس المباشر مثل اختبارات المعلومات الاخلاقية والحكم على اشكال من السلوك ، يبدو مميزا للجانحين مما يمكن معه اعتباره مسؤولا عن الجناح [1] .

وقد أجرى روبنستين « Robenstein » دراسة مقارنة على ٢٧١ من العاديين ومثلهم من الجانحين المحجوزين في بعض المؤسسات ، استعمل فيها استخبارا من مائة فقرة تقيس استجابة الفرد لاشكال معينة من السلوك ، تبين منه ان العاديين كانوا اكثر قدرة على نقد السلوك الخاطىء في أنفسهم او عند غيرهم من الجانحين الذين لم يبد عليهم اهتمام ما بالمستويات الاخلاقية في أنفسهم او غيرهم .

وهكذا اظهر القياس النفسي والتحليل العاملي درجة ضعف مكونات الأنا الاعلى باعتباره مفهوم الضمير الذي يساعد الفرد على الحكم على سلوكه أو سلوك الغير ، وقد اصبح مفهوما يمكن قياسه بقياس آثاره السلوكية .

رأي العاملين في الطفولة والعلاقات الأسرية وأثرها في خلق الاضطرابات السلوكية :

يمثل « كاتل » احد علماء التحليل العاملي الذين حاولوا ان يفسروا السمات المختلفة التي تميز كلا من الجانح والعصابي في ضوء الخبرات الطفلية ، والعلاقات بين الطفل ومعاشريه في هذه المرحلة الهامة من حياته « الطفولة الاولى » .

ونجد « كاتل » يستدل من نتائج ابحاث عديدة على تاثير الحياة الاولى في خلق هذا الاسلوب او ذاك ، وفي تنمية بعض المميزات التي تظهر واضحة في قياسات الاطفال المشكلين .

ففي مجال اثر الاسرة في تكوين الأنا والأنا الاعلى يستند كاتل الى أبحاث « هيلي » على ٥٠٠ جانح تبين أن سلوكهم كان اكثر كفا بعد تغيير المنزل والاسرة الى اسرة افضل ، يستند الى ذلك في تأكيد أثر الاسرة في تكوين الأنا الاعلى ، حيث تحسن سلوك ٨٠٪ من الجانحين بتغيير ظروفهم الاسرية [2] .

كذلك يذكر في اكثر من مناسبة كيف ان صراعات الطفولة مسؤولة عن كثير من الميول العصابية أو العصاب الواضح ، أما عما سماه الميول العصابية عند الاطفال فأهمها الاستجابة العنيفة [3] والقلق والارق الذي يتعرض له من

---

(1) Cattell, R. B. : Personality. Ibid. P. 469 .

(2) Ibid. : P. 463 .

(3) Hyperreactivity .

يعانون من صراعات طفلية بين الرغبة في استجابة ما وعوامل كشف هذه الاستجابة بسبب طريقة الآباء في تربيتهم (١) .

كذلك يحاول ان يبرز أهم ديناميات الامراض العصابية من نتائج بحث سلاتر « Slater » على ٢٠٠٠ من الجنود الذين ثبت انهم يعانون اضطرابات عصابية بصورة او اخرى . وهنا كانت اهم هذه الديناميات المرتبطة بالطفولة :

١ ــ الانفصال عن الاسرة او المنزل .

٢ ــ خلافات ومشاغل عائلية او مشكلات اسرية .

٣ ــ يعجل ظهور الاضطراب قوة ضغط العمل بدرجة لاتناسب الطاقة البشرية .

كذلك يستفيد من دراسات « Meryson » الذي يضيف للديناميات السابقة :

١ ــ القلق والتوتر الناجم عن المنافسة .

٢ ــ الضبط الاجتماعي للدوافع الحشوية والشهوانية .

٣ ــ التأرجح بين الرغبة في اخفاء النزعات او الافصاح عنها .

٤ ــ انعدام التكامل العام في السلوك كما يجب باستمرار لتحقيق أهداف بعيدة قد تبدو غير مرغوبة .

كذلك يرى كاتل ان ماحققه « باروخ » في دراسته للظروف البيئية في الطفولة لكل من الجانحين والعصابيين تؤكد بينهما في تواتر ظاهرات مثل : ١ ــ الخلافات الوالدية ٢ ــ التربية والتأديب المتذبذب والاختلاف في المعاملة الوالدية ٣ ــ مشكلات متعلقة بالتغذية او تعلم عادات الاخراج ٤ ــ النقص في الحب أو الود ٥ ــ وجود حالات تعدد العلاقات الزوجية (زوجة الاب أو زوج الام) الخ ...

وهنا يرى كاتل ان الكثير مما يؤكده علماء النفس عن ان خبرات الطفولة مسؤولة عن خلق الكثير من السمات التي تميز العصابي امر مسلم به . فالعصابي في نظره فرد تعرض لتربية فرضت عليه ان يمتص مستويات أعلى ، واكثر كفا للسلوك من الجانح في اثناء تطور ونمو الأنا والأنا الاعلى وجعله كل هذا يمتاز بسمات معينة تتجمع في صورة عوامل عند قياسها ودراستها .

وهنا مع ذلك ايضا يكون ممن يتعرضون للخبرات الآتية اكثر من الجانحين :

---

(1) Cattell, R. B. : Personality. Ibid. P. 495 .

- الازمات الانفعالية . - لدية انفعالية عالية في الناحية المزاجية .

- الضعف العام في الاستقرار الاستعدادي .

وفي مجال التطبع الاجتماعي يرى كاتل ان ما يذهب اليه بعض الكتاب من انه يمكن الجمع بين العصابي والجانح على انهما يمثلان نتيجة متعادلةلفشل هذه العملية الامر الذي يحدث نتيجة عدم الملاءمة او الاتساق بين ما يتعلمه الطفل من قواعد ، وبين الدور الذي يفرضه المجتمع على هذا الفرد كراشد ، قد يفسر لنا الكثير من آثار منهج الآباء في التطبيع الاجتماعي في خلق سمات معينة تميز بين كل من الجانح والعصابي [1] .

فالعصابي شخصية تبرز فيها آثار « سوء تنظيم الذات مقابل أنا أعلى متزمت » [2] وهو يستند في ذلك الى بحث جودوين واطسون « Goodwin Watson » الذي اجراه على ٢٥٠ طالبا من طلاب المدارس الثانوية، اجرى عليهم استخبارا لقياس بعض السمات ، وقد تبين من هذا البحث ان التلاميذ الذين خبروا في طفولتهم تربية وتنشئة اجتماعية شديدة قاسية متزمتة كانوا يحصلون على درجات عالية في :

١ - الشعور بالذنب ٢ - التعرض للمشغولية ٣ - القلق

٤ - التمسك بالمعايير المحددة ، للسلوك كما خبرها في علاقاته الاسرية .

٥ - الجمود وانعدام المرونة ، خاصة في التعامل مع الغير او الاحكام الاخلاقية .

هكذا اخذ « كاتل » يستعرض الكثير من المظاهر العصابية بأنواعها وهو يحاول ان يفسر هذه الظاهرات من حيث العوامل التي تمثل ابعاداً في الشخصية من جهة ، ثم من حيث طبيعة العلاقات والديناميات المرتبطة بعملية التربية من جهة اخرى .

ونحن نعرض هنا على سبيل المثال كيف يعالج كاتل مشكلة من مشكلات العصاب ، وهي « البوال » يعالجها بهذه الطريقة حتى نبين كيف كان كاتل يهتم الى جانب دراسة ابعاد الشخصية ، كما تبرزها السمات المتجمعة في الاطفال الذين يعانون هذا الاضطراب ، يهتم ايضا بالعوامل ذات الفاعلية في اظهار هذا العرض وما يرتبط به من سمات أو ابعاد انفعالية او غيرها مما يرجع الى خبرات الطفولة [3] .

---

(1) Cattell, R. B. : Personality. Ibid. P. P. 496 - 497 .

(2) Excessive superego Vs. Defective ego structure .

(3) Cattell, R. B. : Peronality. Ibid. P. P. 506 - 507 .

بعض ديناميات التبول اللاارادي كما درسها علماء التحليل العاملي :

هنـــاك أدلة كبيرة على ارتباط هذا العرض بحالات انعدام التوافق أو الاضطراب الاخلاقي كالجناح فقد وجد هيرش « Hirsch » أن ٣٢٪ مـن مجموعة من الجانحين بلغت ٣٦٧ كانوا يعانون من البوال . كما لاحظ أن ابعاد الشخصية التي ترتبط بالبوال هي :

عدم النضج الانفعالي في ٦١٪ من الحالات .
القابلية الزائدة للاستهواء في ٤٢٪ من الحالات .
الشعور بالنقص وانعدام الامان في ٣٩٪ من الحالات .
استجابات شديدة من الخوف في ٢٦٪ من الحالات .
انحرافات جنسية في ١٤٪ من الحالات .

كذلك يؤكد ظهور هـذه السمات اكثر في البوالين بحث آخر اجـراه « اكرسون » « Ackerson » على ٢٣٪ من مجموعة مكونة من ٣٠٠٠ طفـلا من اطفال العيادات النفسية . كان اولئك الاطفال (٢٣٪) ممن يبدو عليهـم سرعة التهيج والاستثارة « Irritability » والانعزالية ، وعدم استقـرار فـي النوم ومزاولة الاستمناء ، وسورات الغضب ، واعراض العصبية العاملـة ، والرغبة في الشجار ، والسب ، والحساسية الزائدة ، وقضم الاظافر ، الخ من اعراض تدخل تحت العوامل التي كشف عنها التحليل العاملي .

والمهم في هذا أن اغلب هؤلاء الاطفال كان يقل بوالهم بل ويزول احيانا كلما ظهر مايدل على ان الاب أو الام او المدرس او الاخ سوف يحضر قريبـا ليعنى بهم ، كما كانت هذه الظاهرة تبدو واضحة كلما قربت ايام الاجازات ، اي تقل ظاهرة البوال .

وهكذا تكون للعلاقات بين العصابي وافراد اسرته أثرها في خلق العصاب، كما انه في حالات الانفصال كان شعور الطفل بأنه منبوذ او غير مرغوب فيـه بدرجة تخلق لديه حالة من القلق ، تشترك مع القلق بسبب كف العـدوان عند هؤلاء الاطفال في خلق التوتر النفسي الشديد الذي يسهم في خلق ظاهرة البوال . وهذا ما يلاحظ من تكرار حالات البوال مع الغيرة ، حين يكف المريض عدوانـــه على مصدر الغـيرة ، ويعاني بذلك قلـق كف العدوان مع قلـق الشعـور بالنبـذ .

وهكذا يتضح ان كاتل او امثاله من المهتمين بالتحليل النفسي حين يتناول ظاهرة عصابية مثل « البوال » انما يتناولها من زاويتين :

آ ــ الابعاد الرئيسية في الشخصية واهم سماتها .
ب ــ العوامل الديناميكية البيئية من التربية او المعاملة الوالدية او العلاقات الاسرية التي تصاحب الظاهرة ، وقد تكون مسؤولة عنها .

آراء أيزنـــك

يرى الكاتب هنا ان يعرض لآراء واحد من العلماء الذين اخذوا بمنهـج التحليل العاملي ، وأفادوا منه كثيرا في تفسير ديناميات الاضطراب السلوكي عامة والجناح والعصاب خاصة .

ويعتبر العالم الانكليزي « أيزنك » من اصحاب نظرية السلوكيةالجديدة الذين أفادوا كثيرا من التحليل العاملي في دراسة العصاب والجناح . وفي تحديده للشخصية عامة يبرز اتجاهه السلوكي الواضح فهو يقول :

« الشخصية استعدادات للاستجابة واسعة ، عامة ، معقدة ، متداخلة ، ولكنها ثابتةنوعا ما ولا تتعرض كثيرا او تتأثر بالعوامل الخارجية،ولكنهاتكون الابعاد الرئيسية في الشخصية » [1] ، معنى ذلك أن لكل فرد مجموعة من الاستعدادات للاستجابة بطريقة مميزة في كل موقف .

وهو يرى ان العوامل التي تبرز في التحليل العاملي والاحصاء وسيلـة للتصنيف فقط بينما يعتبرها جلفورد سمات أولية او متحدة للشخصيـة ، أو هي الابعاد الاساسية للنفس .

ولقد اجرى أيزنك بحثا على ٧٠٠ من الجنود المرضى بالاضطرابـات النفسية واجرى على نتائج المقاييس المختلفة دراسة تحليلية كان يهدف منهـا الى الكشف عن العوامل العامة والطائفية المميزة للعصاب . وبهذه الطريقـة استطاع ان يكشف في شخصية العصابي عن :

أ ــ عامل عام تتشبع به السمات الآتية :

١ ــ سوء التنظيم في الشخصية ، ٢ ــ التواكل ، ٣ ــ ماضي غير عادي قبل المرض ، ٤ ــ الطرد من الخدمة لعدم اللياقة ، ٥ ــ مهتمات محدودة ، ٦ ــ قلة جهد ، ٧ ــ تواتر اللاسواء في الآباء ، ٨ ــ مبادىء شبه فصام ، ٩ ــ ضعف في التوازن العضلي ، ١٠ ــ منزل غير مشبع للحاجات النفسية ، كالحب والانتماء والامن ، ١١ ــ لاعضوية في جماعة ، ١٢ ــ ميول للدورية الانفعاليـــة .

هذا العامل يحدد معنى انعدام تكامل الشخصية بصفة عامة ، وانعدام القـــدرة علـى التوافـق ، وانخفـاض في مستوى مـا اسماه الدافع العـام « General drive » وهو ما اطلق عليه اسم « عامل العصابية » [2] .

---

(1) Eysenck, H. J. : Dimentions of Personality . London . Routledge. 1947 P. 15 .

(2) Eysenck, H. J. : Ibid. P. P. 16 - 35 .

ولقد سمي هذا العامل عامل « P » ليدل على درجة تنظيم الشخصية، وكان يستعمل الرمز « —P » ليشير عن التوزيع الاعتدالي لهذا العامل الى الجزء الذي يعني ان الفرد اقل استقرارا اقل في تنظيم شخصيته ، واكثر عصابية ويشير بالرمز « + P » الى هذا الجزء من التوزيع الذي يعني مزيدا من الاستقرار ، والتنظيم الافضل ، ونقص العصابية . وهو يستعمل التمييز الرمزي للدلالة على العصابية ويستعمله للعصابية في اغلب الحالات ذلك انه وجد ان توزيع درجات العامل على كثير من المرضى العصابيين ، توزيعا اعتداليا يعني ان هذا العامل اكثر ارتباطا بالعصابية فيه بأي شكل آخر من أشكال الشخصية ، ويقصد بذلك ان قطبه السالب هو الذي يرتبط كثيرا بالعصابية .

ب — العامل الثنائي الانطواء ضد الانبساط :

وجد أيزنك من ابحاثه ان العصابيين يمتدون على استمرار او كل متصل يقع احد طرفيه عند سمات الهستيري ، ويقع الطرف الآخر عندما أسماه الطرف الخاص بالسيكاثينيا ، الذي يمتاز بسمات « Dysthemia » ، وهي التي تتمثل في الاستجابات التي تدل على القلق ، والوساوس والافعال القهرية ، والانهباط (١) .

ويعرض لنا إيزنك الاختلاف الكبير في الراي بين العلماء ، عن علاقة الانطواء بالعصاب ولكنه على العموم يرى أن عدم الميل للاختلاط الاجتماعي عرض من اعراض العصاب اكثر منه عرض من اعراض الانطواء ، ويستند في ذلك الى كشوف دكتور رسل فريزر « Dr. Fraser, R. » تلك الكشوف التي توصل اليها من دراسة حالة ٣٠٠٠ عامل كشف بينهم عن ١٠٪ يعانون من عصاب عنيف معطل « Disabling » ، و ٢٠٪ يعانون من عصاب خفيف ، ولقد تبين أن العصاب اكثر تواترا بين اولئك الذين يعيشون وحيدين ، أو تقتصر احتكاكاتهم الاجتماعية على عائلاتهم فقط ، ولا يستمتعون بأنواع التسلية أو الالعاب والاختلاط بالغير .

ولهذا يكون انعدام الميل الاجتماعي من مظاهر السلوك التي ترتبط بهذا العامل في قطب « الديسيثميا » السابق الاشارة اليه كاحد قطبي الاستمرار الخاص بالاستجابات العصابية .

ومن مراجعة الآراء المختلفة في تفسير الانبساط والانطواء ، خلص أيزنك الى أن كلا منهما يشترك في سمات معينة تميز الانبساطي عن الانطوائي وتدخل تحت كل منهما :

---

(2) Buss, A. H. : Psychopathology : John Wiley and sons, Inc. London, New York, Sydney . 1966 . P. P. 115 - 116 .

- الانطوائي يفكر وينظر للامور نظرة شخصية والانبساطي يمتاز بالنظرة الموضوعية .
- الانطوائي يغلب على سلوكه الناحية التفكيرية ، والانبساطي أميل لانواع النشاط السلوكي الواضح الخارجي الاجتماعي .
- الانطوائي يتعرض سلوكه لمظاهر الكف في كل نزعاته بينما الانبساطي لايتعرض ابدا لهذا الكف .

واقد تبين أيزنك في دراسته ان النمط الانبساطي الهستيري تتضح فيه هذه السمات بينما انواع العصابيين من النمط الديسيثيمي فانهم يغلب عليهم سمات الانطواء .

وقد اضاف أيزنك لهذا السمات الآتية لتمييز قطبي هذا العامل :

أ - القطب الانطوائي الديستاثيمي ويمتاز بسمات القلق ، الانهباط ، الميول الوسواسية ، التبلد التهيج وسرعة الاستثارة ، التعطل اللاارادي لبعض الوظائف .

ب - القطب الهستيري ، وتظهر فيه اعراض التحويل ، الانحرافات الجنسية « Sexual Perversions. » انخفاض في مستوى الذكاء ، وتاريخ في علاقته بالعمل سيء ، اعراض توهم المرض ، اما غير ذلك من العوامل فكانت تبدو اقل تأثيرا مثل الميول المحددة والمهتمات القليلة ، كذلك عدم الرغبة في بذل الجهد .

هكذا حدد أيزنك مميزات العصاب في عاملين :

آ - عامل العصابية العامة الذي وجد انه يرتبط بعوامل اخرى سبق أن حققتها كشوف اخرى في التحليل العاملي وهو العامل الذي اسماه عامل « P » وله ارتباط بعامل « W » عند وب « Web » الذي يميز في قطبه السالب الميول العصابية او سمات العصابي التي تقع في الطرف المضاد للعامل « + W » ويشمل الاخير : ١ - المثابرة امام العوائق ، ٢ - الاشفاق ، ٣ - الثقة بالغير ، ٤ - قوة الضمير ، ٥ - الخلق الجيد ، ٦ - قوة الارادة ، وغيرها من العوامل .

ب - كذلك ميز شخصية العصابي بعامل ثنائي القطب آخر ، يميز فئتين من العصابيين وهما فئتا : الهستيريين والديساثميين ، ويقع العصابيون على درجات مختلفة من الكل المتصل أو الاستمرار بين هذين الطرفين ، وهو يشبه الانطواء والانبساط عند يونج .

واقد أجرى دراسات استخبارية عديدة على مجموعات مختلفة من العصابيين ، وأمكن الحصول على اختلافات يمكن الاعتماد عليها فيما يختص

كل من العاملين ، فلقد وجد ان استخبارا للعصابية اظهر انه يميز بين العصابيين والعاديين ، كما يميز درجات من المرض العصابي ، كذلك كان مميزا للهستيريين من الديسثاثيميين، كأنه وجد انه يمكن بالقياس تحديد القيمة الرقمية لدرجة كل نوع من انواع هذا العصاب [١] .

دراسات أيزنك لتفسير تطور اعراض العصاب :

حاول ايزنك ، بعد تحديد سمات العصاب ان يفسر سبب الاضطرابات العصابية والعوامل التي تسهم في خلق هذا الاسلوب من التكيف ، ولم يكن في ذلك يختلف عن جمهرة علماء التحليل العاملي . فقد لجأ الى الكثير من تفسيرات ومفاهيم التحليل النفسي عند تفسير العصاب ، ولكنه مع ذلك كان يرى أن للوراثة دورا لايصح ان ينكر في التاثير على حالات الاضطراب النفسي ، بدرجة لايمكن الفصل بينهما وبين العوامل البيئية والاكتساب والتعلم في هذا المقام ، فهو يرى ان العامل الوراثي الذي يتمثل في القابلية للتأثر بالضغوط الاجتماعية ، والبيئة التي تتمثل في كمية الضغوط التي يتعرض لها الفرد وتمر بخبرته يعتبران عنصرين ضروريين لتفسير اسباب العصاب التي تعرض كثيرا على مراكز العلاج .

فكل النظريات التي عرضها أيزنك لتفسير العصاب اما ان تكون نظريات تؤكد اثر البيئة ، او تهتم بأثر الوراثة ، وفي عرضه لنظريات الوراثة يرى انها ايضا تهتم بدور البيئة في ابراز هذه النواحي الوراثية . وهكذا نخلص الى ان كل النظريات التي تفسر العصاب تتفق على أن الضغوط البيئية تلعب دورا كبيرا في خلق ظروف تطور اعراض العصاب . والسؤال المهم الذي يحتاج الى تقرير في نظره هو : هل الضغوط البيئية وحدها تكفي لاحداث هذه الظاهرة؟ ان سيموندس حين يحاول ان يجيب على هذا يرى أن الميول العصابية تختلف باختلاف درجة عنف الواجبات والمسؤوليات الاجتماعية التي يفرضها المجتمع على الفرد ، او باختلاف درجة الخطر الذي يتعرض له الفرد في حياته وهو أمر لايقاس الا بعامل الصدفة [١] .

ولقد حاول ايزنك ان يربط بين السمات التي توصل اليها والتي تميز فئات مختلفة من حزمة أو زملة الاعراض العصابية ، وبين تفسيرات مدرسة التحليل النفسي للسلوك العصابي . ولهذا يرى ان السمات المميزة للعصابي الانبساطي يبدو فيها واضحا تغلب نزعات الإد على الأنا الاعلى ، بينما في حالة العصابي الانطوائي تسيطر مكونات الأنا الاعلى على مكونات ونزعات الإد .

---

(1) Eysenck, H. J. : Ibid. P. P. 260 - 261 .

(2) Eysenck, H. J. : Ibid. P. P. 45 - 46 .

See also : Symonds, P. M. : Mental Hygiene of The School Child. New York. The Macmillan Company. 1938 .

ولقد استند ايزنك في مقارنته هذه الى أن مايميز العصابي الهستيري من سمات تجعله يبدو في سلوكه اقرب لكل مايجلب له اللذة ، بينما يسيطر على حياة وسلوك العصابي الانطوائي انواع السلوك التي يقوم فيها الأنا الاعلى بعملية الكف . كذلك لاحظ من استجابات الديسثائيميين لاختبارات النجاح والفشل نوعا من الجمود يشير الى سيطرة الأنا الاعلى ، كما تبين انهم يكفون عن النكات المتعلقة بالجنس او ما يخرج بها عن حدود الاوضاع المرعية .

ولقد فسر « ايزنك » هذه الاضطرابات النفسية في ضوء مفهوم مدرسة السلوكية الجديدة عن عملية التطبيع الاجتماعي . فهو يقول « ان الانطوائي يمثل بين العصابيين الشخص الذي وصل الى درجة كبيرة من التأثر بعوامل الكف في التطبيع الاجتماعي ، فهو اكثر كفا من غيره من العصابيين ، بينما الهستيري يبدو انه اكثر خروجا عن المجتمع « Asocial » وهو النمط الذي لم يعان أي كف ، وواضح من هذا انه يشير الى ان طريقة التنشئة التي يخبرها الطفل مسؤولة — ليس فقط عن العصاب العام — بل عن توجيه العصاب وجهته المحدودة . أي أن نوع التنشئة واتجاهات الآباء فيها ، تحدد طبيعة الاستجابات العصابية التي يتعلمها الفرد ، وهل هي من النوع الهستيري أم الديسثائيمي » (1) .

ولا يزال ايزنك في دراسته للعصاب يهتم بالعوامل الاستعدادية ويبرزها، لدرجة انه يرى أن العصاب يرتبط احيانا بمستوى الذكاء ، ويرى اننا اذا كنا ننظر للعصاب من زاوية البعد الانفعالي للشخصية وحده ، فاننا نهمل ناحية هامة في دراسة الشخصية عامة وشخصية العصابي خاصة وهي التي يرى أنها تتمثل في ابعاد ثلاثة :

- البعد الادراكي المعرفي « Cognitive » والذي يعتبر الذكاء هو العامل العام فيه « G. F. » .
- المجال الارادي والنزوعي « Conative » ويعتبر العصاب عاملا فيه .
- المجال الوجداني المزاجي والعاطفي « Affective » ويعتبر الانطواء والانبساط عاملا فيه .

وهو يرى ان دراسة شخصية العصابي يجب أن تقوم على اساس التكامل والتفاعل بين هذه النواحي الثلاثة ، في الاطار العام للتكوين العضوي البدني للفرد ، ويرى ايزنك اننا لايمكن أن نحدد الاختلاف والفرق النسبي بين اثر كل من الوراثة والبيئة في خلق العصاب او الشخصية الانطوائية . كذلك لايمكن ان نحدد مدى امكان استمرار ثبات الفرد على درجة ما من درجات استمرار العصاب أو استمرار الانطواء الانبساط ، كما يحدث في حالة

(1) Eysenck, H. J. : Ibid. P. P. 247 - 248 .

قياس الذكاء ، ولكن الظاهرة على العموم يمكن قياسها الآن باختبارات على درجة كبيرة من الدقة او الصدق ، ثم هي من الاختبارات الثابتة الى حد كبير [1] .

هكذا نجد ان أيزنك في دراسته هذه ـ قد اهمل الى حد كبير التنويه الى المتغيرات والعوامل المتوسطة التي تخلق العصاب ، أو بمعنى آخر الى ما هو معروف عن دور القلق في خلق العصاب . فقد كانت كل جهوده مركزة على الكشف عن السمات المميزة للعصاب عامة ولشكلين من اشكال العصاب خاصة .

وهو في هذا الاتجاه لايختلف كثيرا عن جمهرة الذين عنوا بهذا الفرع في دراسة الشخصية .

الا أن دراسات أيزنك هنا تقودنا الى منهج جمع بين آراء اصحاب المدرسة السلوكية الجديدة وآراء التحليليين . فهو يدرس الشخصية في نظريته دراسة تقوم على تجميع العادات او الاستجابات المعتادة « H. R. » [2] التي يتعلمها الفرد في أثناء نموه وتطوره ثم يجمعها في مجموعة السمات المميزة للفرد . فالدراسة التحليلية العاملية للشخصية في نظره يمكن ان تبرز أي بعد من ابعاد الشخصية الثلاثة السابقة في مستويات اربعة :

١ ـ مستوى الاستجابة النوعية . ٢ ـ مستوى الاستجابة الجديدة .
٣ ـ مستوى السمات . ٤ ـ مستوى الانماط .

وهكذا تكون الشخصية العصابية في نظره « نمطا او اسلوبا » من أساليب التوافق يتضمن في تقسيماته الفرعية مجموعة « سمات » تقوم على اساس مجموعة « عادات » أو استجابات معتادة ، تتكرر على أساسها استجابات الفرد النوعية في المواقف الخاصة .

آراء أيزنك في الجناح :

والجانح في نظر أيزنك شخصية ايضا او اسلوب حاول أن يحدد أهم سماته في ضوء ماكشفه من عوامل .

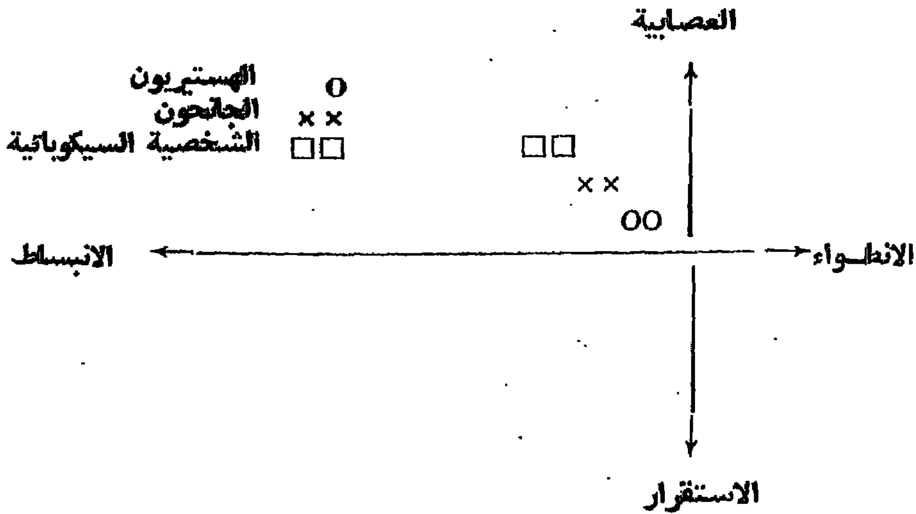
ويضع أيزنك الجانحين في فئة الذين يعانون من العصاب الانبساطي فقد وجد أنهم يقعون في منطقة متوسطة بين العصاب والانبساط ، وانهم يمتازون بأن قدرتهم العقلية على تكوين الارتباطات الشرطية ضعيفة جدا ، لذلك ساهم

---

(1) Ibid : P. P. 261 - 262 .

(2) Habitual responses .

اصحاب العقول الجامدة « Taught minded. » [١] ووضعهم ايزنك في الموقع المبين بالشكل من استمراري العصاب والانطواء عندما حاول وضعهم بالنسبة للأبعاد الاربعة لعاملي العصاب ثم الانبساط ضد الانطواء كما هو مبين بالشكل التوضيحي لمحوري الاضطراب السلوكي :



وقد أبرز أيزنك أنه كلما حصل فرد على درجات عالية في اختبارات العصاب وعالية ايضا في الانبساط كلما كان اقرب الى النمط السيكوباتي من الشخصية ، أما الهستيري فانه يحصل على درجات اقل في كل من الانبساط والعصاب ، بينما يحصل الاطفال الجانحون على درجات تقع بين هاتين الفئتين .

ولقد أجرى الدكتور روبرت اندري [٢] أستاذ علم النفس بجامعة لندن دراسة عاملية على مجموعة من الاحداث المودعين بالمؤسسات لدراسة مجموعة متغيرات معينة في شخصية الاحداث ، وقد تبين له ان العصاب يرتبط بالجناح بدرجة عالية ، فالميول العدوانية كما قاسها كان معامل الارتباط بينها وبين الاستجابة لاختبار العصاب ٨٩ر.

كذلك قام الباحث نفسه بدراسة عن أثر الظروف الاسرية في خلق الجناح او خلق الشخصية الجانحة ، فوجد ان من أهم عوامل تحديد وتعزيز الجناح مرتبة حسب أهميتها :

(١) راجع بحث جناح الاحداث في الدول المتحضرة القاه « Dr. Robert Andy » الاستاذ بقسم علم النفس بمعهد التربية بجامعة لندن في المؤتمر الدولي الثالث عشر لعلم الجريمة يومي ٧ و ٨ يوليو سنة ١٩٦٣ في القاهرة .

(٢) دراسة سابقة الحلقة الثالثة عشر لمؤتمر الجريمة الاولى : يوليو سنة ١٩٦٣ .

أ ــ العلاقة بالأم ومدى الحرمان منها نفسيا أو عضوياً .
٢ ــ انعدام الحب المتبادل بين الطفل ووالديه .
٣ ــ طريقة التربية التي تقوم على النبذ والعقاب .
٤ ــ الانفصـــال والتهدم الأسري .

وقد وجدت هذه الظروف اكثر تواترا في دراسة حالات الجناح منها في دراسة مجموعة مشابهة من العاديين .

ولقد سار الباحث « الدكتور روبرت أندري » في دراسته هذه على نفس الاسلوب الذي سار عليه أيزنك حين اهتم في دراسة اجراها على الجـانحين بدراسة جانبين استعمل في دراستها الاحصاء والتحليل العاملي معا :

١ ــ الجانب الاول هو سمات شخصية الجانح ، ومدى الارتباط بين سمات الميول العدوانية وبين السمات التي تدخل تحت عامل العصاب العام من جهة ، ثم درجة الارتباط بين الميول الجناحية وعامل الانبساط الانطواء كما قاسها أيزنك ووضع لها المقاييس المناسبة في دراسته للعصاب .

٢ ــ ودرس كذلك درجة شدة متغيرات البيئة المستقلة التي تصاحب حالات الجناح ، وربط بينها وبين سلوك الجناح .

وهكذا يعتبر « روبرت أندري » واحدا من تلاميذ أيزنك ، الذيــن ساروا على نهجه وابرزوا اتجاهاته في تفسير السلوك اللاسوي الجانح .

* * *

الباب الرابع

المدرسة السلوكية الجديدة وديناميات السلوك غير السوي

مقـــدمـــة :

المدرسة السلوكية الجديدة
وديناميات السلوك غير السوي

مقدمة :

يهتم الكاتب في هذا الباب بشرح أهم التعديلات التي أدخلتها نظرية المدرسة السلوكية الجديدة على آراء السابقين في تفسير السلوك غير السوي عامة ، وسلوك العصاب والجناح خاصة .

والمدرسة السلوكية الجديدة التي ندرس آراءها تعتبر اسلوبا منهجيا جديدا في دراسة السلوك الانساني ، حيث يلجأ اصحابها في هذا المقام الى الاتجاهات العلمية الحديثة والمناهج التجريبية في تفسير السلوك الانساني عامة.
والمراجع للفصول السابقة من هذا المؤلف يلمس تماما كيف أن جميع الاتجاهات العلمية كانت لاتستغني عن الالمام بطرف كبير او صغير مما توصلت اليه مدرسة التحليل النفسي من مفاهيم ، وكلها ، حتى تلك المدارس التي اعتمدت أولا وقبل كل شيء على القياس والتجريب مثل مدرسة السمات أو اصحاب نظرية التحليل العاملي ، كانت تجد في مفاهيم مدرسة التحليل النفسي ملاذا طيبا لتفسير السلوك ودينامياته ، ولكنها تعالج هذه المفاهيم باسلوبها الخاص . ولم تختلف في ذلك المدرسة الفرضية عن المدرسة المعروفة باسم مدرسة « اصحاب نظرية السمات » أو « نظرية التحليل العاملي » الا في تحديد المفهوم ، واسلوب الكشف عنه او قياسه .

ولقد جاءت المدرسة الجديدة لتفيد من اتجاهات هذه المدارس جميعا في تفسير الجناح والعصاب ، لذلك تعتبر المدرسة الاولى التي اعتمدت على اسلوب التجريب كما ابرزته ووجهت الفكر النفسي اليه المدارس السلوكية عامة ، كما انها ادخلت مفاهيم مدرسة التحليل النفسي ولكنها خلعت عليها معان جديدة اشتقتها من معاني التعلم ونظرياته ، كما اخضعت الكثير من هذه المفاهيم ، كالصراع النفسي وغيره للتجريب المعملي ، ولم تقف عند هذا الحد بل انها ، مسايرة منها لمفهوم الواقع عند أصحاب التحليل النفسي ، اهتمت بدور وأثر الاجتماع البشري كما يتمثل في الاسرة ثم المجتمع في خلق انماط

السلوك وتطور ديناميـاته ، باعتبارها مجالات الاجتماع البشري التي منها تنطلق المؤثرات الثقافية التي تؤثر في السلوك الانساني . لذلك عنيت دراسات هذه المدرسة بالضغوط الاجتماعية ودورها في خلق الاضطرابات السلوكية عامة .

ولعل مما يميز آراء انصار هذه المدرسة اهتمامهم بتأثير المجال الانساني، الاجتماعي على السلوك خاصة في مراحل التكوين الاولى للشخصية في الطفولة ؛ وعلى اخص الخصوص منها تأثير العلاقة بين الطفل والوالدين في تطور ونمو الاضطرابات السلوكية ، وذلك اثناء عملية التطبيع الاجتماعي ، وهي العملية الاجتماعيـة النفسيـة ذات الاثر البالـغ في تطور ديناميـات السلوك فـي سوائه وانحرافـه .



الفصل السابع

المدرسة السلوكية الجديدة وديناميات الجناح والعصاب

مقدمة :

تعتبر آراء هذه المدرسة بوتقة انصهرت فيها الكثير من آراء المدارس الاخرى التي سبقتها ، انصهارا حاولت ان تكمل به كل نقص في الاطار النظري لبحث مشكلة الشخصية على العموم ، ومشكلة شخصية اللاسويين على وجه الخصوص . فالمستعرض لتفسير كل نظرية من النظريات التي سبق عرضها يجد ان كل واحدة منها قد اهتمت ببعد من ابعاد الشخصية دون الآخر ، أو اهتمت بالحصر والقياس للسمات دون دراسة العلاقة بين هذه السمات ، أو عنيت بالناحية الدينامية دون ابراز اثر العوامل الثقافية في خلق وتكوين ديناميات سلوك الفرد الخ ...

اما النظرية الجديدة ، نظرية السلوكية الجديدة او المدرسة السلوكية الجديدة فانها حاولت أن تتلافى هذه النقائص ، وتضع اطارا جديدا في تنظيمه، قديما في عناصره ، يمكن في داخله دراسة الكثير من العوامل المحددة للشخصية.

والنظرية الجديدة التي يسميها مورر « النظرية الديناميكية للشخصية » تستمد أغلب مسلماتها من مصادر ثلاثة : ١ ـ نظرية التحليل النفسي ٢ ـ سيكلوجية التعلم ٣ ـ الاجتماع البشري والمجال [1] .

ومن اهم المسلمات التي تعتمد عليها النظرية الديناميكية :

١ ـ سلوك كل الكائنات الحية وظيفي مع اختلاف في مفهوم وظيفة السلوك عند اصحاب هذه المدرسة عنها عند اصحاب نظرية الفرائز .

---

(1) Mowrer, O. H. The Psychodynamic Theory. In. Hunt. Mc. V. J. Ibid. P. P. 69 - 70 .

٢ ــ السلوك دائما يتضمن صراعا وتذبذبا او تأرجحا من نوع ما .
٣ ــ السلوك يفهم فقط في علاقته بالمجال ، او المحتوى الذي يحدث فيه ، والمجال هو كل مايتدخل او يؤثر في سلوك الفرد . فخبرات الفردالطفلية جزء من المجال .
٤ ــ كل الكائنات الحية تهدف وتحاول ان تحقق اعلى درجات التكامل أو الاستمرار الداخلي .

ولقد ابرزت هذه النظرية الكثير من المفاهيم او اوضحتها على اساس علمي تجريبي يختلف كثيرا عن الاساس الذي بنيت عليه نظريات مثل نظرية التحليل مثلا . ولعل من اهم ما ابرزته هذه المدرسة ، الطريقة التي نتعلم بها السلوك المنحرف ودور التنشئة الاجتماعية واسلوبها في تعلم هذه الانماط اللاسوية من التوافق او التكيف الخاطىء ، كذلك حددت هذه النظرية في ضوء ذلك مفهوم القلق تحديدا جديدا من حيث انه اولا سلوك متعلم يصبح بعد ذلك دافعا ثانويا ، ويلعب دور المتغير المتوسط في تعلم وتثبيت الكثير من العادات اللاسوية .

عنيت هذه المدرسة ايضا بتغيير حدود ومفاهيم كثيرة كانت مرتبطة ببعض التعريفات العلمية القديمة مثل الضمير او الانا الاعلى ، ثم مفهوم عمليات مثل الحيل المرضية اللاشعورية كالتراجع او الكبت وغيرها في ضوء الاطار النظري الجامع الجديد ، فاعتبرت هذه عادات سلوكية تتعزز باستمرار خفضها لتوتر القلق ، باعتباره الدافع المكتسب ، والمتغير الوسيط .

ويجدر بنا هنا أن نستعرض اهم النقط التي نرى انها تخدم الغرض العام في هذه الدراسة من نظرية المثير والاستجابة أو آراء السلوكية الجديدة .

التعليم والانحرافات العصابية والجناحية :

لقد فسرت هذه النظرية اشكال السلوك اللاسوي المختلفة ، أعراضه ، وحيله المختلفة على أنها اشكال من الاستجابات المتعلمة ، وهو نفس موقفها من كل مقومات الشخصية على العموم .

فالشخصية هي ما يكون عليه الفرد في الواقع دون نظر للحكم او المفهوم البيو اجتماعي للفرد او المفهوم الخاص بشهرته « تأثيره الاجتماعي » على الآخرين . ولهذا فالشخصية تفهم من تأثيرها بما اكتسبته من أنواع من الاستجابة في نواح ثلاثة :

١ ــ تأثيرها على الفرد ٢ ــ تأثيرها على الغير ٣ ــ تأثيرها على البيئة غير الافراد .

فأثر الاستجابة على الفرد هو ما يناله نتيجتها من ثواب او عقاب يأتيه

من أثرها على الغير ، وهذا يؤثر في درجة ثبات الاستجابة وجعلها استجـابة تكامليـة « Integrative » .

واصحاب هذه النظرية لاينكرون أن كل شخصية لايمكن ان تكون موضوعا لبحث علمي الا اذا كان للفرد بالضرورة « قيمته كمثير في البيئة الاجتماعية » « Social stimulation » بدرجة تمكن الدارس من دراسة هذه الشخصية ، ولكن مع ذلك هذه الناحية ليست الشخصية في تكونها ، بقدر ما تتأثر الشخصية في نموها وتكوينها من اثر المكافأة او العقاب لما يقوم به من افعال تعود آثارها على نفسه هو (١) .

ولقد اهتمت هذه النظرية في تفسير العصاب والجناح بالمبادىء العامة لنظرية التعلم وهي التعزيز او التدعيم واثر التغيرات الانفعالية المتوسطة في تعزيز وتثبيت العادة اللاسوية حين تؤدي الى خفض التوتر الانفعالي ، كذلك اهتمت هذه النظرية بالطرق التي يتعلم بها الفرد الاستجابات العصابيـة ، أو الجناح ، ورأت أنها لا تخرج عن طريقتين او نظريتين :

آ ــ التعلم عن طريق حل المشكلة وهــذه تتضمن الجهاز العصبي المركـزي والجهاز العقلي والمفصلي وتؤدي هذه الطريقة الى تعلم هذه الانماط من الاستجابة الارادية التي تعتبر ادوات الفرد في حياته والتي نسميها الافعال « Acts » او العادات « Habits » .

ب ــ التعلم عن طريق الاشــارات « Signs » وهي على العكس من ذلـك تتضمن الجهاز العصبي اللاارادي والانسجة الحشوية الداخلية وينتـج عنها تلك الاستجابات اللاارادية التي نسميها «الاتجاهات» « Attitudes » والمشاعر « Feelings » والمعاني « Meanings » .

والطريقة الاولى هي الطريقة التي طورها « ثورنديك » وعدلها « هــل » وتعتمد على قانون هام هو قانون «الاثر» « Law of effect » أما الطريقة الثانية في التعلم فهي الطريقة التي كشفها بافلوف والتي تهتم بقانون الاقتران الشرطي « Conditioning » (٢) .

والواقع ان النظرية السيكوديناميكية ، أو نظرية السلوكية الجديدة قـد حاولت ان تجمع بين هاتين النظريتين في التعلم في تفسير العصاب والجناح . واهتمت لذلك بكثير من المفاهيـم التي تفسر عملية تعلم اشكال معينة مـن الاستجابة ، الى جانب قانون الاثر والارتباط الشرطي حين حاولت تفسيـر العصاب خاصة على انه استجابة او مجموعة استجابات دعمت لانها تلعب دورا

(1) Mowrer, O. H. : In Hunt Mc. V. J. : Ibid. P. P. 76 - 78 .

(2) Mowrer, O.H. & Twenty other Contributors : Psychotherapy Theory & Research. The Ronald Press Comp. New york, 1953.P.140,

وظيفيا في تخفيض مستوى التوتر ، او لانها استجابات شرطية دعمت بالتكرار واقتران مثيرات شرطية « Cues » أو اشارات ودلائل « Signs » بمثيرات ما في موقف معين استدعى هذه الاستجابة اللاسوية او تلك .

وفي مجال التعلم تهتم النظرية دائما بقانون الاثر ، أو المكافأة الذي يأخذ شكلا معينا في عملية التطبيع الاجتماعي ، والذي يعتبر في نظر هذه النظرية الثواب أو العقاب الذي يصطنعه الآباء او من يلعبون دورهم في عملية تنشئة الطفل اجتماعيا .

هذا هو باختصار الاطار العام للنظرية ، وفي حدود هذا الاطار تفسر النظرية نمو وتطور ديناميات العصاب والجناح .

العصاب والنظرية السلوكية الجديدة (١) :

العصابي في رأي اصحاب هذه النظرية شخص فشل في تعلم المهارات الضرورية للعلاقات مع الغير ، بما فيها الاستجابات الانفعالية ، والانفعالات المتوسطة في مركزها من السلوك ، والتي تعتبر ضرورية ليستطيع الفرد أن يقوم بنجاح بدوره في الانشطة التي يطالبه بها المجال الاجتماعي الذي يعيش فيه ، وبمعنى آخر نجد العصابي (أو الشخص الفاشل في توافقه) يبدو انه ناقص قاصر في تعلمه الاجتماعي . فالعصابيون اشخاص فشلت طرق تطبيعهم الاجتماعي ، او لم تحسن البيئة اعدادهم للحياة الرغدة السوية في المجتمع ، او لم تعلمهم ان يربطو انفسهم بطريقة فعالة للجماعات المختلفة التي يتمسكون بعضويتهم فيها ، او بأفراد آخرين يتبادلون معهم العلاقة المشبعة المعززة المدعمة للسلوك الاجتماعي .

وليس من شك ان فكرة التفاعل بين الفرد والغير هذه كوصف للشخص العصابي اصبحت فكرة شائعة مأخوذ بها لدى جمهرة من العلماء الآن ، لتحديد مفهوم العصاب ، وهي تعكس نفس آراء « كاميرون » (٢) وساليفان « Salivan » ومــاي « May » وكوتو « Coutu » وغيرهم .

ولا يمكن ان تفهم معنى العصاب الا اذا حاولنا ان نفسر طبيعة التعلم القاصر الناقص الذي يؤدي الى عدم الكفاية في العلاقات الانسانية بين الافراد .

كيف يتعلم الفرد ان يسلك بطرق لا تتفق ومركزه كشخص في مجتمع ؟

ان اصحاب هذه النظرية يرون ان الاجابة على هذا السؤال يجب ان

---

(1) Mowrer, O. H. : Psychotherapy, Theory and Research. The Ronald Press Company. New york. 1953 . P. P. 127 - 133 .

(2) Cameron, N. : The Psychology of Behavior Disorders. Ibid.

تحملنا الى السنوات الاولى من حياة الفرد وخبراته الأولى فيها ، والتي تظل مستمرة في تاريخ حياته خصوصا تلك التي تتعلق وتتضمن علاقاته داخل الاسرة .

ان الطفل يصبح كائنا انسانيا بعد ان يتعرض لمجتمع من الاشخاص اصبحوا هم من قبل انسانيين ، وبالاضافة الى ذلك فان عملية تحويله الى كائن انساني تتضمن وتحتاج فترة طويلة يكون الطفل خلالها معتمدا على الغير في اشباع دوافعه الاولية الحيوية ، وهذا هو المسرح الذي تتطور عليه وتنمو مجموعة من الاستجابات الانفعالية لاشخاص يصبحون هم بدورهم عوامل تحديد لها اهميتها في تعزيز السلوك الاجتماعي الذي ينجم عن ذلك . ومن أهم هذه الاستجابات الانفعالية « القلق » ولا بد لكي نفهم كيف يتعلم الطفل القلق كنتيجة لاحتكاكه بوالديه أثناء عملية التطبيع الاجتماعي ، لا بد ان نوضح النقاط الآتية :

أولا ـ ان من العناصر الاساسية في القلق الخوف وهو استجابة متعلمة مشتقة من الالم ، وهذا هو ما ثبت من التجارب العديدة التي أجراها ملر ودولار وماي التي شرحت كثيرا مشكلات تعلم الخوف [١] فالمثيرات التي تقترن بخبرات الالم تصبح لها القدرة على استثارة المكونات الانفعالية لاستجابة الالم . وهذه الاستجابة التي يطلق عليها لفظ « خوف » والتي تعتبر جديدة ومكتسبة تعمل كمنشط لاشكال اخرى من السلوك تستمر حتى تصبح المثيرات التي نشطتها منعدمة الاثر بطريقة ما او يستطيع الكائن الهروب منها [٢] . وفي أثناء سلوك الهرب من مصادر الالم يتعلم الفرد أن يستجيب لكل المثيرات التي اشتركت مع هذه المثيرات او اقترنت بها بنفس استجابة الالم السابقة وهي الهروب . وتعتبر المثيرات المقترنة هذه هي الدلائل « Cues » المثيرة لنفس الاستجابة الانفعالية او الدافعة للسلوك حتى عند غياب دافع الالم الفطري الاولى ، وبنفس الطريقة يتعلم الاطفال ، بعد ان يخبروا نوعا من الالم من شيء معين مؤلم كالموقد مثلا ، يتعلمون كيف يخافون من هذا الشيء ، وتصبح الدلائل مثيرات للخوف ، الذي يقوم بدوره باستثارة اشكال من السلوك تبعده عن الموقد مثلا .

هكذا نجد ان الخوف استجابة مكتسبة عن طريق العقاب ، وله طبيعة التوقع ، ثم هو بعد ذلك له قيمته كدافع لسلوك ما . ومن الناحية الذاتية هو خبرة غير سارة ، غير مريحة .

أما فيما يختص بالقلق ، فان ما يصدق على الخوف ، ينطبق عليه تماما

---

(١) راجع ايضا (1) Maier, N. R. : Frustration. Ibid .

(٢) تراجع تجارب الفئران في الحجرة البيضاء السوداء واستعمال الصدمة الكهربائية ـ مرجع سابق .

وبدون أي تغيير اللهم الا أن هذه المدرسة تقول ان الدلائل الرئيسية هنا والتي تثير الاستجابة هي النزعات الى الفعل او القيام بعمل بطرق ممنوعة سبق ان تعرضت للعقاب . هكذا يختلف القلق عن الخوف اساسا في أنه استجابة لمثيرات داخلية اكثر منها خارجية ، ولا يتضمن لذلك خطرا موضوعيا ، وان العقاب الذي يتوسط اكتسابه هو أي عقاب يتعرض له الفرد اجتماعيا ، ويكون المصدر الرئيسي هم الآباء او من يقومون مقام الآباء .

ولكي نوضح هذا ، يؤكد علماء هذه المدرسة ان الافعال التي تتضمن عدوانا او جنسا أو تواكلا او بحثا عن علاقات حب ، تفرض عليها في كل الحضارات والثقافات الراقية ، من الحدود واشكال التحريم ما يجعل التعبير عنها غير مطلق او محدد بحدود ما . يعني ان كل فعل يرتبط بهذه النواحي يجب ان يأخذ اشكالا تقرها الثقافة ، ونظرا لان هذه الافعال تعتبر في مرتبة عالية من التنظيم الهرمي للاستجابات عند أي فرد ، فانها تكون أكثر تعرضا لعمليات التنظيم الاعنف . ومن اكثر ما يصطنعه الآباء عامة أنهم يعاقبون مثل هذه الاستجابات اذا ظهرت بغير الاساليب أو الطرق التي تقرها الثقافة . وهكذا نجد ان النزعات الجنسية القوية نسبيا ، والتي يتكرر حدوثها في صورة رغبة او نزعة الى عمل جنسي ، او مثيلاتها من النزعات العدوانية ترتبط بالعقاب الذي يفرضه الآباء ، وبهذا تصبح مثيرات للقلق .

ثانيا — يستتبع ذلك أننا نجد انه مما يسير مع هذه المعاني الخاصة بنظرية الترابط والاقتران التي تفسر تطور تكوين « القلق » ان يصبح الآباء مقترنين أو متزاوجين مع العقاب في خبرات الطفل ، وبالتالي يصبحون دلائل الخوف ، وهذا هو الاساس الاول لما يعرف عن « التذبذب » الانفعالي أو التأرجح الوجداني او ازدواج العاطفة في ثقافتنا !؟ وهي ظاهرة ليس من السهل أن نتحاشى حدوثها . فالآباء — ماداموا هم مصدر العقاب والمكافأة ، ونظرا لانهم يقترنون بخفض دوافع الاطفال عن طريق مايبدونه من عناية ورعاية لشؤونهم ، ولانهم في نفس الوقت مثيرو دوافعهم للخوف عن طريق العقاب ، فان مما لابد منه أن يصبحوا محبوبين مرغوبا فيهم من جهة ومن جهة اخرى يخافهم الطفل ويكرههم ، وبقدر ما يوقعون على الطفل من عقاب ، وبالتالي يصبحون موضوع خوف وكراهية ، بقدر ما يزيد احتمال استجابة الطفل استجابة البغضاء والحقد لهم . ولكن كراهية الآباء ، هي ذاتها كما يبدو ، واحدة من اكثر اشكال العدوان تعرضا لاقسى انواع العقاب . وبذلك وامام هذا الاتجاه ، تعود عملية اكتساب القلق الى الوجود والحركة من جديد .

ثالثا — نجد أن الصورة العامة تزداد تعقيدا عندما تبدأ عملية جديدة هي عملية الكبت . فنظرا لان القلق يتحول مرة ثانية ويصبح له خصائص الدافع ، فانه يكون دافعا لبدء العديد من اشكال السلوك ، التي تميل لان تستمر حتى يختزل المثير غير المريح . أما عدد الاستجابات المحتملة فانها تحدد

بذلك الواقع المعروف ، وهو أن المثيرات هي النزعات وليست دلائل خارجية .
وهنا يصف فرويد ثلاثة طرق يمكن ان تستعمل في مواجهة هذه النزعات :

آ ـ الهروب من المثيرات التي تستثير النزعات وتحاشيها .
ب ـ الاتهام او المحاولة الارادية لقمع النزعة .
جـ ـ الكبـــت .

ويلاحظ ان الطريقة الاولى مستحيلة فلا يمكن في حياتنا الاجتماعية أن يبتعد عن كل ما يثير الجنس او العدوان ، أو البحث عن الجنس في مواقف حياتنا الاجتماعية ، اما الرفض الارادي او محاولة قمع النزعات على أساس من القدرة على الحكم والاستدلال والتفكير ، فان ذلك يحتاج لمستوى من النضج العقلي والقدرة على التمييز ، وهي مؤهلات لاتكون قد تحققت بعد للاطفال وخاصة في المرحلة التي تبدأ الثقافة فيها في فرض حدود السلوك على اطفالها عن طريق مندوبيها من الآباء او المشرفين ، وهي المرحلة من سنوات التكوين التي تمتد في حياة الطبقات الوسطى حتى نهاية المراهقة ، وفي حياة الطبقات الدنيا الى نهاية سن الطفولة تقريبا ، وهي كلها سنوات يكون فيها القلق استجابة انفعالية آخذة في التطور والنمو . هذا يعني ان عادة الكبت هي اكثر العادات احتمالا لانها هي الوسيلة المثلى لخفض التوتر ، توتر القلق من نزعات الفرد للجنس أو العدوان بأية صورة .

ان ما يقول به فرويد من أن « جوهر الكبت هو في انه ببساطة يقوم بوظيفة استبعاد شيء ما من الشعور » يمكن ان يقوم اساسا جيدا لتفسير الكبت ، ولكن على شرط ان نضع تعريفا محددا للشعور ، وأن نحدد ما يجب أن يستبعد من الشعور ، وهنا يجيب فرويد بأن « الكبت يعني استبعاد ترجمة الافكار الى الفاظ تظل مرتبطة بالشيء » وهكذا يمكن ان نقول ان اللاشعور هو الجزء من النفس الذي لانعبر عنه ولا عن محتوياته باللفظ ، وان عملية الكبت هي « عملية استبعاد النوازع التي تنشط القلق المؤلم وتثيره من الحصيلة اللغوية » وهكذا تكون وظيفة الكبت ان يصبح الفرد غير قادر على ان يقول بطريقة صريحة او بالكلام الضمني « بالافكار » عبارات مثل « أرغب في تعبير او اشباع جنسي رغم تحريمات الآباء » أو « اكره أمي » . وما دام الشعور يتكون من الرموز اذن ففي حالة الكبت بمعناه السابق ، يكون الفرد أساسا على غير وعي بالنزعات الممنوعة ، وتكون الافعال المحرمة مما لا يمكن ان يتحقق، وبذلك يتحاشى الفرد العقاب . وبذلك ايضا تصبح عملية تعزيز الكبت عملية ذات جاذبية كبيرة في سلوك الفرد .

في هذه الحالة اذا كان الكبت تاما ، وهذا امر مستحيل ، ومستمرا ، فان الامر لايصبح موضوع اهتمام النفساني او المشتغل بالعلاج النفسي ، فما دام يحدث بطريقة آلية ودون جهد ، فانه يصبح وسيلة مثالية لمعالجة مشكلة القلق ، الا انه من المهم هنا ان نذكر ان الكبت لايمكن ان يكون تاما ، فان الكثير

من الدلائل يمكن ان تهرب من نطاق الكبت ، وبذلك يخبر الفرد القلق ، ولو أن مصدره الاصلي يظل غامضا ، وهذا هو ما يعطي للقلق عادة خصائصه المميزة على انه « انزعاج ورعب » أو « خوف من لاشيء » وهذا بدوره يشرح ما يتكرر ذكره على السنة العصابيين من ان خوفهم غير منطقي ، وبمعنى آخر يرتبط باشياء يعرفون هم انفسهم انها لاعلاقة لها بالموضوع ، ولكنه قوي بدرجة لايمكن التحكم فيه ، وهذا ايضا مما يفسر حدوث القلق الهائم الطليق المنتشر « Free Floating » او مايذكره المرضى بالعصاب من عدم الارتياح الشديد دون سبب ملموس . كيف يحدث ذلك ؟

ويفضل شوبن ان يعرف اللاشعور في هذا المقام بأنه استبعاد الرموز المرتبطة بالخبرة ، وهو مفهوم اوسع من استبعاد الكلمات فحسب . وهكذا نجد الفرد العصابي والفرد العادي عامة ، كل منهما يبدو غير قادر على ان يعبر باللفظ عن نزعاته الجنسية ، ولكنه قد يمارس احلاما تثير القلق ، عندما يكون فيها من المحتوى الجنسي ما قد يكون مقنعا بدرجة او اخرى ، وقد لايستطيع ان يفصح عن اندفاعاته ونوازعه العدوانية او يطلقها ، ولكنه يشبعها بأن يلاحظ عدوانا ما بصورة او اخرى كالمصارعة او الملاكمة ، وهكذا نجد أمورا كثيرة قد تصبح لها قيمة رمزية وتكون بذلك مثيرا للقلق ، بطريقة تؤرق حياة الفرد . وبينما نجد النزعات المحرمة مما قد ننكر عليها ان تتمثل في اللغة ، فانها قد تدخل الشعور عن طريق مجموعة من الادلة او الرموز غير اللفظية ، كالرسم او الملحة او غيرها .

ثم ان النزعة قد تتضمن دلائل غير لفظية لم تتعرض للكبت ، فالاستجابات الحركية الاولى والمثيرات السابقة لادراك النزعة والمرتبطة بالافعال المحرمة ، قد تثير القلق ، حتى ولو كانت النزعة نفسها مما لا يمكن ان نحدده او نعرفه ، فاذا حدث هذا ، فان عدم الارتياح بسبب القلق يزداد تعقيدا وتعمقا ، نتيجة عدم قدرة الفرد على ان يتعرف على مصدره .

امام هذه الاحتمالات ، يبرز لدينا سؤال وهو : لماذا يظل الكبت على قوته؟ ان الاجابة على هذا السؤال ، كما يبدو ، تتضمنها حقيقة ان الكبت يختزل القلق ، ويختزله مباشرة ، هذا ما يحتمل حدوثه عندما يمكن اختزال قوة المثير الداخلي او استبعاد القدرة على التعبير اللفظي عن نزعة معرضة لان نعاقب عليها ، الامر الذي يجعل من غير الضروري ان يذعن الفرد لرغبة محرمة ، وبذلك يكون من المحتمل ان تفقد النزعة بعض قوتها ، وبالتالي يصبح القلق الذي تستثيره هذه النزعة اقل قوة ، هذه الطريقة التي تتبع لبتر أو خفض قوة النوازع غير المرغوبة او التي لايقر المجتمع الفعل الناجم ، عنها تكلف الفرد كثيرا لان خبرة القلق دون « سبب » هي في نفسها مصدر شقاء ومتاعب للفرد ، وعدم قدرة الفرد على التعرف على مصدر المتاعب وتحديده ، يجعل من الصعب جدا ان نقوم بأي محاولة لعلاج الاسباب ، وهذا يجرنا للحديث عن نتائج القلق .

نتائج القلق وديناميات العصاب :

ان ماننيه بالنتائج التي تترتب علي القلق هي الاشكال السلوكية للعصابيين ويمكن أن نلمسها فيما يلي :

آ ـ ان من اكبر صفات ومميزات من يعانون من القلق ، عدم الارتياح الاجتماعي ، فالعصابيون عامة يذكرون انهم غالبا غير قادرين على ان يشعروا بالارتياح مع أفراد من انواع شتى من الناس مثل ممثلي السلطة، أو مع اشخاص لهم مميزات جسمية معينة محددة ، أو افراد من الجنس الآخر . وعدم ارتياحهم هذا يكون بدرجات تختلف من فرد الى آخر ، وهم غالبا يذكرون ان عدم ارتياحهم وضيقهم هذا لايوجد له اساس موضوعي ، ولكنه رغم ذلك ضيق حقيقي وقوي . وفي حالات اخرى ، قد يحاولون تبرير مشاعرهم وذلك بأن يخلعوا على الغير سمات تبرز انعدام الثقة ، أو التشكك او الخوف منهم . هذا موقف يمكن ان نفسره عن طريق عاملين :

الاول ـ وهو الاحتمال القوي : ان الاشخاص الذين يثيرون الضجر هم انفسهم مثيرات للنزعات المعاقب عليها ، والتي كانت قد تعرضت لنوع من الكبت ، كما يحدث عندما يرفض شخص ما ان يستأجر امرأة جميلة لانها تسبب له ضيقا ، والواقع انها لاتعدو ان تكون مثيرا لنزعات جنسية[1] كانت قد سبقت في خبرته ، ولكن ابويه الشريفين فعلا قد حرما عليه التعبير اللفظي عنها ، وربما عاقباه على ذلك مرة ، بحيث اصبحت الفتاة مثيرا لقلق توقع عقاب مرتبط بنزعة الجنس .

الثاني : ان الخوف من الوالدين المعاقبين ، يمكن ان ينتشر ويعمم على الآخرين في ضوء الشبه في المظهر ، او السلوك بينهم وبين الآباء ، وهذا هو التطبيق العملي لقانون التعميم في حالات العصاب ، وهذا ايضا ما يعنيه اصحاب المدرسة السلوكية الجديدة ، بالعبارة التي لا يلبثون ان يكرروها : وهي ان الحياة الاسرية للفرد وعلاقاتها هي صورة مكررة لعلاقاته مع الآخرين فيما بعد .

ب ـ ثم ان الافراد الذين يعانون من القلق ، يميلون الى تعلم أو تنمية اعراض، أو أنواع من السلوك ينظر اليها عادة على انها غير ملائمة للموقف الذي يمارسها العصابي فيه ، هذه قد تتضمن العديد من الحيل مثل التبرير او الاسقاط او النكوص او الاحلال او النقل ، وقد تأخذ صورة أوسع لدى العصابي حين تبدو في شكل طرق شاذة في التعامل مع البيئة

---

(1) كثير من حالات العصاب التي سيوردها الكاتب في هذا المؤلف عندما يستعرض بحثا ميدانيا قام به كانت تعاني من قلق من هذا النوع .

الاجتماعية ، وهذا بدوره يعتبر النتيجة الحتمية للقلق الذي أصبحت له صفات ومميزات الواقع . فالافراد الذين يقعون تحت ضغط القلق يجب ان يعالجوا ذلك التوتر بطرق تتيح الفرصة للتنفيس عن ضجرهم، وتبعا لقانون التعزيز ومراتب التعزيز ، نجد ان الطرق التي يكون تكوينها اكثر احتمالا حتى تصبح في مستوى الفاعلية كعادة قوية ، هي تلك التي يسهل استدعاؤها . هنا يشير دولارد وميلر الى ان القلق يميل الى كف الاستبصار ، او القدرة على الحكم أو وضع الخطة ، ويسهل السلوك الذي لايقره الغير والذي يبدو سلوكا « غبيا » [(١)] وهذا هو ما تقول به كارن هورني عن القلق ، فالافراد الذين يعانون من القلق يتقلبون ، في نظرها ، بأي من الاشكال الثلاثة من السلوك وهي تلك التي تتميز بأحد الانماط الثلاثة : اما الانسحاب والتحاشي والبعد عن الغير ، او الهجوم والثورة على الغير او التعلق والالتصاق بالآخرين ومسايرتهم ، اولئك الذين يبدو انهم اكثر الناس قوة وسطوة ممن يحيطون بهم ، وهذه في اساسها تحدد الاتجاه ضد او نحو او بعيدا عن الآخرين ، وهي الاتجاهات التي تصبح جامدة ومتطرفة بل وتجعل السلوك يبدو مميزا للفرد بالغباء الظاهر . فالحب يصبح تعلقا والمسايرة تصبح خنوعا ، والهجوم يصبح كراهية وحقدا وغيرة وعدوانا ، وبنفس الطريقة نجد الفرد مدفوعا للثورة او البعد عن الغير دون ان يكون ذلك راجعا الى مشاعره الخاصة الحقيقية ودون أي اعتبار لعدم ملاءمة اتجاهه هذا للموقف المعين ، او لمستوى نموه .

هنا تكون درجة جموده وغباء سلوكه وانعدام بصيرته في اتجاهاته امرا يتناسب مع درجة شدة القلق الاساسي الكامن الذي يعتمل في نفسه « Lurking Within him. » .

ان النقطة الاساسية المركزيةفي هذا هي ان اصحاب المدرسة السلوكية الجديدة فسروا ذلك على ان الاغراض ذات المدى الواسع والمدلول الكبير في انتشارها وتاثيرها في علاقات الفرد الاجتماعية ، تتطور وتنمو حسب قانون التعزيز بصورة يمكن ان يطلق عليها « الحيل القاصرة لاختزال القلق » . « The shortsighted anxiety reducing mechanisms » .

وهذا هو ماكان فرويد يعنيه عندما كان يتحدث عن قابلية او احتمال

---

(١) راجع هنت في تحديد العصاب ودولارد وميلر كذلك في معنى الاستجابة الوترية الخاطئة المتعلمة نتيجة القلق او الاحساس بالاحباط والضغط .

(1) Dollard, J. Et Al. : Frustration and Aggression. Kegan Paul Inc. London. 1954 .

التبادل والتأرجح بين العرض والقلق أو ما أطلق عليه ظاهرة « Interchangeability of symptom and anxiety » .

ومما يترتب على القلق ، ان الكثير من العادات التي تضعف ذات الفرد اجتماعيا في حالات العصابيين تظل على قوتها لانها تعتبر وسيلة مباشرة لتخليص الفرد من ضجره وعدم ارتياحه بسبب هذه الحالة الدافعة المكتسبة ، فبدون الاعراض ، يصبح العصابي فريسة عاجزة لحالة انفعالية طاغية يشعر امامها بالعجز ، اما اذا استمر على التمسك بأعراضه ، فانه يمكنه على الاقل أن يقلل من قلقه وتوتره الانفعالي .

وباختصار فان العصابي شخص يكتسب بدافع من القلق ، استجابات تكون هي في ذاتها اكثر ايلاما وعقابا او مثيرة للدافع نفسه اكثر من كونها استجابات مثابة او مختزلة للدافع . ان السلوك العصابي ، نظرا لانه يستمر فعالا حيث يكون عاملا من عوامل الاختزال المباشر او المخلص المباشر من القلق ، نجده يوقظ الشعور بالعقاب بطريقتين :

أولا — انه يفشل في الحيلولة دون ان يخبر الفرد الضجر والآلام الانفعالية حين يميل القلق لان يهرب من الحدود الموضوعة وان يبدو واضحا في ما يشعر به الفرد من عدم الارتياح الاجتماعي .

ثانيا — مادامت الاستجابات العصابية لاتكون متناسبة مع ظروف الفرد الاجتماعية ، حين تأخذ صورة الالحاح في المطالب بصورة قهرية أو الانسحاب من علاقات الحب والمودة والعدوان ، او الانعزالية أو تحاشي المسؤولية نحو الآخرين ... الخ . فانها تحول دون المنافسة في اداء الفرد او نجاحه في علاقاته بالآخرين ، ولكن الانسان اولا وقبل كل شيء كائن اجتماعي ، كنتيجة طبيعية لتواكله الطفلي المستمر ، ولاستمرار تعرضه لعملية التطبيع الاجتماعي ، والواقع أن كل مكافآته تكون مطبوعة بطابع اجتماعي ، وكل قيمه تكون محسوبة على اساس اجتماعي ، وان مجرد وجوده وانسانيته مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمجتمع ، فاذا كان يبدو غير متوائم اجتماعيا بسبب القلق الذي يعانيه ، وما يترتب عليه من نتائج تفقده فاعليته في حياته في التجمعات الاجتماعية ، فانه لا يملك أن يتحاشى ما يقاسيه من نتائج النبذ ، أو الشعور بالوحدة ، وهنا يكون احباط هذه الحاجات ذاتها والتي تكونت وتمت في أثناء عملية تطوره سببا في استمرار معاناته وتوتره ، وهناك مالا حصر له من الحالات الاكلينيكية التي اكدت فيما ذكره العصابيون هذه المشاعر .

وهكذا نجد اصحاب هذه النظرية يحاولون تصوير وتحديد العصاب في ضوء الضغوط المختلفة التي تأتي من البيئة ، فاصوله الاجتماعية في داخل الاسرة وغيرها من الجماعات الاولية الاخرى التي يتعرض لها الطفل في حياته الباكرة ، ونتائجه الاجتماعية تظهر عندما تؤثر فيما يلي ذلك من سلوك وعلاقة بينه وبين الآخرين .

هكذا تحاول هذه النظرية ان تشتق المبادىء التي تفسر كيف ان هذه الخبرات ينتج عنها النمط العصابي من السلوك ، تشتقها من الدراسات العملية للتعلم الشرطي والتعلم عن طريق تكوين العادة .. وهذا يتضمن ما يسلم به الجميع من استمرار بين الانسان وغيره من الحيوانات وهو ما يميز علم الاحياء الحديث ، ولا يحتاج الامر بعد ذلك لوضع مسلمات جديدة لاداعي لها على اساس ان الحقائق والمعطيات المتعلقة بالحياة البشرية هي ما نعتبرها الى حد ما ظواهر مستمرة او مكملة لتلك التي نحصل عليها من الاصول الوراثية الاخرى .

كذلك نجد ان هذه النظرية تقدم خدمة كبيرة حين تريح الباحث النظري ، او من يستفيد من النظرية في المجال العملي والتطبيقي ، من ان يرجع القهقري الى تلك المفاهيم القديمة التي يصعب تحديدها كالهي أو الأنا او الأنا الاعلى ، أو الطاقة النفسية [1] ، وأمثالها ، وتقوم بتحديد هذه المفاهيم تحديدا سلوكيا اجرائيا في ضوء نظريات التعلم والمجال البشري الذي يعيش فيه الفرد .

اعتراضات على النظرية :

يهم الكاتب في هذا المقام وقد اوشك ان يبدو واضحا انه يميل لان يتخذ هذه النظريــة اطارا فكريا عاما لهذه الدراسة ، ان يقدم اهم الاعتراضات التي تنهض كنقــد لهذه النظريــة والاعتراضات المختلفة يمكن ان نبلورها في ثلاثة :

الاول ــ ان هذه النظرية كتفسير للعصاب [1] تهدر فكرة الوحدة او الفردية في الحالات . وهذا امر يصعب قبوله ، فان الحالة التي تبدو فريدة ، تبدو غير قابلة للخضوع لاي بحث عملي او تجريبي بدرجة تجعل من غير الممكن ان نضع نظرية عامة للعصاب ، اما اذا كان يقصد بالفردية وجود فروق فردية بين الناس ، فهذا مما لايجعل ذلك اعتراضا على هذه النظرية ، ذلك ان هذه الفروق هي التي تجعل من الضروري ان نبحث عـن السبب في ان دراسـة العصاب تحتاج لتفهم الظروف الاجتماعية التي ينتج العصاب في ظلها كمـا تحتاج لدراسة قوانين التعلم . انه لايعني على اية حال ان هذه الظروف لايمكن ان تصنف بطريقة مفيدة لها معناها ، وهذا بدوره لايهدر معنى ان قوانين التعلم عامة مشتركة في كل الحالات .

والاعتراض الثاني هنا يقوم على اساس ان النظرية لاتهتم كثيرا بالشعور بالــذنب ولا بما يبــدو على العصابيين من الاشارة او الرجــوع الى الــذات « Self reference »وهنــا يؤكد هــل ان هــذه ظاهرة واضحة حين يعبــر العصابيون عن احساسهم بالذنب ومشاعر الاثم في كل مناسبة ، كما يكثرون من تحقير انفسهم واتهامها ، ولكن هذه النظرية لاتنكر ذلك ايضا ، ولكنها لــم

---

(1) Psychic energy .

تنوه اليه صراحة ، لان اصحاب هذه النظرية لايجدون اختلافا كبيرا بين القلق والشعور بالذنب من حيث وظيفة كل منهما ، فكلاهما يمتاز بصفة التوقع ، وكلاهما له مميزات الدافع ، وكلاهما يكتسبه الفرد على اساس العقاب ، وكلاهما له دلائله ومثيراته من النزعات التي تحفز الفرد للعمل او الفعل بطريقة محرمة . إن الفرق الوحيد الذي يمكن ان نلمسه هو فرق في التعبير باللفظ . ففي الشعور بالاثم يتحدث الفرد عن نفسه على انه تعدى بعض الذي يحرمه ابوه ، اما بنشاط صريح ، او بمجرد الرغبة ، ويخلع على هذا التعدي السبب في عدم ارتياحه الانفعالي ، وفي حالة القلق يكون الفرد ، بسبب عملية الكبت ، غير قادر على ان يحدد الاصول الحقيقية لاضطرابه الانفعالي ، فاما ان يؤكد انه لايعرف لماذا يشعر بما يشعر به ، او يربط بين هذه المشاعر المؤلمة ، القلق ، وبين اسباب لاعلاقة لها به ، ويبدو مقبولا هنا أن نرى ان الارتباط الذي يعبر عنه العصابي ، بين خبرة القلق ، وبين ارتكاب او الرغبة في ارتكاب الفعل المحرم ، أو لايمكن تفسيره كما يحدث في حالات من يعاني المخاوف المرضية الذي يربط بين خبرة القلق وبين خبرة انه لايجب ان يوجد في الظلام .

أما الاعتراض الثالث فهو يتعلق بما يراه الناقدون من خطيئة الاهمال حين يرون هذه النظرية تلغي مفهوم الضمير او الأنا الاعلى . وفي ضوء التأكيد الاجتماعي الشديد لما يجب ان يقدمه علم النفس من نظرية تقريبية تقرب مفهوم العصاب بصورة عملية للأذهان كما فعلت هذه النظرية ، نجد ان اهمال هذا المظهر من مظاهر الحياة النفسية امر يدعو للاهتمام .

ان السبب في الاستغناء عن هذه المفاهيم يتضمن في جوهره الامور الآتية :

- ان اصحاب هذه النظرية لايرون حاجة لتعداد المفاهيم دون ضرورة .
- ويرون انه من غير الممكن ان نفهم كيف ان ظاهرة الضمير يمكن أن تتحول الى مفهوم يمكن الدفاع عنه بعيدا عن الاستجابات الانفعالية التي ترتبط ارتباطا شرطيا بالمواقف التي تتضمن الاقرار أو الرفض الاجتماعي . ففي حالة وجود الاغراء « Temptation » ، فان الفرد قد يخبر ويمارس القلق الذي تعلمه مرتبطا بموضوع الاغراء ، وتعلم ايضا كيف يختزله بالطاعة واتباع المعايير الاجتماعية ولهذا يساير هذه المعايير ويتمسك بها ، وهنا نقول ان « الأنا الاعلى قوي » أو « قاس » . ومن ناحية اخرى قد يواجه الفرد نفس الاغراء او الموقف ذا الطبيعة الاغرائية ، ولكن لو سلمنا بانه قد بني عن طريق التعزيز مجموعة من الاستجابات لمثل هذه المواقف تتمشى مع المعايير الاجتماعية ، فاننا هنا نجده يساير « Conforms » ، ولكن الانفعال الوحيد الذي يمارسه هو انفعال اللذة أو الاستمتاع بالقيام بأعمال تكون في جوهرها مشابهة لتلك التي ذكرت في المثال السابق . هنا يقال ان الأنا الاعلى عنده « اجتماعي بدرجة عالية»

لكن الفرق الوحيد هو انه يتضمن الاستجابات الانفعالية التي يثيرها في الفرد موقف اجتماعي ما يتضمن حكما اخلاقيا او اجتماعيا . وهكذا يبدو واضحا انه ليس هناك ضرورة منطقية للتمسك بهذا المفهوم ، مفهوم الأنا الاعلى ، أي ان اصحاب هذه المدرسة يرون ان المفهوم القديم للأنا الاعلى يتضح بصورة سلوكية افضل لو فسرناه على انه نوع الاستجابة المرتبطة بموقف او نزعة عززت وقويت فأصبحت عادة .

ولقد اهتم العلماء الذين يأخذون بهذه النظرية بموضوع الثواب والعقاب وأثرهما في تعلم القلق ، اثناء عملية التطبيع الاجتماعي . الا ان الكثيرين من المشتغلين بالصحة النفسية للاطفال ومن كتبوا في اثر التربية الخاطئة في خلق العصاب يتحدثون كثيرا عن اسلوب آخر من اساليب التربية وهو اسلوب الاغداق ، او التسامح الزائد او الرعاية الزائدة وهو اسلوب اقرت الكثير من الكتابات النفسية ان له دورا كبيرا في خلق العصاب .

كيف يكون التدليل الزائد او الحماية والرعاية الزائدة عاملا من عوامل خلق العصاب او الاضطراب السلوكي ؟ هذا مانجيب عليه في دراسة نقدمها عن دور اساليب التنشئة الخاطئة في تعلم استجابات العصاب .

اساليب التنشئة الخاطئة وتعلم الاستجابات العصابية :

يمكن في ضوء الاطار النظري العام لهذه المدرسة ان نفسر كيف يكون هذا الاسلوب من التربية القائم على التدليل والرعاية عاملاً من عوامل خلق العصاب . ان التدليل الزائد يعني احد المظاهر الآتية :

١ ــ حرمان الطفل في أثناء تنشئته من الكثير من مظاهر التحرر والتلقائية والاستقلالية خشية تعرضه للأخطار ، وهو بذلك عملية تقوم على كف النزعات او الحيلولة دون التعبير عنها .

٢ ــ اشعار الطفل بالضعف وعدم القدرة سواء كان ذلك بطريقة ضمنية عندما يقوم الآباء المدللون عنه بكل المسؤوليات ، أي مسؤوليات مهما كانت تافهة ومن صميم عمله حتى تركيب اللعبة ، او بطريقة صريحة عندما تربط الام بين كل الافعال التي يفكر او يرغب في القيام بها باخطار متوقعة او اضرار محتملة ، وهذا بدوره يكون عاملا من عوامل كف الفعل الصريح والربط بينه وبين مشاعر الخوف والقلق ، مما يدعو الى كبت كل رغبة او فعل او ميل لفعل ، لانه دائما يشعر بالخوف ، ويتوقع الفشل ولهذا تثير فيه كل نزعة قلقا ما [١] .

٣ ــ قد تقوم هذه الصورة من التربية الخاطئة على مبدأ آخر هو اطلاق العنان

(1) Cameron, N. : Ibid. : Ch. 9 . P. P. 269 - 274 .

دون حدود لمطالب الطفل ونزعاته ودون تدريبه شيئا فشيئا على تعلم تحمل احباط الحاجات أو بمعنى آخر على تعلم الاستجابة التوافقية في مواقف احباط الحاجات . فينشأ الطفل وقد تعلم ان كل نزعة يمكن التعبير عنها واشباعها دون الاهتمام بالاوضاع التي يمكن اعتبارها دلائل أو « Cues » أو « اشارات » « Signs » يجب ان يربط بينها وبين الفعل او الاستجابة ، من قيم او معايير سلوك يجب ان توضع موضع الاعتبار.

هذا النوع من الاطفال لا يلبث ان يضطر الى الانفصال عن الام بسبب الاوضاع الثقافيـة ، ولا يجد في المجـال الاجتماعي الجديد الا عوامل تكف استجابته لنزعاته ، أو عقاب يشعره بالالم ويثير فيه الخوف الـذي يرتبط بمصادر التعذيب والتطبيع ، كالمعلمين او الرؤساء في الورش او المصانع وغيرهم . وبذلك يصبح هؤلاء وأولئك مثيرات شرطية للقلق الذي يرتبط بكل نزعاتـه فيعود الى كبتها ، وهكذا تبدأ الحلقة من التعلم كما صورها شوبن [1] .

ولسنا نستبعد في هذا المقام دور العاطفة المزدوجة او التأرجح الانفعالي في العلاقات الوالدية حتى في موقف الاشباع/او الحماية هذا . ونحن حـين نتحدث عن الحماية والرعاية الزائدة ، لايجب ان نغفل ما يتضمنه هذا الموقف من الآباء من إثارة الكراهية والبغضاء في الطفل حين يحدون من حريته ، أو يقفون حجر عثرة امام رغباته وميوله النمائية ، ونزعاته المتطورة ، بل وعدوانه ورغباته الجنسية ، ذلك ان هذا الاتجاه الذي يقوم على الرعاية الزائدة يعني الحيلولة دون تحرر الطفل من سلطة هؤلاء الآباء وتأخير نزعاته الاستقلالية أو تعطيلها ، وهذا ما يثير في نفوس الاطفال الخوف من العقاب المنتظر – في صورة الحرمان من هـذا الحب ، أو الابعاد عن هـذه الرعاية – ان هم استسلموا لنزعاتهم ولم يعبأوا بالاوامر والنواهي التي توضع امامهم ويحددها هـذا الموقف من الآباء . وهكذا يتكون القلق ويتعلمه الطفل ، ويصبح بعد ذلك دافعا مكتسبا لاشكال من الانحراف تأخذ صورة النكوص ، وهو سلوك ايضا متعلم يعني استدعاء الاستجابات الاسهل في مواقف الاحباط عندما تواجه الطفـل المدلل مشكلات التوافق الاجتماعي لمستويات أفضل .

هؤلاء هم الاطفال العصابيون الذين يعانون من عملية التطبيع الاجتماعي الخاطئة ، والذين قد يصابون بالعصاب لانهم يمارسون لذة معينة تكون اكثر نسبيا من اللذة التي يحصل عليها من تعلم عادات جديدة ، عادات تتجه بـه نحو النضج المنشود ، ولهذا يتمسك الطفل بالعادات التي يكون قد ثبت عليها والتي تكون دائما استجابات معززة حيث كانت ولا زالت تخفض التوتر .

هؤلاء الاطفال تتعقد مشكلاتهم ، ويزداد قلقهم ، كلما تعقدت ظـروفهم

---

(1) Mowrer, O.H. : Psychotherapy, Theory and Research. Ibid.

الاسرية . .فالمقارنة بالغير ، وميلاد الشقيق الجديد ، واعطاؤه بعض الاهتمام وغير ذلك يعني شعوزا غامضا بخطر محدق بالطفل ، واحساسا بأن رغبته في الحب او حاجته الى علاقات حب متزايدة ، تلك النزعة التي كانت كل الاستجابات السابقة تؤدي الى خفض توترها كدافع ، اصبحت حاجة تلقى فشلا او عدم اشباع يبدو في ظاهره نوعا من العقاب او يدركه الطفل على انه كذلك ، فيزيد شعوره بالاحباط .ويتطور القلق المتعلم ويصبح دافعا يحتاج لاسلوب غالبا مرضى لخفض توتره .

هذا وقد يرتبط بهذه الحالة قصور في التعبير الرمزي او الفهم او الادراك الذي يعتبر عاملا هاما يجب ان يلعب دوره بين المثير والاستجابة في حياة العاديين الراشدين ، ويكون قصوره في حالة هؤلاء الاطفال عاملا له أثره في الاستجابة للمثيرات الجديدة في البيئة باستجابة انفعالية غير مريحة وهي القلق لعجز التعبير بالرمز عند الطفل عن ان يسعفه بأن يعبر عن انفعالاته في حديث . Talk out his emotions هذا القلق هو الذي يتطور وينمو من الرغبة العدوانية ضد الآباء الذين غيروا اتجاهاتهم نحو الطفل ، ولكنه يكبت كذلك ، ويزيد القلق الاول حدة ، ويصبح الاخير بالتالي دافعا جديدا لمزيد من الاستجابات العصابية التي تلعب دورها في التخفيض المؤقت من التوتر الناجم عن هذا القلق .

يصدق هذا التفسير ايضا على تعلم العادات العصابية في مواقف المقارنة بين الاطفال في درجة نجاحهم او تحقيقهم لمستوى معين من مستويات السلوك [1] .

ان عملية التطبيع الاجتماعي تستتبع نمو اتجاهات معينة يتعلمها الفرد مرتبطة بموضوعات معينة هم الآباء ، لان الثواب والعقاب يكون مصدره أولئك الافراد من الاسرة الذين يصبحون بعد ذلك مثيرات دافعة لها قوة الاشارة « Sign value » في حياة الطفل ودوافع السلوك ، ولهذا قد يتعلم الطفل كيف يبحث عن رضائهم ، او يهرب من المجال اذا غضبوا او يسلك السلوك المرغوب فيه ، او يستجيب للقلق بصورة اخرى مرضية تختزل مايثيره هؤلاء من توتر عندما يستبعد عن نفسه العقاب المتوقع مؤقتا بالطرق اللاتوافقية العصابية .

وكثيرا ماتحدث في مثل هذه الحالات صراعات يتعلمها الفرد الطفل عندما يبدأ عملية التقمص . ذلك ان الاتجاه الذي يتعلمه نحو أبيه حين يجد فيه موضوعا لاشباع حاجته لتوفر مصادر علاقات الحب ، يدفعه الى سرعة

---

(1) Mowrer, O. H. : The Psychodynamic Theory, and Behavior Disorders. In. Hunt, Mc. V. J. : Ibid. P. P. 103 - 104. 70 - 71.

تقمص شخصية الاب ، وهي عادة يعززها تلك العبارات التي تشيع في مثل هذا النمط من التربية . « اعمل زي بابا علشان بابا يحبك » ، وعندما يحدث في هذا المجال الاسري تعارض او تصارع بين الوالدين ، وكثيرا ما يحدث ، يكون الطفل في حيرة حين يتوقع عقابا غامضا من حرمانه من الام او الاب ، وهكذا تنشأ لدى الطفل صعوبات تعارض التقمص « Cross Section identification » ويحار الطفل أمام القلق الناجم عن الخوف من العقوبة أو الحرمان : من يتقمص ؟ ، وهكذا تبدأ الصراعات ويزداد القلق ، الذي يعتبر استجابة متعلمة مرتبطة بحاجته للبحث عن مصادر الحب حين تكون هذه النزعة مما قد يعرضه لتوقيع عقاب ضمني او صريح ، حين يحرم حرمانا خطرا – اذا تقمص أحد الطرفين – من حب الطرف الآخر الذي لايتقمصه ، او هكذا يتوقع .

هكذا تبين ان عملية التطبيع الاجتماعي هي المسؤول الاول عن خلق وتعلم العادات العصابية . واذا كنا نرى في عملية التطبيع الاجتماعي انها تتضمن عملية احباط بشكل او آخر ، فان هذا الاحباط مظهر ضروري في كل عملية تطبيع ، فالتأديب والتربية والتهذيب « Discipline » تتضمن عملية كف ، والكف يعني وينتج مشاعر احباطية ، والاحباط يعني عصاب ، كما يبدو واضحا من المعادلة العصابية لفرويد ، بحيث قد يشك في ان كل من يخضع لعملية تطبيع عرضة لان يصاب بأعراض العصاب .

ولكن التهذيب امر ضروري لخلق جيل سعيد سوي ، وكل فرد يمر بهذه المرحلة الانتقالية من الطفولة الى الرشد ، وفيها يتعرض للشدة والصراع والقلق ، ولكنه لا يلبث ان يدرك انه يحقق بذلك احسن سبل الحياة اذا ساير ما تتطلبه عملية التهذيب ، واستقر على مستويات معينة .

والشخص العصابي عكس ذلك ، هو فرد محتفظ بطفليته على الاقل ولو في بعض النواحي او يظل محتفظا بمراهقته في سن الرشد ، فهو شخص دون مرحلة اتمام التطبيع الاجتماعي « Undersocialized. » حيث أنه قد تعلم طرقا دفاعية ضد قلقه تلعب في حياته دور المعوض دون اندفاعه الطبيعي الى مستوى الرشد الصحيح السليم .

مع ذلك نجد ان الاحباط في عملية التطبيع الاجتماعي هو المسؤول عن خلق العصاب ، لانه يثير نزعات عدوانية ، تكون هي بدورها نزعات معاقبة او مرتبطة بعقاب متوقع . وتثير القلق .

ولقد أجرى علماء مثل ماير « Maier » وكلي « Klee » العديد من التجارب التي اثبتت ان الاحباط عامل هام من عوامل خلق السلوك اللاسوي وتطوره كما ظهر ذلك من تجاربهم على الفئران وان الاستجابات النمطية المثبتة هي الاستجابات الوحيدة لمواقف الاحباط او الفشل او الضغط ، الذي يخلق في الكائن حالة من الجمود تظهر في شكل التمسك بالنمط الخاطيء من الاستجابة .

كذلك أجرى علماء مثل هاملتون « Hamilton » وباتريش « Patrich » تجارب على الانسان ثبت منهـا ان استعمال الضغوط والحد من الحريـة والحرمان مـن الطعام في معاملة مجموعة من طلاب الجامعات كان نتيجتهـا اشكال من الاستجابة ظهر فيها ، نقص في المنطق ، مزيد من العشوائية نوع من النمطية او الاستجابة غير الهادفـة « Stereotyped. » عندما كانوا يتعرضون لاي استثارة انفعالية كذلك وجد من نتائج مثل هده التجارب ان المفحوصين من البشر كانوا يتعرضون للجوع وعدم النوم فترات طويلة ، وكان مما يظهر عليهم انواع من الهذاء ، ومشاعر الاضطهاد كما كان البعض يعانون من الهلوسات بانواعهـا [1] .

الجناح في رأي نظرية اصحاب السلوكية الجديدة

يتضمن الجناح في أغلب صوره نوعا او آخر من انواع العدوان يكـون صريحا حينا وضمنيا حينا آخر . هذا العدوان في الغالب هو استجابة الفـرد لمواقف احباطية حالت دون تحقيق الفرد لرغبة او دافع .

ولقد عرف « دولارد » « وميلر » « ومورر » وغيرهم الاحباط « بأنه تلك الحالة التي يتعرض لها الفرد عندما يكون قائما بسلوك هادف ، ويعترضه معترض ، وبذلك يشعر بالاحباط ، ويتبع ذلك سلوك عدواني أو نزوع نحوه ، فقد يهاجم الشخص المحبط مصدر الاحباط عمليا فعليا او لفظيا ، ويكـون السلوك العدواني هنا هادفا لازالة العائق ، ويتعزز هذا السلوك اذا نجـح بهذه الطريقة في اختزال القلق الناجم عن توتر الاحباط ، وهو توتر الحاجة أو النزعة غير المشبعة ثم توتر الشعور بالفشل تماما » .

ولكن هذا التفسير قد لا يفيد في تفسير سلوك العدوان على غير الهدف ، ذلك السلوك الذي حاول ماير ان يفسره في ضوء نظريته في الاحباط والسلـوك النمطي او الاستجابة النمطية . فهو يرى ان الاحباط ينجم عنه توتر مـا ، هو توتر ناجم عن عدم الاستجابة الهادفة او عن تعطيلها ، ثم هو ناجم عن عدم الوصول للهدف المشبع للرغبة او المؤدي للارتياح عند الكائن ، وينتج عن ذلك لجوء الكائن لاستجابات ، بعضها هادف احيانا ، يعني يسعى للتغلب علـى العائق ولكن الغالب انه يتعرض لتعطيل عمليات التمييز بسبب ما يعانيه مـن توتر ، ولذلك يستجيب استجابات قد تكون غير ذات هدف . والاستجابة غير الهادفة « Not goal oriented » من سمات الفـرد المحبط . فـالشخص المحبط حين يعتدي قد لايعتدي لازالة العائق ، ولكنه يعتدي لانه محبط ، فاذا كان عدوانه يصيب العـائق ويزيله فهذا امر ثانوي يحدث احيانـا بمحض الصدفة ، وبالرغم من ان العدوان الناتج عن الاحباط يكون موجها ضد العوائق،

(1) Maier, N. R. : Frustration. Ibid. P. P. 29 - 31 .

او مصادر الاحباط ، فان هذه الاستجابات لاتكون هادفة ، او موجهة لغاية ، ذلك انها لاتوجه للعائق الا لانه انسب الموضوعات للعدوان .

ويؤكد هذه الحقيقة القائلة ان العدوان - كاستجابة للاحباط - قد يستمر حتى ولو لم ينجح في ازالة العائق ، كذلك قد يتعدى العائق الى امور جانبية لاعلاقة لها بالعائق ، فالطفل الذي يعتدي على المجتمع نتيجة احباطات التربية الوالدية ، يستمر في عدوانه مادام الاحباط موجودا ، ويؤكد دولارد وميلر هنا أن من اهم نتائج العدوان على الفرد زيادة الشعور بالاحباط [1] .

كما يرون ان عدوان الفرد نفسه ، خاصة اذا كان موجها لغير مصدر الاحباط ، يزيد الشعور بالاحباط لسببين :

١ - انه لاينهي الموقف او يؤدي للتغلب على العائق ، فهو قائم لم يتأثر بعدوان الكائن المحيط .

٢ - وهو ايضا عدوان من الفرد قد يثير فيه صراعات واحباط آخر من قلق يثور لارتباط العدوان عامة بالعقاب يتوقعه او يتوجسه .

وبذلك يكون الكائن المحبط في دوامة مستمرة من التوتر والشعور بالاحباط والقلق المستبد .

ونحب ان نشير الى ان ميلر ودولارد يفسران العدوان على غير مصدر الاحباط في ضوء قانون التعميم ، وهو يسفر العدوان دون تمييز لانه يعطله كقدرة ذلك التوتر الناجم عن الاحباط .

هكذا نرى ان الاحباطات الاقتصادية التي يمارسها الرجل أو يخبرها قد تؤدي الى الشدة والعنف الساري في المنزل ، والى شيوع علاقات متوترة مع الاصدقاء [2] ، ولقد اثبتت التجارب التي اجراها « ملر » وهو فلاند وسيرز « Sears » على طلبة من طلاب الجامعات عرضوهم للسهر والجوع مع الوعد بالطعام كما عرضوهم للعدوان ... الخ انهم كانوا يلجأون لانواع من الاستجابات النمطية الموجهة لغير مصدر الاحباط احيانا .

وهكذا يثبت ان العدوان الناجم عن احباط يكون غير متجه نحو هدفه الاصلي بقدر ما هو استجابة لها غاية او وظيفة ، هي انها وسيلة لتخفيف حدة التوتر الناجم عن الاحباط اكثر منها حل للمشكلة . وهكذا يكون العدوان

---

(1) Ibid. : P. P. 102 - 103 .

(٢) هذا ما يسمى النقل عند التحليليين ، وربما كان ذلك هو التعميم من الدرجة الثانية في مفهوم السلوكيين .

والانتقام استجابة تحقق خفض التوتر ، ولذلك لايهم ان يتجه نحو مصدر الاحباط او نحو غيره [1] .

القلق والاحباط :

القلق خوف معمم على مثيرات عديدة ولذلك لايمكن ان يكون سلوكا هادفا او دافعا لاستجابات محدودة الهدف ، بل هو نتيجة طبيعية للاحباط ، فعدم وضوح سبب القلق يرجع خاصة الى ان تعلم الكبت واستبعاد الاشياء التي نخاف منها من الشعور لاتعطي للفرد مفتاحا ليحدد الاجل المنتظر للخطر المتوقع ، ثم ان الاستجابات التي يظهر فيها نوع من الجبن او الوجل ، ليست الا استجابات فيها الشيء الكثير من النكوص لسلوك طفلي ، واستجابات المخاوف المرضية لاتعدو ان تكون استجابات نمطية مثبتة كاستجابة لمواقف محبطة ، ولهذا يشبه القلق في كثير من الوجوه الاحباط بصورته المحدودة [2] .

والسلوك الاجرامي في نظر ماير سلوك مثبت واستجابات نمطية ، خصوصا لو أخذنا في الاعتبار ما هو معروف من ان العقاب الشديد كان ولا يزال وسيلة فاشلة في تصحيح السلوك الاجرامي العنيف وبهذا يكون سلوك الجانحين مما يوحي بأن اشكالا عديدة من السلوك المعروف عن هذه المجموعة غير المتوافقة من الناس ليس سلوكا ناجما عن عملية تمييز واختبار ، ولكنها انماط سلوكية لايمكن للكائن أن يقاومها ، ذلك لانها اشكال نمطية من السلوك . وقد لا تتضح فيها الطبيعة النمطية ، ولكنها تبدو مثبتة « Fixated » أي لاتتغير أو يصعب ان تتغير ، ولهذا يرى ان سلوك الجانحين مظهر من مظاهر السلوك القهري الذي لايتعدل في ضوء نتائجه وما يترتب عليه من اثر . وهكذا يكون عدم تعديل سلوك الجانح امام سطوة العقاب دليلا على انه استجابة نمطية لنوع من الاحباط او سلوك مثبت من العدوان ، لايهم فيه أن يكون موجها نحو مصدر الاحباط أو غيره ، بل هو استجابة نمطية لقلق الاحباط .

رأي « ماير » في جناح الاطفال والاحباط :

يرى « ماير » ان الفرق في تنظيم الشخصية بين الجانح هو فرق في طريقة استجابته للتوتر الناجم عن الاحباط ، خصوصا لو علمنا ان حياة الجانحين عامة يغلب فيها مواقف الاحباط عنها في حياة غيرهم .

ولقد اجريت تجارب عديدة تبين منها ان للجانحين استجابات نمطية لاتتعدل اشكالها حتى ولو عرفوا او مارسوا النتيجة المترتبة عليها . فهناك نوع من الاصرار والالحاح والثبوت « Persistance » ولقد حاول بعض العلماء

---

(1) Maier, N. R. : Ibid. P. 104 .

(2) Ibid. : P. 131 .

تفسير ذلك في التجربة [١] بأن القصص موضوع التجربة كانت تنتهي بالتصفح الموجه للابن من ابيه ، وهو هو ذاته مصدر الاحباط ، وموضوع العدوان من الاطفال الجانحين مما جعلهم يكملون القصة بالعدوان في ٧٦٪ من الحالات . كذلك لاحظ ماير من نتائج التجربة ان اكمال القصة بالعدوان بالسرقة لم يكن قاصرا على اولئك الجانحين المتهمين بالسرقة ، بل كان ايضا من اكثر الاستجابات شيوعا عند غيرهم من الجانحين المتهمين بالمروق او الهروب او العدوان الجنسي . . استنتج ماير من ذلك ان الجانحين يميلون للتثبيت على استجابة معينة كنتيجة للاحباط تأخذ غالبا صورة من صور العدوان وانه حتى حين لا يبدو العدوان صريحا في السلوك الفعلي ، فانه يتضح كميل واضح عند اختبارهم .

وعندما حاول ماير ان يحدد انواع الجناح اشار الى نتائج دراسات « Merrill » التي اكدت ان هناك نوعا من الجانحين يحققون ويسترجعون مركزهم الاجتماعي المفقود مع اقرانهم بالالتجاء الى السرقة لاشباع حاجات معينة في انفسهم ، وعند زملائهم كالتدخين او المشروبات او السينما او غيرها ، وهناك مجموعة اخرى تلجأ لمظهر آخر من الجناح يكون الفرد مدفوعا اليه بقوى اخرى مثل كراهية المدرسة ، وحب التشرد ، وضغوط الحياة الاسرية وما تسببه له من متاعب وعدم ارتياح ، وهكذا تفرق بحوث ميرل بين الجانح وغير الجانح على اساس نوع الحاجات الدافعة المحبطة [٢] .

وهكذا قد يكون سلوك الجانح في بعض جوانبه وسيلة لحل مشكلة ، وقد يكون من ناحية اخرى سلوكا يمتاز بأنه عدائي عدواني ، او وسيلة دفاعية خصوصا واننا يصعب ان نميز فيه ما يدل على انه موجه لهدف معين . ونظرية ماير في الاحباط ، بالرغم من انها تصر على اعتبار السلوك الجانح نوعا من الاستجابة النمطية المثبتة ، تقسم الجناح الى نوعين ، يبدو واضحا في مناقشة النوعين مالم يظهره ماير صراحة ، وهو ان سلوك الجناح سلوك متعلم .

يقول ماير اننا لايمكن ان نعتبر السلوك الجانح سلوكا راجعا لدافع ، لان عامل الاختبار غير واضح تماما حين يختار الطفل الجناح وسيلة واستجابة ، بل انه يكون مجبرا مقهورا على هذا السلوك [٣] .

فالطفل الجانح حين يثور ، او تجذبه ويؤثر فيه حياة العصابة ، نجده يرى في سلوكه الجناحي مايشبع حاجات لديه غير محققة ، او يؤدي الى اراحته من الاحباط ، عن طريق افعاله العدوانية ، ويسمح له بشيء من الهروب من

---

(١) تجربة تكملة القصص: راجع في ذلك Maier, N. R. : Frustration. Ibid. P. 188

(2) Ibid. : P. 189 .

(3) Ibid. : P. 190 .

الموقف عن طريق الآثار التي تجذبه وتحوله بعيداً عن نشاط منفر بالعدوان « Distracting » هذه الاشباعات وانواع الارتياح ، قد ينظر اليها على أنها اساس لتحديد السلوك في المستقبل ، اي انها انماط من التعلم ، حين تعزز الاستجابة الجناحية . وقد ينظر اليها على أنها عوامل ثانوية ، ولكنها على أي حال قد تفيد في تبرير تفضيل الجانح لهذا الشكل من اشكال السلوك .

فاذا صح واخذنا بالراي القائل بأن الجناح سلوك متعلم ، فانه يجب ان يتأثر بالنتائج المترتبة عليه ، فاذا كان سلوك الجانح لايؤدي الى اشباع الحاجات السابقة الذكر ، وهو كثيرا مالا ينجح في ذلك ، وكثيرا مايفشل في الوصول الى درجة اشباع هذه الحاجات ، فانه مع ذلك يستمر الجانح في سلوكه وجموده ولا يتعدل .

هناك اذن من الادلة ما يؤكد ان الكثير من سلوك الجانح ليس سلوكا اختباريا تمييزيا يختار فيه الطفل بين أنماط سلوكية مختلفة عرف عنها انها مشبعة للدافع او الحاجة ، وكذلك نجد ان المكافأة على السلوك الجانح ثانوية اكثر منها اولية ، وهذا مانستدل عليه من ان الاعراض العدائية والتراجعية تكون جزءا كبيرا من الصورة العامة للسلوك الجناحي ، ولا يحدث الا نادرا ان الجانح يتخذ طريقا مريحا « Winning » يوصله الى غاياته ، وهكذا يبدو واضحا ان الجانح اذا كان يختار أنماطا سلوكية تعطيه موضوعات مرغوبة أو اشياء مرغوبة ، وتحقق اشباعا لذاته ، فانه لابد ان يظهر نوعا من الانماط السلوكية الاكثر تكاملا واستمرارا . ولذلك فالسلوك الجانح غالبا نمطي غير ذي هدف واضح ، ولا يشبع حاجة واضحة بقدر ماهو مخرج لتوتر الاحباط.

وهنا ترجع دراسات ميرل « Merrill » ان الجانح ينقصه التكامل في دوافعه ، وانه لايدرك النتائج والعواقب ، التي لاتظهر في الحاضر المباشر ، وهذا التفسير قد يصدق على حالات جناح الاحداث ذوي الذكاء المنخفض جدا ، ولكننا نجد ان ذلك لايصلح لتفسير سلوك الجانحين الاذكياء جدا . والافضل من ذلك اننا يجب أن نفسر عدم التكامل في شخصية الجانح نتيجة وجود نزعات متعارضة ، يطلقها الاحباط من عقالها ، وان النكوص هو التفسير الوحيد لما يبدو من عدم ملاءمة او عدم مناسبة ما يقدمه الجانح من تبرير لسلوكه [1] .

وعندما يحاول ماير ان يفسر الدور الذي يلعبه كل من الاحباط والدافع في تفسير سلوك الجانح يقول « انه في هذا لايجب ان نقارن بين الجانح وغير الجانح من الاطفال ، بل يجب ايضا ان نحدد ونقرر ما اذا كان هناك فرق ما بين نوعين من الجانحين في نوع الدوافع ومدى قوتها . فقد تكون مجموعة ما يكون دافعها لهذا السلوك الجانح دافعا معينا ، بينما الاخرى تكون واقعة تحت تأثير نوع من الاحباط » .

---

(1) Maier, N. R. : Ibid. P. 191 .

وينهي ماير مناقشته لهذا الموضوع بما ذهبت اليه آراء ميرل « Merrill » من ان هناك تشابها كبيرا بين الجانحين وغير الجانحين في نواح كثيرة ، وانـــا حين ندرس الصفات المميزة للجانحين يجب ان نأخذ في الاعتبار الحقائق الآتية :

- انه ليس من الضروري ان كل سلوك ينجم عن احباط يكون سلوكاجانحا.
- ان بعض السلوك الجانح قد يرجع لدافع ما وبعضه يكون سلوكا ناجما عن الاحباط فحسب .
- بعض الاطفال غير الجانحين لديهم ميول جناحية ولكنهم لم يقعوا في يـد السلطة القضائية او القانونية حتى يعتبروا جانحين .
- هناك تداخل كبير في الصفات المميزة لشخصية العاديين والجانحـين ، وليس هناك فصل دقيق بين مجموعة الجانحين وغير الجانحين ، مما يدل على ان سلوك الجانح ليس له دوافع مميزة .

هكذا نجد ان ابحاث ماير قد تغاضت عن الدور الذي تلعبه عمليـة التطبيع الاجتماعي في خلق الجناح ، ولم يحاول ان يدخل الجناح في الاطـار العام لنظرية المثير والاستجابة . حقيقة ان ماير ضمن ابحاثه الكثير من آراء اصحاب نظرية التعلم ، ولكنه حاول ان يضع اطارا نظريا معينا للاحبـاط يقوم على اعتبار ان السلوك الناجم عن الاحباط سلوك نمطي مثبت ، فيه صفة القهر والاستمرار اللاسوي . وهو يؤكد مع ذلك ان الاستجابات المثبتة النمطية في مواقف الاحباط تختزل التوتر الناجم عن ذلك الاحباط وتريح الكائن مـن توتر النزعة للأداء او توتر الحاجة [1] .

فهـو يرى أن الاستجابـة النمطية ـ والجنـاح في نظره نوع من هـذه الاستجابة ـ لموقف الاحباط وسيلة للتوافق تختزل التوتـر في موقف الاحباط وتريح الفرد منه ، حين يستجيب لهذه الاستجابة النمطية المثبتة للموقف الذي فيه ضغوط ، ويبدو لهذا مرتاحا واقل عصبية ، فهو اذن يتكيف مع الموقف ، ولو انه لايختار هذا التكيف او يميز فيه ، لانه لايفكر كثيرا قبل هذا السلوك ، وهو لايعدل هذه الاستجابة مهما قابله من قيم توافقية تستلزم التعديل .

وهكذا نجد ان ماير حين يفسر الجناح لايحاول ان يسير على نفس منهج علماء مدرسة السلوكية الجديدة في تفسير العصاب ، ويكتفي بتفسيره في الاطار النظري لرأيه في الاحباط .

كذلك يلاحظ ان ماير لم يحدد تحديدا دقيقا كيف يكون الجناح نتيجـة اخرى من نتائج الطرق التي يستعملها الآباء في عمليةالتطبع الاجتماعي . وبمعنى آخر لم يبرز مدى أهمية الظروف الاجتماعية او الضغوط ، او وسائل التطبيع التي تلجأ اليها طبقة ما في خلق ، وتعلم واكتساب متغـير متوسط مكتسب

---

(2) Ibid. : P. 81 .

يلعب دور الدافع . ويعتبر العدوان الصريح او الضمني في حالات الجناح وسيلة الاستجابة له . وتصبح الاستجابات المتعددة ذات الطابع الجناحي عادات يعززها انها تخفض وتختزل توتر القلق هذا . لم يحدد ذلك ؟

واذا كانت مدرسة السلوكية الجديدة ، تعتبر الحيل الدفاعية المختلفة عادات متعلمة عززها انها تخفض التوتر ، فالى اي حد يمكن اعتبار الجناح ، والوسائل العدوانية المختلفة التي تدخل تحت هذا الاسلوب من اساليب التكيف حيلة هادفة ، او عادة متعلمة ؟

ان ماير حين يقول ان استجابات العدوان في حالات الجناح ، كما ثبت من تجاربه المعملية ، تكون استجابات نمطية غير هادفة ، انما يعني بذلك انها غير موجهة لغرض واضح خارجي ، يشبع حاجة بيولوجية معينة . الا انه في ذلك لم يأخذ بنظرية السلوكية الجديدة بمعناها الواسع حين اعتبرت ان القلق المتعلم دافع مكتسب يكمن وراء كل العادات اللاتوافقية ، وان هدف السلوك الذي يبدو في نظره نمطيا انما هو خفض توتر القلق هذا .

ولا ينكر الكاتب منطق تفسير ماير لهذه الانحرافات السلوكية على اساس نظريته في الاحباط ، الا انه يرى ان من الضروري حتى تتكامل نظريته مع نظرية السلوكية الجديدة ، ان يعتبر الاحباط بالمعنى الذي فهمه وعرفه به ، نوعا من العقاب . وبذلك يقرب بين وجهة نظره والاطار العام للنظرية السلوكية الجديدة .

فقد عرف ماير الاحباط بأنه الحيلولة دون استجابة ما ، ودون الهدف الذي تسعى اليه الاستجابة « Goal » فاذا اخذنا هذا على انه العقاب امكننا ان نزاوج بين نظرية ماير في الاحباط وبين مفهوم القلق والخوف والالم من العقاب في عملية التطبيع الاجتماعي ، كما حدد مفهومها اصحاب السلوكية الجديدة .

ولقد حاول كثير من علماء المدرسة السلوكية الجديدة الآخرون ادماج الجناح في نظريتهم او اطارهم الفكري العام ، ولكنهم لم يحققوا في هذا المقام ماحققوه في تفسير العصاب .

ويرى الكاتب من المفيد هنا ان يعرض لبعض آراء احد قادة هذه المدرسة في تفسير الجناح ، حتى يمكن أن نلمس مدى الاختلاف بين آرائه وآراء ماير في هذا المقام .

تفسير مورر للجناح :

بدأ مورر مناقشته لظاهرة الجناح ــ شانه في ذلك شأن اصحاب مدرسة السلوكية الجديدة ــ بما توصل اليه من نتائج معملية .. ففي تجربة أجريت على الفئران كان يقدم لها الطعام ، وعندما تبدأ اول استجابة للأكل كان يحبط

هذه الاستجابة بتأجيل الاكل ثلاث ثوان ، فوجد أن الفئران انقسمت الى مجموعتين عندما اجل الاكل باستعمال صدمة كهربائية لكل من يقدم على الاكل :

آ ـ مجموعة امتنعت عن الاكل كلية وسماها مجموعة فئران العصابية .

ب ـ مجموعة كانت تهجم على الاكل وتأكل رغم العقاب وسميته مجموعة الفئران الجانحة .

فاذا رجعنا في ذلك لتفسير هذه الظاهرة الى ماكتبه فرويد نجده يرى « ان الشخص العصابي شخص لديه أنا أعلى قوي بسبب الكف عن الاستجابة » لوجدنا ان هذا التفسير شبه الفلسفي لسيكولوجية العصاب يحتاج الى تعديل في ضوء النتائج التجريبية السابقة ، فنقول ان الفئران العصابية تعلمت نوعا من القلق بسبب كفها عن الاستجابة بسبب العقوبة ، وهذا هو مفهوم الانا الاعلى او المفهوم التجريبي للانا الاعلى عند اصحاب مدرسة السلوكية الجديدة (1)

ووجهة نظر فرويد هذه تقوم على اساس وجود نزعة قوية او رغبة يقاومها الانا الاعلى القوي ، ولكن الاتجاه الحديث يرى ان هناك نوعين من العصاب :

١ ـ عصاب الكائن الذي تساوره نزعة او رغبة ما ولا يمكنه أن يحققها بسبب القلق الذي ارتبط بنفس النزعة او بنزعات مشابهة (تعميم) .

٢ ـ عصاب الكائن الذي تثور لديه نزعة فلم باشباعها وازالة التوتر الناجم عنها ووجد بعد ذلك انه كان لايجب عليه ان يقوم باشباعها (لانه عوقب عليها) .

ولهذا يرى مورر انه لو سلمنا بهذه القضية لامكن ان نعتبر المجموعة من الفئران التي اضرت على تناول الطعام رغم العقاب مجموعة تعاني نوعا مختلفا من العصاب ، وهي المجموعة التي سميناها (الفئران الجانحة) فهي في نظره مجرمة أو عصابية او مجرمة عصابية على السواء .

ويرى مورر لهذا ان الجانح ـ مهما كان شكل جناحه ـ فهو لا يمنعه او يؤثر في سلوكه الجانح ما يمنع الفرد العادي عن مثل هذا السلوك من خوف من عقاب موضوعي .

---

(1) Mowrer, O. H. : Learning Theory and Personality Dynamics. Ibid. P. P. 515 - 517 .

ولقد كان العلماء قديما يفرقون بين الجانح والمجرم من جهة والعصابي من جهة اخرى على اساس ان المجرم قاصر او ناقص في تطبيعه الاجتماعي « Undersocialized » او انه لم يتعلم كما يجب ، او دون التعلم الواجب « Underlearned » بينما يفترضون في العصابي انه أحرز قدرا أكبر من اللازم من التعلم « .Overlearned » أو قسطا اعلى من التطبيع الاجتماعي « Oversocialized » ، ولكن مورر يرى ان طباع العصابي تقرب كثيرا من طباع الجانح ، اكثر مما كان العلماء يعتقدون قديما . وان الاختلاف بينهما اساسا ليس إلا في مدى نمو الوظيفة المكتسبة التي نسميها الضمير عند كل منهما .

ان كلا من العصابي والجانح لديهما ميل لان يسلك كل منهما سلوكا غير ناضج ، غير ملائم في استجابته معاد للمجتمع « Antisocial » ، وكثيرا ما يبدو كل منهما غير قابل او مستجيب لمثيرات الموقف « Irresponsible » ولكن العصابي يختلف عن الجانح في ان له ضميرا قويا بدرجة تؤدي الى استمرار حرجه وضيق صدره . والعصابي مثله مثل الشخص العادي ، له ضمير قوي ، ولكن العادي استطاع ان يساير هذا الضمير ، وبذلك يعايشه ويخمده ويسكنه ويجعله مستقرا « Does business with it » ، بينما العصابي لايثق به بل وينبذه ويرفضه ويركله . وينتهي به الامر الى ان يكبته « Represses it » وعلى اية حال فان هذه العملية الشعورية التي تعني التخلص من سطوة هذا الضمير ، لاتعني أن سلطته وقوته قد تبعثرت وانهارت ، بل العكس انها فقط تعني انها معطلة بعض الشيء ، او تصبح كاشارات ودلائل للذات مؤجلة او منحرفة . وبدلا من ان يكون الضمير هنا مجموعة من مشاعر الاثم يتعرض لها الفرد بطريقة صريحة وسريعة ، تظهر على الفرد عادات كبت ، واستجابات قلق ، وتحقير للـذات .

هل يمكن في ضوء ذلك كله ان تسمى مجموعة الفئران التي أصرت على اكل الطعام رغم العقاب مجموعة عصابية ؟. لاشك ان مجموعة الفئران التي اصرت على تناول الطعام دون كثير اهتمام بالعقاب تمثل المجموعة من الناس التي لم تتعلم طرق التوافق السليم مع هذه المواقف الصراعية ، أي لم تنشأ في مجتمع يعلمها ان تحل هذه الصراعات بطرق توافقية سليمة . انها هي مجموعة الافراد الذين قاسوا من العقاب ومن الآلام والمتاعب والخوف الموضوعي الذي يشبهه في هذا الموقف التجريبي الصدفة فقط . ولم يتكون لديها قوة جديدة كافية هي قوة تأثيم الذات ، او الشعور بالاثم ، وهو عامل يجعلنا لانسميهم عصابيين بنفس المفهوم المعروف عن العصابية .

وعندما حاول مورر [1] ان يميز بين الجانح والعصابي في ضوء المجال

(1) Mowrer, O. H. : Learning Theory and Personality Dynamics. Ibid. P. 523 .

السلوكي وعملية التطبيع الاجتماعي ذكر أن عملية التطبيع الاجتماعي التي تبدأ في سن سنتين وتستمر الى السنة السادسة من حياة الطفل ، وفي هذه الفترة يمتاز سلوك الطفل بنوع واضح من السلبية والعناد وعدم طاعة الاوامر ، وهذه المرحلة تنتهي بسلام في سن السادسة او السابعة عندما تبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة التقمص او اكتساب العادات التي يعززها تقبل الفرد اجتماعيا .

وفي الحالات الشاذة يستمر العناد ، ولا تنتهي السلبية وتظل حتى الكبر ، وهذا مايسمى الجانح او المجرم ، وهو فرد رفض او فشل في عملية ادخال « Internalization » او امتصاص عوامل الضبط الخارجية الى ذاته لتكون جزءا من تنظيم ذاته .

هكذا يكون الجانح فردا يظل تنظيم شخصيته الداخلي غير مميز نسبيا ، وتكون فيه الذات (بمفهوم السلوكية الجديدة) غير متميزة عن الهي ، أي تظل كل طاقاته موجهة نحو المفهوم والاستقلال ومقاومة التنظيم الاجتماعي الذي يجد نفسه عائشا فيه .

الشخص العصابي اذن قد ادخل وامتص « Internalized. » الكثير من المطالب والواجبات التي تفرضها عليه عملية التطبيع الاجتماعي ، ولكن هذه المطالب مجتمعة ، والتي تعرف باسم الضمير لم تهضم ، ولم تصبح جزءا من الذات بحيث تصبح مقبولة في داخلية الفرد ، وتصبح الصورة الداخلية من الصراع صورة اخرى من صور علاقة الفرد بالخارج ، ويظل الفرد في حالة معارضة ومقاومة وسلبية بالنسبة لها . ويصبح الفرد بعد ذلك مشغولا بصراعاته الداخلية لدرجة انه ينسحب بدرجة او اخرى انفعاليا وعمليا « Effectively & affectively » [1] من البيئة الواقعية .

أما الجانح فانه في هذه الصورة يمكن مقارنته بالعصابي في انه يتجه بنزعاته العدوانية للخارج ، ويلقى معارضة من العالم الذي يعيش فيه بصورة او اخرى .

وهكذا يكون الفرق بينهما ــ كما يتضح للباحث من بين ثنايا كتابات مورر ــ ان الجانح تعلم عادات عززت في الطفولة وكانت تتضمن الاتجاه للخارج ، وانه لم يتعرض في عملية التطبيع الاجتماعي لما تعرض له العصابي من وسائل كان نتيجتها تعلم القلق الذي يعمل على كشف هذه النزعات ، ولكن بدأ بعد ان بلغ سنا يحاسب فيها أمام المجتمع على مسلكه يحاسب على خروجه على المعايير الموضوعة والقيم المرعية .

---

(1) Mowrer, O. H. : Learning Theory and Personality Dynamics. Ibid. P. 524 .

وحين يخلص من هذا كله الى ما يبدو من التشابه بين الجانح والعصابي في أن كلا منهما يمارس ويخبر القلق ، يرى ان القلق خبرة تمر بها الذات في حالة العصاب طالما هي في حالة صراع مع مكونات الذات العليا « القلق » التي تظل في حالة حيوية وقوة دافعة بطبيعة الواقع الاجتماعي الذي يمثله ويظل يعاقب الذات على كل سلوك يبدو خارجا . اما لماذا يظل الجانح او المجرم انسانا خائفا ، فذلك لانه لايزال يشعر بالخطر المحدق به ، والذي يتوقع فيه ان يكتشف امره ويعاقب بسبب خروجه على الأوضاع أو سلوكه المعادي للمجتمع ، وهذا ايضا يصدق على العصابي الذي لايقاسي من آلامه ومخاوفه الطفلية أو غير الواقعية ، بل انه أيضا يواجه خطرا حقيقيا ، هذا الخطر يرتبط باكتشاف عدم نضجه ، او ميوله العدوانية الشبيهة بالجناحية ، خطرا من ان يكشف ستره ، ويتعرض للمهمة الشاقة المؤلمة مرة ثانية ، مهمة مطالبته بالاقلاع عن كل ما يعزز من استجابات لانه يجلب لذة طفلية ، وان يتقبل مبدأ الواقع المعروف في حياة الراشدين ، وهو امر يتحمل دونه مشاق لا قبل له بها .

والخلاصة : ان العصابي طفل لم يتعلم تعلما مناسبا ، وهو في ذلك لا يختلف عن الجانح الا في تحديد مكان الصراع فكلاهما لم يتعلم بما يكفي « Underlearned » او هو تعلم كيف لا يتعلم «Learned how not to learn» لاستمرار فترة المقاومة والسلبية بسبب سوء التربية .

هكذا يعتبر مورر من علماء المدرسة السلوكية الجديدة الذين وضعوا اهتماما ووزنا كبيرا لطبيعة العلاقة بين الطفل ووالديه ، في عملية التطبيع الاجتماعي ، واثر الدفء العاطفي في جعل عملية التطبيع الاجتماعي بما تستلزمه من احباط وعقوبة ومشاعر مؤلمة تمر بسلام دون ان تخلق مشكلات نمائية [1] ، اهمها مشكلات الجناح او العصاب .

ففي الفترة من الثانية حتى الرابعة في كل المجتمعات المتحضرة يقوم الوالدان ببدء عملية تهذيب الطفل وهنا يقل الاهتمام برغباته ومطالبه ، ويزيد الاهتمام بما يفعله ، ويصبح الآباء الذين كانوا من قبل مثلا للطيبة الكاملة في اعين الطفل ، يصبحون مثلا للفرد « الشرير » ولو جزئيا . وهذه الاتجاهات المتضاربة من جهة الطفل يكون من نتائجها خلق مشكلة نمائية حادة . فاذا كان الطفل لم يسبق له في حياته ان مارس درجة عادية من حب الوالدين اثناء فترة الحضانة فان عملية التهذيب الوالدية هذه قلما يكون نتيجتها أي صراع : ما دام الطفل ليس لديه الا ارتباطات انفعالية ايجابية ضعيفة مع الوالدين ، ولهذا فان سلوكه لايعدو أن يأخذ صورة الانسحاب عندما يصبح الآباء معاقبين

(1) Mowrer, O. H. : Psychotherapy, Theory and Research. Ibid. P. P. 69 - 72 of Ch. 3 .

بصورة ايجابية في موقفهم منه ، وهنا ينحسر وينفصل عنهم ويبدأ بعد ذلك في السير في طريقه الخاص .. هؤلاء هم ابناء الاهمال والنبذ ، وهؤلاء هم الذين ينضمون الى الجيش العرمرم من الجانحين الاحداث او الراشدين المجرمين . ان مثل هؤلاء الافراد ، نظرا لانهم ينقصهم التنظيم الداخلي للشخصية ، ذلك التنظيم الضروري والذي يكمن وراء ما يعانيه العصابيون من قلق بنفس القدر ، نجدهم لايستجيبون بطريقة لائقة لأي توجيه ، او محاولة تعديل او علاج ، وهم في العادة لايبحثون عن ذلك . وان معلوماتنا عن هؤلاء جميعا لاتعدو ان تكون معلومات نظرية اكثر منها اكلينيكية .

ولكن في حالة الطفل المحبوب بدرجة عادية فاننا نجد موقفا مختلفا : ان مطالب التهذيب التي يفرضها عليه ابواه تدفعه اولا وقبل كل شيء الى محاولته الهجوم على والديه ، مادام تهذيب الآباء يسبب له احباطا ما ، وهو مع ذلك اكثر اعتمادا عليهم بدرجة لاتتيح له فرصة الانسحاب من بين براثنهم . وعندما يقابل هذا السلوك ايضا بمزيد من العقاب ، فان الاحتمال الاكبر انه ينحدر الى درجة غير محتملة من القلق الذي لايطاق .

في هذه اللحظة يحدث في العادة امر له بالغ الاهمية ، ذلك ان الطفل وهو في قمة صراعاته يكتشف انه يستطيع ارضاء الوالدين وارضاء نزعاته الداخلية في نفس الوقت وذلك بالاتجاه الى واحدة لا ثانية لها : ان يتقبل معايير السلوك والقيم الاجتماعية التي يلوح بها الآباء له ، ويتخذها لنفسه معايرا ، وقيما ذاتية . وهنا نجده اذا انحرف ، او حتى فكر أو بدأ في الانحراف عن المعايير الوالدية او الاجتماعية فان الطفل عادة يعاقب نفسه ، وبهذه الطريقة يتعلم كيف يتحاشى مثل هذا السلوك وينفر منه حتى ولو لم يكن الآباء أو غيرهم من الافراد حاضري الموقف ، او حتى لو لم يكن لديهم من الوسائل ما يساعدهم على التعرف على هذا السلوك المقترف . وفي هذه الحالة يقال ان الطفل لديه ضمير ، او بلغة التحليليين ذات عليا ، بدأت تقوم بوظيفتها ، وفي بعض الاحيان نجد انه عند نمو هذا العامل وتطوره في داخل الاطار العام للشخصية ، نلاحظ انه يحدث فجأة ، على انه الوسيلة الوحيدة لحل بعض الصراعات المتأججة ، وفي أحيان اخرى ينمو بالتدريج ، كنتيجة لتتابع ازمات صغيرة . وعلى أية حال فان الضمير او الخلق والأنا الاعلى — دون اهتمام بأي تعبير او تسمية يستعملها أي دارس — ينصهر ويتبلور كحل للصراعات غير المحتملة ، والتي تتولد اثناء عملية التطبيع الاجتماعي العنيفة ، التي يقوم بها الآباء الذين يكونون موضع حب الطفل وكراهيته وخوفه في آن واحد وبنفس الدرجة .

وهكذا نجد مورر يهتم كثيرا بالمجال البشري ، وبتأثير القيم ومعايير السلوك السائدة في خلق كل من العصاب والجناح . وفي ذلك يرد على فرويد

الذي يرى أن درجة شحن الأنا الاعلى مسؤولة عن العصاب لانه يتكون من وحدات الحضارة التي يعيش فيها العصابي بقيمها ومعاييرها التي لاتهتم بسعادة الذات بقدر اهتمامها ببقاء الجماعة ، ويرى أن السعادة في اطلاق العنان للنزعات الغريزية اللبيدية .

ويرد عليه مورر بأن القيم ومعايير السلوك تهدف لسعادة الفرد والمجموع معا ، اما سعادة الفرد هنا فهي ليست في اشباع نزعات الهي ، بقدر ما هي في نجاح الفرد في امتصاص ثم تمثيل قيم المجتمع وتقاليده والايمان بأثرها ، بدرجة لايكون لديه معها أي صراع بين هذه القيم وبين رغبات الفرد خصوصا بعد ان تصبح جزءا من ذات وتنظيم الفرد [(١)] .

وخلاصة آراء مورر ان الشخص العصابي هو ذلك الذي سار شوطا بعيدا في طريق النضج ، ولكنه بعد ان حقق الكثير من هذا في سبيل الوصول الى مستوى الراشد المسؤول اجتماعيا ، تعثر او توقف في نقطة ما . وعن طريق عملية معينة استطاع العصابي أن يمتص القيم الاساسية والاتجاهات السائدة في مجتمعه الخاص ، وفي مجتمعه العام ، ولكنه فشل في ان يصل الى نوع من المصالحة او نوع من الانسجام التام بين هذه القيم الاساسية والاتجاهات وبين بناء شخصيته أو البناء المنظم المتكامل العام لشخصيته ، وهو امر لايكون العصابي قادرا او راغبا في ان يحققه .

اما الجانح فانه كما وصفه ـ نظريا ـ شخص لم يصل بعد الى هذه الدرجة ايضا ، والفرق بينهما ان العصابي يكف نزعاته ولكنه يظل في صراع داخلي بين هذه النزعات وبين القيم التي امتصها ولم يهضمها ، اما الجانح فانه لايكف سلوكه العدواني ، واستجاباته الموجهة للخارج ، ولهذا يظل باستمرار في صراع مع هذه القيم .

واذا كان كل منهما لايتقدم في الاتجاه المنشود ، ونعني به اتجاه امتصاص وهضم القيم والاتجاهات الضرورية التي يفرضها عليه المجتمع في عملية التطبيع ، فانه يجد من اليسير عليه ان يتقهقر الى مستوى اللا انسانية مرة ثانية ، والدنيا كلها تطالب كلا منهما بأن يصبح انسانا بكل معنى الانسانية ، بالاضافة الى قوة دافعة اخرى خفية هي النزعة للكمال البشري .

واذا كانت وسائل التقدم قد سدت امامه ، واذا كانت امكانيات التقهقر قد قطعت طرائقها ، فان العصابي يشعر بانه مقهور على أمره ، عاجز ليس لديه

---

(1) Mowrer, O. H. : Learning Theory and Personality Dynamics. Ibid. P. 528 .

امكانيــات داخلية تساعده على تلبية هذه المطالب النمائية ، والجانح لا يختلف عن ذلك كثيرا .

ان الجانح والعصابي لايمكن لاي منهمـا أن ينجح في اكتساب القيـم والعادات الاجتماعية التي تساعده على ان يصل الى مستوى الراشد المرموق دون عـون الغير ، وهــذا لا يتأتى الا بعمليـة تطبيع اجتمـاعي في المنـزل والمدرسة ولا ينجح في هذا الا اذا اختلط فيها الحب بالخوف معا . ولهذا فكل من العصاب والجناح ينجم عن عملية تعلم ناقصة فيها عجز كبير « Deficit » اكثر منها عملية تعلم مبالغ فيها .

* * *

الباب الخامس

دراسات وبحوث ميدانية ــ تجريبية واكلينيكية ــ في ديناميات السلوك غــير السوي

مقــــدمــة :

ــ بحوث ميدانية في ديناميات الجناح والعصاب

● بحوث اجريت على عينات في الخارج

بحث : المدرسة والمنزل والجناح ــ بحث عن تحليل جناح الاحداث والتنبوء به باستعمال اختبار M. M. P. I. اختبار الشخصية المتعدد الاوجه في دراسة الاحداث الجانحين ــ طبيعة استجابات الجانحين والمجموعات الاخرى لمواقف احباطية نظمت تجريبيــا ــ الجانحون المتكيفون وغير المتكيفين ــ ديناميات وعلاج حالات الانحراف الجناحي والسيكوباتي او السلوك اللا اجتماعي ــ انماط سلوك الجانحــين وعلاجهم ــ الجناح عرض من الاعراض المرضية ــ السلوك الفردي العادي للمجتمع . العوامل النفسية المرضية في الجناح ــ بحث إيفي بنت ((الطفــل العصابي والجــانح ــ دراسة مقارنة)) ــ أبحــاث اضطرابات الكلام ــ

● بحوث اجريت على عينات في البيئة المحلية

القوى الديناميكية في شخصيــة الاحداث الجانحين في البيئــة المصرية ــ تطبيق اختبار تفهم الموضوع على حالات مصرية ــ دراسة مقارنة لاستجابات الجانحين والعصابيين لاختبار الاتجاهات العائلية .

● الدراسات النفسية السلوكية الاجتماعية وتفسير ديناميات العصاب والجنــاح .

دراسات السون ديفيز ـ دراسات في البيئة المحلية المصريـة ـ دراسات لقياس جوانب من شخصية الجانح .

خلاصـــة

ـ دراسة تجريبية تحقيقية مقارنة في ديناميات الجناح والعصاب :

مقـــدمـــة :

- مشكلة الدراسة
- الفـروض
- مجموعة المفاهيم المتعلقة بالعينة موضوع البحث ـ (الجانح ـ العصابي)
- مجموعة المفاهيم المتعلقة بالتغيرات موضوع الدراسة في هذا البحث .

(القلق ـ الثبوت الانفعالي ـ مفهوم الذات ـ القيم ـ تحمـل الحبوط ـ ادراك مشاعر الآخريـن ـ التكيف الشخصي والتكيف الاجتماعي ـ انطباعات احباطات الطفولة ـ)

- خلاصة البحث وما توصل اليه من نتائج
- النتائج التي توصل اليها البحث :

الفروض ومدى تحقيقها ـ أهم النتائج التي توصل اليها البحث التفسـير

- الصورة العامة لتنظيم شخصية كل من الجانح والعصابي شخصية الجانح ـ شخصية العصابي .

* * *

دراسات وبحوث ميدانية ـ تجريبية وأكلينيكية

في ديناميــات السلوك غير السوي

مقــدمــة :

تنتهي المؤلفات في العلوم عامة ، والعلوم الانسانية خاصة ، بإبراز مجموعة الحقائق والمعطيات التي أمكن التوصل اليها في ميدان هذه الدراسة او تلك بالاساليب التي يقل أمامها وفي وجهها الاعتراض الى أدنى درجة ممكنة ، ونعني بها النتائج التي يتوصل اليها الدارس الباحث عن طريق محسوس ملموس .

ذلك ان الانسان رغم وضوح منطق البحث النظري ، ورغم سلامة القضايا التي يترتب عليها الاستنباط والاستقراء للحقائق المختلفة ، ا انه دائما يتمسك في عقله بجانب الشك في الدراسة النظرية ، وكأني به يقول «ليس العيان كالبيان» وليس من رأى كمن سمع .

لذلك نجد جمهرة المفكرين والعلماء ، في كل ميادين المعرفة الانسانية يحملون النظرية تلو النظرية ، والفرض بعد الفرض ، يضعونها جميعا على محك الاختبار ، ويحققونها علميا بموازين التجربة ، ويؤكدونها بأساليب البحث العلمي الدقيق من ملاحظة وقياس ودراسة حالة .

ولقد نعم علم النفس عامة ، ودراسة الاضطرابات السلوكية خاصة بفيض غزير من البحوث العلمية الميدانية العملية والاكلينيكية حققت الكثير من النظريات ، وبذلك اعفى العلماء انفسهم ، كما أعفوا الدارس المبتدىء والقارىء المهتم بديناميات السلوك الانساني من حرج التشكك في كل مايتوصل اليه الفكر الانساني النظري ، او بعضه ، كما حققوا للعلم عامة قوانين تنظيم السلوك، وتصلح أساسا للتنبؤ به ، وتعديله اذا اريد له ان يتعدل ، وتنظيم التفكير في جوانبه المختلفة ، والاهم من ذلك والاخطر ، ان هذه الدراسات الميدانية العملية « Emperical » بمعناها الواسع قد توصلت الى بلورة الكثير من مفاهيم ديناميات السلوك ـ خاصة السلوك غير السوي ـ بلورة واضحة تفيد كثيرا في تفسيره وتحديد عوامل اضطرابه او انحرافه عن خط السواء .

لهذا وجد الكاتب ان هذا المؤلف يتحقق له درجة افضل من الكمال في أداء الفرض منه لو اشبعنا حاجة القارىء للتأكد من صحة ماذهبنا اليه في الفصول السابقة ، وذلك بتتويج النتائج النظرية ، والآراء العلمية السابقة بأساليب التحقيق العلمي السليم في مجالات اللاسواء موضوع هذا الكتاب ، ونعني بها الاضطرابات ذات الطابع العصابي ، وتلك التي تنمو نحو الاضطراب الجناحي .

وبذلك يكون هذا المؤلف قد جمع اكبر قدر ممكن من الحقائق في هذا الموضوع من جانبي التفكير النظري من جهة والعملي من جهة اخرى .

واذا كانت دراسات أمثال كاتل وجلفورد التي اشرنا الى بعضها في الفصل السادس من هذا الكتاب قد قدمت لنا نتائج بحوث لجأت فيها لقياس ابعاد معينة من الشخصية ، وكشفت النقاب عن تكوينات فرضية « Hypothetical constructs » فيما اسمته بالسمات المنبعية او الاساسية ، واذا كان ايزنك ايضا قد استعمل نفس الوسيلة وخلط بينها وبين آراء اصحاب المدرسة السلوكية ، وبذلك حدد الكثير من مستويات السلوك في نظريته عن الشخصية ، من مستوى الاستجابة النوعية [1] الى الاستجابة المعتادة [2] الى مستوى السمة [3] الى مستوى نمط الشخصية [4] اذا كان ذلك كله قد نحى منحى علميا عمليا قياسيا ، وحقق الكثير من الفروض السابقة فان القارىء يحتاج الى مزيد من التحقيق اولا ، كما يحتاج الى ان يتعرف على طبيعة الاسلوب العملي التجريبي الميداني او القائم على البحث الاكلينيكي البحت ، مع ابراز هذه النتائج .

لهذا كله ـ وتحقيقا لهذه الغاية ـ وجد الكاتب من المفيد ان يرجع بالقارىء الى الميدان ـ بعد هذه الجولة النظرية العملية معا حيث يقدم له مجموعتين من الدراسات العملية في موضوع الجناح والعصاب :

الاولى : يعرض فيها دراسات على الجانحين والعصابيين في بيئات اجنبية (غربية غالبا) .

الثانية : يعرض فيها دراسات على الجانحين والعصابيين في البيئة العربية المحلية .

ان الغاية القصوى من هذا الفرض هي تحقيق الغاية القصوى من المؤلف كله وهي ابراز ديناميات السلوك غير السوي في حالات الجناح والعصاب كما جاءت على السنة المشتغلين بعلم النفس في كافة الميادين .

---

(1) Specific response . (2) Habitual response .
(3) Trait . (4) Type (of Personality) .

الباب الثامن

بحوث ميدانية في ديناميات الجناح والعصاب

مقدمة :

لايستطيع الباحث في هذا المقام ان يحصر حصرا تاما جميع الابحاث التي أجريت في كل انحاء العالم لدراسة هذا الموضوع ، ذلك انه معروف أن موضوع الجناح والعصاب كان ولا يزال وسيظل الشغل الشاغل لجمهرة كبيرة من علماء النفس ، والجريمة والاجتماع ، وهذا مما جعله ميدانا لغنى وثراء ظاهر في البحث العلمي ، خاصة التجريبي . الا أن ما يلاحظه الباحث من أستعراض خلاصة الابحاث العلمية انها تعتبر فقيرة نوعا في الدراسة المقارنة بين الجناح والعصاب عامة ، وفقيرة خاصة في الدراسات التي عنيت بالدراسة المقارنة بين هذين الاسلوبين المنحرفين من حيث تنظيم الشخصية ، او بالذات من حيث الفرق بينهما في ديناميات السلوك ان وجد ، وفي العوامل المحددة لاتجاه الاضطراب من جهة اخرى .

والكاتب حين يعرض هنا اهم هذه الابحاث ، انما يعرضها لواحد من الاسباب الآتية أو لها جميعا :

- انها اجريت في الخارج وادت الى الكشف عن نتائج قد تكون ذات مغزى في هذه الدراسة بحيث قد تفيدها او تظهر مدى نجاح الكاتب في تكملة نقص ما في هذا المقام العلمي التجريبي، او قد تدعم بعض مايهدف للوصول اليه من نتائج . كما انها تعتبر تكملة ضرورية للدراسة النظرية التي استعرضها الكاتب في الفصول السابقة .

- أو أنها اجريت على عينات مصرية وتوصلت الى معطيات ذات اهمية بالغة ، قد تساعد هذه الدراسة او يمكن أن يشتق منها بعض ما يعين على استكمال تحقيق الغاية من هذه الدراسة .

- أو انها ابحاث اجريت لدراسة الاتجاهات التربوية الوالدية في طبقات مختلفة اجتماعيا ، ويمكن ان تكون نتائجها نقطة ابتداء يبني عليها الكاتب نقطا اخرى ويشتق منها مسلمات ضرورية للبحث . ذلك أن الكاتب قد يجد من المفيد أن يعرض نتائج دراسة قام بها في هذا الميدان ، دراسة عملية كشفت عن ديناميات عميقة في تنظيم شخصية كل من الجانح والعصابي ، كما كشفت دراساته عن عوامل قد تعتبر مقررة لاتجاه الاضطراب نحو العصاب او الجناح في السلوك اللاسوي .

أولا ـ بحوث أجريت على عينات في الخارج

يستعرض الكاتب في هذا الجزء اهم البحوث التي اجريت في الخارج ويمكن ان تكون ذات صلة بموضوع البحث واغلبها دراسات تجريبية ، يحاول الباحث ان يكمل بها العرض النظري السابق لتفسير الجناح والعصاب .

هذا واغلب هذه الابحاث ذات طابع أكاديمي اجريت للحصول على درجات عملية ، هذا بالاضافة الى ان بعضها اجراه نخبة من العلماء المشتغلين بالدراسة النفسية لاغراض علمية بحتة .

١ ـ بحث عن المدرسة والمنزل والجناح [١] :

قام بهذا البحث جلتش وشلدون« Gluch, A., & Shildon »عام ١٩٥٣ ؛ واجريا دراسة منظمة لعدد مكون من ٥٠٠ جانح سوى بينهم وبين عدد مماثل من غير الجانحين في نسبة الذكاء ، والاصول الاثنوجرافية والسن ومنطقة السكن ، وبحث اكثر من ٤٠٠ من العوامل التي تصاحب الجناح . وقد أمكن التوصل الى عوامل مميزة يمكن ان تفرق بين الفئتين في ميدان الجوانب الجسمية ، والديناميات الاساسية للشخصية والخلق واتجاهاتهم نحو العقائد الدينية والسلطة وبعض العناصر الاساسية في الذكاء . وقد تبين من البحث ان الاساس الاسري والجو الانفعالي العام في المنزل يبدو اكثر اضطرابا في مجموعة الجانحين . كذلك ثبت من البحث ان التوافق المدرسي ، ومناشط التسلية ، كانت ميادين اختلفت فيها الجماعتان اختلافات ذات دلالة . كذلك يبين من الدراسة ان الجانحين لايختلفون اختلافا ذا دلالة في متغير الذكاء ، ولو أن نسب الذكاء المتواترة بينهم تبدو اقل ، وهو امر لايمكن القطع به كعامل محدد بسبب الاضطراب الانفعالي في حياة الجانحين . اما الثورة على السلطة وعدم مسايرة القيم الدينية فكانت ابرز في سلوك الجانحين ، ومع ذلك فالبحث بهذه الصورة لم يطرق ميدان تنظيم شخصية الجانح او ديناميات السلوك

---

(١) راجع : خلاصة الابحاث النفسية سنة ١٩٥٤ : بحث رقم ١٢٨٨

واكتفى بدراسة المتغيرات المستقلة والتابعة دون عناية بالتغيرات الوسيطة ، واعتبر اولى ديناميات سلوكية .

٢ ــ بحث عن « تحليل جنائح الاحداث والتنبؤ به باستعمال اختبار » M. M. P. I. [١] :

قام بهذا البحث هاثواي وموناتشيسي
« Hathaway, Strake, R. and Monachesi, Elio, D. »
وكان البحث تحت رعاية جامعة مينسوتا .

وقد أجرى اختبار مينسوتا على ٤٠٤٨ تلميذا من تلاميذ الصف التاسع « ثالثة اعدادي » وعن طريق الدراسة التتبعيةفي العديد من مؤسساتالجانحين وغيرها من المؤسسات التي تهتم بمشكلات الجناح وجد ان الدرجات العالية في الانحراف السيكوباتي ، ودرجات الهوس الخفيف كانت ذات قيمة تنبؤية كبيرة في التنبؤ بمستقبل الجناح بين الاطفال حيث وجد ان نسبة كبيرة من الذين حصلوا على درجات عالية في هذين المقياسين من اختبار مينسوتا ، كانوا ينحرفون الى الجناح .

كذلك قام الباحثان السابقان بدراسة اخرى على اشكال الاضطراب المميزة للجانحين ، واستعملا فيها نفس الاداة وتوصلا الى نتائج الدراسة التالية في بحث آخر بعنوان :

٣ ــ اختبار الشخصية المتعدد الاوجه في دراسة الاحداث الجانحين [٢] :

واجري البحث سنة ١٩٤٧ ، وكان يهدف لدراسة مدى القيمة التنبؤية لاختبار مينسوتا في دراسة مستقبل الجناح عند الاطفال . فأجرى على ٤٠٠٠ طفلا من تلاميذ السنة التاسعة الدراسية ، وقد تبين ان الجانحين والجانحات من هؤلاء الاطفال أو الاطفال الذين انحرفوا الى الجناح بعد ذلك كانت لهم تخطيطات نفسية تظهر في صفحة نفسية يتضح منها انهم ترتفع درجاتهم المعيارية في مقاييس :

١ ــ عامل P. D. (الانحراف السيكوباتي) .
٢ ــ عامل M. F. بين البنين (الذكورة والانوثة) .
٣ ــ عامل H. Y. بين البنات (الهستيريا) [٣] .
٤ ــ عامل M. A. الهوس الخفيف .

---

(١) مرجع سابق : بحث رقم ٢٩٧٠ .
(٢) مرجع سابق : بحث رقم ١٢٩٠ .
(٣) مرجع سابق .

اما الاولاد الذين لم تدل تخطيطاتهم النفسية ، على أي درجات في النواحي الاكلينيكية تزيد على الدرجة المعيارية «٥٤» فانهم لم يكونوا شائعين بين الجانحين بدرجة ذات دلالة احصائية .

وقد اجري في هذا البحث دراسات عميقة تحليلية للدرجات التي حصل عليها هؤلاء الجانحون الذين قسموا الى مستويات، حسب خطورة ذنوبهم وجرائمهم . وعند مقارنة نتائج هؤلاء الجانحين بدرجات غيرهم من الاطفال الذين لم يعرف لهم ماض في سجلات البوليس والمحاكم وجدت هناك فروق ذات دلالة كبيرة . وبالرغم من الاهمية الكبرى لهذه الدراسة الا انها لا زالت مقتصرة على دراسة سمات سلوكية تدخل ضمن مفهوم السلوك الظاهر دون ابراز للطاقات الانفعالية المحركة لسلوك الجناح .

٤ ـ بحث عن طبيعة استجابات الجانحين والمجموعات الاخرى لمواقف احباطية نظمت تجريبيا [١] :

قام بالبحث كاي برين « Kay Brain » ، وقد تبين أن الحركات الكلامية ، وردود الافعال الانفعالية التي حصل عليها من ٦٠ جانحا ، ٥٠ عصابيا ، ٦٠ طفلا من تلاميذ المدارس ، وكلهم من سن واحدة ، أعطوا جميعا متاهات ذات أنواع ثلاثة : (كانت على التوالي ، متاهة عينة ، متاهة يمكن حلها ، متاهة لايمكن حلها) كانت تدل على ان مجموعة الافراد في المجموعة الضابطة كانت اكثر احتمالا للاحباط ، واظهروا درجة عالية من التحمل عند الفشل في حل المتاهة ، بينما كان الجانحون اكثر في توجيههم اللوم « Extrapunitive » بينما كان العصابيون اكثر توجيها للوم للذات « Intropunitive » ، ولقد دلت المعطيات ايضا على ان مجتمع الجانحين لم يكن من الممكن اعتباره متجانسا ، لانه كان مكونا من افراد يمتازون بنمط من الشخصية كان في بعضهم واضح الاستقرار ، وفي الآخر غير مستقر ، وفي المجموعة الثالثة عدواني بصورة خطيرة ، وهكذا لم يكونوا متجانسين من حيث استجابتهم لمواقف الاحباط .

وبالرغم من اهمية هذه الدراسة التجريبية ، الا انها كشفت فقط عن الفرق بين الجانحين وغير الجانحين في اتجاه العدوان او شبه العدوان في مواقف الاحباط ، وقد سبق أن بينا ان الاحباط يثير نوازع العدوان . ولكنه مع ذلك يركز على اسلوب التوافق غير السوي دون ان يتعمق في ديناميانه .

٥ ـ الجانحون المتكيفون وغير المتكيفين [٢] :

قام بهذا البحث جانكينز ريتشارد . ل« Jankins , Richard, L) واشنجتن

---

(١) خلاصة الابحاث النفسية : عام ١٩٥٦ بحث رقم ١٣٢٨ .

(٢) مرجع سابق : رقم البحث ١٣٠٥ .

(D. C.) سنة ١٩٥٥ وتبين من دراسته أنه يمكن أن نقسم الجانحين الى نوعين . .

— نوع يسميه الجانح المتكيف « Adaptive » .

— ونوع آخر يسميه السيء التكيف « Maladaptive » .

النوع الاول : هو ذلك النوع من الجانحين الذي يوجه سلوكه الجناحي نحو هدف معين لاشباع دافع ، وهو قد تعلم هذا السلوك بالممارسة لانه كان يحقق له اختزال دافع ما . وهذا النوع يعالج باحباط وتهديد « Thwarting » الانشطة التي يلجأ اليها ويمارسها للوصول لاهدافه ، وتعليمه الطرق المقبولة لاشباع حاجاته .

أما النوع الثاني : فهو غير قابل للتكيف ، لان سلوكه هذا استجابةلاحباط وهو السلوك النمطي « Stereotyped » المعروف في مواقف الاحباط [١] . ويكون علاج أمثال هؤلاء بالتقليل من الاحباط ، وبدء عملية تطبيع اجتماعي وتوجيه جديدة « Reeducation » تقوم على تعليم مجدد ، وتبدأ من مستوى بدائي . وفي هذا المقام يمكن للقارىء أن يراجع آراء ماير في موضوع الاحباط والسلوك النمطي [٢] .

٦ — ديناميات وعلاج حالات الانحراف الجناحي والسيكوباتي أو السلوك اللااجتماعي : « Asocial behavior »

قام بهذا البحث شولمان ايرفنج « Schulman Irving » سنة ١٩٥٥ .

وكان من أهم نتائج البحث ان عرف الجناح على أنه طريقة من طرق التوافق يقصد بها الاحتفاظ بمستوى القلق الى أقل درجة ممكنة . واقتراح العلاج في ضوء هذه النتيجة يتضمن علاج ظروف البيئة ، والعلاج النفسي الضروري للقلق على السواء . وتعتبر هذه الدراسة من أهم الدراسات التي أعطت وزنا كبيرا للقلق كمتغير هام في شخصية الجانح .

٧ — بحث في أنماط سلوك الجانحين وعلاجهم :

أجرى هذا البحث ناداد « Nadad, A. » في الفترة من سنة ١٩٥٣ — سنة ١٩٥٤ ، وقد نشر في مجلة خلاصة الابحاث النفسية سنة ١٩٥٦ تحت عنوان « الوحدة بين الفرد والبيئة ، مبادىء علاج الشباب الجانح » ، وكانت النتيجة التي توصل اليها انه ليس هناك مايبرز فروقا واضحة بين ميول الفرد ، وبين

---

(١) راجع في ذلك ماكتب في هذا المؤلف عن آراء ماير في الجناح . فصل ٧ .

(2) Maier, N. R. : Frustration. Ibid .

مؤثرات البيئة في خلق العوامل التي توجه وتثير جموح وجنوح الشباب بحيث يمكن ان نلمس لاي منهما ميزة على الاخرى كعامل محدد لسلوك الجناح ، دكلاهما له دوره الخطير . ان محور جنوح الشباب واجرامهم ينعكس فيما يحدث لهم من المحيط العام الذي يعيشون فيه ، ويحتكون فيه بمجموعة من الاشخاص . وما يحدث من احتكاك المراهقين او الشباب بعضهم ببعض كجماعات . ولهذا يجب ان يبنى العلاج على اساس تناول الفرد من هذا المحور ، محور العلاقة بين المراهقين الشباب من جهة ، والكبار من جهة اخرى .

٨ ـ الجناح عرض من الاعراض المرضية : [١]

تبنى هذا البحث سيدارليف ج. لينارت « Cedarleaf, J. Lennart » سنة١٩٥٥ وانتهى فيه الى أن الخلق المرضي الاجتماعي « Sociopathic » والعصابي ، والنقص الخلقي ، وكذلك حالات الجناح يمكن أن توصف وصفا تفصيليا ، ويمكن الكشف عن ديناامياتها في ضوء دراسة اتجاهات الفرد في العلاقات المتبادلة مع الغير «Interpersonal Relationships» والتي كانت تبدو فيها اشكال من السلوك تميز كل فئة منها عن الاخرى . وفي ضوء ذلك يمكن أن يوضع نظام لاعادة التأهيل النفسي يكون ملائما لكل فئة ، ويهدف الى تغيير اتجاهات الافراد في العلاقات مع الغير . فكأنه بذلك يثبت أن الجانح ـ كالعصابي ـ فرد فشل في اكتساب عادات التوافق الاجتماعي الملائمة .

٩ ـ السلوك الفردي المعادي للمجتمع : [٢]

« Individual Antisocial Behavior »

تبنت هذا البحث ادليد جونسون« Johnson, Adelaide » وكان الفرض منه دراسة مدى تأثير الميول الجناحية عند الآباء في خلق جناح الاطفال . وقد اعتمد البحث على خبرة عشر سنوات في علاج الآباء والابناء الذين ينحدرون من اسر طيبة ويحولون للمؤسسات لجناح أطفالهم . وهنا تذكر صاحبة البحث انها قد وجدت أن احد الابوين أو كليهما كانا يستشفا اشباعا لا شعوريا ، واحيانا نادرة ، اشباعا شعوريا لميول اجرامية لديهم من جناح الاطفال من ابنائهم ، الامر الذي كان يعتبر بالنسبة لهم اشباعا لرغباتهم في الرذيلة .

وبهذه الطريقة يصبح هذا السلوك عند الاطفال سلوكا معززا ، ويزداد عمقا لانه يعني بالنسبة للآباء موضوع اهتمام . وهكذا يهتم هذا البحث بناحية هامة في تعلم العادات التوافقية وهي التعلم الاجتماعي والتقليد ، وكيف انه عملية تعلم تخضع لاهم مبادئه وهو التعزيز .

---

١ ـ خلاصة الابحاث النفسية : ١٩٥٦ رقم ٤٩٠٠

٢ ـ مرجع سابق : بحث رقم ٤٩١١

١٠ ـ العوامل النفسية المرضية في الجناح :[١]

هذا البحث تقدم به سلفرمان هيش « Silverman, Heisch » سنة ١٩٥٥ : وانتهى الى أن الجناح من الناحية النفسية يعتبر أسلوبا لا يمكن ارجاعه الى عامل واحد ، وبالتالي لا يكون علاجه مقصوراً على علاج عامل واحد . ولكن الاساس الاول يجب أن يركز على أن الاسرة يجب ان تمنح المزيد من الحب والتعاطف للطفل . وفي هذا نجد أن بعض الآباء قد يخطئون القدر المناسب من هذا الحب ، وكثيرا ما يمنحون الابناء الحب من قلوبهم أكثر من عقولهم ، وتبرز المشكلة واضحة عندما يتبين أن الرعاية الزائدة تعتبر من مشكلات الجناح التي لا تقل اهمية عن النبذ والاهمال كعامل مهم في خلق الجناح . في هذه الحالة ، حالة الرعاية الزائدة ، قد يتعرض الطفل لعدد لا حصر له من المؤثرات والظروف المتنوعة التي قد تسهم بدرجة أو بأخرى في انحرافه الى الجناح . ولهذا يجب أن تتعاون المدرسة مع المنزل في بذل مزيد من الاهتمام بالمواقف والخبرات التي تؤدي الى تعويد الطفل على عادات توافقية طيبة .

والى هنا يغلب على هذه الابحاث أنها :

- تتجه لدراسة نوع واحد من الاضطراب الجناح أو العصاب .
- لا تهتم كثيرا بالعناية بالديناميات السلوكية .
- اعتمد بعضها على دراسة ظروف البيئة ، والبعض على قياس بعض السمات السلوكية .

١١ ـ بحث ايفي بنت « الطفل العصابي والجانح دراسة مقارنة » :

يعتبر بحث ايفي بنت من اهم الابحاث التي عنيت بالدراسة المقارنة بين الجانحين العصابين من الاطفال . ولو راجعنا الابحاث السابقة لوجدنا انها جميعا كانت تهتم بدراسة مظهر واحد من مظاهر الانحراف دون المظهر الآخر، فأما أن تنصب على الجناح ، أو تهتم بدراسة العصاب . دون أن نلمس في الابحاث السابقة جميعا كبير الاهتمام بالدراسة المقارنة لهذين المظهرين من مظاهر الانحراف . ولهذا يرى الكاتب أنه من المفيد للقارىء في هذا المؤلف أن يعرض بشيء من التفصيل لهذا البحث ، حتى يمكن أن نتبين مدى التشابه والاختلاف بين هذا البحث وتلك الدراسات من حيث :

١) الفروض التي افترضت للدراسة ٢) منهج البحث ٣) طبيعة العينة ٤) النتائج التي استطاعت أن تصل اليها ٥) الاطار النظري العام للبحث .

قام هذا البحث على دراسة خمسين من الاطفال الجانحين ومثلهم من

---

(١) مرجع سابق : بحث رقم ٦١٥٨ .

العصابيين ، وكان الغرض منه دراسة طباع وتاريخ حياة هؤلاء الاطفال ، وذلك في محاولة ما للوصول الى عزل وابراز نواحي معينة من سلوكهم ونموهم الانفعالي ، كما يظهر ذلك في ضوء الظروف المنزلية والاجتماعية . وكانت العينة من اطفال الريف الانجليزي .

وكانت ترى من خبرتها بعلم النفس التجريبي والتحليل النفسي ان من الممكن دراسة أسباب الجناح والعصاب في ضوء مفاهيم التحليل التي يمكن معالجتها بطريقة تجريبية احصائية معا . ولقد تأثرت الباحثة بآراء « كيت فرد لاندر » حيث اتخذت من بحثها وسيلة لتحقيق مدى صحة مفاهيم لاندر النظرية والتشخيصية بطريقة احصائية علمية .

كانت العينة التي اتخذتها موضوعا لبحثها من الاطفالالذين كانوا يترددون على العيادة النفسية الريفية بانجلترا ، وهم من الاطفال الذين هيئت لهم ظروف علاج تحليلي بلغ في بعض الحالات جلسات تتراوح بين ٥٠ ـ ١٥٠ جلسة لمدة سنتين او ثلاثة .

ولقد ركزت « أيفي بنت » دراستها على مجموعة الجانحين ، أما مجموعة العصابيين فقد اعتبرتها مجموعة خالية من الجناح . أو مجموعة مقارنة لمجموعة الجانحين ، ولم تجد من الممكن الوصول الى مجموعة يمكن اعتبارها مجموعة ضابطة ، ولهذا اعتبرت كلا من المجموعتين الجانحة والعصابية ضابطة للاخرى مع تركيز الاهتمام في الدراسة على المجموعة الجانحة .

ان بحث أيفي بنت كان يهدف لتحقيق فروض تتعلق بدراسة اسباب وتطور اعراض الجناح فقط ، اما اشاراتها الغالبة الخاصة الى تطور اسباب حالات العصاب فكانت تأتي في المرتبة الثانية . حيث كانت تعتبر مجموعة العصابيين مجموعة ضابطة بالنسبة لمجموعة الجانحين .

اجري البحث على خمسين من الاطفال العصابيين ، ومثلهم من الجانحين الذين اختارتهم بنت من الف من الحالات التي عرضت على عيادات مركز خدمة الاطفال ، وذلك لتحقيق فروض اشتقت من الدراسات الاحصائية والنفسية الاجتماعية عن الجناح ، ومن النظريات التحليلية في تكوين الخلق .

ولم يكن بحث بنت يهدف اصلا الى الكشف عن معطيات وحقائق جديدة أو حتى يهدف الى اختراع فروض جديدة ، بل كانت الغاية منه أولا وقبل كل شيء أن تختبر بطريقة عملية حقائق ومعطيات واقعية باستعمال نوع من التزاوج بين الطرق الاكلينيكية والطرق الكمية ، التي يمكن أن تستفيد كل الفائدة من منهج التحليل النفسي ، وفي نفس الوقت تقترب بقدر الامكان من المعايير الجامدة التي يتطلبها علم النفس التجريبي .

خطـة البحث : [1]

آ ــ العينـــة :

كانت العينة المختارة للبحث مجموعة من بـين ١٠٠٠ من الاطفال الذين تقدموا لعيادات ثلاثة في الفترة من ١٩٤٦ ــ ١٩٤٩ ، بحيث تمثل كل القطاعات الاجتماعية الاقتصادية بقدر الامكان . وقد اعتمدت في اختيار العينة عـلى حدود تشخيصية للاضطرابات العصابية والجناحية اتفق عليهـا فيما بينها وبين الهيئــة القائمة بالعــلاج والتوجيه في هذه العادات ، ولهذا اشتركت « كيت فريدلاندر » في هذه العملية ، كما أخذت عنها الباحثة تقسيم انحرافات الاطفال الى فئات حددتها وكانت تستند اليها في اختيار العينة ، وهي تحديدات طورتها مؤسســة « Judge Baker »ومؤسســة « Jewish Board Guardian » بالولايات المتحدة ، كما وافق عليها واقرها معهد الدراسات العلمية للجناح بلندن . وتنقسم مشكلات الاطفال او الاطفال المشكلين الى مجموعات تعرضها بالتفصيل فيما يختص بالمجموعات التي تهم هذه الدراسة ، ونذكرها هنا على سبيل الحصر في المجموعات الآتية وهــي : [2]

مجموعة ١ : وتعاني اضطرابات سلوكية أوليــة :

« Primary behavior disorders »

هــذه المجموعة تشمل الاطفال الذين يعانون مشكلات مثل صعوبات الاكل مص الاصابع ، التبول ، صعوبات في الانفصال عن الام ، الاشكال المتوسطة من اضطرابات النوم المعتدلــة ، والخوف من الحيوانات ، أو غيرها من المخاوف غير المنطقية ، عدم الاستقرار العــام ، أو الشعور بالبؤس وغيرها . هــذه الاعراض تمثل الاضطرابات التي ترجع الى استمرار ، أو اطالة مدة الصعوبات التي تواجهها عادة في مظاهر النمو الانفعالي المختلفة للطفل . وهذه عندما تظهر بصورة حادة في الاطفال الكبار يمكن اعتبارها ميولا عصابية .

وغالبا ما تكون هذه المشكلات ترجع الى الخطأ أو التناول غير الملائــم لمشكلات النمو . وقــد تشترك مظاهر التشخيص السابقة بميول أخرى نحو العصاب أو الجناح ، ولهذا يمكن أن تكون هذه الفئة مقسمة الى فئات فرعية :

آ ــ فئة تعاني اضطرابات سلوكية أولية مع ميول عصابية .

---

(1) Bennet, Ivy: Delinquent and Neurotic Children. A Comparative Study. Tavistock Publications. 1959 .

(2) Ibid : P. P. 36 - 41 .

ب ــ فئة تعاني اضطرابات سلوكية أولية مع ميول جناحية .

جـ ــ فئة تعاني اضطرابات سلوكية أولية مــــع ميــول جناحيــة وعصابية معــا .

وهذه المجموعات الثانوية يمكن أن تتضمن مجموعة الاطفال الذين يظهر عليهم ميول لا توافقية واضحة ولكنها ليست بعد من الحــدة ، او الانتشار في كل الشخصية بحيث تشكل حالة عصاب كامل التطور ، أو حالة جنــاح ثابتــة او معتادة كنمط من انماط السلوك .

مجموعة ٢ : الاضطرابات السلوكية الثانوية :

« Secondary behavior disorders »

ونستعمل هذا التعبير اذا كانت المشكلات السابقة تحدث كنتيجة لمرض عضوي مثل الصرع او التهابات الغشاء السحائي المخ « Meningitis » او التهاب المخ[1] « Encephalitis » ... الخ .

مجموعة ٣ : وتعاني اضطرابات سلوكية معادية للمجتمع أولية :

« Primary antisocial conduct disorders »

هذه الفئة تتضمن الاطفال الذين كانوا منذ المراحل المبكرة من العمــر يبدو عليهم عدم الطاعة ، ولا يمكن ضبط سلوكهم في المنزل ، اولئك الذيــن يكذبون ويسرقون او يختلسون او ينشلون أشياء بسيطة « Pilfer » ويتأخرون عن منازلهم ليلا ، أو يهربون من المنزل . اولئك الذين لا يمكــن اصلاح سلوكهم ولا يمكن التحكم فيهم ، هم اولئك الذين يظهرون بمعنى آخر من السلوك والاتجاهات نحو بيئتهم ما يمكن ان يؤدي أحيانا الى الخروج على القانون ، وقد تكون هذه المجموعة منقسمة الى فئتين فرعيتين :

آ ــ فئة تعاني اضطرابات معادية للمجتمع مع ميول عصابية .

ب ــ وفئة تعاني اضطرابات سلوكية اولية معادية للمجتمع مع ميــول ذهانيــة .

مجموعة ٤ : وتعاني اضطرابات سلوكية ثانوية معادية للمجتمع :

في هذه المجموعة يمكن ان توضع تلك الحالات التي يكــون تاريخها في

---

(١) يسمى مرض « السرسام » الحاد او التهاب الدماغ .

السلوك الجناحي كما وصفناه في المجموعة السابقة مما يظن انه نتيجة مرض عضوي مثل الصرع او التهابات المخ .

مجموعة ٥ : وتعاني من الاضطرابات العصابية : « Neuroses » .

تحت هذا العنوان يوضع هذا العدد الصغير نسبيا من الاطفال والمراهقين الذين يظهر عليهم صورة ناطقة من العصاب او مرض العصاب القديم مثل الهستيريا ، او عصاب الوساوس ، او القلق الهستيري ، او المخاوف . وهنا يلاحظ انه في حالات الاطفال الجانحين في المجموعة ٣ ، ٤ يكون الصراع بين الطفل وبيئته مما يؤدي الى الاضطراب السلوكي والانفعالي ، ولكن في الاطفال العصابيين يكون الصراع قد اصبح داخليا وتكون جذوره في اللاشعور[1] .

مجموعة ٦ : وتعاني اضطرابات المراهقة :

وهذه قد تعاني اعراضا عصابية او جناحية واضحة ، لانها لديها أو كان لديها استعداد لعدم الاستقرار الانفعالي النفسي في الطفولة ، وهؤلاء يعانون عند البلوغ من السلوك اللاسوي مثل عادات الوساوس ، او نوبات الهستيريا أو يكونون من الذين يغلب عليهم السلوك المعادي للمجتمع . هؤلاء قد يكون سلوكهم هذا مما لم يسبق له ارهاصات في سنوات الطفولة ، وهؤلاء يكونون مجموعة معينة ، وهناك مجموعة فرعية من هذه الفئة يكونون قد عرف من تاريخهم انهم كانوا يعانون من نفس الاضطراب بصورة معتدلة في طفولتهم ، ولم تكن فترة البلوغ عندهم الا فترة زادت هذه الاعراض تبيانا واتضاحا وظهورا . هذه المجموعة الاخيرة من البالغين « Puberts » قد يدخلون ضمن اطفال مجموعة البحث في هذه الدراسة . وهذه المجموعة يمكن تقسيمها الى مجموعات اخرى فرعية :

آ ـ مجموعة تعاني اضطرابات المراهقة مع ميول عصابية « يقصد بها هنا البلوغ » .

ب ـ مجموعة تعاني اضطرابات المراهقة مع ميول جناحية « ويقصد هنا البلوغ » .

جـ ـ مجموعة تعاني اضطرابات المراهقة مع ميول شبه ذهانية « ويقصد هنا في مرحلة البلوغ » .

---

(1) Mowrer : Learning Theory and Personality Dynamics. Ibid.

راجع كذلك آراء مورر في التطبيع الاجتماعي وأثره في تطور الصراعات اللاشعورية الفصل السابع من هذا المؤلف .

مجموعة ٧ : وتعاني امراضا ذهانية وهي نادرة جدا في الاطفال .

مجموعة ٨ : وتعاني من اضطرابات عضوية : وهذه تتضمن مجموعة الاطفال التي تعرض على العيادات وترجع اضطراباتها الى ضعف استعدادي أو مرض عضوي تكون هذه الاضطرابات ثانوية بالنسبة لها او نتيجة لهذه الامراض العضوية مثل امراض المخ ، أو اضطرابات الهرمونات والغدد الصم ، أو حالات الغدة الدرقية الحادة ، أعراض التهاب المخ ، أو فقر الدم المزمن ، أو مرض فرهلش « Frohlich disease » .

مجموعة ٩ : وتعاني من اضطرابات لا يكون التشخيص فيها محددا :

مجموعة ١٠ : وتعاني من التأخر العقلي : هذه الفئة لا تتبع أيا من المجموعات السابقة وتتضمن الاطفال الذين يكونون من الناحية العقلية أقل من العاديين أو أغبياء أو متأخرين عقليا ، ونعني بها مجموعة الاطفال الذين يرجع اضطرابهم الى عوامل عقلية اكثر منها انفعالية . وهذه المجموعة من الاطفال لم تكن ذات اهمية في بحث ايفي بنت .

مجموعة ١١ : الاطفال العاديون : وهؤلاء كانوا يحالون للعيادات النفسية دون وجود أي اضطراب حقيقي ، ولكن لجهل الامهات بمشكلات النمو ، أو بسبب تعرضهم وقتيا لعوامل ضغوط أظهرت اضطرابات مؤقتة .

كذلك استطاعت ايفي بنت ان تتغلب على مشكلة تعريف العصابي والجانح وتحديد التعريف ، وكان التعريف على أساس تشخيصي في ضوء نظرية فرويد وعلم النفس التحليلي .

ويجدر بنا ان نعرض هنا التعريفات التي تمسكت بها حتى نستنير بها في التعريف الاجرائي للجانح والعصابي ، ذلك التعريف الذي يستلزمه هذا المؤلف ، ويحتاج اليه كل راغب في معرفة الابعاد السلوكية لمفهوم الجانح والعصابي .

آ ــ تعريف السلوك الجانح :

لقد لاقت ايفي بنت صعوبة كبيرة في تحديد معنى الجناح ، ذلك أن الكثير من مظاهر سلوك الاطفال يمكن ان يعتبر نزعات جناحية يحاول الطفل ان يتغلب عليها . وليس هذا غريبا ، فكلنا قد اقترفنا عملا ما في طفولتنا يمكن ان يعتبر جناحا . وبنت هنا تستند الى ما تعرف به فردلاندر الجانح من « انه طفل مر باضطراب في توافقه للعادات الاجتماعية المقبولة والسلوك المرعي بدرجة جعلت الكثير من سلوكه العادي للمجتمع الذي خبره في طفولته يظل دون أي

تعديل . فالجناح مشكلة بيئية ، أو تكمن ادواؤه في البيئة التي يعيش فيها الحدث بحيث يسهل علاج الحالة بمجرد تغيير البيئة ، خاصة اذا كان الحدث لم يقطع شوطا طويلا في اتجاه الجناح، وفيما عدا ذلك يكون من الصعب بالنسبة لمثل هؤلاء تعديل سلوكهم مهما قدم لهم من علاج ، ولو ان ايكهورن يعارض في ذلك تماما » .

وقد حاولت ايفي بنت ان تحديد الجناح في عينة البحث ، ولذلك لم يكن الجانح في اعتبارها جانحا اذا كان قد ارتكب عملا معاديا للمجتمع او اقترف سرقة مرة واحدة ، او أظهر عرضا واحدا مستمرا . وكذلك لم تعتبر السرقة من المنزل وخاصة سرقة المأكولات مما يمكن ان يصم الطفل بالجناح . ولهذا كانت تختار الجانحين من أولئك الاطفال الذين يدل تاريخ حياتهم وسماتهم الاخلاقية على ميولهم الجناحية ، ومنها مثلا ان الطفل لم يكن يستطيع ان يجد لنفسه مكانا بين زملة أمثاله ، لانه لا يساير القواعد التي تجعل الحياة الاجتماعية ممكنة . ولم يكن اساس الاختيار هو ماضي الاجرام او احالة الفرد للمحاكمة ، ذلك ان الكثيرين من الجانحين لايقعون في قبضة رجال الضبط ، كما ان الكثيرين ممن يعرضون على المحاكم لاتهامهم بالجناح في صورة الاشتراك في عصابة لا يكونون مدفوعين لهذا السلوك بميول جناحية ، بقدر ما يرجع انضمامهم لهذه العصابات الى اضطرابات عصابية كالاستسلام الشديد ، او السلبية الانثوية المرضية بالنسبة للأولاد الآخرين ، وهؤلاء لا يمكن ان يعدوا ضمن الجانحين لانهم لولا وجود العصابة ما استثيرت هذه الميول العصابية التي تجعل الفرد العليل العصابي ينضم اليها ويرمي بذلك بالجناح وما هو بجانح .

ولهذا لم يكن الطفل يعتبر جانحا الا اذا درست الجرائم التي ارتكبها ، والتي من اجلها أحيل للمؤسسة او المحكمة او العيادة ، وقد درست حالته في ضوء الحقائق الآتية :

١ — أعراض اخرى من أعراض سوء التكيف .

٢ — تاريخ تطوره ونموه الاجتماعي .

٣ — بدء مشكلة ومدة استمرارها عند احالته ، او بمعنى آخر هل هي عميقة الجذور أم سطحية في فترة المراهقة .

٤ — السمات الاخلاقية الاخرى التي تجعله يكيف سلوكه مع القواعد الاساسية للحياة الاجتماعية ، دون الاصرار باستمرار على أن يستجيب لمواقف الاحباطات التي لا يمكن تلافيها لا في المنزل ولا خارج المنزل بطريقة لا اجتماعية .

٥ — قدرته على تأجيل الاشباع الشخصي المباشر ، والذي ليس من الضروري ان يكون اشباعا لحاجات بأسلوب معاد للمجتمع في ذاته .

٦ — طبيعة نزعاته نفسها .

٧ ــ ملاحظة استجاباته سنواء في الماضي او اثناء فترة التجريب للتغيرات المختلفة في البيئة .
٨ ــ مدى قدرته على تكوين صداقة مع واحد أو أكثر من الذين يهتمون بأمره ، صداقة تدوم طويلا .

وفي تحديدها لسن بدء الجناح ، تمسكت بالاطار النظري عند التحليليين الذين يعتبرون الطفل جانحا اذا استمر يفصح عن الميول المضادة للمجتمع حتى بعد بدء فترة الكمون التي تقع في المرحلة العمرية بين ٥ ــ ٨ سنوات . ولكنها ضمنت عينتها اطفالا دل تاريخ حياتهم على بدء سلوك جناحي صريح منذ سن ٤ ــ ٥[1] .

تعريف السلوك العصابي :

ان المهمة في تحديد السلوك العصابي أسهل كثيرا من مهمة تحديد السلوك الجانح . ولهذا استعملت بنت تعريفا اجرائيا ، أي أنها عرفت العصاب في ضوء تقسيم الحالات حسب الاعراض والسلوك الذي يظهرونه ، وقد اعتبر الطفل عصابيا اذا اظهر ادلة سلوكية تسمى عادة أعراضا عصابية ومن امثلتها :

- أنواع الخوف العديدة غير ذات المنطق أو التي لا مبرر لها .
- المخاوف المرضية الشاذة .
- القلق .
- الاعراض الهستيرية .
- مظاهر الكف الشديد .
- الاعراض الوسواسية .

وهنا وجدت بنت انه في حدود المستوى العمري الذي اختارته ــ كان عدد قليل جدا من الاطفال من الذين تبدو عليهم أعراض العصاب الصريح بصورته الكاملة المتطورة ، ولكن على أية حال فان الميول العصابية كما ترى هي يمكن ان تتعرف عليها بصورة محددة تماما منذ سنوات العمر الاولى في بعض الحالات ، وهذا هو ما يحدث تماما حين يمكن التعرف عليها في الراشدين الذين يعانون مشكلات عصابية ، ولكنهم بسبب ظروفهم الملائمة لا يصلون أبدا الى النقطة التي عندها يتعرضون للانهيار العصابي الكامل . ولهذا حددت العصابيين في عينتها بأولئك الاطفال الذين ترى هيئة العلاج انهم يعانون من عصاب محدد أو من ميول عصابية صريحة لفترة طويلة .

واذا كانت اعراض الخوف والقلق توصف عادة في نظر الاطباء النفسيين على أنها محور كل حالة عصابية ، فانها اعتبرت ان الخوف العصابي او القلق في صورتها النقية المثالية تعتبر دليلا على اضطراب لا شعوري ، وفي كثير من

---

(1) Bennet, Ivy : Ibid. P. P. 42 - 45 .

الحالات تعتبر نتيجة له أيضا . ولهذا يعتبر وصف السلوك العصابي عند الاطفال امرا يجب أن يتضمن وصف السلوك الذي يدل على أحد أمرين : أما القلق العنيف الحاد نفسه ، أو طرق مقاومة القلق او مشتقات من هذه جميعا .

ولقد استبعدت أيفي بنت من بحثها عينات الاطفال الذين كان عصابهم يأخذ صورة جناح أو مظهرا عدوانيا عنيفا ، كذلك استبعدت الحالات المشكوك فيها ، كما استبعدت الحالات التي تقع على الخط الفاصل بين الجناح والعصاب، ما لم يحدث عليها اتفاق تام من هيئة العلاج ، اي انها استبعدت تلك الحالات التي يمكن اعتبارها مختلطة ، كالسرقة القهرية[1] .

ولقد استبعدت ايفي بنت كما بينا إمكان الحصول على اطفال عاديين يمكن اتخاذهم عينة ضابطة ، حين فشلت في تحقيق هذه الغاية ، ولذلك اعتبرت كلا من المجموعتين معيارية ضابطة للاخرى ، ولو ان ذلك أمر مأخوذ على البحث بعض الشيء ، الا انها بررت ذلك بأن دراستها تنصب على المقارنة بين هذين الاسلوبين من الاضطراب .

طريقة الدراسة ومعالجة المشكلة :

بعد اختيار العينة ومعادلة الجانحين بالعصابين من الاطفال ، جمعت أيفي بنت كل المعلومات التي امكن الحصول عليها والتي كان لها علاقة ما بكل حالة ، حسب تخطيط معين ، ومن هذه المعلومات عن كل طفل وضعت ملخصا للحالات ، وبعد ذلك صنفت كل المعلومات الحقيقية الهامة عن كل حالة وحولتها الى بطاقات مجمعة « Master cards » بعد ذلك خرجت بقائمة تحوي ما يقرب من ٣٠٠ موقف او ظرف أو حالة ، يجب دراستها ومقارنتها لمعرفة مدى مصاحبتها وتمثلها في الاساس العام لحياة الاطفال ، ومدى الاختلاف بين كل من الجانحين والعصابين في تكرار هذه الظروف وتواترها .

ولقد حددت الاطار العام للظروف التي اخضعتها للظروف المقارنة بما يأتي :

أولا : تلك الظروف التي ادت الى انهيار الطفل في توافقه في حياة الجماعة ويقصد بها الاعراض ، السلوك ، الظروف الانفعالية عند الاحالة للعيادة .

ثانيا : تلك الظروف التي تميز اسرة الطفل ومنزله والوضع العام في الاسرة وكذلك المركز الاجتماعي .

ثالثا : تلك الظروف التي يظن انها قد لعبت دورا هاما في نمو الطفل وتاريخه الشخصي .

---

(1) Bennet, Ivy : Ibid. P. 50

النتائج :

وبعد أن أخضعت أيفي بنت كل ما حصلت عليه من معلومات عن الحالات، في هذه النواحي للمعالجة الاحصائية توصلت الى نتائج معينة ميزت بها بين الجانحين في أمور معينة . ونحن نستعرض هنا أهم ما حققه بحثها من نتائج ، خصوصا منها تلك النتائج التي يمكن ان تكون ذات مغـزى أو تـؤدي خدمة لبحثنـا هـذا .

اولا — مميزات السلوك الجناحي :

وجدت بنت فروقا مميزة في صالح الجانحين في اشكال السلوك التي تتضمن الخروج على الاوضاع والعدوان وعدم الطاعة بدرجة تأكيد بلغت في الغالب ١٠ر.

ثانيا — مميزات السلوك العصابي :

وفيها تبين ان العصابين يفوقون الجانحين بدرجة ذات دلالة عند درجة تأكد ١٠ر في المخاوف القهرية والخوف ، سرعة البكاء ، الخوف من الموت وأفكار الانتحار ، الوسواس والافعال القهرية ، الانسحابية والسلبية .. الخ .

ثالثا — العلاقات الاجتماعية :

وجدت ان العصابين يفوقون الجانحين في حسن السلوك والطيبة والطاعة ؛ بينما يتفوق الجانحـون في عدم الطاعـة والتحدي بدرجة ذات دلالة احصائية عاليـة ، كذلك اثبتت فروقا عالية بدرجة تأكد ٥٠ر لصالح العصابين في الغيرة والحقد والبحث عن ممتلكات الغير . كذلك وجدت فروقا في صالح العصابيين في الخجل والانسحاب والبعد عن المجتمعات والشعور بالغرابة وكراهية الغـير ، أو مقابلتهم أو التحدث مع الغرباء .

رابعا — المشكلات المدرسية :

لم يظهر من بحثها فروق تذكر بين الجانحين والعصابين الا أن العصابين تعرضوا لمشكلات تعلم موضوعات خاصة بدرجة أكثر من الجانحين .

خامسا — العادات العصبية الثابتة :

لم يكشف بحثها عن وجود فروق فيما يمكن ان يعتبر نماذج للتـوتر أو

أمراض قلق عام مثل الإرتعاشات والاهتزازات والخلجات العصبية ، ومص الابهام أو الشفاه ، وقضم الاظافر ، وغيرها من العادات الجسمية .

سادسا ــ السلوك الجنسي :

لم تجد فروقا في المبالغة في الاستمناء الذاتي ، أو اللعب الجنسي بين العصابين والجانحين . أما في تقليد الجنس الآخر فقد تفوق العصابيون على الجانحين بدرجة تأكد ١٠ر اذ زاد تواتر ظاهرة السلوك الانثوي عند البنين من العصابين عنه عند اقرانهم من الجانحين ، كما زاد السلوك الذكري عند البنات في العصابين عنه عند الجانحين .

سابعا ــ الاتجاهات التي تدل على الجمود والخشونة :

أثبت البحث تكرار ظاهرة عدم المبالاة وعدم الاهتمام عند الجانحين بدرجة العصابيين ، كذلك انعدام الحب ، والتبلد وعدم اظهار مشاعر الود عند الجانحين بدرجة تأكد ١٠ر فأكثر . ثم كذلك تزداد عند الجانحين ظاهرة عدم القدرة على التفاهم والتحاشي وانكار المشكلات بدرجة كبيرة عنها عند العصابين .

ثامنا ــ نقص تكوين الأنا الاعلى :

وقد اثبته البحث في ضوء العادات السلوكية الاجتماعية عند كل من الجانحين والعصابين بالصورة الآتية :

- انعدام الشعور بالاثم او الخجل أو التأثير بفعل ما ، وفيها تفوق الجانحون بدرجة تأكد ١٠ر .
- لا يرجع أو يندم أو يصحح أخطاءه او يشعر بالاسف أو وخز الضمير ، وفيها تفوق الجانحون بدرجة تأكد ١٠ر .
- الاندفاع وضعف القدرة على السيطرة على النزعات او العناد القصدي « Wilful » وفيها تفوق الجانحون بدرجة تأكد ١٠ر .
- عدم الاهتمام بنتائج السلوك ، لا يعبأ بالنصح أو التحذير ، وفيها يتفوق الجانحون بدرجة تأكد ١٠ر .
- لا يستطيع تحمل الاحباط او تهديد الرغبات ولا يحب النقد او النصح ، وفيها يتفوق الجانحون بدرجة تأكد ٠٥ر .
- يشك في البالغين ، ويخاف السلطة ويفشل في التعليم وينحرف ثانية ، وتزداد الظاهرة تكرارا في حالات الجانحين بدرجة تأكد ١٠ر .

- لا يستطيع الانتظار ولا بد من الاشباع المباشر لنزواته ، غير صبور ، وتزداد الظاهرة تكرارا في الجانحين .
- طماع، كثير الطلب، لايشبع، ولا يقنع، نهم « Gluttonous » « المفجوع » ، وتزداد الظاهرة تكرارا في سلوك الجانحين .
- طماع ، كثير الطلب سفيه مبذر في النقود والاشياء المادية ، وتزداد الظاهرة تكرارا في حياة الجانحين .

تاسعا — أشكال من السلوك المشكل الاخرى :

ولم تجد فروقا ذات دلالة في العناد ، الانانية وعدم اعتبار الغير ، السرحان والنسيان ، الكسل والتبلد ، ولكنها تبينت فروقا ذات دلالة بدرجة تاكد ١.ر في زيادة ظاهرة انعدام الانفعال والتبلد ، والتكاسل « Lethargic » وتكرارها عند العصابين أكثر منها عند الجانحين .

عاشرا — العادات المتهجنة والسلوك الغريب :

ولم تجد فروقا ذات دلالة احصائية في عادات انعدام المرح ، وندرة الابتسام ، وعدم الضحك او اطلاق النكتة ، أو السلوك الاكبر من السن ، أو عدم اللعب او الظهور بمظهر غير طفلي ... الخ .

احد عشر — اضطرابات عصابية في الوظائف العضوية :

ولم تذكر فروقا ذات دلالة في اضطرابات التغذية ، أو النوم ، أو الكلام ، أو ضبط التبول او التبرز ، أو اضطرابات الجهاز الهضمي « Alementary system » ولو انه في المجموع العام تزيد هذه الاضطرابات عند العصابين عنها عند الجانحين .

اثنا عشر — اضطرابات في البيئة عامة :

وقد ابرزت نتائج بحثها فروقا ذات دلالة بزيادة تكرار ظاهرة المنزل غير المستقر او الكثير الانتقال ، والازدحام الشديد ، وطول الفترة التي قضاها في الاسر البديلة والتغيب مع الاصدقاء والاقارب عند الجانحين عنها عند العصابين تاكد ١.ر ، كما أن الجانحين قضوا في المؤسسات فترة أكبر من العصابين وهي ظاهرة أكثر تواترا عندهم .

ثلاثة عشر — البناء الاسرى :

وقد تبين من البحث ان الحياة الاسرية المستقرة كانت تكرارا عند العصابين

منها عند الجانحين ؛ بينما زادت تكرارات الانفصال والهجر والطلاق عند الجانحين ، وكذلك حالات اليتم . كما كان ميلاد الطفل من زواج مستقر أكثر تواترا عند العصابيين بينما زاد الميلاد من زواج غير شرعي عند الجانحين . ولم يظهر فرق ذو دلالة في الترتيب الميلادي ، بينما كان حجم الاسرة الكبير (اربعة اطفال فأكثر) اظهر تكرارا في حالات الجانحين ، كذلك تفوق الجانحون في تكرار ظاهرة التهدم الاسرى ، أما الاستقرار العائلي فقد تفوق فيه العصابيون .

هذا ولم يتبين فرق واضح في تكرار ظاهرات مرض الآباء أو تعرضهم لحالات نقص جسمي مزمن .

اربعة عشر – شخصية آباء الاطفال :

وفي هذا اظهر البحث اختلافا ذا دلالة لصالح الجانحين في الآباء اللا اجتماعيين او الخارجين على الحياة الاجتماعية بزيادة ذات دلالة عند درجة تأكد ١.ر ، بينما كان تكرار حالات الآباء العصابيين أكثر تواترا في حالة العصابيين منها في حالة الجانحين بنفس الدرجة من التأكد ، وذلك في شخصية الامهات والآباء على السواء .

خمسة عشر – موت أو غيا ب الآباء :

لم يظهر فرق ذو دلالة بين الجانحين والعصابيين في تكرار هذه الظاهرة .

سادس عشر – أضطراب العلاقة بين الطفل والام في مراحل العمر المختلفة :

ثبت ان هذه الظاهرة كانت أكثر تكرارا بين الجانحين منها بين العصابيين على العموم ، وخصوصا في العمر من الميلاد الى سن السابعة[1] . وكان الاضطراب يأخذ غالبا صورة الهجر او النبذ او الاشتغال بغير الطفل .

سابع عشر – اضطراب العلاقة بين الطفل والوالدين :

ظهر انها اكثر تواترا في كل المراحل العمرية عند الجانحين منها عند العصابيين بدرجة تأكد ١.ر من سن الميلاد حتى ما بعد الحادية عشر .

---

(1) Bowlby, J : Child Care and the Growth of Love. Pelikan Book. 1959.

ثامن عشر ــ اضطراب العلاقات الانفعالية داخل الاسرة :

وكانت اكثر تواترا في العلاقة بين الآباء والاطفال ثم بين الامهات والاطفال ثم بين الاب والام ، عند الجانحين منها عند العصابيين . ولو أن الفرق لم يكن على درجة كبيرة من الدلالة .

تاسع عشر ــ الاحوال الجسمية :

لم يظهر فيها فروق ذات دلالة .

عشرون ــ فترة الرضاعة من ثدي الأم :

وواضح من تكرار الحالات ان العصابيين كانوا يعتمدون على ثدي الام فترة اطول من الجانحين من شهور العمر .

واحد وعشرون ــ مشكلات التدريب على العادات الاولى :

لم تظهر فروق ذات دلالة بين تكرار حالات مثل :

آ ــ اضطرابات النوم في مراحل العمر الى ما بعد السنة الحادية عشر .

ب ــ اضطرابات الاكل في كل مراحل العمر السابقة .

جـ ــ مشكلات ضبط التبول في كل هذه المراحل ، وكذلك ضبط التبرز .

اثنان وعشرون ــ مشكلات التجوال الطفلي :

وكانت اكثر تكرارا بدرجة عالية من التأكد عند الجانحين منها عند العصابيين حتى ستة سنوات درجة التأكد ٠٠١ر٠

ثلاثة وعشرون ــ التاديب والتهذيب في المنزل :

التهذيب العادي اكثر تكرارا عند العصابيين درجة تأكد ٠٥ر .

الشديد القسوة اكثر تكرارا عند العصابيين درجة تأكد ٠٥ر .

الشديد المتراخي (معاملة متناقضة) لافرق .

معاملة غير موجودة ، وكان اكثر تكرارا عند الجانحين منه عند العصابيين بدرجة تأكد ٠١ر .

أربعة وعشرون – الازمات التي مرت بخبرة الطفل :

لم تظهر فروق ذات دلالة احصائية بين الفئتين في كل المراحل العمرية ، ولو ان البنات من فئة الجناح كن أكثر تعرضا للخبرات المؤلمة والازمات .

خمسة وعشرون – الهتمات ومستوى النجاح :

ولم تظهر من دراستها فروقا ذات دلالة في تكرارات حالات النجاح على المستويات الثلاثة (فوق المتوسط – متوسط – اقل من المتوسط) بين مجموعتي النجاح والعصاب في النواحي الآتية :

آ – التحصيل المدرسي ب – ميول القراءة جـ – المهتمات ونواحي التفوق في النشاط .

يتضح من العرض السابق ، ان البحث الذي قامت به ايفي بنت كان اقرب الى البحث الاجتماعي منه للبحث النفسي . ونحن هنا لا نقلل من أهمية هذا البحث ولكن نريد أن نبرز المعالم الرئيسية فيه . حقيقة ان المادة العلمية التي استطاعت أيفي بنت ان تقدمها لايمكن أن يستغني عنها أي باحث في مجال دراسة مشكلتي الجناح والعصاب الا ان بحث بنت يبدو عليه معالم يرجو الباحث ان يبرزها حتى يتضح فيما بعد مدى مايقدمه من خدمة . لموضوع دراسة هذا الكتاب :

- لم يفترض بحث أيفي بنت فروضا اخترعها بقدر ماكان يهدف لتحقيق فروض قائمة .
- اعتمد اساسا على دراسة تاريخ الحالات وجمع البيانات عن مظاهر ومشكلات النمو التي مرت بها الحالات وقارنت الباحثة تكرارها .
- لم يتبين البحث وسائل للقياس محدودة .
- لم يكن يهدف لدراسة تنظيم الشخصية وديناميات السلوك الجناحي والعصابي ، بقدر ما جعل الاهتمام الاكبر مركزا على العوامل المصاحبة التي اعتبرها مسؤولة عن الاضطراب السلوكي ، والتي يمكن أن تدخل غالبا تحت فئة المتغيرات المستقلة .
- لاشك ان النتائج التي حققها البحث ذات قيمة علمية كبيرة ، الا انها غالبا تعني بالعلاقات بين الافراد وبالعوامل الجسمية والمادية وظروف

For further readings see :

Bennet, Ivy : Ibid. P. P. 490 - 500 .

الحياة الاسرية ، دون كبير اهتمام بنتائج ذلك في المكونات الاساسية للشخصية ، تنظيمها وتكاملها او اضطرابها .

— لقد بنيت كل هذه النتائج على تقدير الآباء والامهات احيانا لمدى وجود الظاهرة ، وعلى مدى تأكيد ذلك بعد جلسات العلاج او مرات المقابلة ، على يد المعالجين او الاخصائيين .

وفي النهاية يبدو واضحا ان بنت قد تأثرت في بحثها هذا بالمنهج الذي اصطنعه سيرل برت في بحث الفروق المميزة للجانحين في العوامل المصاحبة ، بمقارنتهم بالعاديين ، أما بنت فقد جعلت المجموعة العصابيةمجموعة ضابطة بالنسبة المجموعة الجانحة .

أبحاث اضطرابات الكلام :

لايستطيع الكاتب في هذا المقام — وقد تضمنت دراسات الكاتب التي سيعرضها في آخر هذا الكتاب من العصابيين مجموعة من الاطفال الذين يعانون اللجلجة ، او التهتهة — ان ينتقل الى موضوع بحثه هو دون ان يذكر هنا بحثا كانت له اهميته في دراسة مشكلة من اهم مشكلات التكيف الاجتماعي ونعني بها مشكلة القدرة على التفاهم او الكلام .

ومن أبرز الابحاث في هذا المقام البحث الذي قام به الاستاذ الدكتور مصطفى فهمي . فقد اجرى بحثا شاملا لمشكلة اللجلجة كان يهدف منهللاجابة عن الاسئلة الآتية [1] :

١ — هل اللجلجة عرض نفساني ؟
٢ — هل يمكن الابانة عن جوهر طبيعة اللجلجة على قاعدة من العوامل البيئية (اي على اساس ما للبيئة من تأثير) ؟
٣ — هل في المتلجلجين بوصفهم جماعة قائمة بذاتها ، استعداد للاصابة بضعف جسماني في ميكانيزم الكلام ؟

ولقد اجرى سيادته بحوثا واختبارات شاملة على ٨٩ مصابا باللجلجة في سن تلاميذ المدارس من الانجليز وهي من اربعة وسبعين من الذكور ، وخمسة عشر من الاناث ، وقد عول في تشخيصه لمختلف الحالات على سجلات التواريخ الشخصية ، وعلى المشاهدات الاكلينيكية ، كما بذل عناية خاصة في تقصي نشأة كل طفل وكيف رباه والداه وكيف عاملاه . .

كذلك استعملت طريقة المقابلة والاسئلة والاجوبة التي كانت اكثر جدوى في حالات الكبار ، كما استعمل طريقة العلاج والتشخيص باللعب لدراسة

---

(١) دكتور مصطفى فهمي : امراض الكلام . مكتبة مصر بالقاهرة سنة ١٩٥١ .

العلاقات الاسرية في مجموعة الاطفال الصغار ، بالاضافة الى اساليب العلاج النفسـي .

ولقد كانت المعلومات التي توصل اليها ذات فائدة كبيرة في تحقيق مـدى صحة الفروض السابقة . وفي ضوء النتائج التي حصل عليها من سجلات تاريخ الشخصية ، واستجواب الآباء والمعلمين خاصة امكنه التوصل الى نتائج هامة :

أولا – امكن ان يتبين في ضوء المعلومات السابقة ان الاطفال المصابـين باللجلجة يمكن تقسيمهم الى فئتين :

آ – الفئة الاولى وكانت مكونة من ٨٣ مصابا بدأت الحالة عندها من سن مبكرة مرتبطة بمرض نفسي قديم ونمت اللجلجة وتطورت ، على أنهـا عرض رئيسي للحالة المرضية النفسية . كما تبين تواتر حالات اضطراب كلامي في حالة ٢٦ اسرة من اسر هذه المجموعة .

ب – الفئة الثانية وتتكون من ستة مصابين ، وقد نشأت اللجلجة فيهم فجأة عقب صدمة نفسية عنيفة ما لبثت مضاعفاتها ان سببت شعورا بالقلق والتوجس ، وقد بسط هذا الشعور جناحيه على نطق الطفل من بـدء الاصابة ، ثم اخذت بوادر جديدة من بوادر النزوع للقلق تتفاقم وتستفحل تدريجيـا ، وربما كان سبب هـذه البوادر ، اللجلجة نفسهـا أو عوامل بيئية جديدة اخرى .

الفئة الاولى : ٨٣ مصابا وقد ظهر من البحث الذي قام به السيد الباحث ان من الاسباب الرئيسية في تكوين هذه المشاعر بنفوس أطفال هذه الفئة .

آ – الافراط في الرعاية والتدليـل .
ب – المحاباة وايثار الطفل بالحظوة مما أثار عليه رفاقه وعدوانهم عليه .
جـ – الافتقار للعطف الابوي والرعاية .
د – التعس والشقاء العائلي .
هـ – تعارض وتنازع الاهواء في الاسرة . والتذبذب في طرق التربية بـين الام والاب .
و – اجبار طفل يساري على استعمال يده اليمنى .
ز – الفشل في التحصيل المدرسي .
ح – كبت الرغبات المختلفة للطفل .
ط – الحقد والسخط على المحيط المدرسي .

وهذه كلها اسباب خارجية تقلل من شعور الطفل بالامن وتؤدي للصراع النفسي او انعدام الامن الداخلي الذي قد يستفحل ويصبح الجانب الغالب في تكوين شخصية الطفل .

ولقد استطاع السيد الباحث ان يبرز حقيقة هامة من دراساته وعلاجه لهذه الحالات عندما اكد انه يميل لاعتبار الاضطراب المسبب للصراع النفسي البادي اضطرابا يقع على شفا الوعي او الشعور ، ويمكن استرجاع صراعاته بسهولة واضحة .

كذلك اكد الباحث الاخذ برأي « لاندس » في الاستعداد الطبيعي للاصابة بالامراض النفسية ، التي تكون ارضا ممهدة للاصابة اذا تفاعلت معها عوامل بيئية ملائمة لاظهار الاعراض ، الامر الذي قد لا يحدث اذا لم تتوفر في البيئة الظروف المميزة للاستعداد .

ولقد كشف في عينة البحث ان اغلب أفرادها كانوا يعانون ضعفا في البنية او اضطرابا في النواحي المزاجية يعتبر صورة لما طبع عليه الآباء .

كذلك عالج السيد الباحث في دراسته هذه موضوع اختيار العرض ، وقد بين كيف ان عددا كبيرا من عينة البحث كان اختياز عرض اللجلجة عندها كنتيجة للمرض النفسي ناجما من عوامل مرضية او تكوينية أثرت في الجهاز الكلامي .

كذلك ابرز البحث ان حالات الاضطراب في ايقاع الكلام كان يعقبها أو يتدخل فيها عناصر جديدة هي عناصر الخوف والتوتر والالتفات للعملية الكلامية مما يطبع البذور الاولى للجلجة في الكلام .

ولقد عالج السيد الباحث في مجموعة الحالات الظروف الاسرية ، والاحوال الوالدية وطريقة التربية ، وظروف التنشئة الاجتماعية ومدى تأثير كل ذلك في تطور الشعور بالتوتر والقلق وانعدام الاحساس بالامان ، وكذلك حالات الشعور بالاثم ، والخوف من العقاب من تنازع الرغبة في العدوان بسبب الاستهجان المستمر والاستنكار الدائم والكراهية الملموسة ... الخ ، من العوامل البيئية التي كانت تغرس في نفوس الاطفال القلق ، ولا تكون حالة اللجلجة في ذلك الا مخرجا لهذا التوتر الانفعالي [1] .

كذلك عالج البحث المذكور آثار انعدام الدفء العاطفي في خلق مشكلات العصاب وظهور أعراض اللجلجة على مجموعة اخرى من الاطفال ، والتي تعتبر فيها اللجلجة « ظاهرة تنفيس انفعالي » بسبب فقدان الاتزان النفسي والشعور بعدم الامان .

عالج البحث أيضا أثر كبت الميول العدوانية في خلق حالة من التوتر النفسي ، قد تكون سببا في ابراز اعراض القلق في صورة لجلجة « حالة الطفل

---

(١) راجع في ذلك : د. مصطفى فهمي : امراض الكلام . مرجع سابق من ص ١٢٩ — ١٥٨ .

انيهودي وعدوان الاطفال عليه » . وقد ظهر ان صراعاته قد ازدادت حـدة وخاصة بعد تعرضه لقلق بسبب أزمة صدمـة « Traumatic anxiety » حيث أكد أوتو فينكل ان اشتداد وطأة القلق تخل بكفاية ضوابط الفرد في مثل هذه الحالات . « حالة ص ١٥٠ ــ ١٥١ » من المرجع المذكور .

كذلك أبرز البحث كيف ان اللجلجة كثيرا ما تكون عرضا لعصاب الازمة أو الصدمة المعروف حين يصبح الطفل مغمورا باضطراب انفعالي عنيف لاتستطيع الذات ان تواجهه بأي تصرف توافقي سليم ، كالغارات الجوية ، او الاحداث الشديدة المفاجئة ، او الكوارث ... الخ .

هكذا يبدو واضحا أن دراسات الاستاذ الدكتور مصطفى فهمي كـانت تنحو في تفسير عرض اللجلجة منحى ديناميكيا يهتم بأثر القلق النفسي والتوتر الانفعالي في خلق هذه الحالة العرضية ، التي تثبت كلما اختزلت من هذا القلق ، وهو في هذا يؤمن بالمبادىء العامة لنظريات السلوكية الجديدة .

كذلك يلاحظ ان البحث اهتم بابراز اثر الحياة الاسرية والعلاقات الوالدية في تعلم هذا الدافع النفسي المكتسب ، الشعور بالقلق والتوتر وعدم الامان ، الذي يدفع بهذه الاشكال من الانحراف العصابي .

واذا كان البحث قد خلص الى اعتبار اللجلجة مرضا نفسيا ، وعرضا عصابيا ، فان البحث قد اهتم ايضا بابراز أثر العوامل الاستعداديـة المكتسبة غالبـا في توجيـه العرض هـذه الوجهـة الى جـانب دور القلق في خلـق هـذا العرض .

كذلك لم يهمل البحث التنويه صراحة او ضمنا الى دور الدافع للعدوان وما يترتب عليه من صراعات نفسية ، وكبت لهذا العدوان ، في خلق هذا العرض .
وبمراجعة هذه النتائج بنتائج أبحاث بنت يتبين الفرق الكبير في تفسير النتائج بين كل منهما .

والخلاصة ان بحث أمراض الكلام هذا يعتبر تطورا كبيرا في الاطار النظري لتفسير الظاهرة هذه ، جعل التفسير الديناميكي منهجا سائدا وأبرز أهميـة طرق التربية الخاطئة واثرها في خلق مشكلات الاطفال ، واهمها مشكـلات التكلام ، ولقد اتضح هذا الاطار السيكوديناميكي اتضاحا واسعا في مشكلـة التشخيص والتفسير ، كما كان له أثر في توجيه طرق علاج مشكلات الكـلام وجهـة جديـدة .

ثانيا : بحوث اجريت على عينات في البيئة المحلية

يرى الكاتب ان يعرض في هذا المقام لاهم الابحاث التي أجريت في ميدان الجناح والعصاب في البيئة المحلية العربية ، ونريد هنا ان نكرر ان اغلب الابحاث

لم تعن عناية كافية بالدراسة المقارنة بين الجانحين والعصابيين اللهم الا البحث الـذي اجراه السيـد الاستاذ الدكتور مصطفى فهمي لدراسة استجـابات حالات مصرية من الجانحين والعصابيين والعاديين لاختبار الاتجاهات العائلية .

ولا شك ان البحث كان دراسة مستفيضة ، ابرزت الكثير من مظـاهر العلاقات الاسرية ، واثر المعاملة الوالدية في خلق مشكلات التوافق ، وسوف نعرض نبذة عن هذا البحث فيما بعد .

كذلك يمكن ان ننوه الى الاهمية العلمية للبحث الذي قام به الـدكتور محمد عماد الدين اسماعيل ، والدكتور نجيب اسكندر في دراسات في الاسرة ، وكيف أبرز هـذا البحث اثر الاتجاهات الوالديـة في تنشئة الاطفال ، تلـك الاتجاهات التي تبين من البحث انها تتاثر بالمستوى الاجتماعي الاقتصـادي ، وتؤثر في نمو شخصية الطفل ، وسوف نعرض له ايضا بالتفصيل فيما بعد ، حيث يعتبر بالنسبة لهذا المؤلف نقطة ابتداء هامة للبحث الذي سيقدمه الكاتب .

واذا اردنا ان نستعرض أهم الابحاث التي اجريت في ميدان الجنـاح والعصاب مرتبة حسب تاريخ اجرائها او نشرها فاننا نجد ان اهمها :

١ ــ بحث موضوعه ((القوى الديناميكية في شخصيات الجانحين الاحداث في البيئة المصرية)) :

قام بهذا البحث الدكتور مختار حمزة ، وكان يهدف الى دراسة هـذه القوى الديناميكية ، كمـا يمكن استخلاصها من استجـابات الجانحين لاختبار تفهـم الموضوع .

وكانت المشكلة التي يهـدف البحث لحلها هي مشكلة تقنين الاختبـار بتطبيقه على عينة ضابطة لدراسة مدى الاختـلاف بين استجاباتها لصـور الاختبار واستجابات مجموعة الجانحين ، ثم بعد ذلك تحليل القصص لدراسة القوى الديناميكية التي تؤثر في خلق جناح الاحداث .

العينـة : الجانحون ثمانون من الاطفال البنين الذين تتراوح أعمارهم بين ٨ ــ ١٢ سنة ، اختيروا من مؤسسات الاتحاد المصري لرعاية الاحـداث ، أما المجموعة الضابطة فقد اختيرت من نفس المدى العمري ، وكانت مكونة من ثمانين تلميذا وطفلا من الاندية المسائية الشعبية ، وحقق الباحث في هـذه العينة اكبر قدر ممكن من التشابه بينها وبين العينة التجريبية (من الجانحين) في النواحي الاقتصادية والاجتماعية وغيرها .

اما المادة التي اخضعت للتحليل فقد كانت مقسمة الى نوعين :

١ ــ القوة او القوى التي تنبع من بطل القصة ، والتي يمكن اعتبارها الدوافع والحاجـات .

٢ ـ القوة او القوى التي تنبع من البيئة او كما تسمى أحيانا « الضغوط »[(١)] .

وقد عولجت نتائج الدراسة المقارنة بين الجانحين والعاديين معالجة احصائية ، واستعمل اختبار « ت » لدراسة مدى دلالة الفروق بين متوسطات المجموعتين في كل متغير كان موضوعا للدراسة والتحليل .

النتائج :

تبين من البحث وجود فروق ذات دلالة بين المجموعتين في المتغيرات الآتية :

آ ـ العدوان المادي غير الاجتماعي وكان أكثر ظهورا على أبطال الجانحين .
ب ـ التخريب والاتلاف وكان أكثر ظهور على أبطال الجانحين .
جـ ـ العدوان الذاتي ولوم النفس وكان أكثر ظهورا على أبطال الجانحين .
د ـ الاعتذار وطلب العفو وكان أكثر تواترا على لسان ابطال الجانحين .
هـ ـ الدافع الجنسي وكان أكثر تواترا في قصص الجانحين .
و ـ الحاجة لرعاية الغير وعطفهم وكانت أكثر وضوحا في حاجات ابطال الجانحين .
ز ـ الصراعات بين حاجات البطل ونزوعه لمطالب معينة ، وكانت أكثر تكرارا في قصص الجانحين .
الى آخره من النتائج .

أما من حيث الضغوط من البيئة الخارجية ، فقد ظهر أن قصص الجانحين تعبر عن ضغوط كثيرة موجهة للبطل تفوق قصص العاديين في الضغوط الآتية .

آ ـ العدوان المادي اللاجتماعي على البطل .
ب ـ الرغبة في التسلط والسيطرة عليه .
جـ ـ النبذ والطرد والحرمان من العطف .
د ـ الحرمان والحاجة والفاقة .
هـ ـ الفقدان والضياع .
و ـ التعرض للاخطار . . .

وقد قام الباحث بدراسة فاحصة للظروف الاسرية ، تبين منها ان هنالك علاقة ما بين الظروف الاسرية ، ومستوى الذكاء ، الامر الذي يتفق مع كشوف بيرت ، ويعني ان مستوى الذكاء ينخفض بانخفاض المستوى الاسرى والظروف العائلية ، كما تبين ان المستوى الاسري يتأثر كثيرا بالاحوال

---

(1) Hamza, Mukhtar : The Dynamic Forces in Personalities of Juvenile Delinquents in the Egyptian Environment. The British Journal of Psyc. (General Section) Vol. XLIV , Part 4 , Nov. 1953.

الاقتصادية ، والظروف العائلية ترتبط كثيرا بالمستوى الاقتصادي . وهذه كلها عوامل تبدو في المستويات الدنيا عند الجانحين اكثر تواترا منها عند العاديين .

ولقد انتهى بهذا البحث الى نتائج لم تختلف كثيرا عن النتائج التي توصل اليها سيرل بيرت سنة ١٩٣٤ ، وهي أن الجناح ظاهرة تتأثر بالعدد من العوامل « وان طبيعة هذه العوامل ، وارتباطها المتغير ، يختلف اختلافا كبيرا من فرد الى آخر ، وان الجانحين من الاحداث ، كما هو واضح لا يمكن ان يكونوا طبقة متجانسة » .

ولكنه عاد فقسم العوامل الى فئتين :

آ ــ مجموعة العوامل التي تأتي من داخلية الفرد من حاجات ورغبات ومهتمات واتجاهات وانفعالات .

ب ــ مجموعة العوامل التي تاتي من « الخارج من البيئة » واهمها الظروف الاسرية وعلاقات الوالدين .

وكانت اغلب العوامل في عينة هذا البحث المنزل المهدم ، بسبب موت احد الابوين او كلاهما ، أو بسبب الهجران ، أو السجن أو الطلاق .. الخ . كذلك وجد ان الفقر عامل له آثاره الواضحة .

وهكذا ينهي الباحث بحثه بأن الجانح أمام هذه العوامل كلها لا يجب أن يلام على سلوكه الذي هو من غرس البيئة وثمار هذه الظروف .

ولكن البحث على أهميته لم يشف الغلة التي يشعر الكاتب أنها العامل الديناميكي وراء هذا العمل ، ونقصد به الاجابة عن سؤال معين :

ما أثر كل هذه الظروف في خلق تنظيم معين في شخصية الطفل يكون مسؤولا عن هذا الاسلوب من أساليب التكيف .

حقيقة ان الضغوط الخارجية والعوامل الداخلية قد تختلف من فرد لآخر بحيث لا يكون الجانحون مجموعة متجانسة من هذه النواحي ، ولكن ما نعنيه من هذا المؤلف هو دراسة ما ينتج عن هذا كله من مزيج جديد وتركيب جديد في شخصية الفرد الجانح ، تجعله يختلف عن العاديين ، وتوجهه كذلك نحو سلوك الجناح .

كما ان هذه الدراسة كغيرها من البحوث لم تهتم بالدراسة المقارنة بين تنظيم الشخصية بهذا المفهوم عند الجانحين والعصابيين .

٢ ـ بحث في ((تطبيق اختبار تفهم الموضوع على حالات مصرية))[١]

قدمه السيد الدكتور أحمد عبد العزيز سلامة للحصول على درجة الماجستير سنة ١٩٥٦ ، وأشرف على البحث والدراسة السيد الاستاذ الدكتور مصطفى فهمي . ونحن نعرض هنا خلاصة البحث وما توصل اليه من نتائج لنبين مدى ما كشف عنه من فروق بين الجانحين والاسوياء .

خلاصة البحث :

يدور هذا البحث حول دراسة الفروق بين استجابات الجانحين والسويين لاختبار تفهم الموضوع ومحاولة التعرف على سمات الشخصية للجانح المصري من استجابته لهذا الاختبار .

وقد مهد الباحث لهذه الدراسة التجريبية العملية بدراسة نظرية استعراضية لمفهوم لفظ « الاسقاط » التي يتصف بها الاختبار المستخدم في البحث ، والتي تتخذ وسيلة لمعرفة الفروق بين الجانحين والسويين وسمات شخصية الفئة الاولى منهما . . وقد انتهى الباحث من هذه الدراسة الى أن الاسقاط الذي تنتسب اليه الاختبارات الاسقاطية اوسع في معناه من المعنى الضيق الذي يعرفه الكثيرون للاسقاط من انه قيام الذات بنسبة بعض مالاترضى نسبته اليها الى أشخاص أو أشياء اخرى خلاف الذات . وانه يمكن ان يتدرج تحته كل نوع من انواع اساءة الادراك أو الفهم .

ودرس الباحث اختبار تفهم الموضوع من بعض النواحي الهامة التي رأى ضرورة معرفتها قبل التمكن من استخدامه . ثم تخير الباحث بطريقة عشوائية مجموعة من الجانحين تبلغ الخمسين من نزلاء دار التربية للشباب بالجيزة وممن تتراوح اعمارهم بين ١٥ ــ ١٨ سنة . كما تخير الباحث مجموعة ضابطة كذلك من ابناء محلة الرواد بمصر القديمة ورأى ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجموعتين تكاد تتفق .

طبق الباحث على المجموعتين اختبار تفهم الموضوع (العشرة الاولى من الصور فقط ، وجعل اجراءها على جلستين ، ٥ صور في كل منها) واستخدم بطاقة بلاك في تقدير الاستجابات وتفسيرها ، فانتهى الى أن هناك فروقا بين استجابة كل من المجموعتين للاختبار وان اهم هذه الفروق هي :

ــ يختلف اتجاه الجانح ازاء الاختبار عن السوي ، فهو يكون اكثر امتثالا واقل رفضا للصور واشد استثارة ، كما انه ينشيء قصصا اطول .

---

(١) راجع رسالة : الدكتور احمد عبد العزيز سلامة : تطبيق اختبار تفهم الموضوع على حالات مصرية . مكتبة كلية التربية : جامعة عين شمس .

ـ يميل الجانح الى تقمص أبطال القصص بدرجة شعورية ظاهرة ، فهو قد يخلع على البطل اسمه او يحكي عنه قصته هو ، وذلك على خلاف السوي الذي يمسك نفسه عن التقمص الصريح الواضح لابطال قصصه.

ـ تدور قصص الجانحين في الغالب حول الجنوح والجريمة والابطال التعساء الذين اصيبوا بأنواع من البأساء .

ـ الابطال في قصص الجانحين غير الابطال في قصص السويين من حيث ذواتهم وصفاتهم وأكثر الابطال شيوعا في قصص الجانحين هم الجانحون ، المجرمون ، بخلاف السويين الذين تدور اكثر قصصهم حول الطموح والعشق .

ـ ابرز الحاجات الرئيسية لابطال الجانحين هي : الحاجة الى تقبل الوالدين وحبهم ، والحاجة الى الامن ـ والحاجة الى الانتماء ـ والحاجة الى العدوان على الغير ـ والحاجة الى الانجاب ـ والحاجة الى سلطة ضابطة موجهة حكيمة ـ والحاجة الى العدوان على الذات، والحاجة الى الطعام .

على حين كانت ابرز الحاجات عند السويين في ابطال المجموعة الضابطة هي على التوالي : الحاجة الى الجنس ـ الحاجة الى الامتلاك ـ البيئة او العالم في نظر ابطال الجانحين غيرها في نظر السويين ، وهي تتميز على العموم بأنها بيئة لا تخلو من الشر ، ولا يهنأ فيها الانسان طويلا فهي تتضمن الموت والسرقة والعدوان ، كما أنه ليس من السهل على البطل فيها ان يظفر بما يشتهي او أن يطمئن اليها .

ـ الاب في قصص الجانحين كثيرا ما يتصف بأنه شرير ، قاسي ومجرم، وبأنه على خلاف مع ولده ، أو بأنه متوفى أو مجهول من ولده . كذلك الام في قصص الجانحين ، على حين ان السويين لايكادون يلصقون بالاب او الام شيئا من هذه الصفات .

ـ اكثر انواع الصراع الذي يقع فيه البطل في قصص الجانحين هي :

آ ـ الصراع بين الذات العليا والدافع للعدوان .
ب ـ بين الذات العليا والدافع للامتلاك .

وفي قصص الرواد هي : الصراع بين الذات العليا والدافع الجنسي .

ـ ابرز انواع القلق عند أبطال قصص الجانحين هي : القلق من الضرر المادي ومن العقاب ، والقلق من فقدان الحب والحرمان ، وفي قصص المجموعة الضابطة هي القلق من فقدان الحب والهجران والقلق من أن يغلب على أمره .

ـ ثبت أن هناك فروقا ذات دلالة بين الجانحين والرواد في الحيل الدفاعية الرئيسية الآتية :

آ ـ الكبت (النسبة المئوية لتكراره في قصص الجـانحين ٦ر٨ وفي قصص الرواد ٤ر٣٣) .

ب ـ التبرير (النسبة المئويـة لتكراره في قصص الجانحين ٨ر٢٣ وفي قصص الرواد ٦ر٨) .

جـ ـ الاعتزال (النسبة المئوية لتكراره في قصص الجانحـين ٢٧ وفي قصص الرواد ٨ر٩) .

ـ اثبت البحث أن الأنا الاعلى عند السويين أكثر قسـوة منها عند الجانحين ، حسب تحديد بلاك لمفهوم شدة قسوة الضمير ، فالعقاب على الجريمـة عند السويين عاجل وعادل وشديد القسوة أكثر مما هو عند الجانحين .

ـ أبطال الجانحين اقل كفاية ، وقصصهم تختتم بنهايات تعسة غير واقعية وغير مناسبة ، وذلك الى درجة أكبر مما هو الحال عند الرواد ، كل هذا بالاضافة الى عدم تقيد الجانحين بمضمون الصورة عند انشاء قصصهم مما يدل بحسب طريقة بلاك في التفسير الى أن ذوات الجانحـين اقـل تكامـلا .

ـ عمد الباحث في تفسير هذه النتائج الى اختـلاف في الشخصية بـين المجموعتين مرده الى اختلاف الظروف الاجتماعية والتربوية التي مـرت بها كل من هاتين الفئتين ، والى اختلاف القيم الاخلاقية والتعاليم الاجتماعية وانماط السلوك المقبولة السائدة في داخل طبقة كل مجموعة منهما .

ولقد حاول الباحث بعد ذلك أن يبرز ابعادا هامة في شخصية الجانح : استند في تحديدها الى النتائج السابقة التي حصل عليها من قصص الجانحين، والى الآراء المختلفة في مشكلة الجناح ، ولهذا نجد في هذا البحث تحديدا لمجموعة سمات الشخصية الجانحة ، يبدو انه يهتم بالكثير من مفاهيم نظرية السلوكية الجديدة ويتفق معها في كثير مما تقدمه في تفسير ديناميات الشخصية . وفـي هذا يكتب الدكتور سلامة[1] .

« اذا جاز لنا ان ننظر الى السمات التي اتصف بها البطل الجانح في قصص الجانحين على أنها سمات تتميز بها شخصية الجانح المفحوص نفسه ، واذا جاز لنا أن نعتبر الفروق التي وجدت بين استجابة الجانحين والسويـين لاختبار تفهم الموضوع دالة على فروق مقابلة في شخصيات الجانحين ، فاننـا نستطيع ان نقدم الخطوط العريضة الآتية على انها سمات تتميز بها شخصية الجانح وفي الوقت نفسه عوامل ديناميكية تسهم في خلق الجنوح :

الجانح طفل ينشأ في بيئة منزلية واجتماعية لا تحفل به كثيرا ولا توفر له

---

(١) راجع رسالة الدكتور احمد عبد العزيز سلامة : مرجع سابق : ص ٢٢١ .

أسباب الاشباع اللازم لحاجاته النفسية ، ولا تقيم امامه معايير صالحة يحققها فتعينه على حسن التكيف مع المجتمع ، وهي بيئة لا تشجع على البقاء بها ، ولا تمنع من الهرب منها، كما انها كثيرا ما تشجع على العدوان وتستحسنه.

ينشأ الجانح في هذه البيئة ، ويشتهي ان تقوم علاقة الود المتبادل بينه وبين أسرته وأن يجد من اسرته ما يجد غيره من الاطفال ، لانه يكره كل الكراهية أن يجد نفسه غريبا عن رفاقه او اقل منهم شأنا أو أن يحرم مما يتمتعون به ، أو ان تضيق أسرته بتربيته ، أو يمن والده عليه ويعيره بالانفاق عليه ، كما يكره ان يتبين له أنه طفل منبوذ ، أقل شأنا من سائر الاطفال وأنه فريسة لبعض المآسي التي لا يستحقها ، والتي اصابته بها البيئة الظالمة التي يحيا فيها ، وبأنه شخص ليس له من الامتياز شيء اذ هو عضو في طبقة اجتماعية وضيعة .

وينظر في نفسه ، فيجد أنه لا يقل في صفاته الجسمية والعقلية عن بقية الاطفال السعداء ، عندئذ يشعر بالكراهية نحو أسرته ، وتهون في نظره مخالفتها، ويستقر في وهمه أنه نعمة قد اعطيها من لا يستحقها بل ان هناك من يتمناها ، ويميل الى ان يختبر وحدة اجتماعية اخرى خلاف اسرته ، فيغادر منزله على سبيل التجريب لينظر ما قد يترتب على ذلك من آثار بالنسبة له ولاسرته .

وهو ما أن يقع في يد طائفة من رفاق السوء من الاطفال ، أو تتلقفه عصابة من الراشدين الذين يستغلون الاطفال ، أو رجل أو امرأة تريد ان تتخذه ولدا ، أو يرونها فرصة طيبة لاقتناص خادم لن ينازعهم فيه شريك من أسرته .

ويتوقف مستقبل الجانح وتكوين شخصيته فيما بعد على نوع الوحدة الاجتماعية التي يلجأ اليها هربا من الاسرة ، أو التي تتلقفه هي بعد خروجه من الاسرة ، ولكنه يمكن القول بصفة عامة ان هذه الوحدة يكون لها من التأثير عليه ، ومن القدرة على اكسابه من قيمها ما يفوق تأثير الاسرة التي اخفقت في فرض سلطانها عليه وفي غرس معاييرها في نفسه ، وان الجانح لايستطيع ان يقاوم تأثير الرفاق ، لانه قليل السلطان امامهم بعد ان اكسب مهارات وخبرات لم يكن يعرفها من قبل .

وخروج الجانح من اسرته يشعره بأنه قد تحلل من سلطة الاسرة ، ويغدى في مصاف الكبار ، وانه قد صار ندا لوالده ، وان عليه ان يثبت تفوقه عليه في يوم من الايام ، والا يعود الى الاسرة الا ليفيض عليها من خيره بدلا من ان يلتمس العون هو عندها من طعام او عاطفة . ويميل الجانح الى ان يثبت لنفسه هذا الاحساس فيعمد الى اتيان بعض انواع السلوك الذي يصدر من الكبار كالتدخين

أو شرب ألبوظة ونحو ذلك [1] .

ولكن الجانح لايلبث بعد طول الغربة ان يحن الى أسرته ويشتاق للاطمئنان عليها خصوصا وانه يجد في كل مكان يحل به ان الانتساب الى الاسرة المعينة أمر يعتز به الانسان وهو في نظر المجتمع شيء هام . عند ذلك يفكر في زيارتهم ، وقد تحسن الاسرة استقباله او لا تحسن ولكنه في اغلب الاحوال لايستمر في استئناف الحياة معها بعد ان تعود الا يحاسبه على افعاله احد ، وبعد ان يجد الاحوال في الاسرة لا تزال على مـا هي عليه ان لـم تكن قد ازدادت سوءا وبعد ان تكون العلاقة قد توثقت بينه وبين وحدة اجتماعية اخرى يحس نحوها بشيء اكثر من مجرد الولاء والارتباط .

وهكذا تسير حياة الجانح : مجابهة للمواقف التي تحمل شيئا من المخاوف أو الصراع باستجابـة رئيسية هي الهرب ومبارحـة البيئة المنزليـة لانـه يشعـر بضعفه وصغر سنـه ازاء هـذه المواقف ، وبأنه لا قبل له بتغييرها أو اصلاحهـا .

وهو حين يسعى الى الجري وراء وحـدة اجتماعية تشعره بالتقبـل والاهمية والاعتراف وتوفر عليه ما يجابهه من مشاكل في الاسرة ، وعدم تقدير لدوافعه واحساساته ، انما يستجيب لدوافع هامة . ان حياته حياة تفكير في الحياة ومحاولة تلمس الاسباب التي من اجلها يعيش بعض الناس في غنـى ويسر ، ويعيش بعضهم الآخر في الذلة والفقر ، ثم رضى وتسليم بالقدر الذي كتب لغيره الراحة ، وخصه بحياة التشرد والجنوح والقعود عن محاولة استبدال حياة ارغد واسعد بحياته هذه الشقية التعسة .

هي حياة ميل للعدوان لكثـرة ما يصادفـه من احباطات متتالية ، ولان القلق الـذي يرتبط في الذهن بالمخالفات ونتيجة العقاب على المخالفات السابقة ضعيف أو غير موجود .

اما اذا تغيرت الظروف الاجتماعية والتربوية التي يحيا فيها الجـانح ، وعاش في مجتمع تحكمه طائفة اخرى من القيم ، والمعايير ، وتبين له ان تعلماته السابقة لاتصلح اساسا لتوجيه سلوكه في هذه البيئة الجديدة ، ووجد انه يستطيع أن ينال التقبل والشعور بالاهمية والاعتراف لذاته هو لا لما يأتيه من مخالفات كانت تعد امارات البطولة في مجتمع الجانحين ، واذا وثق من انـه سيجد مهنة أو عملا يعود عليه بالطمأنينة في حياته المادية ، والتقديـر لكيانه الادبي ، اذا توفر هذا كله وهو أمر لا يتوفر الا في مؤسسات الاصلاح التـي

---

(1) يشيع بين الجانحين غالبا تناول المكيفات او المخـدرات التي تنتشر بين الراشـدين في بيئتهم وذلـك كاسلوب تعويضي مسرف ، لـذلك يبدو سلوكا غريبا على سن الجـانحين او مستـوى نضجهـم .

تقوم على اسس نفسية سليمة ، فان الجانح لاشك يغير من نمط سلوكه واهتماماته ويعود الى الانسجام مع المجتمع الذي يعيش فيه ، والنزول على قيمه ومعاييره .

واضح من هذا العرض ان هذا البحث – ولو انه يعتمد على مقياس واحد في دراسة حياة الجانحين النفسية – الا انه مع ذلك قد ابرز الكثير من ديناميات السلوك الجانح ، ومن اهمها الدوافع النفسية والحاجات الاجتماعية الاساسية كما انه ينوه في اكثر من موطن الى حالات الصراع بين النزعات المختلفة وبين المعايير او الذات العليا ، وكيف انها كفيلة بأن تغمر الجانح بحالة من التوتر النفسي قد تكمن وراء الجناح ، ولا شك ان بحثا كهذا يهتم بالمعايير السلوكية الاجتماعية ، ويبرز اثرها في خلق صراعات الاحداث انما يحاول ان يبرز بعدا من اهم الابعاد والتي قد تكون لها فاعلية وديناميكية في السلوك الجانح .

وبالرغم من ان هذا البحث لم يهتم بالتمسك بالاطار العام النظري للسلوكية الجديدة الا انه ايضا ومع ذلك يبرز الدور الذي يلعبه العدوان والخوف من العقاب في حياة الجانح . بقي هنا ان نبرز نقطتين هامتين :

- الاولى أن البحث يهتم بالدراسة المقارنة بين الجانحين والعاديين ، ولم يهتم بالدراسة المقارنة بين الجانحين والعصابيين .

- الثاني انه اعتمد على أداة واحدة لابراز ديناميات السلوك ولم يعتمد على غيرها .

واذا أضفنا الى هذا ان الصورة التي يرسمها الباحث للجانح ، انما تعتمد على الاستنتاج في ضوء ماكشف عنه ذلك المقياس الواحد – اختبار تفهم الموضوع – وان الباحث يرسم هذه الصورة في اطار من الحقائق الشائعة عن حياة الجانح ، فاننا نقول انه بحث تكمل قيمته لو وضعت الكثير من هذه الفروض النظرية التي تدخل في الاطار العام لشخصية الجانح موضع التحقيق العلمي بالقياس او الملاحظة او مثلها .

بقي أن نشير الى شيء آخر هنا : هو ان الدراسة التي نحن بصددها قد أهملت بعض ديناميات الجناح ومنها الشعور بالنقص ، وعادات الاستجابة لمواقف الاحباط ، كما أنها لم تشر الى الاختلاف بين الجانح والعادي فيما يتعلق بالضغوط البيئية كما تتمثل في اساليب التنشئة الاجتماعية ، او هي على الاقل لم تعن كثيرا بالدراسة العملية لهذا المتغير الذي يمثل واحدا من اهم المتغيرات المستقلة في تنظيم شخصية الجانح .

٣ ـ دراسة مقارنة لاستجابات الجانحين والعصابيين لاختبار الاتجاهات العائليـة [١] :

البحث دراسة مقارنة استعمل فيها الاستاذ الـدكتور مصطفى فهمي « اختبار الاتجاهات العائلية لدراسـة حالات مصرية من الجانحـين والعصابيين والعـاديـين » .

والاداة المستعملة ، اختبار اسقاطي الفته الدكتورة « ليديا جاكسون » .
وكان الفرض من استعماله له هو دراسـة ما يعانيه الاطفال من صراعاتداخلية تنشأ بسبب العلاقات التي تقوم داخل الاسرة ، اما بينهم وبين الابـويـن واما بينهم وبين خلطائهم من اخوة واخوات . ويمكن تفصيل هذا الفرض فيما يأتي :

آ ـ معرفة مدى ملاءمة الاختبار للبيئة المصرية .

ب ـ معرفة أنواع الاستجابات التي تعطى للاختبار ومقارنتها بالنتائج الواردة في المؤلفات الاجنبيـة .

جـ ـ دراسة انواع الاستجابات التي حصل عليها الباحث في العيادات النفسية من أطفال يعانون مظاهر مختلفة من الاضطرابات والانحرافات ،ومقارنتها باستجابات الاطفال الجانحين المودعين في مؤسسات أيواء الاحداث .

وقد تطلبت طبيعة البحث ان يجري على مجموعة من تلاميذ وتلميذات المدارس العاديين الذين لاتصدر بشأنهم أي شكوى ، لا من البيت ولا منالمدرسة ولا منهـم أنفسهم .

وكانت كل مجموعة مكونة من ثلاثين طفلا تتراوح اعمارهم بين السابعة والثامنة عشرة . هذا وقد لاحظ السيد الباحث ان المجموعات الثلاثة لم تكن متفقـة في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وان مجموعة الجانحين كانت أقلها جميعا في ذلك .

ويعتبر هذا من الابحاث الفريدة من حيث عنايته بالدراسة المقارنة بـين فئتين من الذين يعانون الانحراف السلوكي بصورة أو بأخرى ، واذا كـان البحث يشترك مع ابحاث مثل بحث « أيفي بنت » في عنايته بهاتين الفئتين ، فانه يختلف عنها في انه اهتم باستعمال الادوات الموضوعة في الدراسة ونعني بذلك الاهتمام باستعمال الاختبارات الاسقاطية أكثر من مجرد الاعتماد على وسـائل تاريخ الحالة وبحث الحالة .

وكانت العينة التي اجري عليها البحث مكونة من عدد من الاطفال تتروا ح

---

(١) تطبيق اختبار الاتجاهات العائلية على حالات مصرية : دكتور مصطفى فهمي : دار مصر للطباعة بالقاهرة مارس ١٩٥٦ .

اعمارهم بين ٧ ـ ١٢ سنة ، من السويين والعصابيين والجانحين (كل مجموعة من ثلاثين طفلا) . وكانت اهم اعراض العصابيين اللجلجة ، المخاوف الميل لايذاء الغير ، الانزواء ، التبول اللاارادي .

نتـائج البحث :

ـ تبين الباحث بصفة قاطعة ان الاختبار صالـح للاستعمال في البيئـة المصرية ، فيما عدا الصورة رقم صفر ، خصوصا وانه استطاع ان يميز بين أفراد مجموعة السويين وافراد مجموعة الجانحين وافراد مجموعـة العصابيين ، كما ان استجابات هذه المجموعات للاختبار كانت تبدو صحيحة لانها تتفق الى حد كبير معما عرف عنها بطريق المقابلة او البحث الاجتماعي او الدراسة الاكلينيكية من معلومات .

ـ هكذا خلص الباحث الى نتائج يمكن ان نلمس فيها من الجدول ص ٦١ من البحث المذكور فروقا هامة تميز الجانحين عن العصابيين ، وتميز المجموعتين عن العاديين خصوصا في العلاقات الاسرية في النواحي الآتية :

آ ـ العلاقـة بالوالدين « مع الطفل » اكثر صحة واستقرارا وايجابية عنـد الجانحين والعصابيين .

ب ـ العلاقات بين الوالدين والتفكك الاسري يتضح انها تظهر بصورة غـير صحيحة عند كل من العصابيين والجانحين ، بينما يسود الجو العائلي في السويين الخلو من الشحناء .

جـ ـ الشعور بالحماية والرعاية والامان في كنف الاسرة يظهر اكثر وضوحا في قصص السويين ، بينما يبرز في قصص الجانحين الشعور بالحرمان من عطف وحنان الوالدين ، ويبرز في قصص العصابيين الشعور بأنهم غـير مرغوب فيهم ومهملون ، والاحسـاس بفقدان السند وتوقع الخطر « قلق » وعدم رضاء الوالدين .

د ـ بينما تقوم العلاقة بين الاطفال والآباء في عملية التطبيع الاجتماعي علـى الاعتذار والتفاهم من الابناء في المجموعة العادية ، مع عدم تأثير العقوبات على جوهر العلاقة بالوالدين ، نجدها في مجموعة العصابيين تكون بحيث ينظر العصابي للعقاب على انه انتقام ، ويشعر بالقسوة والتعذيب وسوء المعاملة الموجه من الوالدين نحوه . كذلك يستعمل الثواب في صورة اعجاب الوالدين بالاطفال في حالة المجموعة العادية .

هـ ـ دافع العدوان وقد ظهر واضحا بصورة جلية في حالة كل من الجانحين والعصابيين ، الا انه كان يأخذ صورة تختلف في حالة العصابيين عنها في حالة الجانحين .

ففي العصابيين يأخذ صورة العنف والثورة ، ونجده يتوجه نحو الوالدين ، وربما كان ذلك دليلا على وجود صراعات اوديبية من نوع ما . اما في حالة الجانحين فانه يبدو في صورة اكثر صراحة ، أي في صورة نزعات اجرامية يتضح العجز عن قمعها . كذلك يظهر العدوان موجها نحو افراد الاسرة .

و — اشتركت جميع العينات في تواتر ما يدل على الاحساس بمشاعر الغيرة من الاخوة والخلطاء ، ولكنها في حالة العصابيين كانت تبدو في صورة تمني الاذى لهم ؛ وفي حالة الجانحين يعبر عنها بالعدوان الصريح .

ز — القلق والشعور بالذنب : خلت قصص مجموعة السويين مما يدل على الشعور بالقلق ، كما كانت نهايات القصص سارة غالبا في هذه المجموعة ، اما في حالات العصابيين فكان القلق واضحا في صورة الشعور بعدم الامان ، وفقدان السند ، والشعور بالاثم نتيجة عدم رضاء الوالدين عنهم ، والشعور بالمرارة والاسى ، كذلك ظهر الشعور بالاثم واضحا في حالات الجانحين في شكل الاحساس بالندم على عبث الماضي ، والرغبة في التفكير عنه بخدمات للاسرة في المستقبل . وهذا ولا شك نوع من تجريم أو تأثيم او تأنيب الذات .

هكذا يتبين ان هذا البحث قد أبرز الكثير من ديناميات السلوك ، كما أفصح عن كثير من العلاقات الاسرية واتجاهات الآباء « من وجهة نظر الابناء انفسهم أو كما يدركونها في حياتهم الاسرية » ، كما ابرز البحث عاملا هاما من عوامل الاضطراب السلوكي تبين انه يوجد بصورة واضحة عند كل من الجانحين والعصابيين ، ونعني به القلق والشعور بالاثم والتوتر الانفعالي عامة .

بقي أن نقول ان هذا البحث قد قورنت نتائجه بالنتائج التي توصلت اليها ليديا جاكسون من بحث مماثل بنفس الوسيلة على عينة غير مصرية (انجليزية) وخلص الباحث من هذه المقارنة الى الحقائق التالية :

١ — ان الفروق ضئيلة بين نتائج كل من البحثين مما يقدم دليلا على صلاحية الاختبار للبيئة المحلية .

٢ — ان طبيعة الجنوح والعصاب تكاد تكون واحدة في كل من البيئتين .

٣ — برزت مع ذلك في البحث المصري فروق ميزت استجابات الجانحين المصريين عن غيرها عند ليديا جاكسون هي :

آ — يتحدث الجانح المصري عن الحنان من الآباء والامهات بصورة تبرز الحيلة التعويضية لما يشعر به من حرمان عاطفي [1] .

---

(١) استجابة عكسية او تكوين رد الفعل . « Reaction formation. »

ب ــ الاسرة في حالة الجانح المصري اكثر تفككا بدرجة ان بعض أفرادها يكونون نكرات لا يعرفهم الجانح .

جـ ــ اظهر الجانح المصري عدم القدرة على التحكم في رغباته وأهوائه التي تكون دائما في حالة اصرار « Need Persistance » لايمكنه من أن ينهي نفسه عن رغبة بل يحققها بطريقة مشروعة أو غير مشروعة .

د ــ لاحظ السيد الباحث ان الفترة التي قضاها الجانحون من عينته في دور الايواء كان لها اثر في تغيير نظرتهم الى ما يصلح وما لايصلح من انواع السلوك ، مما جعل جانحيه يكثرون من التعبير عن الالم الذي يحسه بطل القصة عند ارتكابه للاخطاء ، والى الافصاح عن الرغبة في التوبة والعدول عن طريق الفساد كدليل على هذا الاحساس بالالم ، وفي ذلك امتازت مجموعة الجانحين المصريين عن مجموعة « ليديا جاكسون » .

هـ ــ كان العدوان في قصص الجانحين المصريين يبدو في بعضه موجها ضد أفراد الاسرة ، أكثر منه في قصص جانحي « ليديا جاكسون » .

و ــ الاسف على الماضي ، والرغبة في التفكير عن الاثم بمساعدة والدين عاجزين كان اظهر في قصص الجانحين من المجموعة المحلية .

٤ ــ لم يكشف البحث عن وجود اختلافات جوهرية بين استجابات العصابيين لهذا الاختبار في البيئة المحلية وبينها في البيئة التي وضع لها الاختبار .

٥ ــ اتفق السويون في الاستجابة لصور الاختبار في بحث كل من ليديا جاكسون والسيد الاستاذ الدكتور مصطفى فهمي .

الدراسات النفسية السلوكية الاجتماعية : وتفسير ديناميات العصاب والجناح

استعرضنا في الجزء الاول من هذا الفصل مجموعة من البحوث النفسية، كانت كلها تتحيز لمنهج دون آخر او تهتم بمتغيرات دون غيرها ، تدرسها وتحاول ان تتلمس فيها ما يمكن ان يفسر اضطرابات السلوك عند الجانحين أو العصابيين او هما معا .

وتقتصر أغلب البحوث والدراسات السابقة أحيانا على أداة واحدة ، كما أن بعضها يهمل العلاقة بين المجال البشري للفرد وبين تطور تكوينات معينة في تنظيم شخصيته ، تنمو في اطار هذا المجال البشري ، ويترتب عليها عادة توافق معينة .

ولقد تعددت الدراسات المختلفة التي اتخذت من نظرية السلوكية الجديدة أطارا مرجعيا ، وتلمست من مناهج البحث ما يحقق فروضا معينة ، ولكنها كانت في بعض الاحيان لاتحقق كل الابعاد التي تمسك بها أصحاب هذه المدرسة ، لهذا نحب هنا ان ننوه الى بعض النواحي التي تبدو غالبا قاصرة في هذا النوع من الدراسات التي تهتم بالاطار النظري للسلوكية الجديدة عند تفسير ظاهرات اللاسواء .

أولا : نحن في حاجة الى دراسة مقارنة عملية تجريبية لتحديد مدى الاختلاف وطبيعته بين الجانح والعصابي في تنظيم شخصيته ، وهو ما لم يتحقق غالبا بصورة تجريبية اجتماعية واسعة .

ثانيا : لم تحقق دراسات تجريبية عملية اثر الاختلافات الثقافية في تعلم أساليب التكيف المختلفة ، بمعنى آخر : كان لابد من دراسات تتخذ هذا الاطار النظري مرجعا ، وتهتم بتفسير السلوك في ضوء الاختلافات الثقافية باعتبارها تتضمن المتغيرات المستقلة بالتأثير الاجتماعي سواء من حيث اتجاهات الآباء نحو اساليب معينة من التوافق عند الاطفال ، او من حيث الاختلاف الذي ينعكس في اسلوب الآباء في تنشئة الاطفال أجتماعيا .

اننا عن طريق هذه الاختلافات الثقافية يمكن ان نتلمس اسبابا تقرر اسلوب التكيف ، كما يمكن ان نحقق مدى تأثير هذه الاختلافات الثقافية في اكتساب العادات اللاسوية .

حقيقة ان المدرسة السلوكية الجديدة قد اهتمت بالمجال السلوكي للفرد، لكن يغلب ان الدراسات الاجتماعية المقارنة لم تحظ بقسط كبير من العناية، بل اقتصرت دراسات اصحاب هذه المدرسة على مجرد ابراز اشكال معينة من المعاملة الوالدية ، او آساليب في التنشئة الاجتماعية للطفل دون كبير عناية غالبا بالفروق الثقافية واثرها في اختلاف هذه الاساليب ، او دون الربط بين كل اسلوب من اساليب التنشئة ، وبين ثقافة معينة او اسلوب حياة معين .

لقد كان لابد من دراسات اخرى تهتم بالاختلافات الثقافية الطبقية الواضحة واثرها في مشكلات تنشئة الاطفال وتبني نتائجها على اساس تجريبي، ولقد ظهرت حركتان تجريبيتان هامتان ـ الى جانب غيرهما من الدراسات ـ احداهما في مصر والاخرى في امريكا ، عنيت كل منهما عناية خاصة بهذه الناحية الاجتماعية ، واكملت نقصا واضحا في دراسات اصحاب السلوكية الجديدة ، واصبحت كل منهما تمثل اطارا نظريا تجريبيا سلوكيا اجتماعيا يمكن في ضوئه تفسير الكثير من مشكلات الاضطراب السلوكي ، كما أصبحتا تمثلان حلقة شبه نهائية في الدراسة النفسية الاجتماعية عامة ، ودراسة مشكلات تكيف الاطفال خاصة بما توصلت اليه كل منهما من فروض في هذا المجال .

لقد اتضح في السنوات الاخيرة مدى ضرورة الاهتمام بالمؤثرات الاجتماعية كمتغيرات مستقلة يمكن ان تختلف من طبقة لاخرى وبالتالي يكون لها أثرها في سلوك الافراد . وقد ابرزت هذه الاختلافات دراستين هامتين ظهرتا اخيرا ، كما بينا ويمكن ان يتابع القارىء في هاتين الدراستين مدى التأثر بالمجال الاجتماعي في تفسير الكثير من اساليب التكيف ، وهاتان الدراستان هما :

أولا : دراسات السون ديفز : وموضوعها « التأثيرات الطبيعيةالاجتماعية على التعلم »[1] وقد قام بدراسة عملية تجريبية عاونه فيها دكتور روبرت ج . هافجهرست على مائتين من العائلات (٥٠ من الطبقة الدنيا ، الزنوج و ٥٠ من الوسطى الزنوج ثم ٥٠ من الدنيا البيض و ٥٠ من الوسطى ، البيض) في شيكاغو ، اكد بها الكثير من الملاحظات التي سبق ان توصل اليها بالاشتراك مع جون دولارد سنة ١٩٤٠ في دراسة تبناها مجلس التعليم الامريكي في واشنطن : فقد تبين من دراسته الاخيرة هذه اختلافات كبيرة بين الطبقات في اسلوب التربية وتنشئة الطفل ، وفي اتجاهات الآباء نحو مشكلات التطبيع ومواقف التربية عامة ، أمكن ان يخلص منها عامة الى ان أطفال الطبقة الدنيا اقل تعرضا للحد من سلوكهم في الغالب ، واقل عرضة للتهذيب الذي يقوم على الكف والاحباط من ابناء الطبقة الوسطى . ولقد اهتم في دراسته هذه عند المقارنة بين الطبقات بالمواقف الآتية :

---

(1) Davis, A. : Social Class Influence Upon Learning Harvard University Press . 1957 .

أ ــ مواقف التغذية والفطام « طريقة الرضاعة ؛ مدتها ؛ اسلوبها » .
ب ــ ضبط الاخراج والتبول .
جـ ــ مشكلات الجنس والاستمناء .
د ــ النـــــوم .
هـ ــ الذهاب للسينما منفردين .
و ــ وقت العودة من الخارج للبنين والبنات ... الخ من المشكلات . مثل الخروج الى الشارع وغيرها [1] .

وقد خلص من دراسته هذه الى فروض معينة في تنظيم شخصية الطفل من ابناء كل من الطبقتين نتيجة اختلاف اتجاهات الآباء نحو هذه المشكلات واساليبهم في تنشئة الاطفال وتطبيعهم الاجتماعي [2] .

ويتضح من استعراض هذا البحث ان السون ديفز وزميله قد اتخذا الاطار النظري للسلوكية الجديدة مرجعا في تفسير الكثير مما افترضاه من عادات يمكن أن يكتسبها الطفل في ظل هذه الالتزامات الثقافية التي تميز الطبقات المختلفة (الوسطى والدنيا خاصة) والتي تنعكس في اتجاهات الآباء نحو مواقف التنشئة واسلوبهم في تطبيع الطفل كما تنعكس في الظروف والضغوط الاقتصادية وأساليب الحياة الاجتماعية لكل طبقة وتنعكس بالتالي على شخصية الطفل فيما يكتسبه من عادات وتنظيمات معينة في شخصيته .

الا ان التنظيمات المختلفة التي يمكن ان تكون وظيفة لهذه الاختلافات الطبقية لم تعد ان تكون مجرد فروض افترضها الدارسان في ضوء الاطار النظري للسلوكية الجديدة ، ولم يطورا هذه الفروض أو يؤكداها بطريقة تجريبية .

ثانيا : دراسات في البيئة المحلية المصرية : قام بها السيدان الدكتور نجيب اسكندر ابراهيم ، والدكتور محمد عماد الدين اسماعيل ، وكان موضوعها « الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل » [3] وقد كان هذا البحث يهدف الى تحقيق فروض معينة لحل مشكلة معينة وليجيب عن سؤالين رئيسيين هما :

١ ــ ماهي الاتجاهات الوالدية المختلفة في تنشئة الأطفال ؟ أو بمعنى آخر

---

(1) Davis, A. : Ibid. P. P. 13 - 18 .

(٢) درست هذه المواقف واتجاهات الآباء في تنشئة الابناء فيها في مجموعة مصرية . وقام بالدراسة : د. محمد عماد الدين اسماعيل وآخرون : الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل . دار المعرفة . الطبعة الاولى ديسمبر عام ١٩٥٩ .

(٣) مرجع سابق .

كيف يقف الآباء من ابنائهم في المواقف التي ترتبط بالحاجات البيولوجية والاجتماعية والخلقية ؟

٢ ــ ماهي العلاقة بين هذه الاتجاهات وبين بعض المتغيرات الثقافية الاخرى (وهي البيئة الجغرافية والطبقة الاجتماعية ... الخ) ؟

ومن اجل الاجابة على هذه الاسئلة وضعت فروض معينة لدراسته :

١ ــ الفروق الطبقية بين الآباء في اتجاهاتهم نحو مواقف معينة في تنشئة الاطفال .

٢ ــ مدى مسايرة هذه الاتجاهات ــ والتي تختلف من اسرة لاسرة ــ أو منافاتها للاسس السيكلوجية الحديثة .

٣ ــ مدى وجود توافق عام في هذه الاتجاهات بين الآباء الذين ينتمون لطبقة اجتماعية واحدة .

٤ ــ طبيعة العلاقة الوظيفية بين هذه الاتجاهات الوالدية ، وبين اتجاهات الآباء نحو أمور أخرى هامة في حياتهم مثل الوضع الاقتصادي ونوع الاسرة والقيم الخلقية في المجتمع ووعيهم بمركزهم الاجتماعي والاقتصادي ... الخ .

وقد حققت هذه الدراسة نتائج هامة ورجحت وجود فروق طبقية ذات دلالة في اتجاهات الآباء نحو تنشئة الطفل ، واسلوب تحقيق التطبيع الاجتماعي في الطفل في مواقف التغذية والفطام ، الاخراج والنظافة ، الاستقلال النوم ، العدوان ، الجنس ... الخ .

والمستعرض لهذا البحث يمكن ان يلمس الحقائق التالية :

أولا ــ ان البحث قد اهتم بتحديد كل المتغيرات موضوع الدراسة تحديدا اجرائيا سلوكيا يسهل قياسها واخضاعها للمعالجة العلمية ، ويتضح ذلك من تحديد اسلوب سلوك الطفل ، واستجابة الآباء لهذا السلوك .

ثانيا ــ إن البحث كان يتخذ اطار السلوكية الجديدة مرجعا في تفسير ما افترضته من أثر هذه الاتجاهات الوالدية في اكساب الابناء تنظيمات معينة في شخصيتهم ، وهو بذلك لم يقف عند حد التفرقة بين الطبقات في اتجاهات الآباء نحو مواقف معينة في تطبيع الاطفال اجتماعيا .

ثالثا ــ ان هذا البحث قد توصل الى فروق طبقية واضحة في اتجاهات الآباء نحو عملية تطبيع أبنائهم اجتماعيا وادخال عناصر الثقافة التي يعيشون فيها في شخصية الطفل اختلافات تتمثل في ناحيتين :

١ ــ اختلافات في اتجاهات الآباء نحو هذه المواقف ومدى وعيهم بها وبأهميتها .

٢ ـ اختلافات في اسلوب معاملة الاطفال ومحاولة اكسابهم الطرق السليمة والعادات التي يقرها المجتمع لاشباع حاجاتهم البيولوجية والاجتماعية النفسية ، يمكن ان نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

ـ شيوع اساوب العقاب البدني في ابناء الطبقة الدنيا في أغلب مواقف التنشئة الاجتماعية ، وفي ذلك يفوقون ابناء الطبقة الوسطى التي تهتم باستعمال النصح والارشاد والاشعار بالذنب .

ـ الاتجاه نحو تقييد الاستقلال في مواقف الخروج او الاختلاط بأطفال الشارع ، وهو اكثر تمييزا لآباء الطبقة الوسطى منه عند آباء الطبقة الدنيا .

ـ يهتم الآباء في الطبقة الوسطى بالنظافة والمظهر في تنشئة الاطفال ، كما يحبطون كل دافع للعدوان عند أطفالهم بصورة يفوقون فيها الآباء في الطبقة الدنيا .

رابعا ـ ولعل مما يعطي لذلك البحث أهمية خاصة في دراستنا هذه أنه استطاع ان ينقل هذه المؤثرات الاجتماعية الى الطفل ، او ان يحدد مدى تاثير هذه الاساليب في التنشئة الاجتماعية في تنظيم شخصية الطفل بدرجة اظهرتها في صورة مجموعة فروض صاغها البحث كتحديد لتنظيمات معينة في شخصية الطفل يمكن ان تكون مسؤولة عن اسلوب من اساليب التكيف أو آخر .

ونظرا لانهذه الفروض كان لها أهمية خاصةفي انها ترتبط كثيرا بموضوع هذا المؤلف ، يرى الكاتب ان يعرض أهمها فيما يأتي :

آ ـ ان طفل الطبقة الوسطى يمر بخبرات أشد اثارة للقلق ، بينما طفلالطبقة الدنيا يتعرض لظروف اشد ايلاما من الناحية الجسمية ، وان الاول يتعرض لخبرات احباطية ومشاعر اثم اكثر من الثاني ، مما يلعب دورا له شأنه في تعلم القلق مرتبطا بمثيرات شرطية تختلف حسب الطبقات .

ب ـ في مواقف العدوان يتعرض طفل الطبقة الوسطى لمواقف تثير القلق ، والاشعار بالذنب والتهديد بالحرمان واثارة الخوف على علاقة الطفل العاطفية بالنسبة لأبويه ، وعلى مستقبله ومركزه في الأسرة ، ومركزه الاجتماعي ، مما يؤدي بطفل الطبقة الوسطى الى مزيد من التحكم في سلوكه ، حفظا على علاقته بأسرته وعطف والديه ورعايتهم له ، وكذلك حفظا على ما يتوقعه من تحقيق مركز او مستقبل او مكانة وسط الجماعة الخارجية ، وقد تصل شدة الحرص على المحافظة على هذه الحوافز الاجتماعية الى الحد الذي قد يوجه به العدوان نحو ذاته اذا احبط او هدد فيها ، وهكذا توضع الاسس الاولى للسلوك العصابي .

اما الطفل من الطبقة الدنيا الذي يتعرض لظروف تقل فيها هـذه الخصائص الى حد يشعر فيه في جو الاسرة بالاهمال مع توقع العقاب البدني المباشر في المواقف التاديبية ، فانه لايتعلم نفس القيم ، تلك القيم التي يتعلمها طفل الطبقة الوسطى ، ولا نفس دوافعه الاجتماعية ، وبالتالي فان هذه القيم وهذه الدوافع لاتصبح ذات اثر او قيمة في توجيه سلوكه او تحديده ، بل على العكس نجده يتعلم نفس الاساليب التي يعامل بها ، خاصة وان شعوره بالاهمال وانعدام التوجيه والرقابة قد ييسر له التمادي في استخدام مثل هـذه الاساليب العدوانية مما قد يعرضه للتشرد والجناح .

ج ـ افترض البحث أن اطفال الطبقة الدنيا يتعلمون في اطار الثقافة العامة للطبقة من العادات ما يمهد السبيل للجناح ، ومنها تشجيع الآباء للأبناء في مواقف العدوان ، وهم الذين لايربطون بين العدوان وبين أي تحريم أو اثم يثير القلق ويكف العدوان ، كما يتعلم الطفل رد العدوان بالعدوان ، وهو حين يتعرض للعقوبة البدنية لايكف الاستجابة غير المرغوبة ـ خصوصا اذا تأخر العقاب عن وصول الاستجابة للهدف ـ وهذا مما يجعل الطفل من ابناء هذه الطبقة يكون اتجاهات عدوانية نحو كل الكبار يعممها خارج المنزل . كذلك يلاحظ أن موقف آباء هذه الطبقة من استقلال ابنائهم (خروجهم للشارع) يجعل هذا السلوك امرا لا يرتبط بالتحريم مما يجعله اسلوبا للتكيف في مواقف الهروب أو المروق .

أما أبناء الطبقة الوسطى فانهم ينشأون على تحريم العدوان وربطه بالقلق والشعور بالذنب ، كما يرتبط لديهم الخروج الى الشارع بأنواع من القلق تتعلق بمركز الاسرة والمستوى الاخلاقي والثقافي والعلمي للاسرة ، كذلك يرتبط العدوان على الكبار خاصة بنوع من التحريم العنيف ؛ وهكذا يتجه أبناء هذه الطبقة الى اشكال من السلوك العصابي في حالة زيادة الاحباطات في حياتهم تمتاز بالتحاشي والخجل والبعد عن المنافسة وعن الاجتماع بالغير ... الخ من المواقف الصراعية الواضحة .

وهكذا يفترض البحث اكتساب الطفل من ابناء الطبقة الوسطى تنظيمات معينة من الدوافع والقيم وانواع القلق يختلف فيها عن الطفل من ابناء الطبقة الدنيا ويبرز اتخاذ التكيف شكل العدوان الخارجي عند ابناء الطبقة الدنيا ، كما يبرز غلبة حالات الانحراف السلوكي التي تتخذ شكل التكيف بالعدوان الموجه نحو الذات (شعور بالذنب) أو الاعراض التي تتخذ من القلق محورا وتظهر في صورة اعراض عصابية عند ابناء الطبقة الوسطى .

د ـ يفترض البحث أن اسلوب الآباء واتجاهاتهم نحو تنشئة الطفل في موقف الاستقلال والخروج له اثر كبير في تنظيم شخصية ابناء الطبقتين ؛

يختلف من طبقة لاخرى ، فأبناء الطبقة الدنيا يكتسبون عادات اجتماعية واتجاهات معينة نحو المسؤولية والاحتكاك بالآخرين ، يجعل أبناء الطبقة الدنيا يمتازون بعادات اجتماعية ومهارات في التعامل مع الآخرين تميزهم عن ابناء الطبقة الوسطى .

هـ - يفترض اصحاب ذلك البحث ان ما يتعلمه اطفال الطبقة الوسطى من قلق يدور حول الطموح والمركز الاجتماعي ، والنظافة ، والاعتماد على النفس في الملبس خاصة يأتي من استمرار تعرض ابناء الطبقة الوسطى لضغط الوالدين وما يترتب عليه من ان قلق الآباء في هذه الطبقة ينعكس على الابناء في هذه النواحي ، وفي سن مبكرة حرصا على سرعة وصول الطفل للمستوى الاجتماعي المرموق ، وفي ذلك ما فيه من اكتساب الاطفال وتعلمهم القلق الذي لايجدون وسيلة لتخفيف حدة توتره الا بكراهية الذات وتأثيمها والشعور بالذنب والعدوان العصابي الموجه نحو الذات .

ولا يتسع المجال في هذا الفصل من بحثنا الحالي لتتبع الآثار التي تنجم عن الاختلافات الطبقية مما يمكن ان يوجه ابناء الطبقة الدنيا للجناح ، وابناء الوسطى للعصاب . الا ان المتغيرات التي افترض الباحثان أنها تتأثر في تعلمها بهذه المؤثرات الاجتماعية بحيث يترتب عليها تنظيمات معينة في الشخصية عند ابناء الطبقة الدنيا تختلف عن مثيلاتها عند ابناء الطبقة الوسطى قد أوحى للكاتب بمشكلة البحث الذي سيعرض نتائجه في الفصل التالي كما اتخذها نقطة ابتداء لتحديد الفروض المختلفة التي وضعها لبحثه الذي يعتبر استمرارا لهذا البحث السابق حيث أنه دراسة ميدانية تجريبية تحقيقية لهذه الفروض .

لقد كان البحث في الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل قد توصل الى اختلافات طبيعية في اسلوب التنشئة الاجتماعية ، والى صياغة فروض معينة في تنظيم شخصية الطفل الذي يتأثر بهذه الاساليب تأثيرا يختلف من طبقة لاخرى ولكنه لم يخضع هذه الفروض للتحقيق العلمي ، ولذلك فان الكاتب قد تبنى دراسة عملية تجريبية تحقيقية تهدف الى التحقيق العلمي لهذه الفروض .

ان واجب البحوث التالية - ومنها ما قام به الكاتب - التحقق من مدى انعكاس هذه الاختلافات الطبقية في تنظيم شخصية الطفل ، بحيث يقرر اسلوب التكيف في حالات الانحراف او التكيف اللاسوي ، أو بمعنى آخر التحقق من مدى صحة الفروض التي صاغها البحث السابق فيما يتعلق بتنظيم شخصية الجانح والعصابي ، كنتائج لها علاقة وظيفية بهذه المتغيرات والظروف الثقافية الطبقية . أي أن الدراسة التي اجراها الكاتب كانت تتضمن الاجابة عن سؤال : « هل ضغوط التنشئة الاجتماعية واساليبها وحدودها يمكن ان

تفسر الاضطراب النفسي يتجه الى العصاب بين أبناء الطبقة الوسطى ، بينما توجه اساليب وضغوط التنشئة في الطبقات الدنيا الانحراف نحو النجاح » ؟

لقد أصبح واضحا الآن ان الدراسات الاخيرة ، ذات الطابع العلمي التجريبي ، والتي تتسع لتشمل اطارات ومجالات للتأثير في السلوك أكثر من مجرد الفرد نفسه ، أو الاسرة ، يمكن ان تتخذ معطياتها اطارا مرجعيا لبحثنا هذا والذي سنعرض نتائجه فيما بعد ، ففيها يمكن ان يتلمس الباحث كل تفسير منطقي مدعم بالاسس العلمية لتفسير سبب تعلم مجموعة من التنظيمات في شخصية الفرد ، فهو اذا دراسة عملية لتحقيق فروض البحوث السابقة .

دراسات لقياس جوانب من شخصية الجانح :

أخيرا — وليس آخرا — يجب أن نشير هنا الى بحث له أهمية كبيرة في بحثنا هذا ونعني به « تطبيق اختبار كاليفورنيا للشخصية على عينة مصرية » .

قام بهذه الدراسة السيد الاستاذ الدكتور عطية محمود هنا ، أجرى فيها اختبارا اقتبس من اختبار « كاليفورنيا للشخصية للاطفال الصغار »
« California Test of Personality. Primary Series. »

والاختبار أجري على مجموعات من الاطفال من عينة مصرية وحقق السيد الباحث للاختبار درجات معيارية استعمل فيها طريقة الميئنيات المقابلة للدرجات الخام ، بحيث يمكن ان تستعمل وسيلة للدراسة المقارنة لنتائج نفس المقياس على العينات الاخرى .

كذلك اجري البحث على عينة مكونة من ١٠٦ من الجانحين الذين تتراوح اعمارهم بين ٩ ، ١٥ سنة ، وحقق السيد الباحث لعينة الجانحين درجات معيارية أخرى لوحدات الاختبار . والاختبار يقيس ناحيتين هامتين من نواحي الشخصية ، وهما التكيف الشخصي والتكيف الاجتماعي .

كذلك لا يجب أن نختتم هذا البحث التقديمي دون أن نشير الى الدراسات التي قام بها السيد الاستاذ الدكتور مصطفى سويف ، واستعمل فيها اختبار الاستجابات المتطرفة « Extreme Responses » والاختبار مكون من ٧٠ فقرة تشمل مجموعة صفات وسمات معينة يطلب من المفحوص فيها ان يذكر مدى تمسكه بتوافر هذه السمات في كل من يختاره ليكون صديقا له ، ولهذا سماه « استخبار » الصداقة الشخصية .

واجري الاستخبار على مجموعة من نزلاء دور التربية بالجيزة (ن ٥٣) ومجموعة ضابطة (ن ٢٨) ، والاختبار يعتبر وسيلة طيبة لقياس التوتر العام في الشخصية بحساب درجات الاستجابة المتطرفة (+ ٢ أو — ٢) للفقرات

المذكورة كذلك أحصى الاستجابات المتطرفة السلبية ، التي أعتبرت مقياساً لقوة الأنا وقدرته على المقاومة .

وكان البحث يهدف الى اختبار مدى صحة فرضين محدودين :

الاول : يتعلق بوجود اختلاف بين المجموعتين (التجريبية من الجانحين والضابطة) من حيث مستوى التوتر العام في الشخصية .

الثاني : يتعلق بوجود اختلاف بين نمط تنظيم الاستجابات المتطرفة الصادرة عن كل من المجموعتين .

هذا وكانت النتيجة العامة انه لم يتحقق الفرض الاول ، أما الفرض الثاني فقد تحقق [1] .

خلاصة :

ان النظريات القديمة في التفسير النفسي للانحرافات السلوكية الجناحية والعصابية قد قصرت ميدان بحثها على تكوينات فرضية ذات علاقة غيبية بالسلوك ، وبتغيرات معينة كالفريزة الجنسية عند الفرويديين او قلق الشعور بالعجز عند هورني ، أو قلق النقص عند أدلر ... الخ . او الى الفرائز وأثرها عند اصحاب الفرائز او عوامل عند اصحاب التحليل العاملي ، وكانت تربط بينها وبين مظاهر السلوك ربطا فرضيا لا يعتمد على اسس التجربة العلمية . وهي حين كانت تحاول ان تفسر اشكال السلوك كانت تهتم بالظروف الاجتماعية دون تحديد اجرائي لهذه المؤثرات الاجتماعية يسهل قياسها والمقارنة العلمية الموضوعية فيها ، بحيث يمكن دراسة العلاقات الوظيفية بينها وبين تنظيم الشخصية او كان تفسيرها لذلك مجرد فروض .

أما الدراسات التحليلية العاملية فقد قصرت دراستها وتحديدها للمتغيرات الوسيطة على تكوينات فرضية غيبية في طبيعتها يتوصل اليها العلماء عن طريق المعالجة الإحصائية بعد القياس الذي يجري على مجموعة من السمات .

ولقد اتجهت الدراسات النفسية وجهة اجتماعية جديدة ، أثرت في مدارس التحليل الحديثة ومدارس التحليل العاملي ، كما اخذ بها أنصار نظرية الفرائز ، الا انها لم تتعد مجرد التفسير الفرضي للسلوك ، كما ان هذه المؤثرات الاجتماعية لم تخضع للدراسة الطبقية المقارنة بحيث يمكن الحصول على حقائق موضوعية رقمية لهذه المتغيرات يؤكد مدى اختلافها في الكم والكيف

---

(١) المجلة الجنائية القومية : المجلد الاول : نوفمبر سنة ١٩٥٨ : العدد الثالث . دار المعارف بمصر .

من طبقة لاخرى ، وبالتالي يجـدد المجالات السلوكية لتطور ونمو تنظيمات الشخصيـة .

وبالاضافة الى هذا كله فان كل الدراسات السابقة لم تهتم بأن تفسر كيفية تعلم المتغيرات الوحيدة المؤثرة في السلوك ، ونعني بها التنظيمات الفرضية الوسيطـة المحـددة في الشخصية في ضوء الكشوف العلمية الحديثة لنظريات التعلم والسلوكية الجديدة . .

ثم تطورت الدراسات النفسية الاجتماعية تطورا جديدا في اتجاه الدراسة المقارنة الطبقية لبعض المتغيرات الثقافية ، والمؤثرات الاجتماعية ، دراسـة عملية موضوعية تجريبية تحقق الدراسة الرقمية لكثير من المتغيرات ، وفي نفس الوقت تأخذ بالاتجاهات العملية المعملية السلوكية في افتراض بعض الفروض في تنظيم شخصية الجانح والعصابي ، على انها وظيفة لهذه الضغوط .

واصبحت الحاجة بعد ذلك ماسة لدراسة علمية معينة :

ـ نحقق مدى صحة هـذه الفروض التي افترضتها الدراسـات السابقة وذلـك بـأن :

نحاول قياس الكثير ، او اكبر عدد ممكن من المتغيرات المستعملة التي يفترض انها وظيفة او محصلة لهذه المؤثرات الثقافية ، بحيث لاتقتصر على متغير واحد .

ـ ثم نتخذ من احدث الاتجاهات العلمية التجريبية اسلوبا لتفسير :

آ ـ كيفية تعلم هذه المتغيرات في ضوء المؤثرات الاجتماعية التي تختلف من طبقـة لاخرى .

ب ـ كيفية تعلم عادات واساليب التكيف الظاهرة على اعتبار انها ذات علاقة وصلة وظيفية بهذه المتغيرات .

وهذا هو الفرض الذي يرجو الكاتب تحقيقه من خلاصة البحث الذي سيقدمه في الفصـل التالي ، والذي يرى ان الاطار النظري للسلوكية الجديدة ، ونظريات التعلم والتقليد الاجتماعي تعتبر كلها اطارات ملائمة لتحقيق الغرض من هذا البحث على اكبر قدر ممكن من الكمال .

الفصل التاسع

دراسة تجريبية تحقيقية مقارنة في ديناميات الجناح والعصاب

مقدمة :

يرى الكاتب في نهاية هذا المطاف ان يقدم للقارىء خلاصة دراسة قام بها في ميدان الاضطرابات السلوكية ، وقد درس الكاتب فيها ، مستعملا التجريب التحقيقي المقارن في البحث ، ديناميات الجناح والعصاب ، دراسة تهدف الى المقارنة بين اسلوبي او نمطي السلوك اللاسوي من حيث الديناميات التي تكمن وراءهما .

واذا كان الكاتب قد قدم في الفصل السابق بدراسة مختصرة لما توصل اليه غيره من دراسي هذه المشكلة ، فانما كان يريد أن يبين ان غايته من الدراسة في هذا الموضوع كانت تختلف عن غيرها سواء في :

١ ـ المشكلة التي يرغب التوصل الى حل لها .
٢ ـ او المنهج الذي اتبع في الدراسة والتجريب على العينات موضوع الدراسة .
٣ ـ او اختيار المجموعات التجريبية والمعيارية واسلوب تحديدها .

واذا كان قد تبين للقارىء من استعراض البحوث السابقة ان كل واحد منها قد أهتم بجانب دون الآخر من جوانب دراسة السلوك الانساني ، كأن كان يركز واحد منها على الاهتمام بتحديد المتغيرات المستقلة ، بينما يهتم الآخر بابراز انماط السلوك والسمات الظاهرة في سلوك الجانح وحده ، أو العصابي وحده ، فان البحث الذي نقدم خلاصته في الفصل الاخير من هذا المؤلف ، انما كان يسعى للقيام بدراسة متكاملة لشخصية الجانح والعصابي ، دراسة متكاملة مقارنة معا ، وكان يركز اولا وقبل كل شيء على ابراز الديناميات

التي تعتبر متغيرات وسيطة في السلوك غير السوي لكل من الجانح والعصابي . على انه نظرا لاهتمامه بأن تكون للدراسة صفة الشمول أو شبه الشمول للأبعاد المختلفة للشخصية ، فانه كان :

آ ـ يلجأ لدراسة المتغيرات المستقلة من ظروف بيئية او اساليب تربية او ضغوط من انواع شتى ، لا لدراستها في ذاتها كغاية ، بل كوسيلة لتفسير تطور تكوينات معينة في الشخصية يمكن أن تكون مسؤولة عن توجيه السلوك الناجم عن احباطات هذه الضغوط وجهة من اللاسواء دون اخرى .

ب ـ كما كان البحث يدرس المتغيرات التابعة من اساليب التكيف وانماط التوافق باعتبارها أساليب تتوصل الدراسة بها لتحقيق المعطيات التي تكشف عنها المناهج والادوات التي لجأ اليها لدراسة ديناميات السلوك المتوسطة (١) .

وربما امتازت هذه الدراسة عن سواها بأنها عنيت بدراسة اكثر من دينامية من ديناميات الاضطرابات السلوكية ، وانها جمعت في الادوات المستعملة اكثر من منهج من مناهج البحث العلمي ، كما انها تعتبر الى حد كبير دراسة اكلينيكية لحالات من الاضطرابات في السلوكي البشري درست دراسة مقارنة بين النوعين ، ولم يكتف البحث بذلك بل انه لجأ الى اختيار عينة ضابطة من غير الجانحين او العصابيين ، وذلك لاستكمال دراسة اثر الانحراف السلوكي في كل من الحالتين في بعد الفرد عن السواء . وقد اتخذ البحث كافة الاجراءات لانتقاء المجموعة الضابطة من عينة تخلو من كافة اشكال الانحراف .

مشكلة الدراسة الحالية :

كان هذا البحث يهدف الى دراسة مشكلة تعلم كل من العصاب والجناح باعتبارهما أسلوبين لاسويين للتوافق ، يسلم الكاتب بأنهما اسلوبين متعلمين ، ولدراسة المتغيرات الوسيطة التي تميز بين الجانح والعصابي ، وهي متغيرات تختلف فيما بينهما ، اما في الكيف او الكم ، كما تختلف فيهما كما وكيفا عنها عند امثالهم من السويين . ولقد كانت الغاية القصوى من هذه الدراسة هي الكشف عن عوامل محددة لكل من الجناح او مقررة له ، وعن اخرى تقرر الاتجاه للعصاب لمواجهة اختلال توازن الشخصية دون الجناح (٢) .

---

(١) الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل : المنهج العلمي وتفسير السلوك : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ .

(2) Mowrer, O. H. : Learning Theory and Personality Dynamics . Ibid .

ونظرا لان الكاتب كان يميل لان يتمسك بالاطار المرجعي للسلوكية الجديدة ، فانه رأى ان يدرس مدى تأثير الفروق الطبقية في تحديد اسلوب او نمط اللاسواء ، اي أنه يهدف من هذه الدراسة الى البحث عن المواقف الاجتماعية التي تقوي عامل الاثر كنتيجة تعزز السلوك الجانح او العصابي كما يتواتر كل منهما في طبقة دون الاخرى [1] .

واذا كانت اغلب الدراسات النظرية والميدانية قد ابرزت أن كلا من الجانح والعصابي يعاني درجة من القلق ، فان مشكلة هذا البحث كانت البحث عن مدى تأثير اختلاف درجة القلق لدى كل منهما في تطور وتعلم هذا الاسلوب من التوافق دون الآخر ، فان لم نجد لهذا التساؤل اجابة فاننا ربما وجدنا أن الاختلاف في المحاور التي يدور حولها القلق عند كل منهما ، قد يكون فيه مجال طيب لتفسير العوامل المحددة للسلوك غير السوي .

وخلاصة المشكلة ان الكاتب كان يهدف للاجابة عن السؤال الآتي :

((هل يمكن تفسير الجناح والعصاب معا في اطار نظري واحد أو نظرية شاملة جامعة تتضمن من القوانين ما يبرز متغيرات مميزة في الشخصية تختلف في الحالة الاولى عنها في الثانية)) .

لاجل هذا اخضع الكاتب فروضا معينة للبحث والدراسة والقياس والتجريب مستعملا أدوات واساليب ومناهج بحث جديدة وكانت :

١ ــ الفــــروض :

أولا ــ ان هناك في تنظيم شخصية كل من الجانح والعصابي فروقا واضحة في متغيرات أهمها :

آ ــ التنظيم الخاص بالحاجات والدوافع ، خاصة المكتسبة سواء من حيث طريقة اشباعها او درجة اصرارها .

ب ــ القلق المكتسب وهو اختلاف يظهر في درجة حدة القلق او الدلائل والمحاور التي تثيره والتي ترتبط بالمجال البشري السلوكي لكل منهما ، او المجال الذي تمت فيه نشأة كل منهما .

جـ ــ يختلف كل منهما عن الآخر في التنظيم المزاجي والعادات الانفعالية سواء من حيث شدة أو حدة الاندفاعية او تواترها وتكرارها ، ومنها الثبوت الانفعالي والدورية الانفعالية والحساسية الزائدة بالنفس ، والانتشاء او الانهباط .

---

(1) Davis, A, Alison. : Ibid .

د ـ يختلف الجانح عن العصابي في ادراكه لابعاد ومعايير مفهوم الفرد عن ذاته ، وما يرتبط بذلك من شعوره بالبعد عن الذات الاجتماعية العادية أو الذات المثالية .

هـ ـ افترض الباحث ان كلا منهما تعلم عادات معينة كان يستجيب بها لمواقف الاحباط وكانت عادات تعزز دائما ، في اطار الثقافة التي يعيش فيها كل منهما ، ولذلك فانهما يختلفان في اسلوب التكيف لمواقف الاحباط .

و ـ تعتبر القيم التي يمتصها كل منهما من الاطار الثقافي للاسرة والمجال الثقافي للطبقة متغيرا وسيطا مكتسبا ، ويفترض الباحث انهما يختلفان في هذه القيم بحيث انها تصبح رموزا ودلائل مثيرة لاستجابة انفعالية ، تقوم بدور الكف عن سلوك أو تدعيم آخر لذلك يفترض الباحث ان كلا منهما لديه قيم ذات قوة دينامية تختلف في الجانح عنها في العصابي ، من حيث النوع ، والموضوع ، والعناصر ، وشدتها وسيطرتها ، ومدى تطرف كل منهما في التمسك بها ، ومدى امتصاصها بحيث لاتظهر لها آثار في خلق مواقف صراعية او قلق مرضي .

ز ـ يختلف الجانح عن العصابي في المفاهيم والرموز التي تعلمها كل منهما لفهم مشاعر الآخرين ، وأهدافهم ودوافعهم .

ثانيا ـ ان الباحث حين يدرس مدى الاختلاف في هذه المتغيرات يعتقد ان كلا من فئتي الانحراف يختلفان عن العاديين من الاسوياء فيها من حيث الدرجة او التواتر .

ولتفسير هذه الاختلافات ـ ان وجدت ـ وجد الكاتب أن من الضروري أن يدرس مدى الاختلاف بينهما في تأثير أساليب التطبيع الاجتماعي ، واتجاهات كل منهما نحو الوالدين او المشرفين على عملية التطبيع الاجتماعي .

وللسير في الدراسة التجريبية بقصد تحقيق هذه الفروض كان لابد للكاتب أن يتمسك بتعريف اجرائي لكثير من المفاهيم التي لابد من الالمام بها في دراسة هذا الموضوع . ولذلك تمسك الكاتب بالتعريف الاجرائي للمفاهيم المختلفة والمصطلحات المستعملة وهي على نوعين :

أولا : مجموعة المفاهيم المتعلقة بالعينة موضوع البحث :

١ ـ الجانح : وهو ذلك الفرد الذي تعرض لمؤثرات بيئية من نوع ما ، واسلوب من التربية والعلاقات الوالدية او الاجتماعية مما اكسبه مجموعة من المتغيرات المتوسطة ، تعلمها من ظروف المجال البشري الذي يعيش فيه ؛ وهي متغيرات تشمل تنظيم الشخصية الخاص بالعادات والاتجاهات والتنظيم المزاجي ، والاستجابات الانفعالية ، وكلها مكونات متصارعة تعلم أن يتكيف

نها ولتوتراته النفسية الناجمة عنها بأسلوب يمتاز بالعدوان ، يوجهه نحو الغير بصورة صريحة مباشرة ، أو ضمنية غير مباشرة ، ويتكرر منه ذلك بما يفيد ثبوت عادة العدوان وتعزيزها ، ومن هنا يتشابه الجانحون مهما اختلف اسلوبهم في التعبير عن نوازع العدوان .

٢ ــ **العصابي** : هو فرد تعود الاساليب الانسحابية لانه مر بخبرات انفعالية سابقة قاسية او تعرض لطرق في التنشئة الاجتماعية خاطئة اكسبته جميعا عادات انفعالية هي القلق يثار مرتبطا بالكثير من ميوله ورغباته التي تعرضت للتحريم او التأثيم ومن ثم للعقاب ، وبالتالي ارتبطت بمفهوم معين عن ذاته ، ومستوى طموح معين ، وبذلك تعلم مجموعة متغيرات وسيطة نلمس آثارها في سلوكه الاجتماعي حيث يمتاز نتيجة لذلك كله :

بالسلبية ، والتحاشي ، والكف الشديد خاصة لنوازع العدوان،ويتمسك بالعادات اللاسوية الاستعطافية او الهروبية التي تأخذ صوراً من أعراض شتى ، ويثير قلق العصابي وتوتره نوازع العدوان او شبه العدوان ، يعمم عليها القلق المتعلم ، كما انه يتعلم مع ذلك ونتيجة له مفهوما معينا يربطه بذاته ، هو أميل للشعور بالنقص ، مما يجعل الاستجابات الانسحابية الهروبية الاستعطافية اساليب توافق هدامة تزيد مشكلته تعقيدا ، ولكنها مع ذلك تحقق غرضا هو اختزال التوتر لانها تلعب دور الدفاع ضد القلق من الخطر المتوقع الموهوم او العقوبة المنتظرة لكل رغبة او نزعة وكلما خفضت توترا عززت وزادت العادة قوة مما يجعل العصابي يلجأ اليها في المواقف المشابهة (تعميم) ، أو ينطبق عليها مبدأ (مدرج التعميم) .

وهكذا يبدو العصابي في نمط السلوك الظاهري انسانا يمتاز بأنه ــ غير ناضج ــ يشعر بالعجز ــ يلجأ للاستجابات التراجعية ــ متمركز حول ذاته ــ غير قادر على اعطاء الحب او اخذه ــ مشغول دائما بمركزه الاجتماعي ــ يتأثر بشعوره بالدونية ومفهوم الذات ــ شديد الحساسية بنفسه .

ثانيا : أما عن المفاهيم المرتبطة بالمتغيرات موضوع الدراسة فاننا نلخصها فيما يلي :

١ ــ **القلق** [1] : استجابة انفعالية ، يثيرها كل ما يعني توقع شر أو عقاب أو ضرر أو خطر ؛ وهو في ذلك يشبه الخوف من حيث هو استجابة ، ولكنه يمتاز بأن له اشاراته التي تأتي من داخل الفرد لانه خوف من مجهول ولا اساس له في عالم الواقع ، بل انه يأتي من داخل الفرد حين تثور فيه نزعات او رغبات سبق ان عوقب عليها او ارتبطت بألم من نوع ما ، ذلك الالم الذي يتوسط اكتساب عادة القلق ، وهي عادة يزيدها حدة نوازع العدوان المكبوتة ضد سلطات التطبيع الاجتماعي .

---

(١) د. محمد عماد الدين اسماعيل : الشخصية والعلاج النفسي: مكتبة النهضة المصرية : ١٩٦٠

والقلق بهذه الصورة يرتبط بانماط سلوكية عديدة منها :

آ ــ ما يمكن قياسه من درجة عدم الثبوت الانفعالي او عدم الشعور بالامان او السلوك غير الاجتماعي واضطراب التفكير .

ب ــ اعراض نلاحظها على الفرد في موقف تجريبي تثبت فيه كل المتغيرات ومنها عدم القدرة على التركيز وتشتت الانتباه ، وعدم الاستقرار وسرعة التهيج وبعض الرعشات او اللزمات ، وغيرها من الاعراض السيكوسوماتية كالعرق واحمرار الوجه وسرعة التنفس ، وتكرار البلع ، ويمكن اعتبارها ذات علاقة وظيفية بالقلق ، باعتبار ان تواترها يدل على درجة القلق . كما ان تعطيلها لدور الفرد أو كفه عن التوافق السوي يعتبر دليلا على شدة القلق .

جـ ــ اعراض اخرى تأتي في تقديرات المرضى واستخباراتهم ويمكن منها دراسة درجة القلق ومنها ما يذكر في اختبارات ومقاييس القلق الصريح العديدة ومنها [1] :

الضيق ــ التوتر ــ المشغولية ــ الخجل ــ التشاؤم ــ الاعراض النفسجسمية (السيكوسوماتية) ، هذا وكلما تعددت المظاهر التي منها تستشف درجة تواتر هذه الاستجابات ، كلما كان لدينا دليل صحيح على درجة القلق .

٢ ــ **الثبوت الانفعالي** : هو عادة الاستجابة الانفعالية المتزنة التي تدل على ان الفرد حين يكون في موقف مشحون بالمثيرات الانفعالية فانه يستجيب بصورة لاتنم عن انه مقهور او واقع تحت ضغط شديد ، بل انه يدرك الجوانب المختلفة والمثيرات العديدة للموقف ويكون قد تعلم طريقة التمييز بينها بدرجة من الموضوعية والواقعية تساعد على تعيين وتحديد نوع الاستجابة وصيغتها ولونها الانفعالي بما يلائم الموقف ، بحيث تعين على تكيفه السليم للبيئة ، ومساهمته الايجابية للموقف ، ذلك ان الثبوت الانفعالي ، يعد بعدا من التنظيم المزاجي وهو بطيء في تغيره ، ولذلك يساعد على استمرار الصورة العامة للشخصية .

ومن ينقصه الثبوت الانفعالي يعاني من :

ــ تأرجح المزاج بين المرح والانهباط ــ سهولة التذبذب بين السعادة والشقاء والفرح والحزن ــ التعرض كثيرا لحالات الانقباض او الانهباط ــ الشعور بالتعاسة غالبا .

---

(١) راجع : للمؤلف واخرين : مقياس الشخصية الثلاثي . مطابع الكويت ١٩٧٢ .

٣ ـ مفهوم الذات «Self Concept» [١] : يقصد بها الصورة التي يكونها الفرد عن نفسه وعن وجوده باعتباره مجموعة من انماط التوافق او الاستجابات النوعية يمكن تقديرها كميا لوضوح ابعادها وامكان ملاحظتها ووصفها ، اذا قورنت بمدى ما يوجد منها ، كما وكيفا ، عند غيره من الناس ، وذلك كله يكون نتيجة خبرات الفرد نفسه ، او تقويم الآخرين او تقويمه هو لذاته ، ولطريقته في التكيف او نتيجة احتكاكه بغيره من الاشخاص أو المواقف . ونتيجة ما خبره من اساليب الثواب او العقاب والنقد والتقدير في عملية التطبيع الاجتماعي ، كل ذلك يجعل ذاته مثيرا شرطيا لاستجابات انفعالية من الرضى أو عدم الرضى بعدها يصبح الفرد نفسه في مكانة ما من البيئة التي يعيش فيها . هذا ويمكن قياس مفهوم الذات بقياس ما يشعر به الفرد نفسه من بعد ابعاد ذاته ومواصفاتها في صفات معينة وقيم محددة عن :

أ ـ غيره من الناس العاديين .   ٢ ـ او عن الذات المثالية .

سواء كان هذا البعد خياليا أو حقيقيا .

وباختصار فان الكاتب حدد مفهوم الذات بما يمكن ان تسفر عنه المقارنة بين تقدير الفرد لذاته وتقديره للعامة ، ثم بين تقديره لذاته وتقديره للشخص المثالي ، وذلك مما يبرز مدى الفرق بين تقدير الفرد لذاته وتقديره للغير ، او بمعنى آخر يبرز طبيعة شعور الفرد بالنقص او شعوره بالتقدير الزائد « Overestimation »، في مجموعة صفات بلغت مائة صفة امكن الحصول عليها عمليا من أفواه الاطفال انفسهم ، أطفال من غير موضوع التجربة ومن عينات من الجانحين والعصابيين .

٤ ـ القيم « Values » [٢] : هي تلك المفاهيم التي ترتبط بمجموعة من الدلائل والاشارات والتسميات لبعض المعايير الاجتماعية التي يقيس بها الفرد ويحكم على أشكال من السلوك معينة ، او على أمور او تصرفات في مواقف عامة ويمكن ان نلاحظ اثرها فيما يستجيب به الفرد من عبارات لفظية ، تعبر عن حكمه على هذه الامور ، وهو حين يستجيب بهذه الصورة او تلك ، فانما يكون ذلك لانه قد اكتسبها من اختلاطه واحتكاكه ببيئة ، سلك فيها سلوكا خاصا او سلك غيره سلوكا ما ، ونال عليه نوعا من الثواب او العقاب ، بحيث ارتبطت هذه التسميات في حياته بخبرة انفعالية من نوع ما ، ارتباطا شرطيا جعلها تثير فيه درجة من درجات القلق يجعله

---

(1) Henry, W. E. : The Analysis of Fantasy . John Wiley and Sons. 1956 . P. P. 82 - 88 .

(٢) دكتور نجيب اسكندر : قيمنا الاجتماعية وأثرها في نمو الشخصية . مكتبة النهضة المصرية . ط ١ . ١٩٦٢ .

يستجيب بالقبول او الرفض على درجات من التطرف في هذا القبول او الرفض لموضوعات أو اشياء او اشخاص او مواقف معينة . وبهذه الصورة تعتبر القيم دوافع مكتسبة للسلوك وتدخل ضمن المتغيرات الوسيطة ذات الدينامية الواضحة في تحديد السلوك . فهي اذن تكون التنظيم القيمي في الشخصية والذي يعتبر من حيث موقعه في القمة من تنظيم الشخصية وربما كانت الشخصية كما يقول مورفي « هي الى حد كبير ، التنظيم القيمي للفرد » .

٥ ـ **تحمل الحبوط** « **Frustration Tolerence** » : ويقصد بها ماتعوده الفرد من امكانية تحمل الضغوط واثر العوائق ، وهي قدرة يمكن دراستها من نوع العادة التي تعلم الفرد ان يستجيب بها لمثيرات الموقف الاحباطي ، أي كل موقف تقوم فيه عوائق ما دون اشباع حاجة او ازالة توتر ، سواء كانت الاستجابة بطريقة سلبية او ايجابية ، والموقف المثير في هذه الحالة يكون فيه مجموعة من المثيرات ، يمكن ان تسمى ضغوطا ، او عوائق ، بعضها يكون داخليا (كتنظيمات القلق او مفهوم الذات المكتسب) وبعضها يكون خارجيا ، وكلها تثير في الفرد توترا معينا لانها تهدد دوافعه ويمكن لهذا ملاحظة استجابته لهذه المثيرات المختلفة بطريقة موضوعية وقياسها بطريقة كمية وكيفية معا بعد خلق الموقف الاحباطي بطريقة تجريبية .

وقد استعمل الكاتب في ذلك اختبار روز نزفيج الاسقاطي لقياس اتجاه العدوان في مواقف الاحباط وطبيعة الحاح الحاجة ، والميل للكبت ، والاتجاه نحو الدفاع عن الذات ، وتعتبر درجة تحمل الحبوط متغيرا وسيطا يرتبط الى حد كبير بما كان يعرف عند ماكدوجال بالارادة ولذلك يمكن اعتبارها متغيرا وسيطا في تنظيم الشخصية .

٦ ـ **ادراك مشاعر الآخرين** « **Empathy** » : ويقصد به ما اكتسبه الفرد من معان ومفهومات عن الظواهر السلوكية المختلفة عند الآخرين ، وما اكتسبه من قدرة على ادراك علاقة ما بين دوافع واهداف ورغبات وانفعالات الافراد في موقف ما ، وبين السلوك الواضح الظاهر لهؤلاء الافراد في الموقف المحدد . ويمكن دراسة هذا الادراك وقياسه من واقع الاستجابات التمييزية اللفظية او الظاهرية التي تفصح عن وجود مفاهيم واضحة وادراك علاقات واقعية موضوعية بين سلوك ما وبين دوافع افراد يحتك بهم او يطلب اليه بشكل تجريبي ان يتفاعل معهم في موقف يخلقه المجرب ، ثم يبرز ادراكا ما لعلاقات خاصة بين هذه الدوافع والسلوك الظاهر في الموقف .

وبهذه الصورة تعتبر طريقة تكيف الفرد الاجتماعي مع الآخرين ، وهو كمتغير وسيط ، يدخل في نطاق التنظيم الادراكي للفرد ، مما قد يتأثر بالمتغيرات الاخرى الوسيطة من دوافع السلوك المكتسبة كالقلق ، او الحاجات غير المشبعة عند المفحوص او الشعور بالاحباط او غيرها ، مما قد يعكسه الفرد على الموقف موضوع الاستشارة .

بمعنى آخر أن الاستجابة التمييزية لمشاعر الآخرين ، اذا كانت غير موضوعية ، فانها تعكس وتصور حاجات الفرد ودوافعه وعاداته الذاتية ، اكثر مما تميز ادراكا تمييزيا واضحا لمشاعر الآخرين وهو أمر يمكن قياسه وتحديده كميا بمقارنة أنواع استجابات الفرد للموقف باستجابة امثاله في المتوسط العام .

٧ ـ **التكيف الشخصي والتكيف الاجتماعي** : وقد قصد به مجموعة العادات التي اكتسبها الفرد ، والتي تعتبر تكوينا فرضيا يتوسط بين الموقف المثير او المجال السلوكي من جهة وبين اسلوب التوافق والتكيف من جهة اخرى، ويمكن الاستدلال على وجود هذه العادة كمتغير وسيط من أساليب الفرد في التكيف .

آ ـ **الشخصي** : كما يظهر في انماط السلوك التي تدل على درجة :

١ ـ اعتماد الفرد على نفسه ، وقدرته على توجيه سلوكه دون خضوع للغير .

٢ ـ احساسه بقيمته من حيث تقدير الآخرين له .

٣ ـ الشعور بالحرية في توجيه السلوك ووضع الخطة .

٤ ـ الشعور بأنه اشبعت لديه حاجته للحب والانتماء ، وبأنه مرغوب فيه .

٥ ـ التحرر من الميل للانفراد ، والبعد عن التمتع بالنجاح التخيلي والحساسية الزائدة للنقد .

٦ ـ الخلو من الاعراض العصابية كفقدان الشهية او الارق او الشعور بالتعب .

ب ـ **التكيف الاجتماعي** : كما يظهر في استجابات الفرد التي تدل على :

١ ـ تمييز المستويات الاجتماعية .

٢ ـ المهارات الاجتماعية كحب الغير ومساعدتهم وحسن التصرف مع الآخرين .

٣ ـ التحرر من الميول المضادة للمجتمع .

٤ ـ العلاقات الاسرية المقبولة التي تدل على تبادل الحب والتقدير .

٥ ـ العلاقات المدرسية الطيبة .

٦ ـ السعادة والايجابية في العلاقات بالبيئة المحلية كالجيران وغيرها .

ولسنا نريد بهذه المتغيرات دراستها من حيث مظاهر للسلوك الظاهر ، بل اننا نهدف منها الى دراسة درجة قوة بعض العادات المتعلقة بالتكيف

الشخصي ، والتكيف الاجتماعي ، والتي تعتبر في ذاتها متغيرات وسيطة ، كعادات معززة قوية ، تظهر آثارها في انواع من الاستجابات المعتادة او النوعية .

٨ ــ انطباعات احباطات الطفولة[1] The impression of frustrated-ch

يقصد بها درجة ادراك الفرد الشعوري ، او تأثره بشكل لا شعوري بطبيعة الخبرات والمؤثرات الاجتماعية التي مر بها اثناء عملية تطبيعه اجتماعيا ، أو علاقاته بالآخرين في المراحل المبكرة من نموه النفسي ، كما يظهر ذلك في استجابة الفرد لمواقف معينة تصور بعض الضغوط أو الاحباطات التي كانت بالضرورة مما مر به اثناء عملية التنشئة الاجتماعية ، والتي تدل على انه يشعر بوطاتها ومدى شدتها من استجابات تتراوح بين تلك التي تدل على انه كان يقع أو يشعر او يعتقد انه كان يتعرض لوطأتها دائما او احيانا او نادرا .

والغرض من دراسة هذا المتغير هو تحديد اتجاه الفرد نحو الطريقة التي اصطنعها من اشرفوا على تنشئته اجتماعيا لتهذيبه واكسابه الصفة الاجتماعية المرغوبة ، ومدىوطبيعةالانطباعةالتي يتركها هذا الاسلوب أو الاتجاه نحو طريقة التنشئة كما يمكن فهمه من استجابة الفرد بدرجات مختلفة من الشعور بوطاة المؤثرات المذكورة .

هذا الاتجاه النفسي قد يلعب دورا كبيرا في تحديد سلوك الفرد السواء او اللاسواء ، وفي الحالة الاخيرة قد يكون من المتغيرات الوسيطة التي تقرر اسلوب اللاسواء او سوء التوافق نحو العصاب ام الجناح ؟ ! ؟ ! ؟

لقد كانت المشكلة التي يريد الكاتب الوصول لحل فيها تفرض نفسها دائما في هذه الدراسة ، ولذلك حدد اكبر قدر ممكن من المتغيرات الوسيطة التي افترض انها تميز الجانح والعصابي معا عن العادي كما انها يمكن ان تميز الجانح عن العصابي ، لو أمكن دراستها بدقة ، وتحديد نوعها او درجة قوتها .

لذلك لجأ الكاتب الى العديد من الوسائل التي تكفل له التوصل الى تحديد دقيق لها ، فاستعمل لذلك الاساليب والمناهج الآتية :

١ ــ المقابلة وبحث الحالة ، واستعمل لذلك اسئلة موحدة واستمارات بحث حالة ثبت له صلاحيتها .

٢ ــ القياس النفسي باستعمال الاستخبارات ومقاييس الشخصية المختلفة .

٣ ــ الطرق الاسقاطية المختلفة ، استعمل فيها اختبار تفهم الموضوع واختبار

---

(1) a - Watson, A. : A Comparison of the Effects of Lax versus Strict Home Training. Journal of Social Psych. 1934. N. 5. P. P. 102 - 105.

b - Maier, N. R. : Frustration. Ibid. P. P. 115 - 121

روزنزفج لدراسة الاستجابة للمواقف الاحباطية ، واخيرا مقياس الاتجاهات العائلية .

٤ ــ مقاييس الذكاء وذلك لتحديد مستويات ذكاء المجموعات المختلفة .

الى غير ذلك من الاساليب العديدة كتقدير المعلمين والمشرفين لسلوك التلميذ باستمارة موحدة موضوعية . وقد وضعت لكل مستوى من مستويات السلوك في الفقرات المختلفة أوزان تيسر المعالجة الرقمية والاحصائية ، واستعمل كذلك مقاييس الاتجاهات الوالدية ، والتقرير السيكولوجي الاجتماعي عن الطفل وغير ذلك من الاساليب للالمام بأكبر قدر ممكن من الضغوط والمؤثرات الاجتماعية ، ثم العادات السائدة وأساليب السلوك الثابتة لدى الطفل .

خلاصة البحث وما توصل اليه من نتائج

هذا البحث يعتبر مرحلة استمرار لبحوث سابقة افترضت بعض فروض معينة فيما يختص بتنظيم شخصية كل من الجانح والعصابي ، وأهمها تلك البحوث ذات الطابع النفسي الاجتماعي المقارن التي اهتمت بدراسة موضوع المؤثرات الاجتماعية والثقافية التي تعيش فيها طبقات معينة ، وأثر ذلك في تنظيم شخصية الابناء من كل طبقة من الطبقتين الدنيا والوسطى .

المشكلة :

لقد تبلورت مشكلة هذا البحث فيما لمسه الباحث من الحاجة لوضع اطار نظري شامل يمكن ان نفسر في ضوئه مشكلتي السلوك الجانح والعصابي في اطار واحد ، وكانت المشكلة قد برزت بعد ان بلورت كثير من البحوث فروضا رأت انها تفسر هذين الاسلوبين من التوافق .

هذه الفروض رات أن اطفال كل طبقة من الطبقتين الدنيا والوسطى يتأثرون بمؤثرات اجتماعية تختلف من طبقة لاخرى ، ويكون نتيجتها تعلم اطفال كل طبقة من الطبقتين عادات ومتغيرات ، يمكن ان تكون مسئولة عن أساليب تكيف لا سوية ربما كانت هي أسلوبي الجناح والعصاب . وقد رجحت هذه الفروض ان الجناح يعتبر أسلوب تكيف ابناء الطبقة الدنيا نتيجة لما يتعرضون له من تأثيرات وضغوط اجتماعية ، بينما يكون العصاب اسلوب التكيف اللاسوي عند ابناء الطبقة الوسطى الذين يتعرضون لضغوط مختلفة ، ومؤثرات معينة خاصة بطبيعتهم الاجتماعية .

وهكذا اصبحت الضرورة ملحة في الحاجة للبحث عن المتغيرات الوسيطة التي ربما تختلف في شخصية الجانح عنها في شخصية العصابي ، والتي تكون بدورها متعلمة في ضوء الاوضاع الاجتماعية والقيم والتأثيرات في كل من طبقتي المجتمع التي تنحدر منهما هاتان الفئتان .

وكان الاطار النظري الذي تمسك به الباحث في هذه الدراسة هو اطار السلوكية الجديدة فقد رأى الباحث أن هذا الاطار يمكن في ضوئه تفسير هذين الاسلوبين من التكيف معا ، حيث يهدف هذا البحث الى الوصول الى الديناميات التي يمكن ان تسهم في تعلم اسلوب من الاساليب دون الاخرى .

فالمشكلة اساسا هي وضع اطار نظري واحد لتفسير ظاهرتي الجناح والعصاب معا في ضوء دراسة ديناميات السلوك عند كل منهما ، لتحقيق مدى الاختلاف او التشابه – في النوع والدرجة – بين كل منهما في الدوافع المحددة للسلوك .

الفروض :

لاجل هذا وللوصول الى حل في هذه المشكلة افترض الباحث ان هناك اختلافا ما بين الجانح والعصابي في متغيرات كان أهمها :

١ – المتغيرات المتعلقة بالتنظيم الخاص بالدوافع والحاجات .

٢ – المتغيرات المتعلقة بالقلق والتوتر والاضطراب الانفعالي والعادات الانفعالية .

٣ – المتغيرات الخاصة بادراك الفرد لذاته ومفهومه لها .

٤ – المتغيرات المتعلقة بالتنظيم الخاص بالقيم .

٥ – المتغيرات المتعلقة بالتنظيم الخاص بعادات التكيف في المواقف الاحباطية .

٦ – المتغيرات المتعلقة بفهم مشاعر الاخرين .

٧ – المتغيرات المتعلقة بالاحساس بمشاعر الاحباط في الطفولة وانطباعها .

٨ – المتغيرات المتعلقة بالتنظيم الخاص بعادات التكيف الشخصي والاجتماعي .

ولقد افترض الباحث كذلك ان كلا من فئتي الانحراف تختلف عن العاديين في هذه المتغيرات .

ولتحقيق هذه الفروض سار البحث في الخطوات الآتية :

أولا – المنهج :

اهتم الباحث بان يسير على منهج القياس والتجريب التحقيقي المقارن وبذلك سار في الخطوات الآتية :

١ – **العينة :** اختيرت لهذا البحث عينة من الجانحين بعدد خمسين جانحا واخرى مساوية لها في العدد من العصابيين ومجموعة ثالثة ضابطة بنفس العدد . ولقد اختيرت مجموعتا التجريب بطريقة محددة وفي اطار من التحديد الاجرائي لمفهوم الجانح والعصابي كما ذكرنا . أما المجموعة

الثالثة الضابطة فقد اختيرت بطريقة عملية من أكثر الاطفال من نفس السن توافقا ، إي الذين لم يتعلموا أيا من أسلوبي التكيف العصابي أو الجناحي .

هذا ولقد كانت افراد المجموعتين التجريبتين من الجانحين والعصابيين تختار في اطار حدود ومواصفات معينة تتفق مع التعريف الاجرائي للجانح والعصابي الذي حدده الباحث ، وكان يشترك في اختيار الجانحين والعصابيين عدد من الفنيين المشتغلين بالعمل في العيادات النفسية او المشتركين في العمل في مؤسسات الجانحين وهي دور الملاحظة التي اختيرت منها مجموعة الجانحين .

وكان الباحث يهتم في كل حالة بمناقشة اسلوب الانحراف السلوكي وطبيعته مع هؤلاء المختصين دراسة يضمن بها تمثيل العينة لمفهوم الجناح أو العصاب .

مصادر العينة :

١ ـ اختيرت أغلب مجموعة الجانحين من نزلاء بعض دور الملاحظة في مدينة القاهرة ممن ثبت انهم تتكرر في حياتهم اساليب السلوك العدواني بصورة تنم عن انها عادة ثابتة نوعا . وقد حدد الباحث اشكال العدوان التي اعتادتها كل حالة من الحالات في البحث المقدم .

٢ ـ أما مجموعة العصابيين فقد اختيرت من الاطفال المترددين او المحالين للعيادات النفسية بسبب مشكلة او اخرى من مشكلات التكيف . وقد حدد الباحث المواصفات ، ونوع الاضطراب السلوكي لكل حالة ، بحيث يتأكد ان عادات السلوك العصابي عادات ثابتة لدى كل طفل منهم .

وفي كل من العينتين كان الكاتب يهتم بدرجة ثبوت عادة الجناح أو العصاب ، بمعنى انه كان يستبعد من العينة الحالات التي مارست السلوك اللاسوي صدفة ، أو التي يتبين انها تمر بأزمة نفسية عابرة لا تدل على أن السلوك اصبح عادة .

وقد ثبت الكاتب عامل الذكاء في المجموعات الثلاث فكان الاطفال في هذه المجموعات الثلاث من متوسطي الذكاء غالبا .

واما عن السن فقد اختير الاطفال موضوع الدراسة ممن تتراوح اعمارهم بين العاشرة والرابعة عشر لمبررات حددها الباحث كان أهمها شيوع ظاهرة الجناح في هذه المرحلة العمرية ، وبدء انضاج إشكال التكيف العصابي وتبلورها بعد العاشرة .

ولقد تبين من الدراسة العملية انه لا يمكن ان يسوى بين الجانحين والمجموعات الاخرى في متغير المستوى الاجتماعي والاقتصادي للاسرة وهو

العامل الذي اعتبره الباحث عاملا ومتغيرا تجريبيا ، مستقلا .

الادوات المستعملة :

تمسك الباحث بمنهج التجريب والقياس لتحقيق الفروض السابقة واستعمل لذلك بطارية من الادوات كان منها مقياس القلق الصريح ، ومقياس الثبوت الانفعالي ومقياس الدورية الانفعالية كذلك استعمل الباحث اختبار تفهم الموضوع لدراسة المتغيرات المتعلقة بتنظيم الدوافع والحاجات والتنظيم الخاص بالقلق والاضطراب الانفعالي عامة .

كذلك اقتبس الباحث اختبارا وضع بطريقة تجريبية للدراسة المقارنة لمفهوم الذات وكانت فقراته المختارة مما أمكن الحصول عليه من مجموعة من الاطفال طلب اليهم تقدير ذواتهم والكتابة عن انفسهم في شكل استفتاء مفتوح يحدد فيه الطفل الصفات العامة لذاته ولغيره من الناس كما يراها هو .

واقتبس الباحث أيضا مقياسا للقيم استعمله في دراسة القيم دراسة مقارنة . وقد تحقق الباحث من صلاحية استخبار القيم لقياس القيم الست المعروفة الاجتماعية والنظرية والدينية والاخلاقية والقيمة السياسية والجمالية، ثم القيمة الاقتصادية ـ أستعمل الباحث كذلك ضمن بطارية الاختبارات مجموعة من الاختبارات الاسقاطية المعروفة استعملت لتحقيق فروض البحث وكان منها ـ بالاضافة الى اختبار تات ـ اختبار الاحباط المصور ، واختبار العلاقات العائلية المعروف .

ولقد حقق الباحث تجريبيا لكل هذه الادوات درجة طيبة من الصلاحية أهتم فيها بأن تكون كل اداة على درجة عالية من الصدق والثبات ، مستعملا في ذلك التحليل والدراسة الاحصائية الضرورية .

الاجراءات التجريبية :

١ ـ اجريت الاختبارات اولا على مجموعة محدودة من الاطفال العاديين غالبا ومجموعة أخرى من المنحرفين احيانا كدراسة استطلاعية للتأكد من صلاحيتها للقياس ، ومن وضوح تعليماتها وفقراتها وادخلت عليها تعديلات اظهرت من نتيجة هذه الدراسة الاستطلاعية ، كذلك كان لابد من أن تستعمل عينة استطلاعية لتحقيق ثبات وصحة عدد من هذه الادوات وخاصة المستحدث منها لان الباحث قد ادخل بعض التعديلات الجوهرية على كثير من المقاييس كان اهمها متركزا فيما يتعلق باللغة التي كتبت بها هذه الادوات .

كذلك اجريت أغلب الاختبارات المستخدمة على مجموعات كبيرة من الاطفال بلغت اعدادا تتراوح بين ١٢٥ ـ ١٧٥ طفلا من نفس السن والمستوى الاجتماعي والذكاء ، وذلك لتحقيق درجات قياسية اقرب

للمعيارية المقننة للاختبارات المختلفة ، ولقد كانت اغلب الاختبارات من النوع الذي يرجح انه يجري على هذه المرحلة العمرية لأول مرة ، وهذا ما أستلزم ضرورة تطبيقها على أعداد اكبر من مجرد المجموعات الثلاث موضوع الدراسة . وكان الكاتب يختار العاديين ممن لم تثبت من تقارير مدارسهم او انديتهم أنهم تعرضوا لواحد من أسلوبي السلوك اللاسوي .

٢ ــ اجريت الاختبارات المختلفة على المجموعات الثلاث وذلك لتحقيق الفروض السابقة ولدراسة مدى ودرجة التشابه والاختلاف بين هذه المجموعات في المتغيرات المذكورة ، كذلك كانت الحالات تدرس بأساليب عديدة منها المقابلة او استمارات بحث الحالة او غيرها .

هذا وكانت كل الاختبارات تجري بطريقة فردية على المجموعات الثلاث وكان الكاتب يراعى دائما قواعد وتعليمات كل اختبار على حدة . ولقد أهتم الكاتب قبل اجراء الاختبارات على كل فرد من الافراد بضرورة تحقيق نوع من العلاقة المهنية بينه وبين المبحوثين بدرجة تسمح بالتقليل من اثر تغليف المبحوث لنفسه ، أو محاولته تغيير الحقائق عن تنظيم شخصيته .

٣ ــ **التحليل الاحصائي للنتائج** : بعد اجراء الاختبارات والمقاييس المختلفة على المجموعات الثلاث كان لا بد من اخضاعها للتحليل الاحصائي حتى يمكن ان نضع هذه الحقائق في اطار نظري محدد .

ونظرا لان طبيعة الدراسة من النوع المقارن كان لا بد من اصطناع طرق معينة للتحليل الاحصائي للنتائج .

وكان أهم ما لجأ اليه الباحث في هذه الدراسة استعمال وسائل اثبات الدلالة الاحصائية للفروق بين المجموعات المختلفة واهمها اختبار « ت » وطريقة « كا ٢ » واستعمال النسبة الحرجة .

وكذلك لجأ الباحث الى الطرق الاحصائية المستعملة لدراسة معاملات الارتباط سواء معامل ارتباط الرتب او معامل ارتباط بيرسون .

النتائج التي توصل اليها البحث

مدخل :

استهدف البحث تحقيق عدد من الفروض اشرنا اليها في هذا الفصل ، وسوف يستعرضها الباحث هنا مرة اخرى لمناقشتها في ضوء النتائج التي حصل عليها .

أولا : الفروض ومدى تحقيقها

١ ــ هناك اختلاف بين الجانح والعصابي في الحاجات والدوافع الاولية

والمكتسبة ، وهي دوافع تتأثر في درجة شدتها والاصرار على اشباعها ثم في نوعها بالاوضاع الثقافية للطبقة الاجتماعية لكل منها .

وقد تحقق هذا الفرض في كل من شقيه .

فالجانحون يفوقون العصابيين في الدوافع الفسيولوجية كالطعام والجنس والراحة ، وكذلك دافع العدوان والامتلاك ، وبفرق ذي دلالة عالية (تتراوح دلالة الفرق بين ١٠ر٠ ، ٠٠١ر٠) .

أما العصابيون فانهم يمتازون عن الجانحين بسيطرة دوافع الحاجة لتحقيق مركز اجتماعي والحاجة الى الامن والى الشعور بالنجاح والتوفيق والتحصيل والفهم والمعرفة (ويتراوح مستوى دلالة الفرق بينهما في هذه الدوافع بين (١٠ر ، ٠٠١ر) .

أما عن الاختلاف بين الجانحين والعصابيين في عادة اصرار الدافع او الحاجة . فانه قد تبين ان الجانح يفوق العصابي في ذلك (بدرجة من الدلالة بلغت ٠١ر) .

٢ ــ يختلف الجانح عن العصابي في القلق سواء كان الاختلاف في درجة حدة ما يشعر به من قلق صريح او من حيث دلائله ومحاوره .

وقد ثبت من النتائج انه لا يوجد اختلاف ذو دلالة احصائية بين الجانحين والعصابيين في درجة القلق الصريح (مستوى الدلالة ٢٤ر) .

اما من حيث دلائل القلق ومحاوره فقد ثبت وجود اختلاف كبير بينهما في المحاور التي يدور حولها القلق .

فبينما يفوق الجانحون العصابيين في القلق من العدوان الموجه نحو الفرد والقلق من العقاب والحرمان والمرض والاصابة والموت ومن الاستقلال ، ومن أن يفترس (وذلك بدلالة في الفرق تتراوح بين ٠٢ر ، ٠٠١ر) . نجد العصابيين يزيد لديهم القلق من الاستهجان ومن فقدان الحب ومن الفشل والسقوط وبدلالة بلغت (من ٠١ر ــ ٠٠١ر) .

٣ ــ يختلف الجانح عن العصابي في العادات الانفعالية والمزاجية مثل الدورية والتأرجح الانفعالي والاكتئاب والاحساس الزائد بالنفس والنضج الانفعالي .

هذا الفرض لم يتحقق بصورته العامة . فلم يحقق البحث اختلافات واضحة بينهما في هذه العادات بصورتها العامة . الا ان البحث قد اثبت وجود اختلافات بينهما في الاستجابات المتعددة ، فيظهر ان العصابيين يمتازون اكثر من الجانحين بعادات عدم الاستقرار الانفعالي والانبساط وعدم النضج الانفعالي والعادات التي تدل على العصبية ــ أما الجانحون فانهم

يمتازون عن العصابيين بمزيد من الاستجابات ألتي تدل على الاندفاعية .

٤ ـ يختلف الجانح عن العصابي في مفهومه عن ذاته ، في ضوء قيم ومعايير سلوكية معينة .

هذا الفرق قد تحقق ولكنه لم يتحقق بصورة مطلقة ، فالجانح يشعر بالدونية أكثر من العصابي عند المقارنة بالعاديين في الصفات الموجبة (ومستوى دلالة الفرق ١٠ر) . آلا أن العصابي أكثر شعورا بالغرابة وعدم المسايرة عندما يقدر ذاته في الصفات الموجبة (مستوى الدلالة ٠٤ر) .

كذلك تبين ان الجانحين والعصابيين يختلفون في القيم والمعايير التي يقدرون في ضوئها ذواتهم .

٥ ـ يرتبط الاحباط في سلوك الجانحين باستجابة العداء والعدوان موجهة للخارج وتكون هذه الاستجابة في قمة التنظيم الهيراركي للاستجابة للمواقف الاحباطية بدرجة يفوق فيها الجانحون العصابيين ـ بينما يتفوق العصابيون عن الجانحين في الاستجابات ألتي تمتاز بالكبت او العداء والعدوان واللوم الموجه للذات بدرجة يفوقون فيها الجانحين .

هذا الفرض قد تحقق تحققا كاملا (كان مستوى دلالة الفروق تتراوح بين ١٠ر ، ٠٠١ر) .

٦ ـ يختلف الجانح عن العصابي فيما يتعلمه من قيم اجتماعية هي مجموعة الرموز والاشارات والدلائل المرتبطة بأشكال من السلوك معينة سبق ان تعرض كل منهما لنوع من الثواب او العقاب تعلم منه القلق مرتبطا بهذه القيم .

هذا الفرض قد تحقق حيث تبين ان العصابيين يفوقون الجانحين في القيم الدينية (بمستوى دلالة ٥ر) ، والقيم النظرية (بمستوى دلالة ٢٠ر) ، هذا بينما يظهر الاختلاف واضحا في تفوق الجانحين في القيم الاقتصادية (وبفرق ذي دلالة عند درجة تأكد ١٠ر) .

٧ ـ يختلف الجانح عن العصابي فيما إكتسبه من معاني ومفاهيم تساعده على ادراك وفهم مشاعر الاخرين ، ويتأثر كل منهما في ذلك بالتوتر النفسي والقلق الذي يدور حول موضوعات تختلف في حالة الجانح عنها في حالة العصابي ولكنها تسبب تشتتهم عن فهم المشاعر الحقيقية للاخرين . هذا الفرض لم يتحقق بهذه الصورة .

فليس هناك فرق ذي دلالة احصائية بين الجانحين والعصابيين في البعد عن الفهم الجيد لمشاعر الاخرين فقد كان مستوى دلالة الفرق بينهما غير ذي دلالة .

ولكنه قد تبين أن كلا من الجانح والعصابي يمتاز بأنه يعاني من قلق او مشغولية تجعله اكثر تشتتا وعدم انتباه لمشاعر الاخرين من الفـرد العادي ، (والفرق هنا ذو دلالـة عند درجة تأكـد ۰۱.ر الفرق بـين الجانحين والعاديين ؛ ۰۱.ر للفرق بين العصابيين والعاديين) .

٨ ـ يختلف الجانح عن العصابي في الاحساس بوطأة احباطات الطفولة بمعنى ان العصابي كانت حاجاته ونزعاته ورغباته أكثر عرضة للتحديد والتهديد والتقييد من الجانح بدرجة تشعره بمزيد من الاحباط في مواقف كثيرة من مواقف عملية التطبيع الاجتماعي .

وقد تحقق هذا الفرض في عمومه وتفصيله وبفرق بينهما في الاحباط العام (بلغت دلالته الاحصائية ٥.ر) .

كذلك حقق البحث فرقا ذا دلالة في صالح الجانحين في الاحباط الذي يدور حول الحرمان والتفرقة في المعاملة (بمستوى دلالـة بلغ ۰۰۱.ر) والعلاقة السلبية بالاباء (بمستوى دلالة ۰۰۱.ر) والقسوة في العقـوبة (بمستوى دلالة ۰۰۱.ر) والاشعار بالفشل والنقص (بمستوى دلالـة ۰۱.ر) . أما العصابيون فانهم قد ظهر ان احساسهم بوطأة احباط الطفولة اكثر وضوحا في موضوعات الجنس (وبمستوى دلالة ۰۰۱.ر) وكذلـك الاشعار بالنبذ (وبمستوى دلالة في الفرق بلغت ۰۰۱.ر) .

٩ ـ يختلف الجانح عن العصابي في عادات التكيف الملائمة سواء تكيف الفرد مع ذاته او تكيفه مع المعايير الاجتماعية .

هذا الفرض لم يتحقق . فليس هناك فروق ذات دلالـة احصائيـة بين الجانحين والعصابيين في هذين المتغيرين ، ولو أن الجانحين يمتازون بدرجة أعلى في متوسط التكيف الاجتماعي والشخصي ، ولو ان الفرق غير ذي دلالة الا انه فرق على أية حال .

اما الفرق ذو الدلالـة الاحصائية فهو في درجة التكيف العام وفيهـا يتفوق الجانحـون بمستوى دلالـة بلغت ۰۱.ر .

ولكن الثابت ان كلا من الجانح والعصابي اقل في تكيفه من الفرد العادي (بمستوى دلالة في الفرق بلغت اقل من ۰۰۱.ر) .

١٠ـ هناك فرق بين الجانح والعصابي في الصـورة النهائية لتجمـع هـذه المتغيرات والارتباط بينها بحيث يمكن ان نلمس عوامل تظهر ارتبـاط هذه المتغيرات بشكل يختلف في حالة الجانح عنها في حالة العصابي .

هذا الفرض تحقق ، كما يظهر ذلـك من جداول الارتباط المزدوج بين

بعض المتغيرات وبين مفهوم الذات[1] .

ولهذا يمكن ان نلخص أهم النتائج التي توصل اليها البحث فيما يلي :

أولا — من حيث التنظيم الخاص بالدوافع والحاجات : ثبت من البحث ان هناك اختلافات واضحة بين الجانحين والعصابيين في أنواع الحاجات التي تسيطر على سلوكهم وتؤثر في توجيهه . فمثلا يمتاز الجانحون عن العصابيين بسيطرة الحاجة الى الطعام والدفء والجنس والراحة كذلك دافع العدوان وهو اكثر ظهورا في استجاباتهم منه في استجابات العصابيين . ثم ان الجانحين يمتازون عن العصابيين في الحاجة الى الامتلاك والاحتفاظ بالاشياء والحاجة لاسرة بديلة .

وفي الطرف الآخر من المقارنة نجد العصابيين يمتازون عن الجانحين بدوافع الحاجة لتحقيق مركز اجتماعي ، والحاجة للشعور بالامان والحاجة للنجاح والتوفيق والتحصيل والفهم والمعرفة .

اما الجانحون فانه قد ثبت من البحث أن دوافعهم وحاجاتهم اكثر اصرارا في مواقف الاحباط .

ثانيا — لم يثبت ان هناك اختلافات تذكر بين الجانحين والعصابيين من حيث درجة القلق ، بل أن الجانحين والعصابيين متشابهون لحد كبير في درجة القلق ، كما يقاس بمقياس القلق الصريح اما الاختلاف بينهما فهو في المحاور والدلائل التي يدور حولها القلق .

فقد ثبت ان أنواع القلق تختلف من الجانحين الى العصابيين بدرجة من الدلالة قوية . فالجانحون تدور موضوعات القلق لديهم حول القلق من العقاب أو العدوان عليهم أو القلق من الافتراس او الموت او المرض او الاصابة بينما يفوق العصابيون الجانحين في القلق على المركز الاجتماعي والقلق من الفشل والسقوط والقلق من النبذ والهجران والقلق من الاستهجان والقلق من العدوان الموجه من الفرد للغير .

ثالثا — لم يثبت ان هناك فرقا ذا دلالة بين الجانحين والعصابيين في عادات عدم الاستقرار الانفعالي أو الدورية الانفعالية عامة .

ولكن ثبت ان هناك بعض الفرق في بعض الاستجابات المعتادة الانفعالية فالجانحون اكثر اندفاعا ، بينما العصابيون اكثر استجابة بالانهباط ، وهم يمتازون عن الجانحين بعادات عدم الاستقرار الانفعالي .

---

(١) دكتور محمد احمد غالي : دراسة مقارنة للجانحين والعصابيين من حيث تنظيم الشخصية . بحث تقدم به الكاتب لنيل درجة الدكتوراه من جامعة عين شمس يوليو سنة ١٩٦٤ .

وباختصار فان الاضطرابات المزاجية لا تكاد تختلف من حيث الدرجة بين الجانحين والعصابيين ولكنها تختلف في بعض الاستجابات النوعية المعتادة .

رابعا — لم يثبت ان هناك اختلافا بين الجانح والعصابي في مفهومه عن ذاته بصورة مطلقة . فالجانح أكثر شعورا بالدونية عندما يقارن نفسه بالعادي في الصفات الموجبة ، والعصابي اكثر من الجانح شعورا بالغرابة وعدم المسايرة .

كذلك وجد ان القيم التي يقدر في ضوئها كل من الجانح والعصابي ذاته تؤثر في مفهوم الفرد منهما عن ذاته .

خامسا — ثبت ان اول الاستجابات ظهورا في توافق الجانحين لمواقف الاحباط هي العداء والعدوان وتوجيه اللوم للغير ، وهم أكثر اصرارا في تحقيق حاجاتهم .

كذلك ثبت ان الطرف الآخر من المقارنة وهم العصابيون يمتازون بالاستجابة بتأثيم الذات والعداء والعدوان على الذات في مواقف الاحباط . وبينما يقل في استجابات الجانحين عدم المبالاة في مواقف الاحباط نجد هذا النمط من الاستجابات واضحا جدا في أستجابة العصابيين .

سادسا — أثبت البحث وجود اختلافات جوهرية بين الجانح والعصابي في التنظيم الخاص بالقيم .

فقد تبين ان القيم النظرية والدينية اكثر سيطرة على سلوك العصابيين منها في حياة الجانحين ، بينما نجد القيم الاقتصادية والسياسية اكثر وضوحا في تنظيم شخصية الجانح منها في تنظيم شخصية العصابي .

سابعا — اثبت البحث ان كلا من الجانحين والعصابيين تشغلهم مشكلات القلق الذي يدور حول حاجات معينة او ضغوط او احباطات او تهديد معين يشغلهم كل ذلك عن الفهم الصحيح لمشاعر الآخرين كما يمكن تحديده من مدى الاختلاف بين أستجاباتهم واستجابات العاديين لمواقف تحتاج لفهم مشاعر الغير .

وبهذا ثبت ان الجانحين اقل احساسا بمشاعر الآخرين وان اهم ما يسبب تشتيت انتباههم عن فهم مشاعر الغير ما يعانونه من اجترار قلق يدور اغلبه حول تهديد الحاجات العضوية والمشكلات الاسرية وهم في ذلك يفوقون العصابيين ولو أن الفرق ليس دالا .

ثامنا — ثبت من البحث ان العصابي اكثر احساسا بقيود الطفولة ووطأة احباطات عملية التنشئة الاجتماعية من الجانح ، وفي مواقف الاحباط الاكثر نوعية ثبت ان الجانحين يشعرون بأنهم تعرضوا في طفولتهم لاحباطات تدور حول الحرمان والتفرقة في المعاملة ، وانهم كانت علاقاتهم بالآباء على درجة من

النسلبية تشعرهم بالاحباط ، كذلك كان من محاور احباطات الطفولة لديهم العقوبات البدنية والقسوة فيها ثم الاشعار بالفشل والنقص وفي ذلك ثبت انهم يفوقون العصابيين بدلالة عالية .

اما العصابيون فكانت محاور احباطهم تدور حول السلوك الجنسي والاشعار بالنبذ وهم في ذلك يفوقون الجانحين .

تاسعا — اثبت البحث كذلك ان كلا من الجانحين والعصابيين يختلفون عن العاديين في عادات التوافق والتكيف الشخصي والتكيف الاجتماعي بدلالة واضحة فهم في ذلك اقل من العاديين .

اما في المقارنة بين الجانحين والعصابيين فقد وجد ان الفرق بينهما في نقص عادات التكيف الاجتماعي والشخصي غير ذي دلالة ، ولكن في المجموع العام للتكيف ثبت ان الجانحين اكثر تكيفا . هذا وقد وجد ان الجانحين على العموم يفوقون العصابيين في عادات التكيف الاجتماعي ولو ان الفرق غير ذي دلالة عالية الا انه فرق على اية حال .

عاشرا — اثبت البحث وجود ارتباط من نوع ما بين عدد من هذه المتغيرات وخصوصا الارتباط بين متغير مفهوم الذات بعوامله العديدة وبين التنظيم المزاجي واحباطات الطفولة والتكيف عامة . فقد ثبت من البحث ان من يشعرون بالدونية بدرجة واضحة هم انفسهم الذين يتواترون بدرجة واضحة في الدرجات العليا من القلق وعدم الاستقرار الانفعالي والدورية الانفعالية والاضطراب الانفعالي العام . ثم هم ايضا الذين يتواترون بدرجة كبيرة في الدرجات العالية من احباط الطفولة والدرجات المنخفضة من التكيف الاجتماعي والتكيف الشخصي مما يمكن معه ان نسلم بأن مشاعر الدونية هي محور الكثير من الاضطرابات الانفعالية عند كل من الجانحين والعصابيين معا . هذا وقد اثبت البحث اختلافات بين المجموعتين من جهة وبين مجموعة العاديين الضابطة من جهة اخرى وكانت الفروق ذات دلالة عالية جدا . اما بين الجانحين والعصابيين فلم تظهر اختلافات تذكر في هذه الارتباطات الا في ارتباط مفهوم الذات مقارنا بالمثالي في الصفات الموجبة . كذلك نجد العصابيين يتفوقون عن الجانحين في ارتباط مفهوم الذات (نفس مثالي صفات سالبة) بمتغيرات الدورية الانفعالية والميول العصابية عامة ، والاحساس باحباط الطفولة .. الخ ، من الاختلافات .

حادي عشر — اثبت البحث بعد اجراء اختبار الاتجاهات الوالدية أن الجانحين قد عاشوا في ظروف اجتماعية ، واساليب تنشئة واتجاهات في التربية تختلف عن تلك التي عاشها العصابيون ، وان الاختلاف بينهما في ذلك غالبا ذو دلالة ، وبذلك أمكن ان يرجح الباحث ان الجانحين ينحدرون من طبقة دنيا وان العصابيين ينحدرون من طبقات وسطى ، وهم بذلك يمكن أن تعمم عليهم نتائج بحوث سابقة مماثلة اجريت على عينات اكثر من الطبقتين ،

تعمم عليهم النتـائج والفروض التي افترضتها هـذه البحوث عند تفسـير نتائج البحث الحالي . ذلك ان الجانحين ينتمون الى طبقة دنيا بمفهوم الطبقة الدنيا كما يمكن تمييزها بمجموعة ضغوط واساليب حياة واتجاهات وطرق في التنشئة الاجتماعية تختلف عن الطبقة الوسطى التي تختلف في هذه المتغيرات المستقلة عن الطبقة الدنيا .

خلاصة النتائج وتفسيرهـا :

يمكن أن نلخص من العرض السابق ان هذا البحث قد كشف عن وجود اختلافات بين تنظيم شخصية كل من الجانح والعصابي ، وان هذه الاختلافات تتضح اكثر في البعـد الخاص بتنظيم الدوافع والحاجـات ، وفي الـدلائـل المثيرة لاستجابة القلق . كذلك يلاحظ الاختـلاف واضحا في البعد الخـاص بالدوافع المعيارية والقيم ، اما فيما يختص بالتنظيم الخاص بالعادات التوافقية للمواقف الاحباطية فقد ظهر الفرق واضحا بين بناء الشخصية عند كل منهمـا حيث يغلب في سلوك الجانح التوجه للخارج سواء باللوم او الاصرار على الحاجة او توجيه الكراهية او العدوان ، بينما يغلب ان يتجه العصابي في ذلك كله الى ذاته . فهو غالبا يؤثم ذاته ، ويوجه اليها العداء والعدوان ، واللوم دائما كلمـا تعرض لاحباط . كذلك يلاحظ ان البحث قد كشف عن اختلاف واضح بـين الجانح والعصابي في التنظيم الادراكي المعرفي . فقد ثبت أن كلا منهما لديـه مفهوم عن ذاته يعكس الشعور بالدونية والقصور ، ولكن هناك اختلافا بينهما في درجة هذا الشعور كما ان هناك اختلافا بينهما في الاطار الذي يشعر فيه كل منهما بهذا القصور .

كذلك ابرز البحث الحالي بصورة جلية ان كلا من الجانح والعصابي بعيد عن الفهم الجيـد لمشاعر الغير لما يشغل كل منهما مـن مشكلات واحباطـات وحاجات غير مشبعة . ثم ان كلا منهما تعرض لاحباطات الطفولة لكنها في حالة العصابي تبدو انطباعاتها اشد واوضح ، مع اختلاف بين الجانح والعصابي في محـاور هـذه الاحباطات ومواقف التطبيـع التي تبدو اكثر وضوحـا في حيـاة الكـل .

واخيرا وفي التنظيم الخـاص بالعادات التوافقيـة تبين ان الجانح اكثـر توافقـا على العموم من العصابي ، وان توافقه الاجتماعي اظهر واوضح مـن توافق العصـابي .

التفسـير :

في اطار السلوكية الجديدة استطاع الباحث أن يفسر الكثير من دوافـع تعلم هذين الأسلوبين من التكيف . وقد شرح كيف ان كل اسلوب من اسلوبي التكيف هذه هو استجابة لديناميات معينة يختلف فيها الجانح عن العصابي . اما عن المتغيرات المستقلة التي كان لا بد من أن يلجاليها الباحث لتفسير عوامل

تعلم هذه المتغيرات الوسيطة موضوع البحث ، فان الباحث قد استفاد فيها من الدراسات النفسية الاجتماعية المقارنة التي أكدت وجود اختلافات بين الطبقتين الوسطى والدنيا في كثير من المؤثرات الاجتماعية والضغوط واساليب التنشئة التي يعيش فيها كل طفل . ولقد حقق الباحث في دراسته ، كيف أن المجموعتين التجريبيتين (الجانحون والعصابيون) تنتمي الاولى منها لطبقة تعتبر هي الطبقة الدنيا اذا قورنت بالطبقة الاجتماعية التي تنتمي اليها مجموعة العصابيين . أما عن مفهوم الطبقة الاجتماعية فيقصد به أنها مجموعة من الناس تكاد تتشابه في ظروفها والضغوط الاجتماعية التي تعيش فيها كما تتشابه في كثير من اساليب الحياة ويهمنا فيها اسلوب التنشئة الاجتماعية .

ونظرا لما امكن اثباته عمليا من ان طبقة الجانحين هي غالبا الطبقة الدنيا بينما طبقة العصابيين هي غالبا الطبقة الوسطى ، فقد استفاد الباحث من ذلك في تفسير دوافع تعلم هذه العادات والاتجاهات والقيم والدوافع وأساليب التكيف المختلفة في ضوء الاختلافات الطبقية بين المجموعتين . كذلك افاد البحث كثيرا من نظريات التعلم الاجتماعي والتقليد ومن آراء البحوث الاجتماعية النفسية المقارنة في تفسير عوامل اكتساب الكثير من المتغيرات موضوع البحث .

وفي ضوء هذه النتائج وما توصل اليه البحث من تفسيرها يمكن ان نميز بين شخصية كل من الجانح والعصابي برسم اطار عام لكل منهما في ضوء نتائج هذه الدراسة وفي ضوء ما أبرزه البحث من فروق ثقافية بين طبقة كل منهما .

الصورة العامة لتنظيم شخصية الجانح والعصابي

من المفيد لمستعرض نتائج هذا البحث ان يحدد الاطار العام لتنظيم شخصية كل من الجانح والعصابي ، في ضوء ما توصل اليه هذا البحث من نتائج . وفي ضوء ما ابرزته الدراسة من فروق ثقافية بين الطبقة التي تنتمي اليها كل فئة من مجموعة التجريب .

آ ـ شخصية الجانح :

تمتاز شخصية الجانح في تنظيمها باتضاح الاهتمام والتوتر بسبب حاجات معينة ربما فرضتها وابرزت أهميتها حيدة البيئة التي يعيش فيها عن اشباعها وذلك بسبب الظروف الاجتماعية الاقتصادية للطبقة التي ينحدر منها هؤلاء الاطفال . هذه الحاجات أغلبها من الحاجات الفسيولوجية الطابع كالطعام والراحة والحاجة للمأوى . كما انه قد تعلم من بيئته عن طريق التقليد والتعليم الاجتماعي ان تكون دوافع العدوان لديه قوية .

ولقد كان لهذه الحاجات اثرها ـ والبيئة تحيد غالبا عن اشباعها ـ في أن يتعلم القلق مرتبطا بموضوعات واشارات ودلائل كلها تدور حول توقع الخطر

المادي أو العضوي كالقلق من أن يفترس ، والقلق من الحرمان المادي او الفقر والفاقة ، والقلق من المرض والموت ، والقلق من العدوان عليه ، او العقاب توقعه البيئة عليه خصوصا وانه تعلم اشباع حاجاته الهامة ـ ومنها الامتلاك ـ باسلوب يغلب عليه العدوان وعدم التمسك بالحدود الاجتماعية ومستلزمات الضبط السلوكي التي يقرها المجتمع [1] .

ويعتبر القلق في تنظيم شخصية الجانح من الدوافع المكتسبة الهامة المرتبطة بسلوكه العدواني الجناحي ، وهو في ذلك لايختلف كثيرا عن العصابي في درجة شدة القلق الصريح . الا ان ظروف البيئة الاجتماعية والطبقة التي ينحدر منها قد فرضت عليه ان يتعلم عادات معينة عدوانية الطابع عززها انها تخفض ما يعانيه من توتر القلق .

هذه العادات المتعلمة ، تعزز باستمرار تكرارها وتحقيقها غاية ما . وتختلف عن عادات العصابي للتكيف لقلقه .

وقد كان لقوة هذه الحاجات والدوافع اثرها في اكتساب قيم خاصة تميز شخصية الجانح عن العصابي ، واهمها القيم الاقتصادية . ذلك أن ماتعانيه أغلب اسر الجانحين من الحرمان من امكانيات مالية توفر لها بعض الاشباعات وتعطيها مزيدا من الشعور بالامان يجعل القلق المرتبط بالمحاور الاقتصادية يزيد تلك المحاور اهمية في نظره ويجعلها قيما يضعها الجانح في الاعتبار الاول ما دامت هي مصدر القوة التي يشعر بأنها تنقصه كلما قارن مستواه الاقتصادي بالمستويات الاقتصادية للطبقات الاعلى ، وكلما شعر ان الامكانيات الاقتصادية التي يتلمسها ولا يحققها تعوق تقدمه ليكون شبيها بغيره من ابناء الطبقات الاخرى .

ولا تلعب القيم الاخرى دورا يذكر في تنظيم شخصية الجانح ، او على الاقل بنفس القدر الذي تلعبه تلك القيم في تنظيم شخصية العصابي ، فمثلا لاتلعب القيم الدينية والاخلاقية او القيم الجمالية دورا بحيث يمكن ان تكون عاملا من عوامل كف الاستجابات اللااجتماعية في حياة الجانح . كما هو الحال في تنظيم شخصية العصابي .

وعن طريق التقليد والتعلم الاجتماعي يبدو ان الجانح غالبا ، قد اكتسب من العادات واساليب التوافق لمواقف الاحباط ما يمكن اعتباره عاملا استعداديا يمهد الطريق لاساليب العدوان المختلفة . فقد تعلم اولا أن يستجيب للاحباط بعادات تعني توجيه النقد واللوم والعداء للاخرين ، كما تعلم ان الاصرار على

---

(1) Davis, Allison. : Ibid ..

(١) راجع كذلك : د. محمد عماد الدين اسماعيل وآخرون : الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل : مرجع سابق .

اشباع الحاجة عادة يعززها الوصول للهدف ، دون كبير عناية بالطريقة التي يتبعها للوصول اليه . لذلك لم يتعلم درجة من الكبت او تأجيل اشباع حاجاته يمكن ان تخفف من حدة توتر الحاجة اذا بلغت درجة التوتر قدرا يفوق العتبة الفارقة لتحمل الاحباط . وهكذا ربما كان افضل ماتعلمه لاشباع حاجته هو العدوان على الغير ، وهذا واضح اكثر ما يتضح في اشباع حاجته للامتلاك والاحتفاظ بالاشياء .

ولقد أمكن عن طريق القياس أن يتبين الكاتب ان الجانح تشغله مشكلاته الخاصة وما يتعرض له في حاجاته من احباطات ، وما يعانيه من ضغوط اجتماعية ومشكلات اسرية ، تشغله كل هذه عن ان يفهم ويدرك مشاعر الآخرين بدرجة واضحة او على الاقل بنفس الدرجة التي يدرك بها العصابيون والعاديون مشاعر الآخرين — وربما كانت عادة عدم الاهتمام بالمتغيرات التي تأتي من الاحساس بمشاعر الآخرين عاملا يجعله لايجد ما يعطل الاستجابة لحاجاته او قلقه بالعدوان عليهم .

اننا حين نكشف ، عن طريق هذا البحث ، ان اغلب الحاجات المحبطة ، واغلب محاور القلق التي تهدد البقاء عند الجانح كلها تدور حول الوجود العضوي للفرد ، انما نستطيع ان نتبين كيف انها تكون اسرع في الوصول الى العتبة الفارقة للشعور بوطأة الاحباط والتهديد ، من تهديد حاجات بعيدة نوعا عن الكيان والوجود العضوي للكائن ، ويكون بذلك مستوى تحمل الاحباط « Frustration tolerence. » عند الجانحين اقل كثيرا منه عند العصابيين وبذلك تكون اسرع الاستجابات للاحباط هي الاستجابات اللا اجتماعية المعروفة عن الطفل قبل تطبيعه اجتماعيا ، يضاف الى ذلك ان المجتمع قد علمه عادة تتيح الفرصة للاستجابة العدوانية للظهور وهي عادة خفض توتر الغضب بالعدوان يوجهه للغير غالبا [(1)] .

هكذا يجد الجانح نفسه مندفعا للعدوان ، وهو بدوره يلعب دورا كبيرا في الحلقة المفرغة للقلق ، فيزيد قلقه لشعوره بغرابته وعدم ملاءمة سلوكه ، ويتفاعل ذلك كله مع القلق من شعوره بأنه اقل الناس اشباعا لحاجاته ، وأبعدهم عن مسايرة الآخرين سواء بسبب حاجاته غير المشبعة او بسبب عدوانه ، أو بسبب ما يوقع عليه من عقوبة من افراد البيئة المحيطة به ، وهم أنفسهم المسؤولون عن عدوانه او تعلمه عادة العدوان . هذه البيئة هي التي تحط من شأنه ، وتحقر استجاباته ، وتصم طرق تكيفه بعبارات يربطها بذاته وتنعكس في شعوره بالدونية والقصور ، وخاصة في مجموعة السمات والصفات السالبة .

---

(1) Dollard, J. Et. A. : Frustration and Aggression. Ibid.
Maier, N.R. : Frustration. Ibid .

هذا الشعور بالدونية يلعب دورين هامين :

الاول ــ يزيد احساسه بالقلق والغرابة ، ثم ان شعوره بالدونية هــذا يسنبب له من التوتر النفسي ما يجعله يتلمس اسباب القوة في العدوان يتباهى به ويعجب بــه ، ثم هو يرتاح اليه لانــه يشبع حاجاته النفسية خــاصــة والبيولوجية أحيانا .

الثــاني ــ أن هذا الشعور بالدونية يعتبر عاملا يتيح للتوتر مخرجا عن طريق العدوان ، والبعد عن المسايرة الاجتماعية وارتكاب الآثام التي قد تحط من شأن أي انسان آخر تعلم مفهوما جيدا عن ذاته ، وكأني به يقول « من يهن يسهل الهوان عليــه » .

وليس من الغريب هنا ان نرجح ان العوامل الاجتماعية الاقتصادية للطبقة تتفاعل مع اساليب التنشئة السائدة عند أبناء طبقات الجانحين ، في تعليم الطفل هذا المفهوم عن ذاته . فالعقوبة البدنية مضافة الى صنوف الحرمان والشعور بالقصور الطبقي كلها تتفاعل في اكتساب هذا المفهوم عن الذات .

ليس غريبا ايضا بعد ذلك ان تستنفد الطاقة اللازمة لتحمل الاحباط ، وهي طاقة تستهلك من اكثر من ناحية بحيث يكون النتاج النهائي لهذا هــو التراجع الشديد الى مستويات تكيف طفلية لمواقف الاحباط ، وهي التكيف للاحباط بأسلوب العدوان ، او العداء للآخرين ، او القاء اللوم على الغير أو مطالبته بحل المشكلة وعلاج الموقف المحبط .

واذا كان قد ثبت من البحث ان الجانح يتمتع بقدر اكبر من عــادات التكيف الاجتماعي يفوق فيها العصابي ، وكذلك عادات التكيف الشخصي فان ذلك يرجع لاساليب الآباء في التنشئة الاجتماعية ، ولظروف طبقة الجــانحين التي تتيح له فرصا اكبر للاحتكاك الاجتماعي والتفاعل مع الغير واكتساب قدر من المهارات الاجتماعية يفوق فيه العصابي ، والجانح في ذلك يختلف عــن العصابي الذي تستلزم ظروف حياته الاجتماعية مزيداً من التحديد والاحباط والحد من حرية تفاعله مع الغير او اختلاطه بالآخرين .

هذا ويتضح ذلك بصورة اكثر وضوحــا لو حاولنا الربط بين انــواع الضغوط الاجتماعية ، واساليب التربيــة والتنشئة التي تختلف في طبقــة الجانحين الاجتماعية عنها في طبقة العصابيين من جهة ، وبين ما يتعلمه كل من الجانح والعصابي من عــادات ، ودوافع تختلف عنــد كل منهمــا عنهــا عنــد الآخــر .

ب ــ شخصية العصابي : (1)

سيرا على نفس الاسلوب في تمييز وتحديد شخصية الجانح يمكن ان

---

(1) Dollard, J. & Miller, N. E. : Personality and Psychotherapy. Ibid .

نقول ان الثقافة التي يعيش فيها ابناء العصابيين - وهي ثقافة أبناء الطبقة الوسطى غالبا - يغلب أنها تفرض عليهم الاهتمام بدوافع اخرى في حياتهم ، وان البيئة تشعرهم بالحيدة عن تحقيق هذه الدوافع والحاجات واشباعها ، هذا الى انها دائما تثير فيهم القلق كلما بعدوا عن مثل تضعها ثقافة اسرهم .

فأبناء هذه الطبقة - وهم ينعمون بقسط اكبر من عوامل توفر الاشباعات العضوية - لاتلعب الدوافع والحاجات العضوية في تنظيم شخصياتهم دورا يذكر او يؤثر بنفس القدر الذي تلعبه في تنظيم شخصية الجانح . فلا تبدو الدوافع الخاصة بالطعام او الراحة او الجنس ذات اهمية كبيرة في تنظيم شخصياتهم - أما لانها مشبعة بقدر كاف أو لان البيئة لا تنظر اليها نظرة الاهتمام المعروفة عند ابناء الطبقة الدنيا ، أو لان التفكير في اشباعهاوتحقيقها قد يهدد الذات المعنوية التي يحاول أبناء هذه الطبقة - طبقة العصابيين الوسطى ان يوصلوها الى مستوى الذات المثالية .

ولهذا نجد أهم الدوافع والحاجات لديهم تظهر في صورة الحاجة لتحقيق نجاح او مركز اجتماعي ، او اشباع الحاجة للحب والتقدير ، او السيطرة والتفوق بطرق مشروعة ، او اشباع وتحقيق القيم المتعلقة بالنظافة والنظام والجمال أو الوصول الى درجة من الخير الاجتماعي الضروري الذي يبعد عن ذاته كل عوامل الاستهجان وما يثيره فيه من قلق على الذات ، ولهذا أيضا يهتمون اكثر من غيرهم بالقيم الدينية والاخلاقية .

وآباء هذه الطبقة غالبا ما يدفعون أبناءهم الى مستويات من الطموح الاجتماعي سواء في ميدان الحياة النظرية والعملية [1] . أو ميدان الخلق والدين ، أو ميدان الجمال وغيرها بدرجة قد تتعارض مع مستوى نضجهم أو لا تلائم ما حققوه من نضج انفعالي واجتماعي في هذه السن . والآباء في هذا كله يثيرون في أبنائهم القلق على الذات مرتبطا بقيم خاصة بهذه الطبقة الاجتماعية ، قلقا يجعلهم يتعلمون بالاقتران الشرطي والتقليد الاجتماعي عادات انفعالية وتوترا يدور حول قيم نظرية واخلاقية ودينية واجتماعية تميزهم عن الجانحين بشكل واضح ، ويزيد هذا القلق شعورهم بأنهم اقل أو اصغر من ان يسايروا هذه المطالب الاجتماعية مما يبلور مفهومهم عن ذاتهم في صور شعور عام بالقصور والدونية يعمم على مواقف كثيرة ، ويجعلهم في حالة قلق مستمر خصوصا عندما يقارنون ذواتهم بالذات المثالية التي ترسمها ثقافة الاسر التي يعيشون فيها .

---

(1) Dr. Ismail, M. E. E. : The Relationship Between The Parents, Socio Economic Level and their Aspiration Regarding their Children's Future . 1963 .

وبالرغم من ان ابناء هذه الطبقة اكثر تعرضا للاحباط بسبب سيطرة الآباء او بسبب الحدود العديدة التي يرسمونها لسلوك أبنائهم والتقييد لحريات الطفل المطلقة نتيجة القلق والاهتمام بالاحتفاظ بمستوى الاسرة الاجتماعي ، الا ان العادات التي يكتسبها العصابي ، والقلق على السمعة التي يقلد فيه الآباء ، والاهتمام بالذات المعنوية للفرد ، والقلق الذي يرتبط بالعدوان دائما عند أبناء هذه الطبقة يحول دون ان يتعلم العصابي عادات تتيح العدوان على الغير ، ويضاف الى ذلك ان ما يتعلمه من الحساسية بمشاعر الآخرين تحول دون ان يوجه العدوان للغير ــ بل انه يجد ان اشباع حاجاته للتقدير الاجتماعي والتقبل تعزز عادات لوم الذات وتأثيمها « Intropunitiveness » وهي عادة تعززها اتجاهات الآباء في هذه الطبقة دائما ، وتلعب العادة دورا كبيرا في زيادة شعور الطفل بالاثم ، وما يتبع ذلك مما يشيع في نفسه من قلق يرتبط اولا بالنزعات العدوانية ثم يعمم على المواقف المماثلة ، كالمنافسة وغيرها ، ثم على جميع النزعات . ويعتبر هذا القلق بالتالي عاملا وسيطا لتعلم عادة الكبت دائما وهي العادة التي تعزز لانها تخفض التوتر من القلق وتوقع الاستهجان أو تحقير الذات .

وليس غريبا بعد ذلك ان يمتاز العصابي بالسلبية ، والتحاشي والبعد عن المنافسة وعادات الكبت في المواقف الاحباطية وما يلازمها من الصراع .

وليس غريبا بعد ذلك ايضا ان يتفاعل هذا وذاك ــ الشعور بعدم القدرة على مسايرة المطالب الثقافية والشعور بالاثم المستمر ، والتحاشي المستمر الذي يترتب عليه غالبا فشل الطفل في تعلم عادات التكيف الاجتماعي ، أن يشعر ويتعلم درجة من عدم التكيف مع الذات ، وأن ترتبط ذاته بدرجة من عدم التقدير والشعور بالدونية لحد كبير .

أن ما يتعلمه العصابي من ذلك كله سواء بالاقتران الشرطي او التقليد بالمحاكاة الاجتماعية يشعره دائما بالدونية خاصة عندما يقارن نفسه بالذات المثالية ويشعره بدرجة كبيرة من عدم المشابهة او المسايرة ، وينشأ عن ذلك كله مشاعر مؤلمة تجعله يتعلم الاكتئاب والانسحاب يستجيب به لهذه المطالب الاجتماعية التي تلح عليه دائما ان يتنافس ويقاتل ويعادي احيانا . كل ذلك يضعه في مواقف صراعية خطيرة تزيده تعرضا للقلق الصريح الذي لايجد له منفسا او خافضا سوى الحيل الدفاعية ضد هذا القلق ، والتي لايمكن أن تأخذ سوى الاسلوب الاستعطافي ــ وليس العدواني ــ يتعلمها وتتعزز لانهـا تخفض القلق الى حد كبير .

وكل من العصابي والجانح يجد في اسلوبه الخاص للتكيف مع القلق وسيلة لخفض هذا التوتر ، وتعزز الاستجابة بالعدوان عند الجانح والاساليب الاستعطافية عند العصابي ولكنها لا تلبث أن تعرضه لعقاب من شكل او آخر

فيزيد القلق وهو استجابة انفعالية مؤلمة لايجد سلوكا لتخفيف حدته الا ان يعود مرة ثانية لتكرار اسلوبه ، وهكذا يتحقق مبدأ اجبار التكرار المعروف في الاضطرابات النفسية عامة .

ان الضغوط الاجتماعية الاقتصادية الطابع وما يترتب عليها من احباطات اقل تأثيرا في تنظيم شخصية العصابي منهـا في تنظيم شخصيـة الجانح ، ولكـن الضغوط الاجتماعيـة المتعلقـة بالقيـم اكثـر وضوحـا في تنظيـم شخصيـة العصابي .

وربما كان هذا هو السبب في ان قلق العصابيين يدور دائما حول توقع الخطر او الضرر غير المعروف الذي يدور حول كيانهم المعنوي ، ونقصد بذلك القلق من الاستهجان والقلق على المركز الاجتماعي ، والقلق مـن الحرمان من العطف ، والقلق من ان يقع الطفل في اثم العدوان يوجهه لغيره ... الخ مما يعكس اثر عمليـة التنشئة الاجتماعية واسلوب الآباء واتجاهاتهم فيهـا ، بالاضافة الى ماتفرضه الثقافة التي يعيشون فيها من قيم تفرض عليه القلق من الفشل او السقوط او ما اليها .

ثم أن ما يعانيه العصابي من قلق بسبب الاعراض التي يشكو منهـا ، يزيـد حدة القلق بسبب العوامل السابقة ، ويجعله دائما في حالة من التوتر كما يزيد شعوره بالدونية حدة اذا ما قارن نفسه بما يجب ان يكون عليه كصورة للذات المثالية التي يكرر الآباء رسمها له .

واذا كان العصابي انسانا يؤثر في تنظيم شخصيته شعوره بالدونيـة بالمقارنة بالعاديين ، فانه يغلب ان تكون مصادر هذه المشاعر بالقصور امورا تختلف عن تلك التي يتسبب عنها شعور الجانح بالقصور والدونية .

هذا ويبدو واضحا ان العصابي اقل حظا من عادات التكيف الاجتماعي والشخصي ، وذلك لان سلوكه اكثر عرضة للاحباط ولذلك تكون استجابات الكف المعززة هي دائما اسرع في الظهور في مواقف الاحتكاك الاجتماعي : فهو اكثر تحاشيا للمجتمعات ويجد في هذه العادة خفضا لتوتره النفسي وقلقه من الاستهجان يزيد العادة تعزيزا ، ثم انه بعد ذلك لايشعر بقيمته ، ولا بأهميته بدرجة تتيح له الاستجابة الايجابية في الاحتكاك الاجتماعي ــ بل على العكس ان تكيفـه مع ذاته يكون اكثر دفعـا للكف والتحاشي منه للاختلاط والتفاعل في المواقف الاجتماعية .

الخلاصة

ان المستعرض لهذا المؤلف قد يخرج بانطباعة معينة ، ويحسن بالكاتب لهذا ان يترك لكل قارىء لهذا المؤلف اختيار الاتجاه الفكري الذي يعتقده والذي يتأثر بخبراته واتجاهاته العلمية واطار تفكيره . الا ان الكاتب يفضل ان ينهي هذا المؤلف بابراز المعالم الاساسية التي يمكن ان يكون منطق البحث والتفكير ـ كما عرضه الكاتب في هذا المؤلف ـ مما يزكيه ويؤيده ، او خلاصة ما يمكن ان يراه الكاتب ابرز ما كشفت عنه الدراسات العديدة كما عرضت في هذا المؤلف : وهي :

- انه لم يعد بعد هناك مجال للحديث عن الوراثة او الاستعداد الوراثي للاضطراب السلوكي عامة او الجناح او العصاب ، دون ان يكون للبيئة دورها في تعلم السلوك الجانح ، والسلوك العصابي ، ان صح ان هناك استعدادا موروثا .

وامتدادا من هذا الاستنتاج فان فكرة « الجناح الكامن » او « الميول العصابية الموروثة » لم يعد لها مكان اللهم الا ان تكون عوامل استعدادية موروثة جسمية عصبية ، او استعدادا انفعاليا يحتاج لان تبرزه بيئة من نوع ما ، وبدونها لايظهر لذلك اثر في السلوك عامة ، ولا تبرز اي اشكال ما من الانحراف .

- وانه بالرغم مما افاده علم النفس المرضي من دراسات التحليل النفسي ، فان دراسة السلوك الجانح ، والسلوك العصابي تحتاج لاكثر من ابراز الصراع النفسي بين مكونات النفس كما حددتها نظرية التحليل ، انه يحتاج لدور اثر عملية التطبيع الاجتماعي في خلق الاضطراب السلوكي . حقيقة ان هذا امر لم تغفله النظرية الا انه اصبح متغيرا يحتاج لدراسة العلاقة بينه وبين اشكال اللاسواء او الاضطراب .

- واذا كانت بعض مدارس علم النفس قد حاولت ان تتخذ من الغرائز أو الميول الفطرية اطرا او محاور تدير حولها التفسير المنطقي للسلوك الجانح أو السلوك العصابي على انه انحراف او مبالغة او عنف أو اندفاع في اتجاه تحقيق الاشباع الغريزي ، فان هذا الاطار النظري يعوزه كذلك ابراز الظروف البيئية والضغوط الاجتماعية باعتبارها

متغيرات مستقلة تلعب دورا كبيرا في خلق عادات اشباع النوازع الفريزية بالصورة التي تبدو فيها انماط النزوع الفريزي لاسوية او منحرفة .

- ولقد حاولت مدارس كثيرة ان تبرز بعض التكوينات الفرضية في الشخصية ابرازا رقميا بعد قياس ابعاد معينة من الشخصية قياسا دقيقا ومعالجتها احصائيا ، وتوصلت الى وجود تكوينات فرضية أعطتها اسماء معينة وحاولت ان تجعلها محاور تدور عليها ، وتفسر بها اشكال السلوك اللاسوي الجانح والعصابي . ورغم أنها حققت كثيرا من النجاح في مجال قياس ابعاد الشخصية اللاسوية الا انها كذلك كان يعوزها كثيرا التوسع في موضوع العوامل المستقلة المرتبطة او المصاحبة لسمات معينة ، ونعني بها المؤثرات البيئية .

ولقد نجحت هذه الدراسات في ابراز بعض اوجه الشبه بين الجناح والعصاب كمظاهر للسلوك المنحرف ، ولكنها لم تكمل الدراسة المقارنة في بعض الجوانب الهامة ، ومن امثلتها كيف يتعلم العلم الفرد اسلوبا من اللاسواء دون غيره .

ان الكتاب الحالي يحقق للقارىء امورا هامة جدا فهو :

يجيب عن السؤال الشائع وهو ما هو الاطار العام الذي يمكن في ضوئه ان نفسر كلا من الجناح والعصاب ؟

والكتاب هنا يبرز ان الفروق بين الجانح والعصابي من حيث تكوين الشخصية ودينامياتها لاتظهر كثيرا في النوع بل هي تظهر واضحة في الدرجة :

فكل من الجانح والعصابي يعاني من القلق ، ويشعر بالدونية ، وكل منهما يعاني صراعات نفسية بين حاجاته وقيمه (مع اختلاف في نوع القيم) وكل منهما يشعر بوطأة الاحباطات الطفلية (مع اختلاف في مواقف الاحباط ومحاوره) وكل منهما لذلك يعاني من الدورية وعدم الاستقرار الانفعالي .

ولعلهما جميعا يشتركان في أمرين هامين :

الاول : انهما يعانيان ضغوطا شديدة من البيئة الاسرية خاصة خلال عملية التطبيع الاجتماعي ، مع اختلاف في اهداف العملية بسبب الاختلافات الاجتماعية لبيئة كل منهما .

الثاني : انهما يخرجان توتر الاحباط في صورة عدوان يوجهه الجانح نحو المجتمع ، بينما يوجهه العصابي نحو ذاته او يكبته ويعاني من ذلك الامرين ، لكن النزعة للعدوان عند العصابي موجودة كامنة احيانا وصريحة اخرى .

ولعل مما يفيد كثيرا من الدراسة التي تابعها الكاتب في هذا المؤلف أن الكتاب يبرز دور الفروق الطبقية وأثرهـا في الاختلاف بين كل من الجانـح والعصابي من حيث :

ــ أنواع الضغوط التي يتعرض لها كل منهما .

ــ اسلوب الاستجابة لمواقف الاحباط كما تبيحه وتتيحه الطبقة الاجتماعية مع ذلك فان التشابه البعيد المدى بين تنظيم شخصية الجانح والعصابي لايحل للقارىء مشكلتين هامتين :

الاولى : لمـاذا يستجيب الجـانح للاحبـاط والضغوط الاجتماعيـة والنفسيـة بالعدوان ؟ بينمـا يستجيب لهـا العصابي بالكبت او العـدوان علـى الـذات ؟!

وهذا السؤال يعني ان نوجه القارىء الكريم الى ماجاء في هذا المـؤلف من ابراز دور القيم والعادات والتقليد الاجتماعي الذي يختلف من طبقة الـى طبقة ، دورها جميعا في تفسير العوامل المحددة لاتجاه السلوك اللاسوي نحو الجناح او العصاب . أي انه يتبين من الاتجاه العام لهذا الكتاب ان العوامـل المحددة لاتجاه الانحراف عوامـل ثقافية بيئية اكثر منها استعدادية جسميـة أو عقليـة .

الثانيـة : هل كل من يعيشون في ضغوط نفسية اجتماعية ، ويعانون من اساليب تطبيع اجتماعي خاطىء ينحرفون سواء للجناح أو العصاب ؟!!

وهنا ايضا نحيل القارىء الكريم الى ماتكرر في هذا المؤلف مما يبرز ان الانحراف لاياتي الا اذا تكررت الخبرات المؤلمة او الاحباطية او كانت من العنف بحيث تستنفذ كل طاقة الحبوط او ماعرفناه بالقدرة على تحمل الحبـوط ، وهي سمة تتأثر كثيرا بعوامل بعضها عضوي جسمي موروث وبعضها مكتسب من اساليب التطبيع نفسها او من النشأة الاولى .

ان الكـاتب يعود مرة ثانية ويعترف بأنه لم يوف هـذا الموضوع الهام حقه من الدراسة والبحث ، ويفتح للقارىء الكريم صدره وقلبه لتقبل النقد ، أي نقد ، راجيـا من الله التوفيق .

انـه سميع الـدعـاء .

مصـــادر الكتاب

أولا ــ المراجع العربية :

آ ــ الكتب :

المؤلف	الكتاب	الناشر	السنة
د. احمد زكي صالح	**نظريات التعلم**	مكتبة القاهرة الحديثة	١٩٧١
د. احمد عزت راجح	**الامراض النفسية والعقلية**	دار المعارف بمصر	١٩٦٥
د. اسحق رمزي	**علم النفس الفردي**	دار المعارف بمصر	١٩٤٦
أوجست أيكهورن	**الشباب الجامح** ترجمة الدكتور سيد محمد غنيم	دار المعارف بمصر	١٩٥٤
أيزنك ، هـ. ج.	**الحقيقة والوهم في علم النفس** ترجمة قدري حفني والدكتور رؤوف نظمي	دار المعارف بمصر	١٩٦٩
سيجمند فرويد	**معالم التحليل النفساني** ترجمةالدكتور محمد عثمان‌نجاتي	دار النهضة العربية ط٤	١٩٦٦
سيجمند فرويد	**القلق** ترجمةالدكتور محمد عثمان‌نجاتي	دار النهضة العربية ط٢	١٩٦٢
د. صبري جرجس	**الطب النفسي في الحياة العامة**	دار النهضة العربية	١٩٦١
د. صموئيل مغاريوس	**مشكلات الصحة النفسية في الدولة النامية**	مكتبة النهضة المصرية	١٩٧٠
د. صموئيل مغاريوس	**الطب النفسي الاجتماعي** « مترجم »	دار المعارف بمصر	١٩٦١
د. عطية محمود هنا وآخرون	**الشخصية وقياسها**	مكتبة النهضة المصرية	١٩٥٩
د. محمد عثمان نجاتي	**علم النفس في حياتنا اليومية**	دار النهضة العربية ط٥	١٩٦٦
د. محمد عماد الدين اسماعيل	**المنهج العلمي وتفسير السلوك**	مكتبة النهضة المصرية	١٩٦٢
د. محمد عماد الدين اسماعيل وآخرون	**الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل**	دار المعرفة	١٩٥٩
د. مصطفى سويف	**الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي**	دار المعارف بمصر	١٩٥٥
د. مصطفى فهمي	**الصحة النفسية**	دار الثقافة ط١	١٩٦٣
د. نجيب اسكندر	**قيمنا الاجتماعية واثرها في نمو الشخصية**	مكتبة‌النهضة‌المصرية ط١	١٩٦٢
د. وليم منتجر ، منروليف	**أضواء الطب النفسي على الشخصية والسلوك** ترجمة الدكتور محمد احمد غالي	مكتبة القاهرة الحديثة	١٩٦٦

ب ـ المجلات والبحوث والدراسات :

١ ـ المجلة الصحية النفسية : تصدر عن الجمعية المصرية للصحة العقلية

العدد (٣) سبتمبر ١٩٥٨ مجلد ١ مكتبة النهضة المصرية .

٢ ـ المجلة الجنائية القومية : تصدر عن : المعهد القومي للبحوث الاجتماعية

العدد (١) المجلد (٢) مارس ١٩٥٩ دار المعارف بمصر

العدد (١) المجلد (٥) مارس ١٩٦٢ دار المعارف بمصر

العدد (٣) المجلد (٥) نوفمبر ١٩٦٢ دار المعارف بمصر

٣ ـ تقرير عن « بحث جرائم السرقة عند الاحداث » صدر عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة في يناير ١٩٦٠ .

٤ ـ الاسرة المتصدعة وعلاقتها بجنوح الاحداث « بحث قدمه السيد عدنان السبيعي في مؤتمر مكافحة الجريمة الحلقة الاولى عام ١٩٦٠ » .

٥ ـ « القلق عند كارن هورني » بحث قدمته السيدة اميرة ازهري لنيل درجة الماجستير في الصحة النفسية من كلية التربية جامعة عين شمس عام ١٩٦١ .

٦ ـ « تطبيق اختبار تفهم الموضوع على حالات مصرية » بحث قدمه الدكتور احمد عبد العزيز سلامة لنيل درجة الماجستير في الصحة النفسية ـ كلية التربية جامعة عين شمس عام ١٩٥٦ .

ثانيا — المراجع الاجنبية :

A. Books. أ — الكتب :

Adler, A. : **The Practice and Theory of Individual Psychology**. New york. Horcourt, Brace & World. Inc. 1929.

Aichorn, A. : **Wayward Youth**.English Translation.London Putman 1936.

Alexander, F. & Healy, W. : **The Roots of Crime**. Psychoanalytic Studies. New York. Alfred A. Knopf. Inc. 1935.

Barron, M. L. : **The Juvenile Delinquent Society**. New York. Alfred A. Knopf. Inc. 1954.

Bennett, I. : **Delinquent and Neurotic Children**, A Comparative Study. Tavistock Publications 1959 .

Besswitz,H.& Persky,H. & Sheldon, G. K. & Griker, R. R. : **Anxiety and Stress**. Mc. Graw Hill Book Company INC. 1955.

Bossard, I. H. : **The Sociology of Child Development**. New York, London. Harper & Brothers. 1948.

Bowlby, J. : **Personality and Mental Illness**. An Essay in Psychiatric Diagnoses. New York. Emerson Book, INC. 1942.

Bowlby, J. : **Child Care and the Growth of Love**. A Pelikan Book. 1959.

Burt, C. : **The Young Delinquent**. London . University of London Press. 1944.

Buss, H. Ronald : **Psychopathology**. John Wiley & Sons Inc London, New York & Sydney. 1966.

Cameron, N. : **The Psychology of Behavior Disorders** . a biosocial interpretation. Houghton & Mifflin Company. 1947.

Carr Saunders, A. M. : **Young Offenders**. Cambridge University Press. 1942.

Cattell, R. B. : **Personality**. Mc. Graw Hill Book, Company INC. First Ed. 1950.

Cattell, R. B. : **Description and Measurement of Personality** London. George Y. Harrop &. Co. L. T. D. 1946.

Charles, S. D. : **Anxiety and Behavior**. London. New York. Academic Press. 1966.

Clark, D. S. : **Psychiatry Today**. A Pelican Book. 1954.

Crow, Lester, D. & Crow, Alice : **Mental Hygiene**. Mc. Graw Hill Book Company. INC. 1951.

Davis, Allison : **Social Class Influence Upon Learning**. Cambridge, Harvard University Press 1957.

Deutch, Helene : **Psychoanalysis of the Neuroses**. Leonard &. Verginia. Woolf, The Hogarlh Press. 1932.

Deutch, A. **Our ReJected Children**. Little, Brown & Comp. 1952.

Dollard, J. Et. Al. **Frustration and Aggression**. London. Kegan Paul Inc. 1954.

Dollard, J. & Miller. N E. : **Personality and Psychotherapy**. Mc. Graw Hill Book Company INC. 1950.

Eysench, H. J. : **Dimentions of Personality**.London Routledge 1947.

Fenichel, O. : **The Psychoanalytic Theory of Neuroses** . London. Routledge & Kegan Paul, L. T. D. 1955.

Freud. S. **A new General Introduction to Psychoanalysis** New York. Garden City Pub. Co. 1943 .

Freud. Anna, & Hoffer, W.& Glover, E. : **The Psychoanalytic Study of the Child.** Vol. I. An Annual Imago Publishing Co. LTD. London. 1945.

Guilford, J. P. : **Personality.** Mc. Graw Hill Book Company. INC. 1959.

Guilford, J. P. : **Psychometric Methods.** Mc. Graw Hill Book Company, INC. 1936.

Healy, W. : **The Individual Delinquent.** Boston. Little Brown & Co. 1945.

Healy, W. & Bronner, E. F. : **New Light on Delinquency and its Treatment** New Haven. Yale University Press. 1956.

Hilgard, E. R. & Marquis, D. M. : **Coditioning and Learning.** London. Methuen & Co. Ltd. 1961.

Horney, K. : **Our Inner Conflicts.** London. Broad - way House. L. T. D. 1964.

Horney, K. : **Neuroses and Human Growth.** The struggle towards self realization . W. W. Norton & Company. 1950.

Horney, K. : **The Neurotic Personality of Our Time.** Kegan Paul, Trench, Trubner, & Co. L. T. D. 1953.

Horney, K. : **New Ways in Psychoanalysis.** New York. W. W. Norton. 1939.

Hunt, Mc. V. : **Personality and Behavior Disorders.** The Ronald Press Company. 1944. Two Volumes. (I & II) .

Hurlock, E. : **Developmental Psychology.** Mc. Graw Hill Book Company, INC.1959.

Kate, Fredlander : **The Formation of Emotional Character.** In: The Psychoanalytic Study of the Child. Vol. I 1945.

Kubie, L. : **The Fundamental Nature of the Destinction Between Normality and Neurosis.** New York. The Psychoanalytic Quarterly. Vol. 23. 1954.

Lewis, Helda, : **Deprived Children.** The Muffled Foundation. Oxford University Press. 1955.

Maher, Brendam, A. : **Principles of Psychopathology** . London, N. Y. St. Louis, San. Fransisco, Sydney, Toronto, Mc. Graw Hill Book Company, INC. 1966. (Ch. 7 Anyiety).

Maier, N. R. : **Frustration**. London, N. Y. Toronto. Mc. Graw Hill Book Company INC. 1944.

May, Rollo. : **The Meaning of Anxiety.** New York Bolan Press. 1959.

Mc. Kinney, F. : **The Psychology of Personal Adjustment.** N. Y. London, Sydney. John Wiley & Sons, Inc. Third Ed. (Chs. 8 - 9.) 196o

Miller, M. E. , & Dollard, J. : **Social Learning and Imitation**. Kegan Paul, Co. LTD. 1945.

Morgan, J. J. B. & Lovell, G. D. : **The Psychology of Abnormal People.** New York, London, Toronto. Longmans Green & Co. 1953.

Mowrer, O. H : **Learning Theory and Personality Dynamics.** N. Y. The Ronald Press Comp. 1950.

Mowrer, O. H. : **Psychotherapy, Theory and Research.** N. Y. The Ronald Press Company. 1953.

Munroe, R. L. : **Schools of Psychoanalytic Thought.** New York. The Dryden Press. Third Printing. 1956.

Pearce, J. D. W. : **Juvenile Delinquency.** London . Cassel . & Company Limited. 1959.

Recless, W. & Smith, M : **Juvenile Delinquency.** Mc. Graw Hill Book Company, INC. 1955.

Roch, H. Paul, & Zubin, J. Anxiety. New York. Crune & Stratton. 1950.

Rosenseveig, S. : « **An Outline of Frustration Theory.** » In : Hunt, Mc. V. Personality and Behavior Disorders. Vol. I.The Ronald Press Company 1944.

Shaffer, L. F. & Shoben, Jr. Edward, J. : **The Psychology of Adjustment.** Houghton & Mifflin Company. 1956.

Shaw, C. R. & Mc. Kay, H. D. : « **Report on the Causes of Crime.** » In : Hunt, J. Mc. V. Personality and Behavior Disorders. (Ed.) Vol II. The Ronald Press Company. 1944.

Strange, J. R. : **Abnormal Psychology : Understanding** behavior disorders. Mc. Graw Hill Book Company. INC. 1965.

Symonds, P. M. : **Diagnosing Personality and Conduct.** New York. Appleton - Century - Crofts, I.N.C.1951

Taylor, W. S. : **Dynamics and Abnormal Psychology.** New York. The American Book Company. 1954.

Trapp, E. Philip & Himelstein, P. : **Readings on Exceptional Child.** Research and Theory. Methuen & Co. L T D . 1962.

White, R. : **The Abnormal Personality.** New York. The Ronald Press Company. Third Ed. 1956.

ب ـ الدوريات والمجلات والبحوث :

B — Periodicals, Journals & Papers. of Research :

1—Dr.Emad-Edin,M.Ismail:Relationship Between the Parents'/Socio Economic Level and Their Aspiration Regarding their Childrens' Future. (Accepted for reading at the XVII International Congress of Psychology, in Washington, 1963.)

2 — The Jhe Journal of Consulting Psychology.
Vol. 22 N° 1 Feb. 1958
Vol. 22 N° 4 Aug. 1958.
Vol. N° 2 Apr. 1958.

3 — The Journal of Abnormal & Social Psychology.
Vol. 16. N. 2 1953.

4 — Publications of the U. S. A. Department of Health, Education and Welfare . Social Security Administration . Children's Bureau : 1960.

a — Witmer, Helen, L. : Delinquency and Adolescent Crisis .

b — Herzog, E. : Identifying Potential Delinquents.

محتويات الكتـــاب

ديناميات السلوك غير السوي ـ دراسات في سيكولوجيـة العصـاب والجنـاح

الموضـــــوع	الصفحة من ـ الى

الموضـــــوع	الصفحة من ـ الى
● تفسير أدلر للعصاب والجناح	١٠٢ ـ ١١٤
رأية في الليبدو (١٠٢) تفسير ديناميات العصاب (١٠٤) التعويض في سلوك العصابي (١٠٦) تفسير ديناميات الجناح (١٠٧) الانحراف الثقافي (١٠٨) مناطق الجناح (١٠٩) النزعة الفردية لدى الجناح (١٠٩)	
٧ ـ **الفصل الخامس : النظرية الفرضية وتفسير السلوك العصابي والجناحي**	١١٥ ـ ١١٧
● سيرل بيرت والنظرية الفرضية في تفسير الجناح والعصاب الانفعالية العامة والجناح عند سيرل بيرت (١٢٤) الصراع والعقد وأثرها في خلق الجناح عند سيرل بيرت (١٢٧) عقدة الام (١٢٧) عقدة السلطة (١٢٨) الصراعات الاخلاقية (١٢٨) عقدة النقص (١٢٩)	١١٧ ـ ١٣١
وجهة نظر	١٣١ ـ ١٣٢
الباب الثالث	**٩٣٢ ـ ١٦٤**
القياس النفسي والاحصاء وديناميات الجناح والعصاب	١٣٥ ـ ١٣٧
٨ ـ **الفصل السادس : آراء اصحاب مدرسة التحليل العاملي في تحديد ديناميات الجناح والعصاب**	١٣٩ ـ ١٤٠
● الشخصية العصابية في نظر التحليل العاملي .... النيور ساثينيا (١٤١) العصاب القهري (١٤١) الهستيريا التحولية (١٤٢) بعض الابعاد الضيقة المدى في شخصية العصابي (١٤٢) القلق العصابي (١٤٢) عدم الملاءمة العصابية (١٤٣) الانفعالية العصابية (١٤٣) الكراهية والعداء العصابي (١٤٣) الصراعات الجنسية (١٤٣) الاضطرابات السيكوسوماتية (١٤٤)	١٤٠ ـ ١٤٤

الموضـــــوع	الصفحة من ـ الى

الموضــــوع	الصفحة من – الى

الموضـــــوع	الصفحة من — الى
ديناميات العصاب	٢٤٣ — ٢٥٢
دراسات السون ديفيز (٢٤٤) دراسات في البيئة المحلية المصرية (٢٤٥) دراسات لقياس جوانب من شخصية الجانح (٢٥٠)	
خلاصـــة (٢٥١)	
١١ — **الفصل التاسع :** دراسة تجريبية تحقيقية مقارنـة في ديناميات الجناح والعصاب	٢٥٣ — ٢٨١
● مشكلة الدراسة	٢٥٤ — ٢٥٥
● الفـروض	٢٥٥ — ٢٥٦
● مجموعة المفاهيم المتعلقة بالعينة موضوع البحـث الجانح (٢٥٦) العصابـي (٢٥٧)	٢٥٦ — ٢٦٣
● مجموعة المفاهيم المتعلقة بالمتغيرات موضوع الدراسة في البحث القلق (٢٥٧) الثبوت الانفعالي (٢٥٨) مفهوم الذات (٢٥٩) القيم (٢٥٩) تحمل الحبوط (٢٦٠) ادراك مشاعر الاخرين (٢٦٠) التكيف الشخصي والتكيف الاجتماعي (٢٦١) انطباعات احباطات الطفولـة (٢٦٢)	
● خلاصة البحث وما توصل اليه من نتائج	٢٦٣ — ٢٦٧
● النتائج التي توصل اليها البحث	٢٦٧ — ٢٧٥
الفروض ومدى تحقيقها (٢٦٤) اهـم النتائـج التي توصل اليها البحث (٢٧١) التفسير (٢٧٤)	
● الصورة العامة لتنظيم شخصية كل من الجانـح والعصابي شخصية الجانـح (٢٧٥) شخصيـة العصابي (٢٧٨)	٢٧٥ — ٢٨١
● الخلاصــــة	٢٨٢ — ٢٨٤
مصادر الكتاب	٢٨٥ — ٢٩١
● المراجع العربية	٢٨٥ — ٢٨٦
● المراجع الاجنبية	٢٨٧ — ٢٩١
● المجلات والدوريات والنشرات والبحوث	٢٩١ — ٢٩١
محتويات الكتاب	٢٩٢ — ٢٩٧